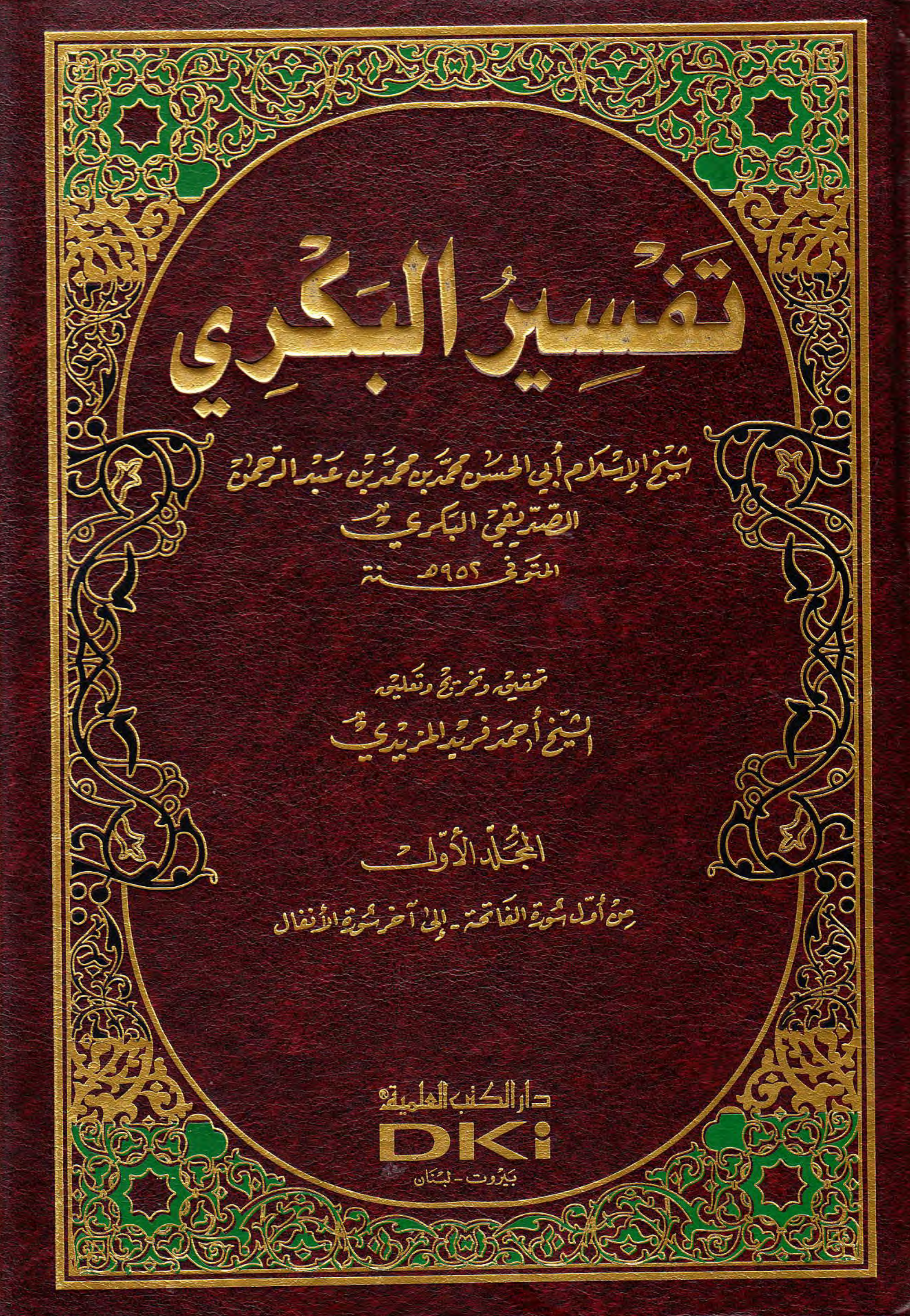

تفسير البكري
لشيخ الإسلام أبي الحسن محمد بن محمد بن عبد الرحمن
الصديقي البكري
المتوفى سنة ٩٥٢هـ
تحقيق وتخريج وتعليق
الشيخ أحمد فريد المزيدي
المجلد الأول
من أول سورة الفاتحة - إلى آخر سورة الأنفال
دار الكتب العلمية
DKi
بيروت - لبنان

تفسير البكري

شيخ الإسلام أبي الحسن محمد بن محمد بن عبد الرحمن
الصديقي البكري
المتوفى سنة ٩٥٢هـ

تحقيق وتخريج وتعليق
الشيخ أحمد فريد المزيدي

الجزء الأول

من أول سورة الفاتحة - إلى آخر سورة الأنفال



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales @al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title : TAFSĪR AL-BAKRI

الكتاب : تفسير البكري

Classification:	Exegesis of The Qur'an	تفسير قرآن	**التصنيف** :
Author	: Al-šayḫ Muḥammad ben Muḥammad al-Bakri	شيخ الإسلام أبو الحسن محمد بن محمد البكري	**المؤلف** :
Editor	: Al-šayḫ Aḥmad Farid al-Mizyadi	الشيخ أحمد فريد المزيدي	**المحقق** :
Publisher	: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah	دار الكتب العلميـــة - بيروت	**الناشر** :
Pages	: 1504 (3 volumes)	1504 (3 أجزاء)	**عدد الصفحات** :
Size	: 17*24	17*24	**قياس الصفحات:**
Year	: 2010	2010	**سنة الطباعة** :
Printed in	: Lebanon	لبنـــان	**بلد الطباعة** :
Edition	: 1st	الأولى (لونان)	**الطبعة** :

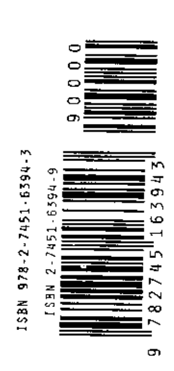


Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

ISBN 978-2-7451-6394-3



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي أنار بكلامه قلوب أولي الألباب؛ ليبصروا به مع عقولهم طريق الصواب يفصل لنا ظاهره من الأقوال والأعمال وباطنه من الاعتقادات والأخلاق والمقامات والأحوال، فيحل عنها قيود النقائص لتسرع إلى غاية الكمال، وجعل شمسه بحيث يحتملها أبصارهم بأن حجبها بمظاهرها من الكلمات والآيات؛ فكانت غيومًا ممطرة يخرج ما فيها كالنباتات من جمعها لما في الملك والملكوت بفتح أبواب الرحموت؛ فيتفجر بها ينابيع الأسرار ثم تصير بحارًا من الأنوار ممتلئة بأنواع الجواهر الكبار، من خاضها نال الكبريت الأحمر من المعارف المقلبة إلى نفائس الصفات، واستخرج الياقوت الأحمر من معرفة ذاته سبحانه وتعالى والأكهب من معرفة صفاته الكاملات، والأصفر من معرفة أفعاله في الكائنات، والدر الأزهر من التزكية والتحلية التي هي الصراط المستقيم، والزبرجد الأخضر من معرفة أحوال السعداء والأشقياء يوم رجوعهم إلى العزيز الحكيم، ومن ساح بسواحلها النقط العنبر والعود من معرفة إحراقه الفجار بالنار ذات الوقود يصعد منه دخان الخوف إلى القلوب؛ فتستريح بالرغبة في علام الغيوب ومن تغلغل في جزائرها استبرز من حيواناتها ترياق الحجج والبينات؛ لدفع سموم الشبه المهلكات، والمسك الأذفر من معرفة الأحكام الفرعية الناشرة طيب الذكر في الأمصار والفلوات.

والصلاة على المخصوص بأعلى الكتب وأجلاها وأجمعها وأحلاها المعجز لمن بلغ في البلاغة غايتها، وفي العداوة منتهاها ممن اجتمع ببلاده أكثر من حصا البطحاء ورمال الدهناء، وتفرق في الآفاق منهم ومن سائر الفضلاء حتى أعرضوا عن المعارضة بالحروف إلى المقارعة بالسيوف؛ فاحتملوا بذل المهج فلم يعارض إلى مدة ثمانمائة وإحدى وثلاثين من الحجج إلا معارضة ركيكة هي ضحكة للناظرين، ومنهم من تعلل بأنه سحر مبين مع أن المعجزة القولية لا مجال لتوهم السحر فيها ولا سبيل

لأسبابه إليها مع أنها في جميع وجوه الهداية بلغت أقصى الغاية وأشارت إلى ما لا يتناهى من فوائد العلوم المهمة في باب الديانة؛ فأقامت من الحجج ورفع الشبه ما عجز عنه أهل الملل والفلسفة، وقد اعترف بفضله من يعتد به منهم وشهد له كتب من تقدم من المرسلين، ولذلك ظهر دينه على كل دين وكان علماء أمته كأنبياء بني إسرائيل في فتح أبواب اليقين، ونصب كل سلطان مبين وكثر أولياء أمته بالكرامات التي هي كمعجزات الأوّلين، وقد أعطى منها ما سبق به السابقين فخروج الماء من الأصابع أغرب من خروجه من الحجر وشق البحر دون شق القمر والبراق الرافع إلى ما فوق السماوات بليلة مع الرجوع قبل الفجر أجل من ريح غدوّها شهر ورواحها شهر، وتكلم الشاة المسمومة وتسبيح الحصا وحنين الجذع أتم من الإحياء.

محمد سيد الرسل المخصوص بأكمل السبل وأقربها الأسهل الأجمل لذلك كان ناسخ الملل وفاسخ الدول صلى الله عليه وعلى آله الذين فاقوا سائر الأمم مما استنبطوا من الكتاب والسنة من العلوم المهمة التي أناروا بها قلوب العالمين، وزينوا بها ألسن العاملين وقوّموا بها أعضاء العابدين صلاة تنمو إلى أبد الآبدين وسلم كثيرًا، وبعد....

فهذه خيرات حسان من نكت نظم القرآن لم يطمث أكثرهن إنس قبلي ولا جان، ولم يكن لي أن أمسهن إذ ﴿**لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ**﴾ [الواقعة: 79] وأنا غريق ببحر خبث هلك فيه الأكثرون، ولكن الله ﷻ مَنَّ عليّ بالتيسير في خطبهن الخطير بمحض فضله إذ هو بكل فضل جدير وعلى كل شيء قدير، فأمكنني أن أبرزهن من خدورهن ليرى بمرايا جمالهن صور الإعجاز من بديع ربط كلماته وترتيب آياته من بعد ما كان يعد من قبيل الألغاز؛ فيظهر به أنها جوامع الكلمات ولوامع الآيات لا مبدل لكلماته ولا معدل عن تحقيقاته، فكل كلمة سلطان دارها وكل آية برهان جارها، وإن ما توهم فيها من التكرار فمن قصور الأنظار العاجزة عن الاستكبار ولا بدّ منه لتوليد الفوائد الجمة من العلوم المهمة، وتقرير الأدلة القويمة وكشف الشبه المدلهمة مأخوذة من تلك العبارات من غير تأويل لها ولا تطويل في إضمار المقدمات، ولا إبعاد في اعتبار المناسبات مع وفاء بالأغراض وشفاء للأمراض مما فيها من أغذية طيبة لا يعقب اختلالاً ولا ملالاً، وأدوية حلوة جامعة للمنافع حالاً ومآلاً، وثمرات أشجار أصولها ثابتة فروعها في السماء ﴿**تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ**﴾ [إبراهيم: 25] لطوائف العلماء لا مقطوعة ولا ممنوعة ومع كونها مرفوعة قطوفها دانية ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ**﴾ [الحاقة:

24] في الأيام الخالية تجري من تحتها الأنهار من الأنوار المتضمنة للأسرار بل مرج فيها بحرا الظاهر والباطن يلتقيان بالتوفيق، وإن كان بينهما برزخ التفاوت فلا يبغيان في التحقيق يخرج منهما من لطائف الشريعة والطريقة والحقيقة اللؤلؤ والمرجان؛ لتحلية ألسن أهلها والأذهان وتجري فيهما أعلام العلوم برياح الفهوم مملوءة بأمتعة الأصول المقررة؛ لتحصيل أرباح جهاز الفروع المكثرة أو لجلب خيول الحجج القاطعة وأفيال البينات الساطعة لقتال أعداء الدين والاستيلاء على قلاع شبهاتهم التي هي عندهم أعلى حصن حصين بجعلها قاعًا صفصفًا بعد استنزال من كان بها في عزمتين، وسلخ جلودهم التي تجلدوا بها على مقاومة كل سلطان مبين من براهين اليقين حتى يصير أسودهم قرودًا خاسئين وسوادهم سود الوجوه في نار القهر خالدين.

ويصير أهل الحق في نعيم التحقيق لا يمسهم فيها نصب يغير عليهم شراب علم اليقين بل يجعله بيضاء لذة لشاربي علم عين اليقين، إنه هو أرحم الراحمين.

ولنقدم أمورًا:

الأوّل: اتفقت الملل على أنه تعالى متكلم مخبر طالب، ولا يصير متكلمًا إلا بقيام صفته به إذ لو صار بخلقه في غيره لصار بخلق السواد أسود، وليست صفته هذه العبارات التي هي أعراض غير قارة مؤلفة مرتبة؛ إذ ليس محلاً للحوادث وهي غير العلم إذ لا طلب به وغير الإرادة إذ لا إخبار بها، وليس الطلب نفس الإرادة إذ قد يطلب من الشخص ما لا يراد منه لإظهار عصيانه، وليس بمجرد الصيغة وليس الإخبار نفس العلم إذ قد يخبر بخلاف ما يعلم ولا سفه في إخبار وطلب نفسيين بلا سماع سامع إذا قصد التعليق به وقت وجوده ولا كذب في التعبير بالماضي عند اعتبار زمن الإخبار ولا تعدد، فهذه الصفة وإن تعلقت بما لا يتناهى فلا تأليف ولا ترتيب، وليست نفس المنقسم إلى الإخبار والطلب إذ ليسا من جزئياته بل من متعلقاته، وهو نفس المتلوّ والمحفوظ والمكتوب، وإن كانت التلاوة والحفظ والكتابة منا، وإن أريد بها الحاصل بالمصدر حادثة، والقرآن اسم لذلك المعنى، ولهذه العبارات بالاشتراك **والأوّل:** كلام الله تعالى بمعنى أنه صفته، **والثاني:** بمعنى أنه ليس من صنع غيره والمطلق على العبارات كلي يطلق على الكل والبعض، وهو المنزل على رسول الله ﷺ ليتحدى بصورة منه فعجز أهل عصره ومن بعدهم عنه؛ لأنه أحلى من نظمهم ونثرهم مع مخالفته لأساليبهم وأكمل معنى جُمع من علوم جمة ما لا يتناهى من فوائد مهمة في ألفاظ قليلة قريبة الفهم بعيدة الغور يشهد لها العلم ويشهد بها، ويشتمل على أصول

مسائلها مع دلائلها ورفع الشبه عنها لاتجاهه بوجوه كثيرة باعتبار ربط كلماته وترتيب آياته الذي يفتقر فيه إلى تأمل كامل وتدبر تام من ذي علوم كثيرة، وباعتبار استقلالها بالنزول وعدم الارتباط في الظاهر مع اعتبار المعاني الحقيقية والمجازية، والإشارات من شبهة الاشتقاق وغيرها والاستدلالات من جمع متفرقها أو ضمها إلى الأحاديث النبوية أو القواعد العقلية أو الفوائد الكشفية.

الثاني: الإنزال الإيواء أو التحويل من علو إلى سفل كإنزال الجيش أو القطر، ولما كانا بالحركة وليست الصفة إلا بتبعية الموصوف إذا استقرت ولا حركة لله ولا للمعنى القائم به ولا للعبارات الغير المستقرة فلا بد من التجوّز بأن يقال ظهر ذلك المعنى في القلم الأعلى بلبسة الحقائق المجردة للحروف ثم زاد ظهورها باللوح المحفوظ، ثم لم يزل يزداد حتى وصل إلى سمع رسول الله ﷺ وقلبه، أو يقال وصف بوصف حامله باعتبار حمله نفس المعنى أو الصور المحفوظة أو المكتوبة أو باعتبار قيام الألفاظ به، ولو عند الأداء إلى المنزل عليه والسر في إنزال العبارات جذب القاصرين بما يناسبهم من الأصوات والحروف منها إلى ما يناسبه من معانيها وحقائقها، كفعلنا بالحيوانات العجم نخاطبهم بما يناسبهم لكن هذا المنزل لما كان معجزًا ظهرت به عظمته، فكان أشد للجذب إلى الكمالات باستفادة الاعتقادات والأحكام وعلوم المعاملة والمكاشفة وغيرها مما لا يتناهى.

الثالث: الاستنباط قال ﷺ: «**من فسَّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار**»[1] قال الإمام حجة الإسلام في «الإحياء»: تحريم التكلم بغير المسموع باطل؛ إذ لا يصادف السماع من رسول الله ﷺ إلا في بعض الآيات والصّحابة ﷺ ومن بعدهم اختلفوا اختلافًا كثيرًا لا يمكن فيه الجمع، ويمتنع سماع الجميع من رسول الله ﷺ والأخبار والآثار تدل على اتساع معانيه قال ﷺ لابن عباس ﷺ: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»[2] فلو كان مسموعًا فلا وجه للتخصيص، وقال ﷻ ﴿**لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ**﴾ [النساء: من الآية83].

وقال أبو الدرداء: لا يفقه الرجل حتى يجعل القرآن وجوهًا.

---

(1) ذكره العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (101/1).

(2) رواه الطبراني في «الكبير» (128/9)، والحاكم في «المستدرك» (383/14).

وقال الإمام عليّ ﷺ: لو شئت لأوقرت سبعين بعيرًا من تفسير فاتحة الكتاب.

وقال ابن مسعود: من أراد علم الأوّلين والآخرين فليثور القرآن.

وقال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر.

وقال آخر: القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم؛ إذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومطلع، وفي القرآن إشارة إلى مجامع العلوم وكل ما أشكل على النظار ففي القرآن رموز إليه، فالنهي إما عن التأويل على وفق ما له من الرأي الذي لولاه لم يلح له كمن يلبس على خصمه بالتمسك بآية على تصحيح بدعته مع علمه بأنه ليس بمراد، وقد يكون له غرض صحيح يتمسك عليه بآية يعلم أنه ليس المراد منها كمن يدعو إلى مجاهدة النفس، فيتمسك بقوله عز وجل: **﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾** [طه: 24] ويشير إلى نفسه، وقد تكون الآية محتملة فيميل فهمه إلى ما يوافق غرضه، وإما عن التسارع إلى الباطن قبل أحكام الظاهر فإنه كالبلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب هذا حاصل كلامه.

وقال شارح «التأويلات»: أجمعوا على استخراج معانيه بالرأي واختلفوا في التوفيق بينه وبين الأحاديث:

فقيل: التفسير بيان سبب النزول والتأويل بيان ما يحتمل اللفظ، وقد جعل الله القرآن أصلاً لجميع ما يحتاج إليه وليس كله منصوصًا فلا بدَّ من الاستخراج بالرأي بالعرض على الأصول.

وقيل: التفسير بيان حقيقة اللفظ إذا علمت والتأويل صرف اللفظ المحتمل إلى بعض وجوهه لموافقته للأصول فلو قطع منه كان تفسير بالرأي.

وقال الشيخ أبو منصور: والتفسير هو القطع، فإن كان ثمة دليل قطعي صح وإلا حرم لما فيه من الشهادة على الله بما لا يؤمن فيه الكذب والتأويل بيان عاقبة الاحتمال بغالب الرأي بلا قطع.

وقيل: باتحاد التفسير والتأويل فالذي بالرأي هو الصادر عن العقل دون العرض على الأصول من آية محكمة أو خبر متواتر أو إجماع، فالسلف إنما فسروا القرآن بدليل أذنوا بالعمل بمثله بأبلغ الاجتهاد.

وقيل: التفسير بالاجتهاد والعرض على الأصول تفسير بالرأي لكنه نوعان: **مذموم**: يشهد فيه على الله بكونه حقًا، **ومحمود**: يعتقد حقيقته بغالب الرأي مع احتمال

الخطأ، وقيل: المذموم جعل الرأي معيارًا لما جاء به القرآن فيفسر على وفقه تقريرًا له ويترك ظاهر القرآن، والمحمود جعل الرأي تابعًا لدلالة القرآن، وقيل: المنهي تفسير المتشابه؛ لأنه غلوّ فيما لا يحتاج إليه، وأما المحتاج إليه فتفسيره بالرأي مأمور هذا حاصل كلامه.

وأقول لك أن تحمل النهي على جميع الوجوه المذمومة سوى تفسير المتشابه بما يوافق المحكم فله فوائد لا تحصى والممنوع حمله على ظاهره أو على ما يهواه.

الكلام في الاستعاذة

ليست من القرآن بل مقدمة القراءة أوجبها ابن عطاء لكل قراءة وأشهر عباراتها: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»: (**العوذ**): الالتجاء أو الاعتصام أو التحصن أو الاستعانة. و(**الباء**): للإلصاق أي ألصق التجائي بحفظ الله أو اعتصامي بقوّته أو تحصني بمنعه أو استعانتي بفضله، ولك تبديل الصلة. و(**الشيطان**): من الشطن وهو البعد لبعده عن الله أو الخبر يريد إبعاد المتقرب إلى الله إذا بعد من أجله، أو من الشيط وهو البطلان أو الهلاك أو الاحتراق؛ لأنه باطل في نفسه مبطل لمصالحه ومصالح من أبطل من أجله هالك باللعنة يريد إهلاك من لعن لأجله، محترق غضبًا عليه إذا رآه يتقرب إلى ربه، والمستعاذ منه وسواسه وإغواؤه وجميع شروره بل نفسه؛ لأنه بذاته شر يستعاذ منه. و(**الرجيم**): من الرجم وهو الرمي بالحجارة؛ لأنه يرمي بالسب والشهب ويدل على وجوده رؤية جم غفير من الأنبياء والأولياء صورته وسماعهم صوته والآيات والأخبار، وما له من الأفعال كمسه مجنونًا يفيق بالرقي، وقد علم من سنة الله أنه لا يفعل شيئًا إلا بسبب يخصه؛ ولهذا إذ استنارت حيطان البيت واسود سقفه عُلم أن سبب الاستنارة غير سبب الاسوداد؛ فكذا أسباب استنارة القلب واسوداده فيقع فيه أفكار وأذكار يستبصر فيها تارة ويتحير أخرى فالمبصر ملك خلق لإفاضة النافع في العاقبة وكشف الحق والوعد بالمعروف والمحير شيطان خلق لضد ذلك.

واختلف في حقيقته فقيل مجرد يتصرف بالتعلق ويدرك بآلة هي كرة الأثير، وأوّل به خلقه من نار ويتميز عن الله تعالى بالمرتبة وليست التجرد أخص صفاته بل هو القيومية، وقيل: القوّة المتوهمة أو المتخيلة المعارضة للعاقلة خلق من الحرارة الغريزية، وقيل: جسم ناري، والصحيح أنه من العناصر لكن الغالب عليه النار ولا يحس بها لانكسارها بالامتزاج ولا يجب رؤية الكثيف إذا لم يتلون ولا يمتنع نفوذه بطريق الضوء،

ولا قدرة اللطيف على الأفعال لو لم يرق قوامه بل النار والريح أقوى ولا تشكل الجسم بالأشكال المختلفة كما في السحرة، ولا تشكل المجرد من عالم المثال بما يناسب ما غلب عليه ولا يغلط فيه إذا رآه القلب من وجهه الذي يلي الملكوت عند إشراقه على باطن سر القلب والصورة فيها تابعة للصفة؛ فيرى الشيطان في صورة كلب أو خنزير أو ضفدع بخلاف رؤيته من الوجه الذي يلي عالم الملك، فإنه كثيرًا ما يحصل لمختل الدماغ والأوّل يختص بالكمل، ولا يخلّ وجود الشيطان الوثوق بالمعجزات؛ لاختصاصها بالنفس الخيرة الداعية إلى وجوه الخير المحض في العموم.

والشيطان إن دعا إلى خير فلتفويت خير أعظم أو جر شر لا يفي به، ومن عداوته حمله العوام على التفكر في ذات الله تعالى وصفاته وأسرار النبوّة والأمور الأخروية، وإفضاؤه بهم إلى إنكارها مع قيام البراهين القاطعة عليها، وأنه يعدهم الأمان من عذاب الله واليأس من ثوابه من غير شبهة فضلاً عن حجة وكفى دليلاً فيه خلق الله العقل في الإنسان؛ ليفوز بالثواب وينجو عن العذاب لا ليتعب مع استراحة البهائم، وأنه بعد على عبادة الأوثان بالتقرب إلى الله، ويخوِّف من قهرها في ترك عبادتها ويأمرهم بالإخلاص فيها ويغرق المصلي في بحار الرياء والعجب وينسيه الأفعال وعدد الركعات، ويوقعه في تحسين النية ومخارج الحروف، ويذهب به إلى مهمات لا تخطر بباله في غيرها ولا تفيده أبدًا، ويخوِّف بالفقر في إعطاء الزكاة ويبحث على الإنفاق في المرحمات، ويخيل حصر اللذات في الشهوات والجاه والعجز والذلة عند عدم إمضاء الغضب، ويرى التعب في عبادة الله تعالى، ويسهل على الكفار تحمل المشاق في عبادة الأوثان، ويمنع عن القتل في سبيل الله، ويحث الكفار على قتل أنفسهم عند الأوثان وقتل من يدعوهم إلى الإسلام، ويدعو من له أزواج وجوار معطرة مزينة إلى زنا من ليس لها ذلك، ويأمر الأمراء بالظلم في الأموال مع وفورها لهم، وبقتل الأنفس بأدنى مخيلة مع تمكنهم من الدفع لو وقع وقبل الوقوع يندفع بأدنى من القتل، وله أبواب يطول شرحها، وضرر عداوته أنه اتفقت الملة والفلسفة على أن من فسد اعتقاده خُلِّد في العذاب أو عمله عذب بحسبه وينقسم إلى عقلي وخيالي وحسي. ومن الناس من منع الأخيرين لتوقفهما على آلات جسمانية والموت قطع علائقها، ولا دليل على امتناع تعلقها بأبدان تركبت من الأجزاء الأصلية من أبدانهم، أو بجزء منها للإدراك أو بجسم آخر، ومنهم من أجاز الخيالي بأحد الوجهين الآخرين كما في النوم إلا أنه يزول باليقظة، ولا يتوقف تألم النفس على السبب الخارجي، وقال الفارابي وابن سينا: العقل وإن لم يوجب الحسي

فلا يمنعه بل يحسنه لحسن التخويف في مبادئ الأفعال؛ لأنه ينفع الأكثر وهو إنما يتم بالاعتقاد الجازم بالإيفاء، فالإيفاء مقتض لازدياد النفع، واتفقت الفلاسفة على العقلي وجعلوه أكمل من الحسي والخيالي، وقالوا: كمال النفس إن فات لنقصان غريزتها فلا عذاب كالصبي والمجنون، أو لوجود ضد في القوّة لنظرية يصير صورة ملازمة يتعذب بها من شعورها؛ لنقصها واشتياقها إلى كمالها مع امتناع اكتسابه لفوات آلته وعدم اشتغالها بشيء آخر. وما دامت في جلباب البدن يعتقد في نقصاناتها أنها كمالات، فإذا رفع ظهر النقص واشتاقت إلى الكمالات ولا يصل إليها فيقع في النار الروحانية فهو عندهم كالكافر عندنا يتعذب بقدر رسوخ الضد وعدم رسوخه، أو في القوّة العملية تألمت بحسبه، والقائل بالخيالي قال بظهوره في صورة النار والحيات والعقارب لكنها تزول؛ لأنها إنما حصلت من ركون النفس إلى البدن ويزول بطول العهد فيتصل بمحل السعادة فهو عندهم كالفاسق عندنا، وأما الصالحة البرية عن الهيئات الفاسدة؛ فتلتذ بكمالاتها أبدًا لتخلصها إلى عالم القدس وترقيها إلى عين اليقين فهو كالمؤمن التقي عندنا لكنه مبني على امتناع إعادة البدن. والحق إعادته، فيجوز العقلي بوجوه أُخر والحسي والخيالي، فهذا رأي من يعتد به من أهل النظر والكشف من المليين والفلاسفة، وثمة جماعة ليسوا في شيء منهما يدعون فناء النفس وامتناع إعادتها من غير شبهة فضلاً عن حجة ويروّجه بعضهم بنسبته إلى معروف بدقائق العلوم كأفلاطون وأرسطو، ولا شاهد لهم من تصنيف أو خط ولا برهان عليه والأنبياء والأولياء والعلماء أولى بالتقليد منهم، ومن أين يتصوّر في حقهم برهان ضروري لا يتطرق إليه الغلط مع وقوعه لهؤلاء مع غزارة علومهم وطول نظرهم، فإذا جوّزته فعليك باجتناب هذا الخطر العظيم، ثم إن العبد المستعيذ لا يستقل بمقاومة الشيطان بمعارضة الوهم والخيال العقلي في جذب سائر القوى إلى عالم السفل، فلا بد له أن يستعين بمن سلطه عليه ليبلوه أيرجع إليه أم لا؟! وقد جرت سنته بإعاذة من استعاذ به.

قال الزبيدي: العَوْذُ، الالْتِجَاءُ، كالعِيَاذِ بالكسر والمَعَاذِ والمَعَاذَةِ والتَّعَوُّذِ والاسْتِعاذَةِ عاذَ به يَعُوذ: لاَذَ به. ولَجَأَ إليه واعْتَصَم، وعُذْتُ بفُلانٍ واستَعَذْتُ به، أي: لَجَأْتُ إليه، وفي الحديث: «إِنَّمَا قَالَهَا تَعَوُّذًا» أي: إنما أَقَرَّ بالشَّهَادَةِ لاجِئًا إليها ومُعْتَصِمًا بها لِيَدْفَع عنه القَتْلَ، وليس بمُخْلِصٍ في إِسْلامه [تاج العروس (عوذ)].

وقال المجد في «القاموس»: العَوْذُ الالتجاء، كالعِياذِ والمَعاذِ والمَعاذَةِ والتَّعَوُّذِ والاسْتِعاذَةِ، وبالضم الحَديثاتُ النتاجِ من الظِّباء وكُلِّ أُنْثى، كالعُوذانِ، جَمْعَا عائِذٍ، وقد

عاذَتْ عِياذًا، وأعاذَتْ وأعْوَذَتْ، وهي مُعيذٌ ومُعْوِذٌ، وبالهاءِ الرُّقْيَةُ، كالمَعَاذةِ والتَّعْوِيذِ، والعَوَذُ بالتحريكِ المَلْجَأُ، كالمَعاذِ والعِياذِ.

ثم قال: ومعاذ الله؛ أي: أعوذ بالله معاذًا، وكذا معاذة الله وللمعوذتان بكسر الواو سورتان، وعوذ بالله وعوذًا؛ أي: أعوذ...إلخ، والتعوذ سنة في الصلاة عندنا، ومستحب عند الشافعية فيها، والقارئ خارج الصلاة إجماعًا، وهل يأتي به في أول ركعة منها فقط أم في كل ركعة؟ خلف والمختار عندنا وعندهم أن يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، واختار في «الهداية» أن يقول: أستعيذ بالله لموافقة الآية من الشيطان؛ أي: من شره وغدره ومكره، وهو اسم لكل عاةٍ متمرد من إنس وجن أو دابة. كذا في «القاموس»، وقال في «المصباح»: وفي الشيطان قولان: أحدهما: أنه من شطن إذا بعد عن الحق، أو عن رحمة الله، فتكون أصلية ووزنه فيعال، وكل عاةٍ متمرد من الإنس والجن والدواب، فهو شيطان ووصف أعرابي فرسه، فقال: كأنه شيطان في أشطان، والقول الثاني: إن الياء أصلية والنون زائدة عكس الأول، وهو من شاط يشيط؛ إذا بطل واحترق، فوزنه فعلان.

وقال الشنواني في حاشيته على «الأزهرية»: قال ابن عطية: يرد على من قال: إنه مشتق من شاط: أن سيبويه نقل عن العرب تشيطن؛ إذا فَعل فِعل الشيطان، فلو كان كما قالوا القيل تشيط، انتهى.

وقال القاضي رحمه الله تعالى: وجعل سيبويه نونه تارة أصلية على أنه من شطن إذا بعد فإنه بعيد عن الصلاح ويريد له قولهم تشيطن وأخرى زائدة على أنه من شاط إذا بطل لأن من أسمائه الباطل، انتهى.

وقال الشيخ الحاتمي - قدس الله سره - في كتابه «شجون المسجون»: الشيطان اسم مشتق من شاط يشوط شوطًا في الأرض وهو سرعة السير، وهو في الإنسان كناية عن الخاطر الذي لا يستقر به الفؤاد بل يشوط دائمًا في الأرض بل يهيم في كل واد، انتهى.

وفي الباب التاسع من «مختصر الفتوحات» للإمام الشعراني ﷺ: وأول من سمي من الجن شيطانًا أول من عصا، وهو الحارث فأبلسه الله؛ أي: طرده عن رحمته ومنه تفرعت الشياطين بأجمعها، فمن آمن منهم مثل هامة ابن الهام بن لاقيس بن إبليس التحق بالمؤمنين ومن بقي منهم على كفره كان شيطانًا، وقد اختلف العلماء في الشيطان هل يصح أن يسلم كما يسلم الكافر عندنا، وعني الخلاف على ضبط ميم

فأسلم فإن بعضهم ضبطها بالضم.

قال سيدي داود بن باخلا ﷺ: لن تستطيع أن تسلم من الشيطان الملصق بذات وجودك الملتقم إذ إن قلبك الجاري منك مجرى الدم إلا برجوعك إلى من هو أقرب إليك منه وهو الله تعالى.

وكان يقول: ابن آدم ذو عوالم ثلاث: عالم إنساني، وعالم شيطاني، وعالم روحاني، فله من حيث المعنى الطيني الجهل والنسيان، ومن حيث الريح الشيطاني التكذيب والكفران والجحود والطغيان، ومن حيث الوصف الروحاني التصديق والإذعان ثم اليقين والعرفان ثم الشهود والعيان، وكان يقول: القلوب ثلاثة: قلب أرضي فالشيطان يأوي إليه وربما استحوذ بالإغواء عليه، وقلب سماوي فهو يلقي إليه ويسترق السمع من نواحيه فهو ينال من سماع أخباره وربما رجم بشهاب أنواره، وقلب عرشي فهو به لا يدانيه، انتهى.

أي: لا يدانيه بالغواية ولا يصل إليه آذاه لتدلي حجاب الرعاية والحماية الرجيم فعيل: بمعنى مفعول؛ أي: مرجوم بالأنوار المحرقة وهو المطرود عن رحمة الله، أو هو فعيل بمعنى فاعل، أي: راجم لغيره بأحجار الغواية قال الشيخ - قدس الله سرَّه - في «فتوحاته» في كتاب «الصلاة»: فإذا فرغ الإنسان من التوجيه فليقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هذا نص القرآن، وقد ورد في السنة الصحيحة: «**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم**»، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: 98]. فالعارف إذا تعوذ ينظر في الحال الذي أوجب له التعوّذ، وينظر في حقيقة ما يتعوّذ به، وينظر في ما ينبغي أن يعاذ به فيتعوّذ بحسب ذلك فمن غلب عليه في حاله أن كل شيء يستعاذ منه بيد سيده، وإن كل ما يستعاذ به بيد سيده، وإنه في نفسه عبد محل التصريف والتقليب فعاذ من سيده بسيده، وهو قوله ﷺ: «**وأعوذ بك منك**» وهذه استعاذة التوحيد فيستعيذ به من الاتحاد، قال الله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: 49]. وقال كذلك: ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: 35]، وقال: «**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري من نازعني واحدًا منهما قصمته**»، ومن نزل عن هذه الدرجة في الاستعاذة استعاذ مما لا يلائم بما يلائم فعلاً كان أو صفة هذه قضية كلية، والحال يعين القضايا والحكم يكون بحسبها ورد في

الخبر: «**أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ**» أي: بما يرضيك مما يسخطك فقد خرج العبد هنا عن حظ نفسه بإقامة حرمة محبوبه، فهذا لله ثم الذي لنفسه من هذا الباب قوله: «**وبمعافاتك من عقوبتك**» فهذا في حظ نفسه، وأي المرتبتين أعلى في ذلك نظر فمن نظر إلى ما يقتضيه جلال الله من أنه لا يبلغ ممكن أي ليس في حقيقة الممكن قبول ما ينبغي لجلال الله من التعظيم، وإن ذلك محال في نفس الأمر لم ير إلا أن يكون في حظ نفسه فإن ذلك عائد عليه ومن نظر في قوله: ﴿**إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: 56].

قال: ما يلزمني من حق ربي إلا ما تبلغه قوّتي فأنا لا أعمل إلا في حق ربي لا في حق نفسي. فشرع الشارع الاستعاذتين في هذين الشخصين، ومن رأى إن وجوده هو وجود ربه إذ لم يكن له من حيث هو وجود، قال: **أعوذ بك منك**، وهي المرتبة الثالثة وثبت في هذه المرتبة عين العبد، فالقارئ للقرآن إذا تعوّذ عند قراءة القرآن علمه المكلف، وهو الله تعالى كيف يستعيذ وبمن يستعيذ وممن يستعيذ فقال له: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ**﴾ [النحل: 98]، فأعطاه الاسم الجامع، وذكر له القرآن وما خص آية من آية لذلك لم يخص اسمًا من اسم بل أتى بالاسم الله فالقارئ ينظر في حقيقة ما يقرأ وينظر فيما ينبغي أن يستعاذ منه في تلك الآية، فيذكره في استعاذته وينظر فيما ينبغي أن يستعاذ به من أسماء الله أيّ اسم كان فيعينه بالذكر في استعاذته، ولما كان قارئ القرآن جليس الله من كون القرآن ذكرًا والذاكر جليس الله ثم زاد إنه في الصلاة حال مناجاة الله فهو أيضًا في حال قرب على قرب كنور على نور كان الأولى أن يستعيذ هنا بالله، وتكون استعاذته من الشيطان؛ لأنه البعيد يقال: بئر شطون إذا كانت بعيدة القعر والبعد يقابل القرب فتكون استعاذته في حال قربه مما يبعده عن تلك الحالة فلم يكن أولى من اسم الشيطان ثم نعته بالرجيم وهو فعيل فأمّا بمعنى المفعول فيكون معناه من الشيطان المرجوم يعني بالشهب، وهي الأنوار المحرقة قال الله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَٰهَا**﴾ يعني: الكواكب ﴿**رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ**﴾ [الملك: 5]، والصلاة نور، ورحمة الله بالأنوار فكانت الصلاة مما تعطي بعد الشيطان قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ**﴾ [العنكبوت: 45]، بسبب ما وصفت من الإحرام، وإن كان بمعنى الفاعل فهو لما يرحم به قلب العبد من الخواطر

المذمومة، واللمات السيئة والوسوسة، ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا قام يصلي من الليل فإذا كبر تكبيرة الإحرام قال: **«الله أكبر كبيرًا الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا وسبحان الله بكرة وأصيلاً ثلاثًا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه» قال ابن عباس: همزه بالوسوسة في الصلاة، ونفثه الشعر، ونفخه الذي يلقيه من الشبهة في الصلاة يعني السهو، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «إن سجود السهو ترغيم للشيطان»** فوجب على المصلي أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم بخالص من قلبه يطلب بذلك عصمة ربه، ولما لم يعرف المصلي بما يأتيه الشيطان من الخواطر السيئة في صلاته والوسوسة لم يتمكن أن يعين له ما يدفعها به فجاء بالاسم الله الجامع لمعاني الأسماء إذ كان في قوّة هذا الاسم حقيقة كل اسم دافع في مقابلة كل خاطر ينبغي أن يدفع، انتهى.

وقال سيدنا الكتاني: فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم أي: أستجير بجناب الله من الشيطان من أن يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يخشى على فعل ما نهيت عنه، فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله جل ثناؤه؛ ولهذا أمر تعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه، ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى.

- وأمر سبحانه بالاستعاذة به من شيطان الجن؛ لأنه لا يقبل رشوة، ولا يؤثر فيه جميل؛ لأنه شرير بالطبع، ومجبول على قطع الخلق عن الله، وما أمروا به مما فيه سعادتهم الدينية والدنيوية؛ ولأن العداوة بيننا وبينه قديمة في إخراج أبينا أبي البشر عليه السلام من الجنة، وإن كان في ذلك من الحكم أكثر مما في العالم من الأناسي والحيوانات والحشرات، فلا يكفه عنك إلا الذي خلقه القادر القدير المقتدر. وهذا المعنى في ثلاث آيات من القرآن لا رابع لهن، قوله جل علاه في الأعراف: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199]، فهذا فيما يتعلق بمعاملة الأعداء من الشر.

ثم قال: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 200]، فقلها بلسانك، واعتقد دخولك في حمى الله المنيع، الذي لا يجاوزه بَر ولا فاجر، فإنك تحفظ من الشبهات في الدين والشهوات في السير، وحيث لم نعتصم هذه مدة ونحن نقولها، علمنا أنا لم نأت بها كما أمرنا من مواطآت اللسان والقلب، ولو استشعرنا أنه لا يصعد إليه - جل اسمه - إلا الكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه، لاجتهدنا واجتهدنا وخالفنا شهوات أنفسنا حتى يكون عملنا صالحًا فيرفع، ولكن ما أُتينا إلا من عدم اهتمامنا بصلاح قلوبنا، وطهارتها، وتقديسها من كل ما يخل بوظائف العبودية

واهتمامنا بصلاح الظواهر وتحسينها، واهتمامنا بصلاح ألسنتنا وأعضائنا وأطرافنا وهيئاتنا الجسمية، مع عدم نيات صالحة شرعية في ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ * وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ**﴾ [المؤمنون: 96 - 98]، هذا تلقين للجلالة المحمدية أمرت أن تتعوذ بلطف الحضرة الإلهية من همزات الشياطين وهي معصومة، فكيف بأمثالنا؟ وقال تعالى في سورة فصلت: ﴿**وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ**﴾ [فصلت: 34]، ثم قال: ﴿**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [فصلت: 36].

- والشيطان في لغة العرب: مشتق من شطن إذا بعد، فهو بعيد بطبعه عن كل خير، وبعيد بفسقه عن كل موطن مقرب إلى الله زلفى، وقيل: مشتق من شاط؛ لأنه مخلوق من نار، ومنهم من يقول: كلاهما صحيح في المعنى، ولكن الأول أصح، وعليه يدل كلام العرب.

هذا.. وبين يديك كتاب جديد في عالم التراث العربي والإسلامي، الخاص بعلم التفسير لكتاب الله العزيز، وهو التفسير الوسيط للشيخ أبي الحسن البكري، ولم أقف على اسمه.

فقمت بتحقيقه لأول مرة فضلاً من الله ومنَّة، في رحلة التوجه لتحقيق تراث التفاسير الإسلامية لمشايخ الصوفية، فكان ضبط النص وتصحيحه على نسختين خطيتين، ثم عزو الآيات والتنسيق والتفصيل والترقيم، والتخريج للأحاديث، والتعليق بفوائد مباركة بالهامش لتتم الإفادة التي بها تحصل السعادة، المنبعثة والمستمدة من أهل العلم والسيادة.

هذا.. ونسأل الله تعالى من فضله أن يزيدنا بصيرة بأسراره وغوصًا في غماره وتوفيقًا لاقتفاء آثاره واقتباس أنواره والقيام بشكره والتحفظ من قهره ومكره، وأن ينفعني بكتابي والطالبين ويجعلهم فيه راغبين، ويرحمني وإياهم ومن دعا لي منهم ويتقبل فيّ دعوته برحمته أنه هو أرحم الراحمين.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمدٍ وعلى آله المباركين وصحبه المقربين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

كتبه الفقير إلى حضرة ربه الغني العظيم: أبو الحسن والحسين أحمد فريد المزيدي الحسني، والله الموفق لكل خير وهو الرحمن الرحيم.

ترجمة المصنف

هو شيخ الإسلام، الفقيه، المفسر، المحدث، الصوفي الناظم: أبو الحسن تاج العارفين محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عوض بن عبد الخالق، البكري الصديقي المصري، من علماء الشافعية.

(898 - 952 هـ)، (1493 - 1545 م).

مولده ووفاته بالقاهرة، كان يقيم عامًا بمصر وعاما بمكة، ويقال: إنه أول من حج من علماء مصر في محفة، ثم تبعه الناس. وشاع ذكره في أقطار الأرض مع صغر سنه.

وكان عظيم الشأن، واضح البرهان، ذو همة عالية وعبادة، بِدُرّ البراعة حالية، وتآليف مفيدة، وتعليقات مجيدة، إن فسر أوقع في الفخ طائر الفخر الرازي، وإن نحا ينحو ابن عصفور، خوفًا من صولة البازي.

أخذ علوم الشرع والتصوف عن جماعة من الأعيان منهم:

شيخ الإسلام زكريا السُّنَيكي الأنصاري، وشيخ الإسلام برهان الدين بن أبي شريف، وجد واجتهد، وصار يلقي في الجامع الأزهر دروسًا في التفسير والتصوف، لم يسبقه إلى مثلها أحد، وقصده الطلبة للأخذ عنه من جميع الآفاق، وحصل له جذب، ثم صحا منه.

قال المناوي: سمعتُ ولده شيخ الإسلام شمس الدين يقول: جاور والدي في بعض السنين، فقسم «البهجة» في الحرم، فحضر يومًا لإلقاء الدرس، فقرأ القارئ باب الحيض، فشرع الشيخ في التقرير فقال: الحيض لغةً السيلان، يقال: حاض الوادي إذا سال، فصار يقول: سال سال سال، ثم خرج هائمًا على وجهه، فما أمسكناه، وأدخلناه إلى البيت إلا بعد جهد، فأقام أيامًا مستغرقًا، ثم أفاق بعد ذلك.

وله تصانيف كثيرة، منها تفاسير ثلاثة، أصغر وأوسط وكبير، وشروح على المنهاج - ثلاثة كذلك - وشروح على الإرشاد - ثلاثة كذلك - وعدة متون في الفقه، وعدة رسائل في التصوف وشرح الروض، والعباب، وغير ذلك مما كمل وما لم يكمل، وقد فاق أهل عصره في كثرة التصانيف، فليس فيهم من يساويه في ذلك.

وكان شديد الذكاء، قوي الحافظة والاستحضار، حكى والدي قال: كان شيخ

الإسلام البرهان بن أبي شريف، قد ترك الإقراء آخرًا بالكلية، ومنع ذلك حتى للأفاضل، ما عدا ثلاثة: الشيخ أبو الحسن، والشيخ ناصر الدين الطبلاوي، والشيخ شهاب الدين الرملي، فإنه خصهم بالإقراء لتميزهم على غيرهم من أهل عصرهم، فكان إذا قرأ الشيخ أبو الحسن يرخي له العنان، فيقرأ ما شاء حتى يمسك بالاختيار، وإذا قرأ الآخران يقول: يكفي إلى هنا، فوجدا في أنفسهما وعاتبا الشيخ على ذلك فقال: في غد يكون الجواب. فلما كان الغد، وتمت القراءة قال: يا أبا الحسن، ما كان درسك بالأمس؟ قال: يا سيدي، قال الماتن كذا وقال الشارح كذا وقلتم كذا - وسرد ذلك من حفظه، فلم يسقط منه كلمة - قال: فدرس أول أمس، فسرده كله من حفظه كذلك، قال: فالذي قبله، فسرده كذلك، ثم سأل الآخران، فذكرا بعضا ولم يستحضرا بعضًا، فقال لهما: أنتم كلكم أولادي، والنصح واجب، وقد رأيتما ما كان من الحسن ومنكما، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم.

ولم يزل الشيخ على حاله، راقيًا في درج كماله حتى نقله الله إلى دار أفضاله، سنة نيف وخمسين وتسعمائة.

وصفه العبيدي في «عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق» (ص158، 160) بقوله: هو المجتهد المطلق.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: سمعت أبا الحسن البكري، وهو طائف بالبيت يقول: أصبحت أعد للمدارك أنا كالشافعي ومالك.

قال شيخنا الورع الزاهد العالم الكبير الشيخ يوسف الفيشي: وكان ولده محمد يقول: وأنا لا أقول كذلك؛ بل أعظم من ذلك، انتهى.

قال سيدي عبد الوهاب الشعراني: ومما يدل على صحة نسبه يعني الأستاذ محمدًا البكري الكبير إلى الإمام أبي بكر الصدِّيق ﷺ ما رأيته بمكة المشرفة، وذلك أن بعض الحسدة ذكر سيدي محمدًا بغيبة فزجرته عن ذلك، فلم ينزجر، ثم رأيت الإمام أبا بكر ﷺ وهو يقول: جزاك الله عن ولدي محمد خيرًا فعلمت صحة نسبه بذلك وكذلك وقع أن شخصًا ذكرني بسوء بحضرة الشيخ أبي الحسن ﷺ، وهو ساكت، فبلغني فعتبت عليه في نفسي، فرأيت الإمام أبا بكر الصدّيق ﷺ في المنام وهو يقول لي: استغفر الله عن ولدي أبي الحسن فرضي الله تعالى عنه وعن والده أمين، انتهى من «المنن».

من تصانيفه:

- تسهيل السبيل في معاني التنزيل.
- تفسير البكري (كتابنا هذا).
- شرح العباب للمزجد.
- شرح منهاج النووي.
- تحفة واهب المواهب في بيان المقامات والمراتب.
- الدرة المكللة في فتح مكة المبجلة (نظم).
- عقد الجواهر البهية في الصلاة على خير البرية.
- إرشاد الزائرين لحبيب رب العالمين.
- الأحاديث المحذرات من شرب المسكرات.
- بشرى العباد بفضل الرباط والجهاد.
- تأدية الأمانة في قوله تعالى إنا عرضنا الأمانة.
- تجديد الأفراح بفضائل النكاح.
- تحذير اله الآخرة من دار الدنيا الدائرة.
- تحفة السالك لأشرف المسالك.
- تحفة العجلان في فضائل عثمان بن عفان.
- ترتيب السور وتركيب الصور.
- الجوهر الثمين من كلام سيد المرسلين.
- حزب الأنوار.
- حسن الإصابة في فضل الصحابة.
- حقائق فضل المألوف الواردة على ترتيب الحروف.
- حقائق الكمالات.
- الدرة المكللة في فتح مكة المشرفة المبجلة.
- الروض الأنيق في فضل أبي بكر الصديق.
- شرف الفقراء وبيان أنهم الأمراء.
- طلبة الفقير المحتاج فيما يتوجه به ليلة المعراج.
- غاية الطلب في فضل العرب.

- الفتح القريب بفضل الكبر والمشيب.
- محاسن الإفادة في أحاديث العبادة.
- محو الأوزار بفضل الاستغفار.
- المقصد السامي القدر فيما يدعو به الداعي ليلة القدر.
- ملاذ أهل الإيقان عند حوادث الزمان.
- المنح المبين القوي في المولد النبوي.
- موقظ الوسنان من السنة في دعاء آخر السنة.
- نزهة الأبصار بفضائل الأنصار.
- النظر الثاقب فيما لقريش من المناقب.
- النفحات للأموات.
- فاتحة في التوسل للوهاب بسورة الفاتحة.
- نوافع المسك الختام بالتوسل بأشهر العام.
- نهاية الأفضال في تشريف الآل.
- الواضح الوجيز في تفسير القرآن العزيز.
- الورد المورود لمشرع السنة في دعاء أول السنة.
- هطال وابل التعرف والامتنان من شهر شعبان. وغيرها.

قال الزركلي: وفى دار الكتب المصرية نسخة من تفسيره للقرآن الكريم، برقم 33 تفسير، نبه إليها علي باشا مبارك في خططه، جاء في نهايتها بخط والده: (واعلم أن مؤلف هذا التفسير ولدي، أبو الحسن محمد البكري. وكتب ذلك الفقير. محمد المدعو جلال الدين البكري).

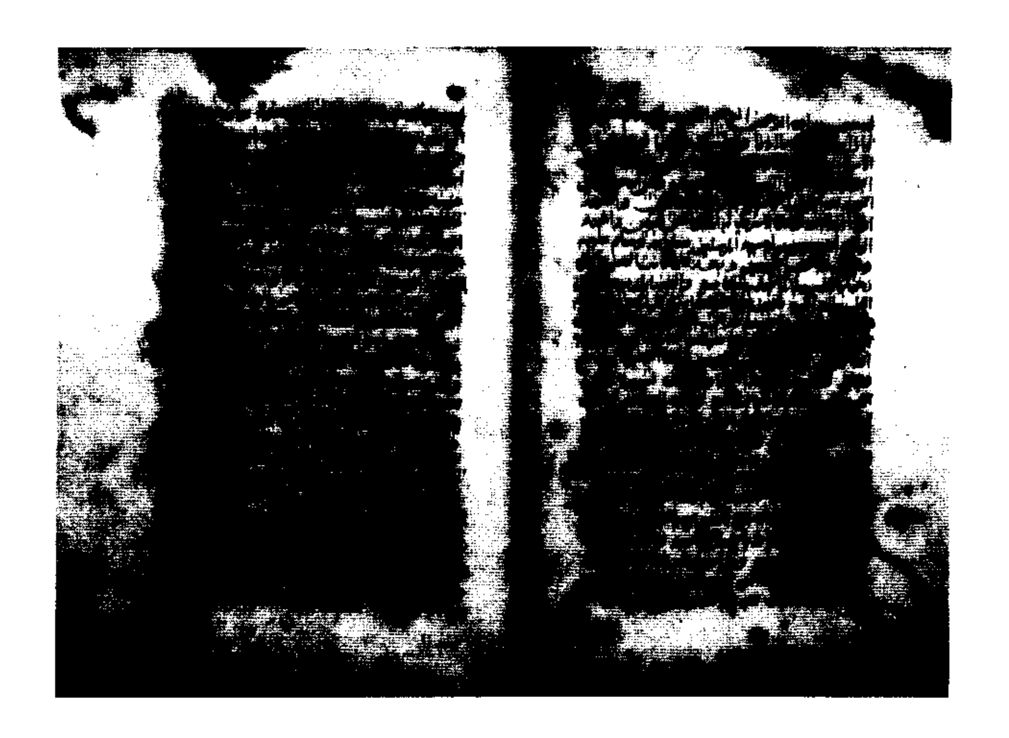
وانظر: النور السافر (414)، جامع الكرامات (181/1)، الكواكب السائرة (194/2)، وخطط مبارك (127/3)، الشذرات (292/8)، الأعلام للزركلي (57/7)، هدية العارفين (73/2)، معجم المؤلفين (11 /230).



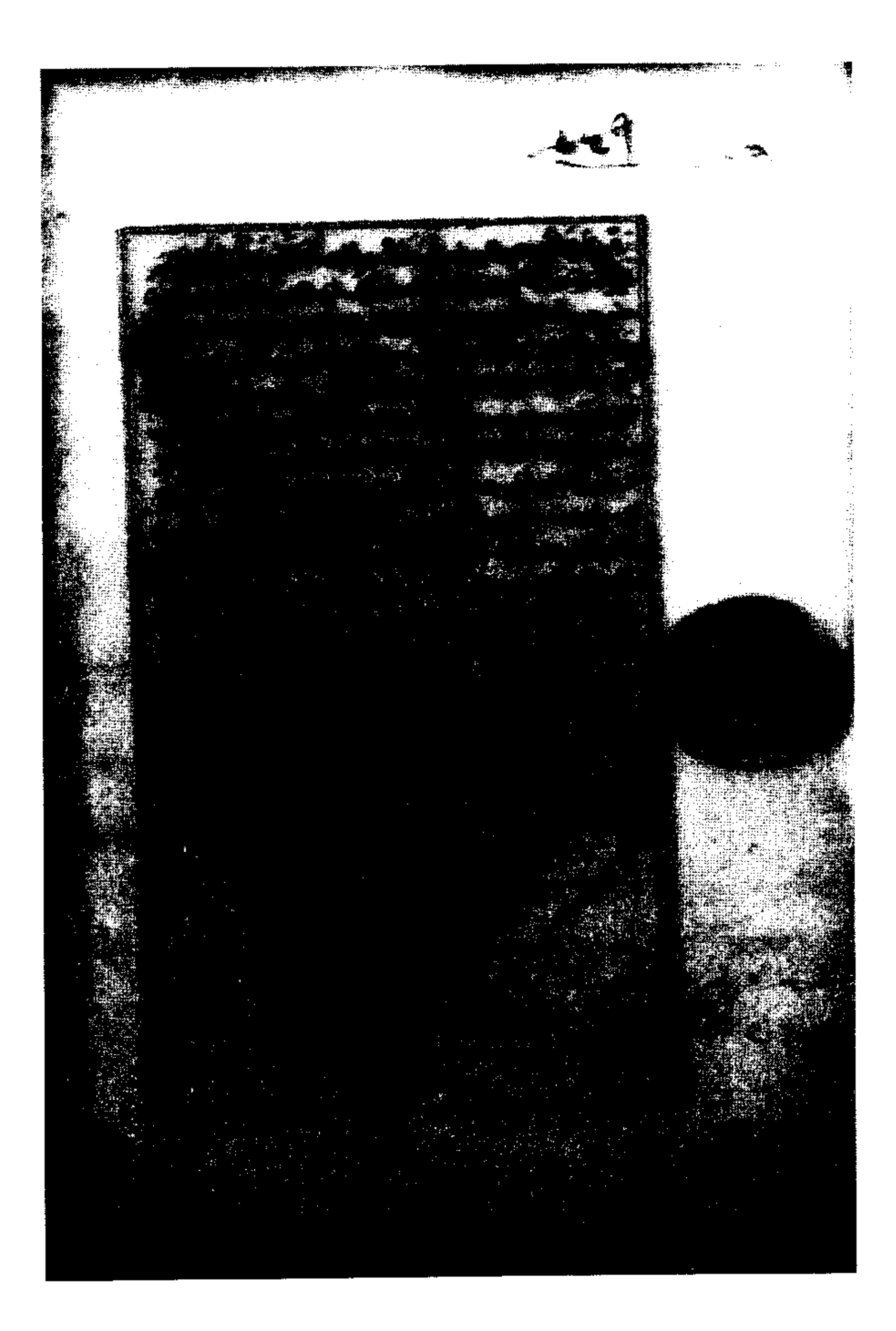
نماذج من صور المخطوط



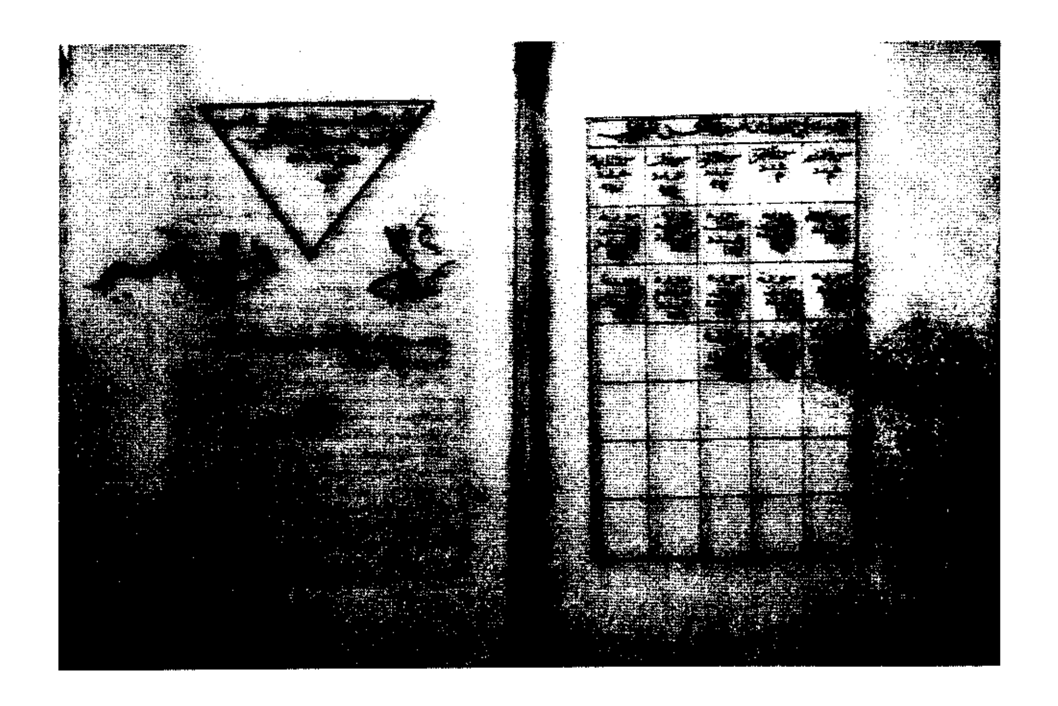
صورة عنوان النسخة الأولى



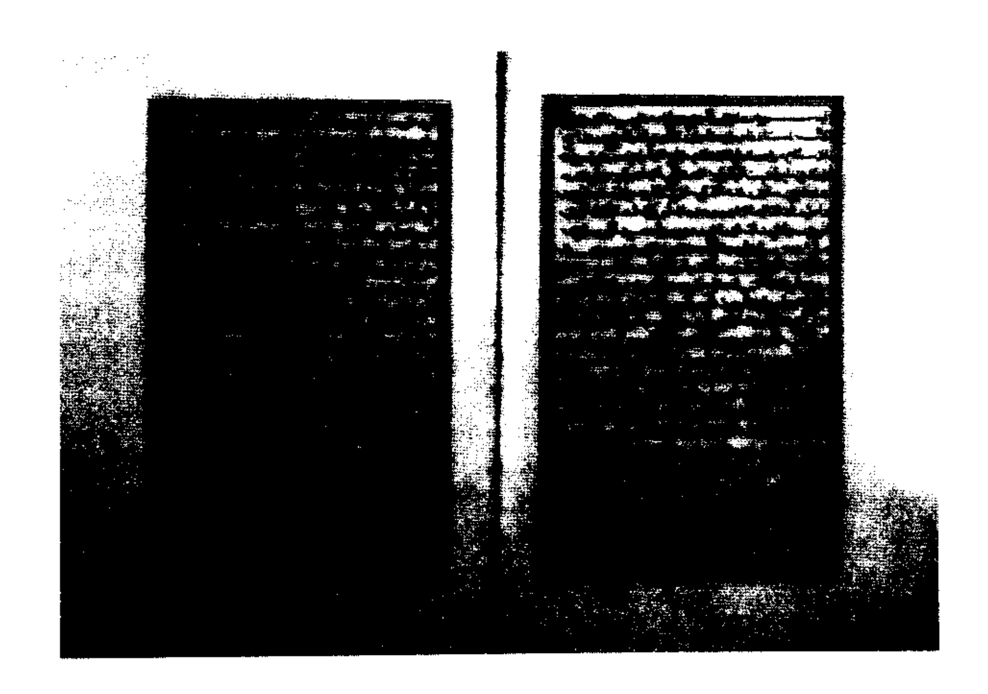
صورة الورقة الأولى من النسخة الأولى



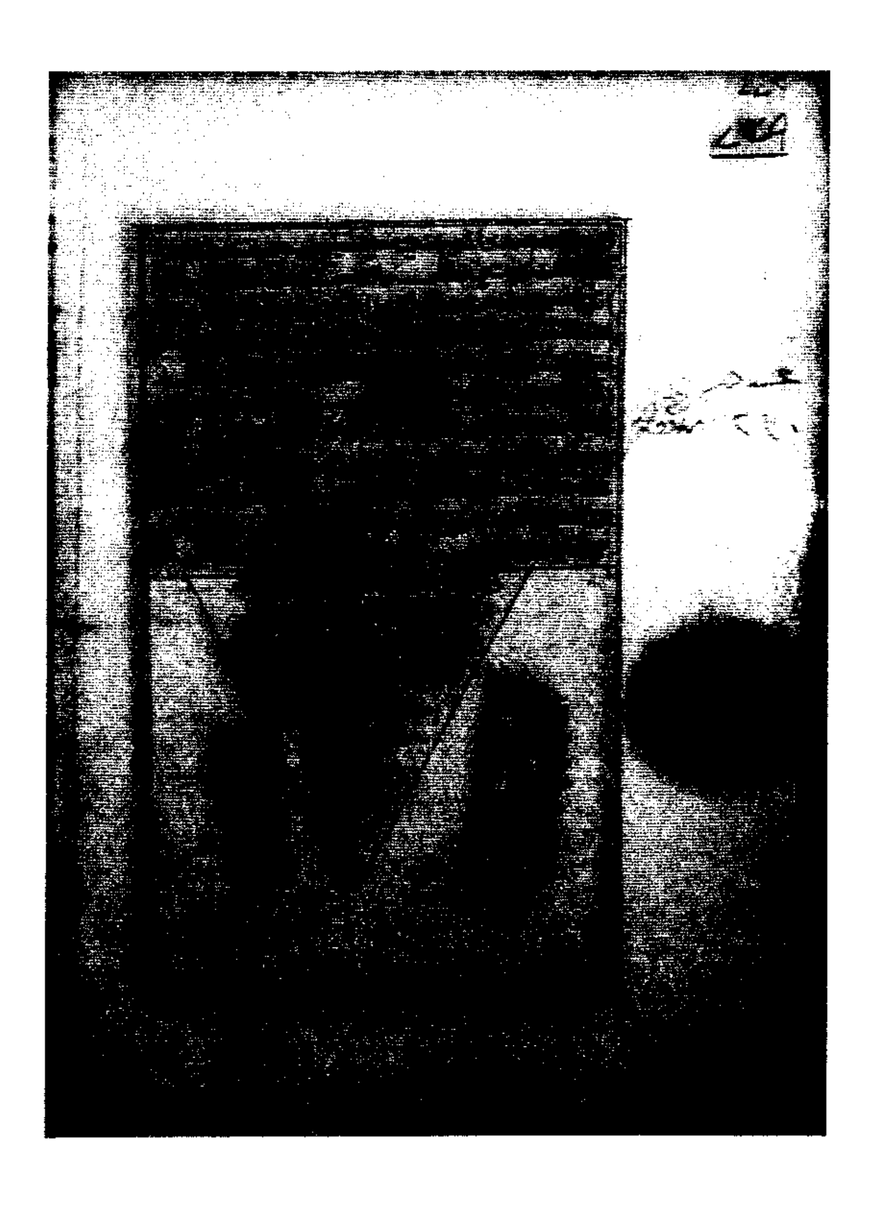
صورة الصفحة الأخيرة من النسخة الأولى



صورة عنوان النسخة الثاني



صورة الورقة الأولى من النسخة الثانية



صورة الصفحة الأخيرة من النسخة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

قال أستاذنا وملاذنا وعمدتنا وعياذنا شيخ مشايخ الإسلام، رأس العلماء الأعلام، تاج العارفين، صفوة رب العالمين، أبو الحسن البكري الصديقي الأشعري ﷺ آمين:

الحمد لله الذي أنزل كتابه رحمة للعالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله سيد المرسلين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد....** فلما كانت الهمم في كل زمن بالنسبة لما قبله متقاصرة، والفضائل ربوعها بتلك النسبة دائرة بعين على أهل العناية في كل زمن تبليغ أهله ما يحتاجون إليه بأوسط طريق؛ ليحصل حفظ الشرائع على الوجه الذي يليق، وأولى ما صرفت العناية إليه فهم كتاب الله العزيز، وذلك لا يتأتى للجمهور في هذا الزمن إلا بواضح وجيز، فقصدت في هذا الكتاب إلى ذلك تسهيلاً لتلك المسالك وتعلقًا بأذيال الكرة، وطلبًا لمزيد النعم لعل أن أعد للكتاب العزيز من جملة الخدم، وأحشر إن شاء الله تعالى في زمرة جملته في الأمم، ونقلت فيه فرش القرآن العشر إلحاقًا للطالب بهذه المطالب. وإذا قلت: «البصريين» فأبو عمرو، ويعقوب.

أو: «المدنيين» فنافع، وأبو جعفر.

أو: «الكوفيين» فعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف.

مع أني أكملت والحمد لله تعالى قبل هذا تفسيري «**تسهيل السبيل في فهم معاني التنزيل**» وأتيت فيه مع اختصاره بالفوائد والفرائد، وتوضيح وجوه القراءات بأحسن المقاصد، وفتحت به أسرار مُنحت من جميل العوائد، وقد أحيل عليه هنا إذا عبرت بالأصل خشية من الإطالة، وتنبيهًا على محل الفائدة بحسن الدلالة.

والله أسأل وبه ثم بالصفوة من خلقه إليه الرسل أن يجعل ذلك
مقبولاً وبحبله المتين موصولاً، وأن يديم لنا العافية الباطنة
والظاهرة في الدنيا والآخرة
آمين وهو حسبي ونعم الوكيل

سورة الفاتحة(1)

هي مكية على الأصح وسبع آيات إجماعًا، أول السابعة: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 7]، إلى آخرها عندنا، وعند أهل الكوفة وغيرهم ﴿غَيْرِ المغْضُوبِ﴾ إلى آخرها (2).

---

(1) لها أسماء تدل على شرفها:
فمنها: فاتحة الكتاب لافتتاح قراءته وكتابته بها؛ لأن تسميتها وحمدها مبدأ كل أمر ذي بال تحاميًا عن البتر؛ لأن وجود كل شيء بظهور اسم الله تعالى فيه وتقرره بشكره بل هو مستزيد.
ومنها: الفاتحة لفتحها خزائن العلوم، فـ ﴿بِسْمِ اللهِ﴾ إشارة إلى ذاته وأسمائه التي فوق الألوف وجميع العلوم بمعرفته وعبادته، و﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ إلى ظهور ذاته بالوجود وصفات الكمال ومنتهى العلوم الوصول إلى ذلك وباء الإلصاق إلى التخلق بها والتحقق.

(2) قال الشيخ روزبهان الشيرازي: ﴿بِسْمِ﴾: «الباء»: كشف البقاء لأهل الفناء، و«السين»: كشف سناء القدس لأهل الأنس، و«الميم»: كشف الملكوت لأهل النعوت، و«الباء»: برُّه للعموم، و«السين»: سرُّه للخصوص، و«الميم»: محبته لخصوص الخصوص، و«الباء»: بدء العبودية، و«السين»: سرُّ الربوبية، و«الميم»: منةٌ في أزليته على أهل الصفوة.
و«الباء» من بسم أي: ببهائي بقاء أرواح العارفين في بحار العظمة.
و«السين» من بسم أي: بسنائي سمت أسرار السابقين في هواء الهوية.
و«الميم» من بسم أي: بمجدي وردت المواجيد قلوب الواجدين من أنوار المشاهدة.
وروي عن النبي ﷺ: «**إن الباء بهاؤه، والسين سناؤه، والميم مجده**».
وقيل في ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ﴾: بالله ظهرت الأشياء، وبه فنيت، وبتجلّيه حَسُنت المحاسن، وباستناره فُتحت المفاتح.
وحكي عن الجنيد أنه قال: إن أهل المعرفة نفوا عن قلوبهم كلّ شيءٍ سوى الله، فقال: لهم قولوا: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ﴾ أي: بي فتسمّوا، ودَعوا انتسابكم إلى آدم ﷺ. وقيل: إن « بِسْمِ» يبقى به كل الخلق، فلو افتتح كتابه باسمه؛ لذابت تحته حقيقة الخلائق، إلا مَنْ كان محفوظًا من نبيّ، أو وليّ. وروى علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن جعفر بن محمد قال: «بسم»: «الباء» بقاؤه، و«السين» أسماؤه، و«الميم» مُلكه، فإيمان المؤمن ذكره ببقائه، وخدمة المريد ذكره بأسمائه، والعارف فناؤه عن المملكة بالمالك لها.
وأما «الله»: فإنه اسم الجمع لا ينكشف إلا لأهل الجمع، وكل اسم يتعلق بصفة من صفاته إلا الله؛ فإنه يتعلق بذاته وجميع صفاته لأجل ذلك، وهو اسم الجمع أخبر الحق عن نفسه باسمه
=

الله، فما يعرفه إلا هو، ولا يسمعه إلا هو، ولا يتكلم به إلا هو؛ لأن الألف إشارة إلى الأنانية والوحدانية، ولا سبيل للخلق إلى معرفتها إلا الحق تعالى.

وفي اسمه «ٱلله» لامان: الأولى: إشارة إلى الجمال، والثانية: إشارة إلى الجلال، والصفتان لا يعرفها إلا صاحب الصفات، و«الهاء»: إشارة إلى هويته، وهويته لا يعرفها إلا هو، والخلق معزولون عن حقائقه، فيحتجبون بحروفه عن معرفته «بالألف»: تجلِّي الحق من أنانيته لقلوب الموحدين، فتوحدوا به، و«باللام الأولى»: تجلِّي الحق من أزليته لأرواح العارفين، فانفردوا بانفراده، و«باللام الثانية»: تجلِّي الحق من جمال مشاهدته لأسرار المحبين، فغابوا في بحار حبّه، و«بالهاء»: تجلِّي الحق من هويته لفؤاد المقرَّبين، فتاهوا في بيداء التحيُّر من سطوات عظمته. قال الشبلي: ما قال الله أحدٌ سوى الله، فإن كان من قاله بحظٍّ، وأنَّى يدرك الحقائق بالحظوظ. وقال الشبلي: الله، فقيل له: لِمَ لا تقول: لا إله إلا الله؟ فقال: لا أُبقي به ضدًّا. وقيل في قوله: «ٱلله»: هو المانع الذي يمنع الوصول إليه، كما امتنع هذا الاسم عن الوصول إليه حقيقةً، كأن الذات أشد امتناعًا، عجزهم في إظهار اسمه لهم؛ ليعلموا بذلك عجزهم عن درك ذاته. وقيل في قوله: ﴿ٱلله﴾: «الألف»: إشارةٌ إلى الوحدانية، و«اللام الأولى»: إشارةٌ إلى محو الإشارات، و«اللام الثاني»: إشارةٌ إلى محو المحو في كشف الهاء. وقيل: الإشارة في «الألف» هي قيام الحق بنفسه، وانفصاله عن جميع خَلْقه، فلا اتصال له بشيءٍ من خَلقه؛ كامتناع «الألف» أن تتصل بشيءٍ من الحروف ابتداءً، بل تتصل الحروف بها على حدِّ الاحتياج إليها، واستغنائها عنهم. وقيل: ليس من أسماء الله اسمٌ يبقى على إسقاط كل حرفٍ منه إلا الله، فإنه الله، فإذا أسقطت منه «الألف» يكون «لله»، فإذا أسقطت أحد لاميه يكون «له»، فإذا أسقطت اللامين بقيت الهاء، وهو غاية الإشارة. وقال بعضهم: «الباء»: باب خزانة الله، و«السين»: سين الرسالة، و«الميم»: مُلك الولاية. وقال بعضهم: بالله سَلِمت قلوب أولياء الله من عذاب الله، وبشفقته تطرَّقت أسرار أصفياء الله إلى حضرته، وبرحمته تفرَّدت أفئدة خواص عباده معه. وقال بعضهم: بالله تحيَّرت قلوب العارفين في علم ذات الله، وبشفقته توصلت علوم العالمين في صفات الله، وبرحمته أدركت عقول المؤمنين شواهد ما أشهدهم الله من بيان الله. وقيل: بإلهيته تفرَّدت قلوب عباد الله، وبتعطُّفِه صَفت أرواح محبيه، وبرحمته ذُكرت نفوس عابديه. وقيل: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾ ترياق أُعطِي للمؤمنين، يدفع الله به عنهم سمَّ الدنيا وضررها. وقال جعفر الصادق: «بسم»: للعامة، و«الله»: لخاص الخاص. وقال سهل: «الله»: هو اسم الله الأعظم الذي حوى الأسماء والأسامي كلها، وبين الألف واللام منه حرفٌ مكنّي غيبٌ من غيب إلى غيبه، وسرٌّ من سرٍّ إلى سرّه، وحقيقةٌ من حقيقةٍ إلى حقيقته، لا ينال فهمه إلا الطاهر من الأدناس، الآخذ من الحلال قوامًا لضرورة الإيمان. وقيل: من قال بالحروف، فإنه لم يقل الله؛ لأنه خارجٌ عن الحروف والحسوس، والأوهام، والأفهام، ولكن رضي منَّا بذلك؛ لأنه لا سبيل إلى توحيده من حيث لا حال ولا قال. وحُكي أن أبا الحسن النوري بقي في منزله سبعة أيامٍ لم يأكل، ولم يشرب، ولم ينم، ويقول في ولهةٍ ودهشةٍ: الله الله، وهو قائمٌ يدور؛ فأخبر الجنيد، قال: انظروا محفوظًا عليه

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ١ - ٧].

قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[1] [الفاتحة: 1] التقدير: «بسم الله أبدأ»

=

أوقاته، فقيل: إنه يصلي الفرائض، فقال: الحمد لله الذي لم يجعل للشيطان له سبيلاً، ثم قال: قوموا حتى نزوره إما أن نستفيد منه، أو نفيده، فدخل عليه وهو في وَلَهِه، فقال: يا أبا الحسن، ما الذي ولهك؟ قال: أقول: الله، الله، زيدوا عليَّ؛ فقال له الجنيد: انظر هل قولك الله الله، أم قولك: إن كان كنت القائل الله الله، فلست القائل له، وإن كنت تقوله بنفسك، وأنت مع نفسك، فما معنى الوَلَه؟ قال: نعم المؤدب كنت، وسكن من ولهه.

أما قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ رَحِم على أوليائه باسمه الرحمن، بتعريف نفسه لهم؛ حتى عرفوا به أسماءه، وصفاته، وجلاله، وجماله، وبه خرجت جميع الكرامات للأبدال والصدِّيقين، وبه تهيأت أسرار المقامات للأصفياء والمقرَّبين، وبه تجلَّت أنوار المعارف للأتقياء والعارفين؛ لأن اسم ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ مخبرٌ عن خلق الخلق، وكرمه على جميع الخلق، وفي اسمه ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ ترويحُ أرواح الموحدين، ومزيد أفراح العارفين، وتربية أشباح العالمين، وفيه نزهة المحبين، وبهجة الشائقين، وفرحة العاشقين، وأمان المذنبين، ورجاء الخائفين. وقال بعضهم: اسمه ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ حلاوةُ المنَّةِ، ومشاهدةُ القربةِ، ومحافظةُ الحرمةِ. وقال ابن عطاء: في اسمه ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ عونه ونصرته وقوله ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: موهبة الخاص لأهل الخاص، وهو مستندٌ لذوي العثرات، ومسرةٌ لأهل القربات. و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: مطيّة السالكين، تسير بهم إلى معدن العناية، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾: حبل الحق للمجذوبين تجذبهم به إلى حجال الوصلة. باسمه ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أمِنَهم من العقاب، وباسمه ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ أتاهم من نفائس الثواب؛ الأول: مفتاح المكاشفة، والآخر: مرقاة المشاهدة. باسمه ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ فتحَ لهم الغيوب، وباسمه ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ غفرَ لهم الذنوب. وقال ابن عطاء: في اسمه ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ مودةٌ ومحبةٌ. وعن جعفر بن محمد في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ إنه قال: هو واقعٌ على المريدين والمرادين؛ فاسم ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ للمرادين؛ لاستغراقهم في أنوار الحقائق، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ للمريدين؛ لبقائهم مع أنفسهم، واشتغالهم بالظاهر.

(1) قال البغوي في «تفسيره»: بسم الله الباء أداة تخفض ما بعدها مثل: من وعن، والمتعلق به الباء محذوف لدلالة الكلام عليه، تقديره: أبدأ بسم الله، أو قل: بسم الله، وأسقطت الألف من الاسم طلبا للخفة وكثرة استعمالها وطولت الباء، قال القتيبي: ليكون افتتاح كلام كتاب الله بحرف =

معظم، كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول لكتابه: طولوا الباء وأظهروا السين وفرجوا بينهما، ودوروا الميم؛ تعظيمًا لكتاب الله تعالى وقيل: لما أسقطوا الألف ردوا طول الألف على الباء ليكون دالاً على سقوط الألف، ألا ترى أنه لما كتبت الألف في: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ ردت الباء إلى صيغتها ولا تحذف الألف إذا أضيف الاسم إلى غير الله ولا مع غير الباء. والاسم: هو المسمى وعينه وذاته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾ أخبر أن اسمه يحيى ثم نادى الاسم فقال: ﴿يَا يَحْيَى﴾ وقال: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا﴾ وأراد الأشخاص المعبودة؛ لأنهم كانوا يعبدون المسميات، وقال: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾، ثم يقال للتسمية أيضًا: «اسم» فاستعماله في التسمية أكثر من المسمى، فإن قيل: «ما معنى التسمية من الله لنفسه؟» قيل: «هو تعليم للعباد كيف يفتتحون القراءة». واختلفوا في اشتقاقه: قال المبرد من البصريين: «هو مشتق من السمو وهو العلو، فكأنه علا على معناه وظهر عليه، وصار معناه تحته». وقال ثعلب من الكوفيين: «هو من الوسم والسمة وهي العلامة، وكأنه علامة لمعناه». والأول أصح؛ لأنه يصغر على «السمي» ولو كان من السمة لكان يصغر على «الوسيم» كما يقال في الوعد وعيد، ويقال في تصريفه «سميت» ولو كان من «الوسم» لقيل: «وَسَمْتُ». قوله تعالى: ﴿الله﴾ قال الخليل وجماعة: «هو اسم علم خاص لله ﷻ لا اشتقاق له كأسماء الأعلام للعباد مثل زيد وعمرو، وقال جماعة: «هو مشتق» ثم اختلفوا في اشتقاقه فقيل: «من أله إلاهة» أي: عبد عبادة، وقرأ ابن عباس - رضي الله عنهما -: ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ أي: عبادتك، معناه أنه مستحق للعبادة دون غيره. وقيل: «أصله إله» قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ قال المبرد: «هو من قول العرب ألهت إلى فلان؛ أي: سكنت إليه قال الشاعر: «ألهت إليها والحوادث جمة» فكأن الخلق يسكنون إليه ويطمئنون بذكره» ويقال: «ألهت إليه؛ أي: فزعت إليه» قال الشاعر: «ألهت إليها والركائب وقَّفٌ» وقيل: «أصل الإله «ولاه» فأبدلت الواو بالهمزة مثل وشاح وأشاح، اشتقاقه من الوله؛ لأن العباد يولهون إليه؛ أي: يفزعون إليه في الشدائد، ويلجئون إليه في الحوائج كما يوله كل طفل إلى أمه» وقيل: «هو من الوله وهو ذهاب العقل لفقد من يعز عليك». قوله: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، واختلفوا فيهما، منهم من قال: هما بمعنى واحد مثل ندمان ونديم ومعناهما ذو الرحمة، وذكر أحدهما بعد الآخر تطميعًا لقلوب الراغبين، وقال المبرد: هو إنعام بعد إنعام، وتفضل بعد تفضل، ومنهم من فرق بينهما، فقال: الرحمن بمعنى العموم والرحيم بمعنى الخصوص، فالرحمن بمعنى الرزاق في الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق، والرحيم بمعنى المعافي في الآخرة والعفو في الآخرة للمؤمنين على الخصوص؛ ولذلك قيل في الدعاء: يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، فالرحمن من تصل رحمته إلى الخلق على العموم، والرحيم من تصل رحمته إليهم على الخصوص، ولذلك يدعى غير الله رحيمًا ولا يدعى غير الله رحمن، فالرحمن عام المعنى خاص اللفظ، والرحيم عام اللفظ خاص المعنى، والرحمة إرادة الله تعالى الخير لأهله، وقيل: هي ترك عقوبة من يستحقها وإسداء الخير إلى من لا يستحق، فهي على الأول صفة ذات، وعلى الثاني صفة فعل. واختلفوا في آية التسمية فذهب قراء المدينة

والله علم على المعبود بحق الواجب الوجود، وهو الاسم الأعظم عند الأكثر، وعدم الإجابة لكثير لعدم استجماع شرائط الدعاء.

و﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قيل: «مترادفان» وقيل: «الرحمن الرازق في الدنيا والرحيم المعافي في الآخرة» والرحمة: إرادة الله الخير، والبسملة عند الشافعي آية من الفاتحة، ومن أول كل سورة ما خلا براءة.

و﴿الْحَمْدُ﴾ هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري على قصد التعظيم.

والشكر: فعل ينبئ عن تعظيم المنعم؛ لأجل نعمه، والمدح مرادف للحمد على الأقرب، أو مختص بما لا اختيار للعبد فيه، وقرن **الحمد** بالاسم الأعظم مكملاً ببقية من الأسماء الحسنى تنبيهًا على أنه يستحق **الحمد** لذاته وصفاته فقال: ﴿لِله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مربيهم ومصلحهم، ومالكهم وسيدهم، و«**العالمون**» جمع عالم وهو: «ما سوى الله تعالى» وجُمع بالواو والنون تغليبًا للعقلاء على غيرهم، وقيل: «اسم جمع واشتقاقه من العلم» والعلامة سُموا به لظهور أثر الصنعة فيهم، وهل هم كل مخلوق أو الجن والإنس، أو غير البهائم ونحوها مما لا يعقل؟ أقوال، أصحها الأول؛ لظهور أثر الصنعة في الكل، قيل: «ولله ألف عالم، ستمائه في البحر، وأربعمائة في البر».

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: 3] كرر تطمينًا للقلوب «ملك» بغير ألف لسوى عاصم والكسائي ويعقوب وخلف، وبالألف لهم، و«ملك» أعلى لدلالته على الاستعلاء والعظمة، والملك استفيد من رب، ومعناه في حق الله تعالى: «إخراج الأشياء من العدم للوجود» وفي حقنا «إثبات تصرف مخصوص في كل شيء لما يليق به».

﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4] يوم القيامة سُمي به؛ لأنه يوم الجزاء ومنه: «**كَمَا تَدِينُ تُدَانُ**»[1] أي: كما تفعل يُفعل معك، خص بالذكر لزوال الأملاك ثم حس.

ومعنى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: 5].

نطيع بذلة وخضوع، وقدَّم العبادة على الاستعانة، وإذا كانت الاستطاعة المسئول

=

والبصرة وفقهاء الكوفة إلى أنها ليست من فاتحة الكتاب، ولا من غيرها من السور والافتتاح بها للتيمن والتبرك، وذهب قراء مكة والكوفة وأكثر فقهاء الحجاز إلى أنها من الفاتحة وليست من سائر السور وأنها كتبت للفصل، وذهب جماعة إلى أنها من الفاتحة ومن كل سورة إلا سورة التوبة وهو قول الثوري وابن المبارك والشافعي؛ لأنها كتبت في المصحف بخط سائر القرآن.

(1) رواه البخاري (423/14)، وأبو نعيم في «الحلية» (376/3).

فيها إنما تكون مع الفعل لأجل أن العادة في السؤال تقديم شيء يعين على إجابته أمامه.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ نطلب المعونة في أمورنا.

﴿اهْدِنَا﴾ [الفاتحة: 6] أرشدنا وأوصلنا والمراد به طلب المزيد مما هم فيه.

﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[1] هل هو الإسلام، أو طريق الجنة، أو القرآن، أو طريق السنة؟ أقوال، أقربها الأخير، وأصل الصراط لغة الطريق الواضح.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾ [الفاتحة: 7] عن قبيل الصراط، وسراط حياتي بالسين والباقون بالصاد، وأشم خلف عن حمزة الصاد «زايًا» في جميع القرآن، واختلف عن خلاد فنقل عنه الإشمام في الحرف الأول من الفاتحة، وفيهما وفي المعرف بـ«اللام» فقط حيث أتى وعدمه مطلقًا وإثباته مطلقًا كخلف.

﴿أَنْعَمْتَ﴾ مننت ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بالهداية والتوفيق ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ والمغضوب عليه: من خالف الطريق السابق في حديث تفسيرهم باليهود والضالين بالنصارى قصرًا للعالم على بعض أفراده لدليل، أو هو من العام الذي أريد به الخاص، والقراءة في عليهم وعليها ونحوهما مبسوط في الأصل.

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ والضلال الهلاك والغيبوبة من ضل اللبن في الماء إذا غاب، ويسن بعد الفاتحة لسكتة لطيفة قول: «آمين» وهل معناه «اللهم استجيب» أو كذلك يكون، أو هو اسم له سبحانه، أو خاتم الله على عباده يدفع به عنهم الآفات؟ أقوال، أقربها الأول.

---

(1) قال البغوي في «تفسيره»: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ اهدنا أرشدنا، وقال علي وأبي بن كعب: ثبتنا كما يقال للقائم: قم حتى أعود إليك؛ أي: دم على ما أنت عليه، وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى التثبيت وبمعنى طلب مزيد الهداية؛ لأن الألطاف والهدايات من الله تعالى لا تتناهى على مذهب أهل السنة «الصراط» وسراط بالسين رواه أويس عن يعقوب وهو الأصل، سمي سراطًا؛ لأنه يسرط السابلة، ويقرأ بالزاي، وقرأ حمزة بإشمام الزاي، وكلها لغات صحيحة، والاختيار: الصاد، عند أكثر القراء لموافقة المصحف.

والصراط المستقيم قال ابن عباس وجابر رضي الله عنهما: هو الإسلام وهو قول مقاتل، وقال ابن مسعود ﷺ: هو القرآن، وروي عن علي ﷺ مرفوعًا: «الصراط المستقيم كتاب الله» وقال سعيد بن جبير ﷺ: طريق الجنة، وقال سهل بن عبد الله: طريق السنة والجماعة، وقال بكر بن عبد الله المزني: طريق رسول الله ﷺ، وقال أبو العالية والحسن: رسول الله وآله وصاحباه، وأصله في اللغة الطريق الواضح.

أ

سورة البقرة

لا كراهة في تسمية السور بذلك على الأصح ومقابله يقول السورة التي يذكر فيها البقرة ونحوه، وهي مدنية مائتان وخمس أو ست أو سبع وثمانون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [البقرة: ١ - ١٠].

﴿الم﴾[1] [البقرة: 1] فيه وفي بقية فواتح السور أقوال كثيرة، أقربها أنها حروف

---

(1) قال البغوي في «تفسيره»: قال الشعبي وجماعة: ﴿الم﴾ وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه وهي سر القرآن، فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله تعالى، وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها، قال أبو بكر الصديق ﷺ: في كل كتاب سر وسر الله تعالى في القرآن أوائل السور، وقال علي: لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي، وقال داود بن أبي هند: كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور فقال: يا داود إن لكل كتاب سرا وإن سر القرآن فواتح السور فدعها وسل عما سوى ذلك، وقال جماعة هي معلومة المعاني فقيل: كل حرف منها مفتاح اسم من أسمائه كما قال ابن عباس في ﴿كهيعص﴾: الكاف من كافي والهاء من هادي والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق، وقيل في ﴿المص﴾: أنا الله الملك الصادق، وقال الربيع بن أنس في ﴿الم﴾: الألف مفتاح اسمه الله، =

مقتطفة من أسماء الله تعالى، فالألف من «الله» واللام من «لطيف» والميم من «مؤمن» واستدل له بقول الشاعر[1]:

قُلْـــتُ لَهَا قِفِي لَنَا قَالَتْ قَاف

أي: وقفت.

وقال قوم: «هي صفوة الله من كتابه التي لا يطلع عليها إلا بعض أصفيائه» واختاره المحققون.

﴿**ذَلِكَ**﴾ [البقرة: 2] إشارة إلى القرآن أو إلى ما نزل منه، أو إلى الأسماء المعتطفة، والأقرب الأول، ومن ثم عقبه بقوله: ﴿**الْكِتَابُ لَا رَيْبَ**﴾ لا شك ﴿**فِيهِ**﴾ أنه من عند الله ﴿**هُدًى**﴾ رشيد وبيان ﴿**لِلْمُتَّقِينَ**﴾ وهم من اجتنب النواهي، وفعل ما أُمر به، وأصل الاتقاء الحجز بين السببين يقال: «اتقى بترسه» إذا جعله حاجزًا بينه وبين ما يقصد به.

﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ**﴾ [البقرة: 3] يصدقون بقلوبهم، والإيمان مأخوذ من «الأمان» لا من «المؤمن» به من الخلود في العذاب، أو منه أن تداركته العناية، ﴿**بِالْغَيْبِ**﴾ هو ما لم نره ومن ثم قيل: «إله الله» ﴿**وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ**﴾ يداومون عليها تامة بحقوقها ﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ**﴾ آتيناهم من الأموال والرزق.

لغةً: الحظ والنصيب.

والـلام مفتاح اسمه اللطيف، والميم مفتاح اسمه المجيد، وقال محمد بن كعب: الألف آلاء الله، واللام لطفه، والميم ملكه، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال معنى ﴿**الم**﴾: أنا الله أعلم: ومعنى ﴿**المص**﴾: أنا الله أعلم وأفضل ومعنى ﴿**الر**﴾: أنا الله أرى، ومعنى ﴿**المر**﴾: أنا الله أعلم وأرى، قال الزجاج: وهذا حسن فإن العرب تذكر حرفًا من كلمة تريدها، وعن سعيد بن جبير قال: هي أسماء الله تعالى مقطعة لو علم الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم، ألا ترى أنك تقول ﴿**الر**﴾، و﴿**حم**﴾، و﴿**ن**﴾، فتكون الرحمن، وكذلك سائرها إلا أنا لا نقدر على وصلها، وقال قتادة: هذه الحروف أسماء القرآن، وقال مجاهد وابن زيد: هي أسماء السور، وبيانه: أن القائل إذا قال: قرأت ﴿**المص**﴾ عرف السامع أنه قرأ السورة التي افتتحت بـ﴿**المص**﴾، وروي عن ابن عباس – رضي الله عنهما ـ: أنها أقسام، وقال الأخفش: إنما أقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها؛ لأنها مبادئ كتبه المنزلة، ومباني أسمائه الحسنى.

(1) والبيت كاملاً:

قُلْتُ لَهَا قِفِي لَنَا قَالَتْ قَاف   لاَ تَحْسَبِي أَنَّا نَسِينَا الإِيجَاف

وشرعًا: ما ينتفع به ولو حرامًا.

﴿يُنْفِقُونَ﴾ يخرجون عن يدهم وملكهم في الطاعة والحرام لا يجوز الإنفاق منه.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: 4] هو القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ وهو سائر كتب الله تعالى ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يعلمون أنها كائنة من الإيقان وهو العلم، سميت الآخرة لتأخرها، والدنيا دنيا؛ لدنوها.

﴿أُولَئِكَ﴾ [البقرة: 5] أي: من ذكر ﴿عَلَى هُدًى﴾ وصلاتهم ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ المفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالجنة والنجاة من النار، وأصل الفلاح: الشق والقطع.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: 6] أي: ستروا الحق إما إنكارًا أو جحودًا باللسان مع معرفة القلب، أو عنادًا وهو الاعتراف بالقلب والإقرار باللسان، ولكن لا يدين به ككفر أبي طالب، أو نفاقًا بأن يعمل تقية وينكر بقلبه، وكلها سواء في أن من لقي الله بواحد منها خلد في النار ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: استوى عندهم الإنذار وعدمه فلذلك لا يؤمنون، وهذا فيمن علم الله عدم إيمانه كأبي جهل، والإنذار إعلام مع تخويف.

﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[1] [البقرة: 7] أي: طبع عليها فلا تقبل خيرًا، أو أصل الطبع الاستيثاق من الشيء ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ الباطن ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ﴾ الباطنة

---

(1) قال ابن كثير في «تفسيره»: قال قتادة في هذه الآية: استحوذ عليهم الشيطان إذ أطاعوه؛ فختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة، فهم لا يبصرون هدى ولا يسمعون ولا يفقهون ولا يعقلون، وقال ابن جُرَيْج: قال مجاهد: ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قال: نبئت أن الذنوب على القلب تحف به من كل نواحيه حتى تلتقي عليه، فالتقاؤها عليه الطبع، والطبع الختم، قال ابن جريج: الختم على القلب والسمع، قال ابن جُرَيْج: وحدثني عبد الله بن كَثير، أنه سمع مجاهدًا يقول: الرّانُ أيسر من الطبع، والطبع أيسر من الأقفال، والأقفال أشد من ذلك كله، وقال الأعمش: أرانا مجاهد بيده فقال: كانوا يرون أن القلب في مثل هذه - يعني: الكف - فإذا أذنب العبد ذنبًا ضُمَّ منه، وقال بأصبعه الخنصر هكذا، فإذا أذنب ضَمّ. وقال بأصبع أخرى، فإذا أذنب ضُمّ، وقال بأصبع أخرى وهكذا، حتى ضم أصابعه كلها، ثم قال: يطبع عليه بطابع، وقال مجاهد: كانوا يرون أن ذلك: الرين، ورواه ابن جرير: عن أبي كُرَيْب، عن وَكِيع، عن الأعمش، عن مجاهد، بنحوه، قال ابن جرير: وقال بعضهم: إنما معنى قوله: ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ إخبار من الله عن تكبرهم، وإعراضهم عن الاستماع لما دُعُوا إليه من الحق، كما يقال: إن فلانًا لأصَمّ عن هذا الكلام، إذا امتنع من سماعه، ورفع نفسه عن تفهمه تكبرًا، قال: وهذا لا يصح؛ لأن الله قد أخبر أنه هو الذي ختم على قلوبهم وأسماعهم.

﴿غِشَاوَةٌ﴾ تغطية مانعة من اتباع الحق ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يشق ويعظم عليهم لقوته ودوامه. ونزل في المنافقين: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ [البقرة: 8] جمع: إنسان، سُمي به لنسيانه، وأصله: «الأناس» ﴿مَنْ يَقُولُ﴾ بلسانه: ﴿آمَنَّا بِاللهِ﴾ وهو لا يدري عظمته حيث كذب فيما قال ﴿وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: يوم القيامة؛ لأنه آخر الأيام ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ بقلوبهم.

﴿يُخَادِعُونَ اللهَ﴾ [البقرة: 9] أي: فيظهرون خلاف ما أسروا، والمفاعلة هنا ليست مرادة كقولهم: «عافاك الله» ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ «وما يخادعون» في قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وقرأ غيرهم ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ بفتح الياء وإسكان الخاء وفتح الدال ﴿إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ إذ وبال ذلك راجع إليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: ما يعلمون برجوع الوبال عليهم.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة: 10] ضعف وهو هنا: الشك والنفاق ﴿فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا﴾ بالختم على قلوبهم أو بما أنزل من القرآن؛ لتجدد كفرهم به ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا﴾ أي: بسبب ما كانوا ﴿يَكْذِبُونَ﴾ على ربهم بفتح الياء وإسكان الكاف وكسر الذال، العاصم وحمزة والكسائي، والباقون بضم الياء وفتح الكاف وتشديد الذال مكسورة؛ لأنهم كذبوا رسلهم.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [البقرة: ١١ - ١٦].

﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ [البقرة: 11] قرأ الكسائي، وهشام، ورويس: «حي وحيل» وقيل: «وغيض وسيق وسيء وسيئت» بإشمام كسر أو يلهث الصم ووافقهم ابن ذكوان في حيل. انتهى.

ووافقهم هو والمدنيان في «سي وسيت» والباقون بإخلاص الكسر ﴿لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ، والفساد ضد الصلاح كالمفسدة ضد المصلحة، وأصله: «أخذ المال ظلمًا» ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾. فقال الله تعالى ردًّا عليهم: ﴿أَلَا﴾ [البقرة: 12] حرف استفتاح للتنبيه ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ [البقرة: 13] الكاملون في الإنسانية العاملون بمقتضى العقل الصحيح، والمراد بهم محمد ﷺ ومن معه ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ﴾ الهمزة فيه للإنكار ﴿كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾[1] الجهال، والسفيه الخاسر ومن شأنه أن يتعمد الكذب فرد تعالى عليهم فقال: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ [البقرة: 14] اللقاء: المصادفة والاستقبال ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا﴾ هم ﴿إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ رؤساءهم وكهنتهم المماثلين لشياطين الجن أضافهم إليهم؛ لمشاركتهم لهم، والشيطان: المتمرد العاتي من الجن والإنس سُمي به؛ لبعده عن الخير، وقربه من الشر وامتداده فيه ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ فيما أنتم عليه باطنًا ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ بهم أي: بإظهار الإيمان، والاستهزاء بالشيء: الاستخفاف به.

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: 15] أي: يجازيهم على استهزاءهم، سُمي بمقابله لفظًا ولرجوع وبال استهزاءهم عليهم، أو المعنى أن فعل الله سببه بذلك؛ إذ يستدرجهم بالنعم للعذاب في الآخرة، وقيل: «بأن يفتح لهم باب إلى الجنة، فإذا وصلوا إليه ردوا للنار» ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ يتركهم ويمهلهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ أي: مجاوزتهم الحد بترك الإيمان ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون في الباطل بلا فلاح مع الحيرة.

﴿أُولَئِكَ﴾ [البقرة: 16] أي: الموصوفون بهذه الصفة ﴿الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ فاستبدلوا الكفر بالإيمان ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ أي: ما ربحوا فيها، بل خسروا لخلودهم في النار ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ أي: في هذا الشيء، وفي كل شيء.

---

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: ويجوز في همزتي ﴿السُّفَهَاءُ﴾ أربعة أوجه، أجودها أن تحقق الأولى وتقلب الثانية واوًا خالصة، وهي قراءة أهل المدينة والمعروف من قراءة أبي عمرو، وإن شئت خففتهما جميعًا فجعلت الأولى بين الهمزة والواو وجعلت الثانية واوًا خالصة، وإن شئت خففت الأولى وحققت الثانية، وإن شئت حققتهما جميعًا.

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٧ - ٢٠].

﴿مَثَلُهُمْ﴾ [البقرة: 17] أي: شبههم في نفاقهم، والمراد المعنى الذي يتحصل في ذهن الناظر لهم كالمعنى الذي يتحصل في ذهنه فيما ذكر بقوله: ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ﴾ أوقد كما جاب واستجاب، وقيل: «طلب من غيره أن يوقد له» ﴿نَارًا﴾ في ظلمة ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ أنارت ﴿مَا حَوْلَهُ﴾ أي: حول المستوقد، فأبصر ما حوله وأسند فأووا من المخوف ﴿ذَهَبَ الله بِنُورِهِمْ﴾ أطفأه وإبقاء النار عليهم ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ طريق الرشد، وهل نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه، أو في قوم بأعيانهم علم الله وصفهم قبل وجودهم ففيه إعلام بالمغيبات، أو في كل المنافقين؟

فالمعنى مثل حقن دمائهم ونحوه كإضاءة النار، ثم بعد الموت انطفأ نورها فبقوا على الضلال، أو المعنى كلامهم مع المؤمنين كالنار وذهابهم بعد إلى شياطينهم كزوال نورها، أو المعنى هم قبل نزول فضائحهم كمستوقد النار وبعد نزولها كمن ذهب ضوءها عنه؟ أقوال، أقربها الأول ثم الأخير.

﴿صُمٌّ﴾ [البقرة: 18] لا يسمعون الحق ﴿بُكْمٌ﴾ لا ينطقون به، ولا يفهمونه إذ الذي يفهم ولا يتكلم يقال له: «أخرس» والذي لا يتكلم، ولا يفهم يقال له: «أبكم» ﴿عُمْيٌ﴾ فلا يرون طريق الحق ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: لا يؤمنون في المستقبل، ولا يرجعون إلى الحق ما داموا على الذي هم عليه.

﴿أَوْ﴾ [البقرة: 19] مثلهم ﴿كَصَيِّبٍ﴾[1] أي: كمثل أصحابه وهو: «المطر» من

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: قال الطبري: ﴿أَوْ﴾ بمعنى الواو، وقاله الفراء، وقيل: ﴿أَوْ﴾ للتخيير؛ أي: مثلوهم بهذا أو بهذا، لا على الاقتصار على أحد الأمرين، والمعنى: «أو كأصحاب صيب».
=

صاب يصوب إذا انحط من علو إلى سفل ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ هي كل ما علاك فأظلك من أسماء الأجناس تكون واحدًا وجمعًا، ويصح أن يراد السحاب ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ﴾ جمع ظلمة، وإنما جمع من حيث التراكم والتزايد ﴿وَرَعْدٌ﴾ هل هو ملك تزجر السحاب بهذا الصوت المسموع واسمه الرعد، أو هو ملك هذا صوت تسبيحه، أو اسم للصوت فقط؟ أقوال، أرجحها الأخير ﴿وَبَرْقٌ﴾ هل هو ألة من حديث يسوق بها الملك السحاب، أو سواط نور بيده يسوق السحاب، أو ملك؟

أقوال:

أولها: لعلي - كرم الله وجهه -.

والثاني: لابن عباس.

﴿يَجْعَلُونَ﴾ يضعون ﴿أَصَابِعَهُمْ﴾ أي: أناملهم ﴿فِي آذَانِهِمْ مِنَ﴾ أجل ﴿الصَّوَاعِقِ﴾ لئلا يسمعوها، جمع صاعقة وهي الصيحة التي يموت سامعها، يقال لكل عذاب مهلك، وقيل: هي قطعة عذاب أو نار يخرج من فم الملك عند غضبه، وقيل: المراد هنا شدة صوت الرعد. ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ من سماعها، والحذر الخوف مما يقع أو شدة ذلك، والموت زوال الحياة، وقيل: عرض يضادها ويعقبها والأول أصح فهو عدمي ﴿وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ يأخذه عقابه وعلمه بهم.

﴿يَكَادُ﴾ [البقرة: 20] يقرب ﴿الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾[1] يأخذها بسرعة

=

والصيب: المطر، واشتقاقه من صاب يصوب إذا نزل، وأصله: صيوب، اجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت، كما فعلوا في ميت وسيد وهين ولين، وقال بعض الكوفيين: أصله صويب على مثال فعيل، قال النحاس: «لو كان كما قالوا لما جاز إدغامه، كما لا يجوز إدغام طويل»، وجمع صيب صيايب، والتقدير في العربية: «مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا أو كمثل صيب».

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: قوله تعالى: ﴿يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ الخطف: الأخذ بسرعة، ومنه سُمي الطير خطافًا لسرعته، فمن جعل القرآن مثلاً للتخويف، فالمعنى: أن خوفهم مما ينزل بهم يكاد يذهب أبصارهم، ومن جعله مثلاً للبيان الذي في القرآن، فالمعنى: أنهم جاءهم من البيان ما بهرهم.

ويخطف ويخطف لغتان قرئ بهما، وقد خطفه «بالكسر» يخطفه خطفًا، وهي اللغة الجيدة، واللغة الأخرى حكاها الأخفش: خطف يخطف، الجوهري: وهي قليلة رديئة لا تكاد تعرف، وقد قرأ بها يونس في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾.

=

﴿كُلَّمَا﴾ ظرف أصله «كل» أضيف إلى «ما» فصار للتكرار ﴿أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ أي: في ضوءه ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ وقعوا متحيرين ﴿وَلَوْ شَاءَ الله لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ الظاهرة كما ذهب بالباطنة ﴿إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لفظه العموم، ومعناه: «قدير على كل شيء شاء» وهو ما جاز تعلق القدرة به من الممكنات لا المحالات، ومعنى المثل عند الجمهور أن الله تعالى مثل القرآن بالصيب لما فيه من الإشكال عليهم؛ لأنهم لا يدرون من أين يأتي، والظلمات ما فيه من ذكر الكفر والشرك والرعد ما فيه من الزجر والوعيد، والبرق ما فيه من الحجج الباهرة التي تكاد أن تنهرهم وتخوفهم، وحذرهم هو جعل أصابعهم في آذانهم خوف الإيمان؛ لأنه عندكم كفر والكفر موت، والصواعق تكاليف الشرع يكاد ما في القرآن من المواعظ بسلبهم فيزعجهم عن الكفر إلى الإيمان، ولولا ما سبقت لهم من الشقاوة ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ﴾ أي: سمعوه وظهرت حجته ﴿مَشَوْا فِيهِ﴾ فوافقوا، وإذا أنزلت التكاليف وهي معنى الإظلام ثبتوا على نفاقهم.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

=

وقال النحاس: في ﴿يَخْطَفُ﴾ سبعة أوجه، القراءة الفصيحة: يخطف، وقرأ علي بن الحسين ويحيى بن وثاب: يخطف بكسر الطاء، قال سعيد الأخفش: هي لغة، وقرأ الحسن وقتادة وعاصم الجحدري وأبو رجاء العطاردي بفتح الياء وكسر الخاء والطاء، وروي عن الحسن أيضًا أنه قرأ بفتح الخاء، قال الفراء: وقرأ بعض أهل المدينة بإسكان الخاء وتشديد الطاء، قال الكسائي والأخفش والفراء: يجوز «يخطف» بكسر الياء والخاء والطاء، فهذه ستة أوجه موافقة للخط.

والسابعة حكاها عبد الوارث قال: رأيت في مصحف أبي بن كعب «يتخطف»، وزعم سيبويه والكسائي أن من قرأ «يخطف» بكسر الخاء والطاء فالأصل عنده يختطف، ثم أدغم التاء في الطاء فالتقى ساكنان فكسرت الخاء لالتقاء الساكنين، قال سيبويه: ومن فتح الخاء ألقى حركة التاء عليها، وقال الكسائي: ومن كسر الياء فلأن الألف في اختطف مكسورة، فأما ما حكاه الفراء عن أهل المدينة من إسكان الخاء والإدغام فلا يعرف ولا يجوز؛ لأنه جمع بين ساكنين، قال النحاس وغيره، قلت: وروي عن الحسن أيضا وأبي رجاء «يخطف»، قال ابن مجاهد: وأظنه غلطًا، واستدل على ذلك بأن «خطف الخطفة» لم يقرأه أحد بالفتح.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٤].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ [البقرة: 21] المنادَى: كل إنسان، وقيل: «هذا مختص بأهل مكة» و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ مختص بأهل المدينة ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ العبادة: خضوع بتذلل مع امتثال الأمر ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أنشأكم ولم تكونوا شيئًا ﴿وَ﴾ خلق ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ﴾ ترجٍ من جانب السر، ولا يصح الترجي من الله سبحانه، فما وردت فيه صيغة الترجي من جهة الله وأحب الوقوع، لكن الأقرب الأول؛ أي: أرجو إذا فعلتم ذلك أنكم ﴿تَتَّقُونَ﴾ عقابه.

﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ [البقرة: 22] خلق ﴿لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ بساطًا تنامون عليها وتطأونها مع السهولة ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ سقفًا مرفوعًا ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ قيل: «هي الحرم المعهود» وقيل: «السحاب» والقولان صحيحان ﴿مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ المنوعة الملونة ﴿رِزْقًا لَكُمْ﴾ طعامًا وعلفًا للدواب، وأطلق اسم الرزق على ما يخرج قبل تملكه؛ لأنه المملك إلى ذلك وبعد للانتفاع به ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ أمثالاً تعبدونهم كعبادة الله، والند يقال في الضد والمثل، والله منزه عنهما ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه المتفرد بخلق كل شيء، والمخاطب بها جميع الكفار، ونسبة العلم إليهم؛ لأنهم يعلمون أنه الخالق، وقيل: «المراد كفار بني إسرائيل».

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا﴾ [البقرة: 23] من القرآن ﴿عَلَى عَبْدِنَا﴾ محمد ﷺ إنه من عند الله ﴿فَأْتُوا﴾ أمر تعجيز ﴿بِسُورَةٍ﴾ هي قطعة من القرآن معلومة الأول والآخر ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ من القرآن فمن مثله، أو من مثل محمد ﷺ في كونه أمي لا يحسن الكتابة، والمراد على الأول مثل نظمه وفصاحته وإخباره عن الغيب ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ من حضركم ﴿مِنْ دُونِ﴾ أي: غير ﴿اللهِ﴾ ليعينوكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن محمدًا ﷺ يقول القرآن من تلقاء نفسه، فافعلوا ذلك.

فلما عجزوا وبَّخهم تعالى بقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: 24] في الماضي ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ في المستقبل تقرير لإعجاز القرآن ﴿فَاتَّقُوا﴾ بالإيمان بالله، وأنه ليس من كلام البشر ﴿النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ﴾ عام اللفظ خاص المعنى؛ أي: من سبق له

القضاء بذلك ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ شامل للأصنام، والجمهور أنها الكبريت، وفيها خمسة أنواع من العذاب:

1. سرعة الإيقاد.

2. ونتن الرائحة.

3. وشدة اللصوق بالأبدان.

4. وكثرة الدخان.

5. وقوة حرها إذا أُحميت.

وقيل: «هي سائر الأحجار» ﴿أُعِدَّتْ﴾ هيئت ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ فلا يلزم من الآية عدم دخول غيرهم لها.

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥ - ٢٧].

﴿وَبَشِّرِ﴾ [البقرة: 25] يا محمد ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ والبشارة كل خير يتغير له بشرة الوجه خيرًا كان أو شرًا، لكنه تقيد في الشر كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: 21] والعمل الصالح: ما وافق الشرع في الإخلاص والصبر والنية، وما ورد فيه من هيئته وسننه؛ أي: بـ ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ جمع جنة، أصله: البستان، سُمي به؛ لاجتنان الأرض؛ أي: استتارها بالشجر ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي: من تحت الأشجار

والقصور التي فيها ﴿الْأَنْهَارُ﴾ أي: المياه في الأنهار جمع نهر، سُمي به؛ لسعته وضيائه وهو الموضع الذي تجري فيه الماء؛ لأن الماء نهره أي: يحفره ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا﴾ أُطعموا من تلك الجنان، ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي﴾ أي: مثل ما ﴿رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبله في الجنة لكونه يشبهه كما ذكر بقوله: ﴿وَأُتُوا بِهِ﴾ جيئوا بالرزق ﴿مُتَشَابِهًا﴾ في اللون والريح لكن الطعم يختلف ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ﴾ من الحور وغيرهن ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض والنفاس فالبول والغائط والبصاق والمخاط والولادة وكل قذر. ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لا يموتون فلا فناء لهم ولا خروج.

﴿إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ [البقرة: 26] أي: لا يمنعه الحياء ﴿أَنْ يَضْرِبَ﴾ يجعل ﴿مَثَلاً مَا بَعُوضَةً﴾ ﴿مَا﴾ صلة أو نكرة في موضع نصب على المفعول الثاني، و﴿بَعُوضَةً﴾ نعت لها، والبعوض: الذباب، والبق، أو صغار كل ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ أعظم منها، وقيل: دونها لفلان جاهل، وفوق ذلك؛ أي: دونه ونزلت لقول اليهود لما ضرب الله المثل بالذباب والعنكبوت: ماذا أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي: المثل ﴿الْحَقُّ﴾ الثابت الواقع موقعه ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا﴾ الشيء الذي هو عندنا حقير في الصورة ﴿مَثَلاً﴾ وأرادوا بالاستفهام الإنكار بمعنى أنه لا فائدة فيه ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ من الكافرين ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ من المؤمنين ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾.

والفسق شرعًا: الخروج عن الطاعة.

ولغة: مطلق الخروج، بقوله: فسقت الرطبة إذ أُخرجت عن قشرها.

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ﴾ [البقرة: 27] يخالفون ويبطلون بزعمهم الفاسد، وأصله النقض الكسر ﴿عَهْدَ اللهِ﴾ ميثاقه المؤكد عليهم، إما في السبت أو أخذه على الأمم العهد في الإيمان نبينا محمد ﷺ ﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ أي: تأكيد العهد عليهم ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ فيؤمنون ببعض الأنبياء أو الكتب ويكفرون ببعض، أو الرحم لقطعهم ذلك بالنسبة له ﷺ ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي وبتوقف الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ المنبوذون في الدنيا بالقتل ونحوه، وفي الآخرة بالعذاب الدائم، وأصل الخسران نقص الحظ في وزن أو غيره.

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا

ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٩﴾ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨ - ٣٠].

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ [البقرة: 28] توبيخ بلفظ الاستفهام ﴿بِالله وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ نطف في أصلاب آبائكم ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ بنفخ الروح ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ الموت المعروف ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبعث ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قرأ يعقوب «ترجعون» وما جاء منه عينًا أو خطابًا إذا كان من رجوع الآخرة بفتح أوله وكسر الجيم في كل القرآن، ووافقه أبو عمرو «وفي يومًا ترجعون» آخر البقرة، ووافقه حمزة والكسائي وخلف في «وأنكم إلينا لا ترجعون» في المؤمنون، ووافقه نافع وحمزة والكسائي في الحرف الأول من القصص «وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون» ووافقه ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف في «ترجع الأمور» حيث وقع، ووافقه في «يرجع الأمر كله» في هود كل القراء إلا نافعًا وحفصًا فإنهما قرأ بضم الأول وفتح الجيم، وكذا قرأ في غيره الباقون والمراد الرجوع إلى ثواب الله وعقابه.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [البقرة: 29] اخترع وأوجد بعد العدم ﴿لَكُمْ﴾ أي: لأجلكم ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: الأرض وما فيها ﴿جَمِيعًا﴾ المعنى خلقه لانتفاعكم واعتباركم ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾[1] ترتيب للأخبار فقط ومعنى الاستواء استواء القدرة والسلطان مع نفي

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: قال الفراء في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ قال: الاستواء في كلام العرب على وجهين، أحدهما: أن يستوي الرجل وينتهي شبابه وقوته، أو يستوي عن اعوجاج، فهذان وجهان، ووجه ثالث أن تقول: كان فلان مقبلاً على فلان ثم استوى علي وإلي يشاتمني، على معنى أقبل: إلي وعلي، فهذا معنى قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ والله أعلم.

قال: وقد قال ابن عباس: ثم استوى إلى السماء صعد، وهذا كقولك: كان قاعدًا فاستوى قائمًا، وكان قائمًا فاستوى قاعدًا، وكل ذلك في كلام العرب جائز، وقال البيهقي أبو بكر أحمد بن علي بن الحسين: قوله: ﴿اسْتَوَى﴾ بمعنى أقبل صحيح؛ لأن الإقبال هو القصد إلى خلق السماء، والقصد هو الإرادة، وذلك جائز في صفات الله تعالى، ولفظة ﴿ثُمَّ﴾ تتعلق بالخلق لا بالإرادة، وأما ما حكى عن ابن عباس فإنما أخذه عن تفسير الكلبي، والكلبي ضعيف، وقال سفيان بن =

الحوادث جملة. ﴿إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ جعلهن سواء وسوى سطوحهن بالإملاس ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فصفة في غاية الإتقان قرأ أبو عمرو والكسائي وأبو جعفر وقالوا: هو وهي بإسكان الباء إذا كان قبلها واو أو فاء أو لام، والكسائي أسكن هاء ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [القصص: 61] في القصص، ووافقه أبو جعفر وقالوا بخلاف عنه واختلف عنهما أيضًا في ﴿يُمِلَّ هُوَ﴾ [البقرة: 283] آخر البقرة والشيء اسم للموجود فدلت الآية على علمه تعالى به، وتحقق علمه بالمعدوم من محل آخر، وأقتض أن الأرض بما فيها خلقت قبل السماء، وهو كذلك ثم دحيت الأرض بعد خلق السماء وتجمع الآيات.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ [البقرة: 30] أي: ذكر ذلك وكذا نظيره ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ جمع ملك بفتح اللام وهم الجميع، وقيل: سكان الأرض منهم. ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾ خالق أو فاعل ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ خص به بعضهم مكة لأن الأرض دحيت من تحتها، والأوجه بقاؤه على ظاهره ﴿خَلِيفَةً﴾ يخلف الجن إذ كانوا في الأرض قبل آدم فلما أفسدوا وأطردوهم بإذن الله للجزائر والجبال أو عن الله في إقامة أحكامه قاله ابن مسعود وهو أقرب، وعليهما فالمراد آدم ﷺ وأصل الخليفة من يخلف غيره ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ فاسدوهم على الجن أو أعلمهم الله بما تجني بنوا أدم فعظموا جناية عن وجود من يفعل ذلك ولم يعلموا وجه الحكمة حينئذ. ﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ يريقها بالقتل بلا حق. ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ أي: ننزهك متلبسين بحمدك بقولهم: سبحان الله وبحمده، أو نصلي لك ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ ننزهك ونطهرك من النقائص أو نطهر أنفسنا من الإثم لأجلك ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من وجه المصلحة في ذلك، ومنه إن فهم المطيع وغيره فيظهر العدل فقالوا: لن يخلق ربنا خلقًا أكرم عليه منا ولا أعلم لسبقنا له ورؤيتنا ما لم يره فخلق تعالى آدم بأن قبض قبضة من جميع ألوان الأرض

=

عيينة وابن كيسان في قوله ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾: قصد إليها؛ أي: بخلقه واختراعه، فهذا قول، وقيل: على دون تكييف ولا تحديد، واختاره الطبري، يذكر عن أبي العالية الرياحي في هذه الآية أنه يقال: استوى بمعنى أنه ارتفع، قال البيهقي: ومراده من ذلك - والله أعلم - ارتفاع أمره، وهو بخار الماء الذي وقع منه خلق السماء، وقيل: إن المستوى الدخان، وقال ابن عطية: وهذا يأباه وصف الكلام.

وعجنت بالمياه المختلفة وسواه ونفخ فيه الروح فصار حيوانًا حساسًا بعد أن كان جمادًا.

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ٣١ - ٣٥].

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ﴾ [البقرة: 31] أي: عرفه إلهامًا أو برسول أو خطاب له قبل نزوله للأرض فلا يشارك في خاصيته، وسُمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض أي: وجهها أو لأنه كان آدم اللون أي: لونه أحمر يميل إلى سواد. ﴿الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ حتى القصعة والمفرقة، جمع اسم وهو ما يدل على معنى أعم من الاسم والفعل والحرف ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ المعروض أما الأشخاص وهو أقرب أو الأسماء مسئولاً بها عن مسمياتها ﴿عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي﴾ أخبروني ﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في زعمكم الذي دل عليه ثناؤكم على أنفسكم أنكم أحق بالخلافة منه.

﴿قَالُوا﴾ [البقرة: 32] اعترفنا بالعجز ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ إياه ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي يضع الشيء في محله، ويطلق على القاضي والعدل والمحكم في الأمر، وأصل الحكمة المنع لمنعها صاحبها من الباطل، ومنه حكمة الدابة التي تمنعها من ترك الاعتدال.

﴿قَالَ﴾ [البقرة: 33] تعالى: ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ أي: المسميات فسمى كل شيء باسمه وذكر حكمته التي خلق لها ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ وضع الظاهر موضع المضمر تفخيمًا للأمر ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم موبخًا: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: 33] ما غاب فيهما ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ تظهرون ﴿وَمَا

كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من كل شيء فهو عام، وقيل أريد به الخاص فقيل: البادئ ﴿أتجعل﴾ إلى آخره وغيره كتمهم أنهم أحق بالخلافة وقيل الأول ما أظهروه من الطاعة والثاني ما أسره إبليس من المعصية ودل ما ذكر على شرف الإنسان وفضله وفضل العالم على ما سواه وأن اللغات توقيفية وإنه لا بدّ لها من واضع وعلى أن علوم الملائكة تقبل الزيادة والنقص خلافًا لزاعمي خلافه في الكل وفي الأخير في الطبقة العليا.

﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ [البقرة: 34] ربك ﴿لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ قرأ أبو جعفر بضم التاء اتباعًا فأتبع حركة الإعراب بحركة البناء استثقالاً للخروج من كسر إلى ضم وقرأ به مطلقًا حيث وقع، وعن عليش بن وردان أيضًا إشمام الضم والباقون بكسر التاء، والمقول الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص، وقيل ملائكة الأرض وقيل إبليس ومن معه وهل كان السجود لآدم تحية وتعظيمًا لا عبادة كسجود إخوة يوسف أو كان آدم قبله تشريفًا له أو هو شكر واللام للتعليل؟ أقوال، أصحها الأول وأبعدها الأخير ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ الاستثناء متصل فهو من الملائكة على الأصح ولا يرد قوله: كان من الجن إذ يجوز أن يكون سمي به لأنه فعل فعلهم أو لأن من الملائكة نوعًا يقال له: الجن لأنهم من خزنة الجنة وسمي إبليس لأنه أبلس من الرحمة أي: يئس نعوذ بالله من ذلك فهو مشتق من الإبلاس ولم ينصرف لأنه معرفة ولا نظير له في الأسماء أي: الأعلام العربية المشتقة من المصادر فشبه بالأعجمي قاله أبو عبيد وغيره وقيل هو أعجمي لا اشتقاق له فلم ينصرف للعجمة والتعريف قاله الزجاج وطائفة. ﴿أَبَى﴾ امتنع. ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ تكبر فرأى نفسه أكبر من آدم على سبيل المغالاة. ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ في علم الله تعالى عند الأكثر أو صار منهم بعد أن عبد الله تعالى مدة تزيد على مدة عبادة غيره ودل ما ذكر على فضل أدم على الملائكة وأن سببه العلم ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ﴾ [البقرة: 35] أي: استقر خوطب؛ لأنه المقصود وغيره تبع ﴿أَنْتَ وَزَوْجُكَ﴾ حواء بالمد وخلقت من ضلعه الأيسر ﴿الْجَنَّةَ﴾ دار الثواب وهي في السماء السابعة ﴿وَكُلَا مِنْهَا﴾ أكلاً ﴿رَغَدًا﴾ واسعًا كثيرًا لا حجر فيه خوطبا هنا معًا؛ لأن آدم علم بالأول أنه المقصود فلم يبق في الثاني ما يدل على مشاركته في فضله ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ في أي مكان ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾[1] بالأكل منها هي شجرة يعلمها الله

(1) قال أبو بكر بن العربي: جاء في التفسير أن إبليس حاور آدم على أكلها فأبى، فحاور حواء

ومنهم من غير فقال الحنطة أو الكرمة أو شجرة العلم وفيها من كل شيء أو الكافور ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ العاصين أي: تصيرا منهم والظلم وضع السر في غير موضعه.

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى

=

وخدعها، فأكلت فلم يصبها مكروه؛ فلما رأى آدم ذلك اغتر فأكل، فنالتهما العقوبة؛ وإنما لم تصبهما العقوبة إلا بعد أكلهما، لوجود المنهي عنه منهما جميعاً، وقد استدل بعض العلماء على من قال لزوجتيه أو أمتيه: إن دخلتما الدار، فأنتما طالقتان أو حرتان؛ فإن الطلاق لا يقع بدخول إحداهما، وإنما يقع بهما معاً، حملاً على هذا الأصل، وأخذا بمقتضى اللفظ. وقيل: إنهما يعتقان ويطلقان بدخول إحداهما، وبعض الحنث حنث، كما لو حلف ألا يأكل هذين الرغيفين، فإنه يحنث بأكل أحدهما بل بلقمة، لوقوع الحنث بأقل الأشياء.

وقال أشهب: تعتق التي دخلت؛ لأن دخول كل واحدة شرط في طلاقها وعتقها. وقد قال مالك فيمن قال لزوجه: إن وضعت فأنت طالق، فوضعت ولداً وبقي في بطنها آخر، فإنها لا تطلق حتى تضع الآخر؛ وعنه: تطلق بوضع الأول. والصحيح أن اليمين إن لم يكن لها نية أو بساط يقتضي الجمع بينهما، فإن الصواب مع أشهب.

قال بعض الناس: إنما أكل آدم من الشجرة وهو سكران. وقيل: أكل من جنس الشجرة لا من عينها، وكان إبليس غره بالأخذ بالظاهر وهي أول معصية وقعت؛ ولهذا قيل في اتباع الظاهر هدم الشريعة. وقيل: أكل حملاً للنهي عن التنزيه. وقيل: أكل مناولاً لرغبة الخلد. وقيل: أكل ناسياً.

تنبيه: تعلق بعض الناس بقول من قال: أكل سكران وقالوا: أفعال السكران معتبرة في الأحكام والعقوبات، وأنه لا يعذر في فعل كالصحابي؛ كما ألزم الله تعالى آدم العقوبة بفعل السكر؛ وعندنا في ذلك ثلاثة أقوال: اللزوم، وعدمه، والفرق: فلا تلزم العقود كالنكاح، ويلزم الحل كالطلاق، وتعلق بعض الناس بقول من قال: أكل من جنسها، فقالوا: من حلف ألا يأكل هذا الخبز، فأكل من غيره حنث. وقال الأكثرون: لا حنث عليه. وقال مالك: ينظر إلى بساط يمينه أو نيته: فإن اقتضيا العين أو الجنس، حمل عليه. وقالوا: عينت لآدم الشجرة، وأريد جنسها، ولو حلف: لا آكل هذه الحنطة فأكل خبزها حنث؛ لأنها هكذا تؤكل. وقال ابن المواز: لا يحنث؛ لأنه لم يأكل حنطة فراعى الاسم، ولو قال: لا آكل منها فأكل خبزها حنث، لأنه آكل منها.

قال القاضي أبو بكر: أما قول من قال: أكل سكران، ففاسد، لعدم صحة النقل؛ ولأن الأنبياء بعد النبوة معصومون مما يخل بالفرائض ويؤدي إلى اقتحام الجرائم. [الأحكام الصغرى ص18] بتحقيقنا.

فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [البقرة: ٣٦ - ٤٢].

﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ [البقرة: 36] بالألف بعد الزاي لحمزة، والباقون بلا ألف وتشديد اللام:

فالأول معناه: نحاهما عن الموضع الذي كانا فيه.

والثاني معناه: الدعاء إلى الزلة وهي المخالفة وكلاهما وقع، أو المراد هما ﴿الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿عَنْهَا﴾ عن الجنة أو عن الطاعة بأن قال لهما ما يأتي في الأعراف ﴿فكُلا﴾ [الأعراف: 19] ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعيم وهل هو بالوسوسة أو ببعض أتباعه أو بدخوله إليهما أما ظاهر الآية لم يمنع إلا على وجه الإكرام أو باطنًا في فم الحية أقوال ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ إلى الأرض خطاب لآدم وحواء نزلا منزلة الجنس البشري لأنهما أصله يدل عليه ﴿اهبطا منها جميعًا﴾ وقيل المخاطب آدم والوسوسة وحواء وقيل آدم وحواء والحية وإبليس ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ فيبقي البعض على الآخر ويضلله أو الشيطان عدو لآدم وذريته وكذا الحية وبعض الذرية لبعض ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع قرار ﴿وَمَتَاعٌ﴾ أي: بلغة ومستمتع يتمتعون به ﴿إِلَى حِينٍ﴾ أي: إلى وقت انقضاء أجلكم ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: 37] تلقن وأصل التلقي القبول عن فطنة وعلم، وقيل التعلم قرأ ابن كثير ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ﴾ بالنصب ﴿مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ بالرفع والباقون برفع «آدم» ونصب «كلمات» بالكسر وهل الكلمات: «سبحانك لا إله إلا أنت إني كنت من الظالمين»، أو «لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت رب سوء ظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم»، «لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سواء وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم»، «لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوء وظلمت نفسي

فارحمني إنك أنت الرحمن الرحيم»، أو قال: «يا رب أرأيت ما أتيت شيء كتبته علي قبل أن تخلقني أو شيء ابتدعته على نفسي؟ قال: بل شيء كتبته عليك قبل أن أخلقك، قال: يا رب فما كتبت علي فاغفر لي» أو «ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين»؟ أقوال.

﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ تجاوز عنه والتوبة الندم والعزم على عدم العود والإقلاع وإن كانت ظلامة اشترط ردها أن يمكن كقضاء فائت والأنبياء معصومون من كل ذنب وما وقع لآدم عليه السلام كان قبل النبوة سهوًا ولم يصر عليه ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا﴾ [البقرة: 38] من الجنة ﴿جَمِيعًا﴾ كرر للتأكيد أو لغيره مما في الأصل ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ رسول بكتاب أو لا ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ بالإيمان والطاعة ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾ قرأه يعقوب حيث وقع بفتح الفاء من غير تنوين، والباقون بالرفع والتنوين وكذا ابن كثير وأبو جعفر والبصريان «فلا رفث ولا فسوق»، وكذا أبو جعفر «ولا جدال» والباقون بالفتح من غير تنوين في الثلاثة، وكذا ابن كثير والبصريان «لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة» في هذه السورة، «لا بيع فيه ولا خلال» في إبراهيم، «لا لغو فيه ولا تأثيم» في الطور، والباقون بالرفع والتنوين ﴿عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لدخولهم الجنة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [البقرة: 39] كتبنا ونحوها ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [البقرة: 39 - 40] هو يعقوب ومعنى «إسرا» عبد و«إيل» الله أي: يا بني عبد الله أو صفوة الله، قرأ أبو جعفر بلا همز، وهمزه الباقون ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ نعمي؛ أي: احفظوها واشكروها، والذكر يكون بالقلب واللسان واجتماعهما أفضل فإن انفرد فما كان بالقلب ﴿الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ عام لسائر النعم وقيل من إنعامه على آبائهم في الإنجاء من الغرق ومن فرعون والعفو بعد اتخاذ العجل ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ بامتثال الأمر ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ بالقبول والثواب ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ فخافون في ترك الوفاء به.

﴿وَآمِنُوا﴾ [البقرة: 41] صدقوا ﴿بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة في وصف محمد ﷺ والتوحيد، نزلت في كعب بن الأشرف وأكابر اليهود ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ من أهل الكتاب؛ لأن قريشًا كفروا قبل ذلك والنهي عنه بخصوصه لما فيه من عظيم الإثم بإثم الاتباع ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾ تستبدلوا ﴿بِآيَاتِي﴾ التي في كتابكم من صفة محمد ﷺ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي: عرضًا يسيرًا، والثمن القليل ما كانوا

يأخذونه من سفلتهم ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ * وَلَا تَلْبِسُوا﴾ [البقرة: 41 - 42] تخلطوا ﴿الْحَقَّ﴾ من وصف محمد ﷺ ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ الذي تكتبونه بأيديكم ولا ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ من أمره ووصفه ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الحق من وصفه وأنه نبي مرسل ﷺ.

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ (٤٣) ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤) وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ (٤٥) ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ (٤٦) يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٧) وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٨) وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (٥٠) ﴾ [البقرة: ٤٣ - ٥٠].

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: 43] وهي الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها ﴿وَآتُوا﴾ أدوا ﴿الزَّكَاةَ﴾ مأخوذة من زكاة الزرع إذا نما وقيل من الزكى إذا تطهر وكل منهما موجود فيها لأنها تطهر المال؛ أي: ترفع عنه دنس الحرام وتنميه بالبركة، فالقليل المبارك خير من الكثير الذي لا يذكر فيه ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[1] صلوا مع المصلين محمد ﷺ وصحبه وذكر الركوع لأن صلواتهم لا ركوع فيها.

﴿أَتَأْمُرُونَ﴾ [البقرة: 44] استفهام على وجه الإنكار نسيان أنفسهم خصوصًا مع أمر غيرهم ﴿النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ وهو الإيمان والطاعة ﴿وَتَنْسَوْنَ﴾ تتركون ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ فلا تتبعونه، نزلت في علماء اليهود حيث أمروا أقرباهم بالإيمان بالقرآن وخالفوا ذلك

---

(1) قال المهائمي: أي: صلوا بالجماعة إذ فضلت على صلاة الفذ في هذه الملة بسبع وعشرين درجة فأتوا بفضائل هذا الكتاب سيما التي بها تظاهر النفوس على الخيرات. [تبصير الرحمن 96/1] بتحقيقنا.

﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ تقرؤون التوراة وفيها الوعيد على مخالفة القول العمل ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ سوء فعلكم فترجعون استفهام بمعنى التوبيخ ﴿وَاسْتَعِينُوا﴾ [البقرة: 45] اطلبوا المعونة على أموركم ﴿بِالصَّبْرِ﴾ وهو حبس النفس عن المعاصي اللازم منه إذا المأمورات، أو المراد الصوم أو أداء الفرائض ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ لأن فيها قرة العين بالله، وقيل: الواو بمعنى على وأفردها بالذكر تعظيمًا لها، وكان ﷺ إذا أهمه أمر فزع للصلاة، وقيل الخطاب لقوم من اليهود عاقهم عن الإيمان شرهم وحبهم الرئاسة فأمروا بالصبر أي: الصوم لإزالته للأول والصلاة لنفيها الكبر ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي: الاستعانة أو الصلاة رد الضمير إليها لأنها الأغلب وقوعًا، أو في الآية حذف تقديره واستعينوا بالصبر وإنها لكبيرة وبالصلاة ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ فحذف من أحدهما اختصارًا والكبيرة الثقيلة ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ الخائفين أو المتواضعين أو الساكنين إلى الطاعة.

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: 46] المراد به هنا يتيقنون، والأصل أن يستعمل في تجويز أمرين أحدهما أظهر من الآخر، فإن أريد خلاف ذلك بين ﴿أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾[1] بمعاينته في الدار الآخرة ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ في الآخرة فيجازوا بأعمالهم.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: 47] بالشكر بالطاعة ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ أي: إياكم ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ الموجودين في زمنهم ﴿وَاتَّقُوا﴾ [البقرة: 48] اخشوا ﴿يَوْمًا﴾ هو يوم القيامة ﴿لَا تَجْزِي﴾ تقضي فيه ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ من الحق الذي لزمها ﴿وَلَا يُقْبَلُ﴾ قرأ ابن كثير والبصريان بالتاء والباقون بالياء ﴿مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ أي: فيها إذا كفرت لأنه لا شافع لهم فالمعنى لا شافع لهم فيقبل ﴿وَلَا

(1) الملاقاة: مفاعلة تكون من اثنين، لأن من لاقاك فقد لاقيته. وقال المهدوي والماوردي وغيرهما: الملاقاة هنا، وإن كانت صيغتها تقتضي التشريك، فهي من الواحد كقولهم: طارقت النعل، وعاقبت اللص، وعافاك الله، قال ابن عطية: وهذا ضعيف، لأن لقي يتضمن معنى لاقي، وليست كذلك الأفعال كلها، بل فعل خلاف في المعنى لفاعل، انتهى كلامه. ويحتاج إلى شرح، وذلك أنه ضعفه من حيث إن مادة لقي تتضمن معنى الملاقاة، بمعنى أن وضع هذا الفعل، سواء كان مجرداً أو على فاعل، معناه واحد من حيث إن من لقيك فقد لقيته، فهو لخصوص مادة يقتضي المشاركة، ويستحيل فيه أن يكون لواحد. وهذا يدل على أن فاعل يكون لموافقة الفعل المجرد، وهذا أحد معاني فاعل، وهو أن يوافق الفعل المجرد. وقول ابن عطية: وليست كذلك الأفعال كلها كلام صحيح، أي ليست الأفعال مجردها بمعنى فاعل، بل فاعل فيها يدل على الاشتراك. [تفسير البحر المحيط (1/ 236)].

يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فذا سُمي به؛ لأنه مثل والمثل عدل ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يمنعون من العذاب ثم الشفاعة لأهل الكبائر من هذه الأمة لا لمن لا ذنب له ولا لأهل الصغائر.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 49] أي: أجدادكم وأسلافكم وذكر به يهود زمنه ﷺ ليؤمنوا ﴿مِنْ آلِ﴾ أتباع ﴿فِرْعَوْنَ﴾ وهو الوليد بن مصعب بن الريان من العماليق وهو اسم لملك مصر. انتهى.

﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ يكلفونكم ويصرفونكم كما يفعل بالسائمة ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أشده وأسوأه ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ لما رآه فرعون في منامه من أمر موسى عليه السلام أو قول بعض الكهنة له أن مولودًا يولد في بني إسرائيل يكون ذهاب ملكك على يده ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَاءَكُمْ﴾ يتركونهن أحياء والنساء اسم يقع على الصغار والكبار ﴿وَفِي ذَلِكُمْ﴾ أي: فعله فيكم ذلك ﴿بَلَاءٌ﴾ فتنة شديدة ومكروه ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ وقعه وقيل في إنعامه عليكم بالنجاة إنعام عظيم.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا﴾ [البقرة: 50] فلقنا ﴿بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ بسببكم فجعلناكم بين فرقيه حتى دخلتموه هاربين من فرعون وقومه، أو الياء بمعنى اللام أي: لكم عند الهرب من فرعون، يُسمى البحر بحرًا لاتساعه ومنه سُمي الفرس بحرًا إذا اتسع في جريه ﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ وهو معهم لموته فيه وإن نجا ببدنه ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ما صنعناه بهم.

﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [البقرة: ٥١ - ٥٦].

﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا﴾ [البقرة: 51] قرأ البصريان وأبو جعفر بلا ألف هنا، والأعراف وطه «وواعدناكم جانب الطور» والباقون بها، وهي من المفاعلة التي من الواحد

وحسن التيقن بها؛ لأن الله تعالى منه الوعد ومن موسى ﷺ القبول ﴿مُوسَى﴾ اسم عبري وهو معناه: «الماء» و«شا» المعجمة معناه الشجر، سُمي به لأنه وجد بين الماء والشجر قلبت المعجمة مهملة في العربية ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ هي ذو القعدة والعشر الأول من ذي الحجة والمراد انقضاؤها أي: فيعطيه عند ذلك التوراة لتعملوا بها ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾[1] الذي صنعه السامري إلهًا تعبدونه ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد ذهاب موسى

---

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ فيه ست مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ قرأ أبو عمرو: «وعدنا» بغير ألف، واختاره أبو عبيد ورجحه وأنكر «واعدنا» قال: لأن المواعدة إنما تكون من البشر فأما الله ﷻ فإنما هو المنفرد بالوعد والوعيد، على هذا وجدنا القرآن، كقوله ﷻ: ﴿وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ وقوله: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وقوله: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾، قال مكي: وأيضًا فإن ظاهر اللفظ فيه وعد من الله تعالى لموسى، وليس فيه وعد من موسى، فوجب حمله على الواحد؛ لظاهر النص أن الفعل مضاف إلى الله تعالى وحده، وهي قراءة الحسن وأبي رجاء وأبي جعفر وشيبة وعيسى بن عمر، وبه قرأ قتادة وابن أبي إسحاق، قال أبو حاتم: قراءة العامة عندنا «وعدنا» بغير ألف؛ لأن المواعدة أكثر ما تكون بين المخلوقين والمتكافئين، كل واحد منهما يعد صاحبه، قال الجوهري: الميعاد: المواعدة والوقت والموضع، قال مكي: المواعدة أصلها من اثنين، وقد تأتي المفاعلة من واحد في كلام العرب، قالوا: طارقت النعل، وداويت العليل، وعاقبت اللص، والفعل من واحد، فيكون لفظ المواعدة من الله خاصة لموسى كمعنى «وعدنا»، فتكون القراءتان بمعنى واحد، والاختيار «واعدنا» بالألف؛ لأنه بمعنى «وعدنا» في أحد معنييه، ولأنه لا بدّ لموسى من وعد أو قبول يقوم مقام الوعد فتصح المفاعلة، قال النحاس: وقراءة «واعدنا» بالألف أجود وأحسن، وهي قراءة مجاهد والأعرج وابن كثير ونافع والأعمش وحمزة والكسائي، وليس قوله ﷻ: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من هذا في شيء؛ لأن ﴿وَاعَدْنَا مُوسَى﴾ إنما هو من باب الموافاة، وليس هذا من الوعد والوعيد في شيء، وإنما هو من قولك: موعدك يوم الجمعة، وموعدك موضع كذا، والفصيح في هذا أن يقال: واعدته، قال أبو إسحاق الزجاج: «واعدنا» ها هنا بالألف جيد؛ لأن الطاعة في القبول بمنزلة المواعدة، فمن الله ﷻ وعد ومن موسى قبول واتباع يجري مجرى المواعدة، قال ابن عطية: ورجح أبو عبيدة «وعدنا» وليس بصحيح؛ لأن قبول موسى لوعد الله والتزامه وارتقابه يشبه المواعدة.

الثانية: قوله تعالى: ﴿مُوسَى﴾ موسى اسم أعجمي لا ينصرف للعجمة والتعريف، والقبط على - ما يروى - يقولون للماء: مو، وللشجر: شا، فلما وجد موسى في التابوت عند ماء وشجر سُمي موسى، قال السدي: لما خافت عليه أمه جعلته في التابوت وألقته في اليم - كما أوحى الله إليها - فألقته في اليم بين أشجار عند بيت فرعون، فخرج جواري آسية امرأة فرعون يغتسلن فوجدنه،
=

فسمي باسم المكان، وذكر النقاش وغيره: أن اسم الذي التقطته صابوث، قال ابن إسحاق: وموسى هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث ابن لاوي بن يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ أربعين نصب على المفعول الثاني، وفي الكلام حذف قال الأخفش: التقدير وإذ واعدنا موسى تمام أربعين ليلة كما قال: «واسئل القرية» والأربعون كلها داخلة في الميعاد، والأربعون في قول أكثر المفسرين ذو القعدة وعشرة من ذي الحجة، وكان ذلك بعد أن جاوز البحر وسأل قومه أن يأتيهم بكتاب من عند الله فخرج إلى الطور في سبعين من خيار بني إسرائيل وصعدوا الجبل وواعدهم إلى تمام أربعين ليلة فعدوا فيما ذكر المفسرين عشرين يومًا وعشرين ليلة، وقالوا: قد أخلفنا موعده، فاتخذوا العجل، وقال لهم السامري: هذا إلهكم وإله موسى فاطمأنوا إلى قوله ونهاهم هارون، وقال: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي * قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾، فلم يتبع هارون ولم يطعه في ترك عبادة العجل إلا أثنا عشر ألفًا فيما روي في الخبر، وتهافت في عبادته سائرهم وهم أكثر من ألفي ألف، فلما رجع موسى ووجدهم على تلك الحال ألقى الألواح فرفع من جملتها ستة أجزاء وبقي جزء واحد وهو الحلال والحرام وما يحتاجون، وأحرق العجل وذراه في البحر فشربوا من مائه حبًا للعجل؛ فظهرت على شفاههم صفرة وورمت بطونهم فتابوا ولم تقبل توبتهم دون أن يقتلوا أنفسهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنْفُسَكُمْ﴾ فقاموا بالخناجر والسيوف بعضهم إلى بعض من لدن طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحى، فقتل بعضهم بعضًا لا يسأل والد عن ولده ولا ولد عن والده ولا أخ عن أخيه ولا أحد عن أحد كل من استقبله ضربه بالسيف وضربه الآخر بمثله حتى عج موسى إلى الله صارخًا: يا رباه قد فنيت بنو إسرائيل! فرحمهم الله وجاد عليهم بفضله فقبل توبة من بقي وجعل من قتل في الشهداء على ما يأتي.

الرابعة: إن قيل لم خص الليالي بالذكر دون الأيام ؟ قيل له: لأن الليلة أسبق من اليوم فهي قبله في الرتبة ولذلك وقع بها التاريخ فالليالي أول الشهور والأيام تبع لها.

الخامسة: قال النقاش: في هذه الآية إشارة إلى صلة الصوم؛ لأنه تعالى لو ذكر الأيام لأمكن أن يعتقد أنه كان يفطر بالليل، فلما نص على الليالي اقتضت قوة الكلام أنه ﷺ واصل أربعين يومًا بلياليها، قال ابن عطية: سمعت أبي يقول: سمعت الشيخ الزاهد الإمام الواعظ أبا الفضل الجوهري رحمه الله يعظ الناس في الخلوة بالله والدنو منه في الصلاة ونحوه، وأن ذلك يشغل عن كل طعام وشراب ويقول أين حال موسى في القرب من الله؟! ووصال ثمانين من الدهر من قول حين سار إلى الخضر لفتاه في بعض يوم ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾، قلت: وبهذا استدل علماء الصوفية على الوصال وأن أفضله أربعون يومًا، وسيأتي الكلام في الوصال في أي الصيام من هذه السورة إن شاء الله تعالى.

السادسة: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ العِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: اتخذتموه إلهًا من بعد موسى، وأصل اتخذتم «ائتخذتم» من الأخذ ووزنه افتعلتم، سهلت الهمزة الثانية لامتناع همزتين فجاء =

لميعادنا ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ بوضع العبادة في غير محلها ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا﴾ [البقرة: 52] محونا ذنوبكم ﴿عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الاتخاذ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ بإقامة الطاعات.

﴿وَإِذْ آتَيْنَا﴾ [البقرة: 53] أعطينا ﴿مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة التي فرقت بين الحق والباطل ولأجل ذلك قال: ﴿وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ بها إلى الحق ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ [البقرة: 54] الذين عبدوا العجل ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ إلهًا ﴿فَتُوبُوا﴾ فارجعوا ﴿إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ خالقكم من عبادته، قرأ أبو عمرو «بارئكم» في الموضعين هنا بإسكان الهمزة و«يأمركم» و«يأمرهم» و«ينصركم» و«يشعركم» حيث وقع بإسكان الراء، وروى عنه جماعة الاختلاس في الكلمات الست، وروى بعضهم إشمام الحركة عن الدوري وبذلك قرأ الباقون، والبارئ موجد الأشياء في مراتبها بين أول الاختراع وتمام التصوير، ويستعمل بمعنى الخالق فلما قال لهم ذلك سألوه ما نصنع فقال: ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ المعنى ليقتل البريء منكم المجرم ﴿ذَلِكُمْ﴾ القتل ﴿خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ فوفقكم لذلك وشكوا لموسى ما عساه يقع من نحو رحمة قريب لقربه؛ فأرسل الله عليهم سحابة سوداء لئلا يبصر بعضهم بعضًا حتى قتل منهم نحو من سبعين ألفًا ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: قبل توبتكم لما فعلتم ما أمرتم به ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ [البقرة: 54 - 55] وقد خرجتم مع موسى لتعتذورا لربكم من عبادة العجل، قيل: وسمعوا كلام الله ولم يصح ﴿يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ في المستقبل ﴿حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً﴾ بأبصارنا لا رؤية علم فقط ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ الموت أو نارًا أحرقتهم ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ أي: ينظر بعضكم بعضًا حينئذ.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 56] أحييناكم والبعث إثارة الشيء عن محله منه بعث فلان البعير إذا أقامه عن موضعه ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ الذي كان لإظهار القدرة لا لانقضاء آجالكم؛ ليتم أرزاقكم وآجالكم الحقيقية ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ذلك.

=

«ايتخذتم» فاضطربت الياء في التصريف جاءت ألفًا في «ياتخذ» وواوًا في «موتخذ» فبدلت بحرف جلد ثابت من جنس ما بعدها وهي التاء، وأدغمت ثم أجلبت ألف الوصل للنطق، وقد يستغنى عنها إذا كان معنى الكلام التقرير كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً﴾ فاستغنى عن ألف الوصل بألف التقرير، ومذهب أبي علي الفارسي أن: «اتخذتم» من اتخذ لا من أخذ. ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ جملة في موضع الحال.

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ٥٧ - ٦٣].

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ﴾ [البقرة: 57] في التيه حيث تضررتم بالحر وعدم المأوى ﴿الْغَمَامَ﴾[1] مأخوذ من الغم وهو التغطية سُمّي به الغمام؛ لأنه يغطي وجه الشمس

(1) هو السحاب الأبيض، يقيكم حر الشمس في التيه، وكان لهم في التيه عمود من نور مد لهم من السماء فيسير معهم من الليل مكان القمر. فأصابهم الجوع فسألوا موسى فدعا الله فأنزل عليهم
=

﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ﴾ فيه ﴿الْمَنَّ﴾ وهو ما من به تعالى عليهم بلا تعب، وهل هو الخبز الرقاق أو الترنجبين قولان الأكثر على الثاني ﴿وَالسَّلْوَى﴾ وهو السماني بتخفيف الميم والقصر أو طائر يشبهه ﴿كُلُوا﴾ أي: وقلنا ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ حلالات ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ونهوا عن الإدخار، فلما ادخروا انقطع ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بذلك؛ لعدم قدرتهم على ذلك ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لأن وباله عليهم.

﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ [البقرة: 58] لبني إسرائيل بعد خروجهم من التيه ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ سميت بذلك؛ لجمعها أهلها ومنه سُمِّي الحوض مقرأة؛ لجمعه الماء وهل هي إيليا وأريحا، أو الرملة أو الأردن في فلسطين؟ أقوال، الثاني لابن عباس وينسب إليه إنها كيسان الشام ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ واسعًا ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ المعهود من أبوابها؛ أي: القرية ﴿سُجَّدًا﴾ خضعًا بالاتحاد ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ أي: حط عنا خطايانا أو لا إله إلا الله أو مسألتنا حطة ﴿نَغْفِرْ﴾ بضم الياء للتأنيث وفتح الفاء لابن عامر هنا وفي الأعراف، ووافقه المدنيان ويعقوب، ثم وقرأوا بالتذكير وضم الياء وفتح الفاء، والباقون بالنون وفتحها وكسر الفاء ﴿لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالطاعة ثوابًا.

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: 59] منهم ﴿قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ وهل قالوا حبة في شعيرة أو حنطة؟ قولان، ودخلوا يزحفون على أشباههم ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: عذابًا قيل: هو الطاعون ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ فهلك منهم في ساعة نحو من سبعين ألفًا.

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى﴾ [البقرة: 60] طلب السقيا ﴿مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ عند عطشهم في التيه ﴿فَقُلْنَا﴾: يا موسى ﴿اضْرِبْ بِعَصَاكَ﴾ التي جعلناها لك آية ﴿الْحَجَرَ﴾ الذي قدرنا أنه يحصل منه انفجار الماء عقب ضربك، وهل المأمور بضربه عموم الأحجار بمعنى

=

المنّ وهو الترنجبين كان يتساقط عليهم كل غداة، فيأخذ كل إنسان منهم ما يكفيه يومه وليلته، فإن أخذ أكثر من ذلك دود ذلك الزائد وفسد؛ وإذا كان يوم الجمعة أخذ كل إنسان منهم مقدار ما يكفيه يومين، لأنه لا يأتيهم يوم السبت، وكان ذلك مثل الشهد المعجون بالسمن فأجموا من المنّ، أي ملوا من أكله. فقالوا لموسى عليه السلام: قتلنا هذا المن بحلاوته وأحرق بطوننا، فادع لنا ربك أن يطعمنا لحمًا. فدعا لهم موسى عليه السلام فبعث الله لهم طيراً كثيرًا. [بحر العلوم للسمرقندي (1 /58)].

أن كل مضروب يحصل منه ذلك، أو كان حجرًا معينًا على قدر رأس الرجل يضعه في مخلاته فإذا احتاجوا للماء ضربه، أو هو الذي فر بثوبه أو غير ذلك مما في الأصل؟ أقوال، ثانيها لابن عباس - رضي الله عنهما - ﴿فَانْفَجَرَتْ﴾ أي: فضرب فانشقت وانبجست كما قاله الأكثرون، وقيل الثاني بمعنى عرفت، والأول بمعنى سيلان الماء ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ كل سبط منهم ﴿مَشْرَبَهُمْ﴾ موضع شربهم فلا يشركهم فيه غيرهم ﴿كُلُوا﴾ أي: قلنا لهم ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ الله وَلَا تَعْثَوْا﴾ أي: تكثروا الفساد ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ التي استخلفكم فيها ﴿مُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ [البقرة: 61] يا بني اسرائيل مستخطين بالحال الذي أنتم فيه ﴿يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ﴾ أي: نوع منه ﴿وَاحِدٍ﴾ وهو المن والسلوى ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا﴾ هو ما أنبتته من الخضر المأكول ﴿وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا﴾ هل هو الخبز أو الحنطة أو الحبوب التي تؤكل، أو الثوم؟ أقوال، أقربها الثاني.

﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ﴾ [البقرة: 61] الله تعالى لموسى ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى﴾ أدون قدرًا وأحط رتبة ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ تشركون الأعلى للأدنى وهذا توبيخ لهم فدعا ربه فقال: ﴿اهْبِطُوا﴾ انزلوا من التيه ﴿مِصْرًا﴾ من الأمصار أو مصر المعينة ﴿فَإِنَّ لَكُمْ﴾ فيها ﴿مَا سَأَلْتُمْ﴾ من ذلك ﴿وَضُرِبَتْ﴾ أحيطت أو جعلت ﴿عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ والهوان ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ الفقر سُمي الفقير مسكينًا؛ لأن الفقر أسكنه وأقعده عن الحركة فهي لازمة لهم، وإن كانوا أغنياء ﴿وَبَاءُوا﴾ رجعوا من التيه ﴿بِغَضَبٍ﴾ إبعاد لهم ﴿مِنَ الله ذَلِكَ﴾ المجعول لهم ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ الله وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾ بالهمز لنافع وبغيره لمن بقي وكذا النبي والأنبياء وأنبياء والنبوة، وقالون لم يهمز في موضعي الأحزاب وهما ﴿وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: 50] و﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: 53] فيبدل ما وقع بعد الضمة واوًا وما بعد الكسرة ياء بالتشديد فيها وصلاً، وبالهمز في الوقف وممن قتلوه زكريا ويحيى ووصف القتل بقوله ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ مبالغة في ذمهم ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ يتجاوزون حدود الله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: 62] ولم تخلص قلوبهم أو آمنوا حقيقة، أو آمنوا بالأنبياء من قبل ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ اليهود ﴿وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ والصائبون في المائدة بالهمز لغير نافع فيقرأ «الصابئون» بضم الباء، وكذا ﴿الصابئين﴾ بكسر الياء

وحذف الهمزة وافقه أبو جعفر في المائدة وفي البقرة والحج.

وهل هم من أهل الكتاب وذبائحهم كذبائحهم، أو هم منهم لكن لا في حل الذبيحة والمناكحة، أو هم قبيلة نحو الشام بين اليهود والمجوس، أو هم قوم بين اليهود والنصارى يحلقون أوساط رءوسهم ويحبون مذاكيرهم، أو هم قوم يقرأون الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون إلى الكعبة؟ أقوال، أولها لعمر ﷺ وثانيها لابن عباس، ومذهب إمامنا الشافعي ﷺ أن الصابئين إن خالفوا النصارى في أصل دينهم حرمت ذبيحتهم ومناكحتهم، وإلا فلا ﴿مَنْ آمَنَ﴾ أي: أخلص أو ثبت أو ضم إلى الإيمان بنبيه الإيمان بنبينا ﷺ وإلى ذلك كله الإيمان بشرائعه ومن ذلك يؤمن ﴿بالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ الموعود به ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ [البقرة: 62 - 63] باتباع موسى ﴿وَ﴾ قد ﴿رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾[1] الجبل حين امتنعتم من العمل بما أمر به موسى من اتباع التوراة كالظلة حتى أخذتم بما فيها من المواثيق والعهود ﴿خُذُوا﴾ أي: وقلنا خذوا ﴿مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ شدة وعزم على العمل بما فيه ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ بالعمل به ودرسه لئلا يضيع ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ

---

(1) قال أبو حيان: سبب رفعه امتناعهم من دخول الأرض المقدّسة، أو من السجود، أو من أخذ التوراة والتزمها. أقوال ثلاثة. روي أن موسى لما جاء إلى بني إسرائيل من عند الله بالألواح فيها التوراة قال لهم: خذوها والتزموها، فقالوا: لا، إلا أن يكلمنا الله بها، كما كلمك، فصعقوا ثم أحيوا. فقال لهم: خذوها، فقالوا: لا. فأمر الله تعالى الملائكة فاقتلعت جبلاً من جبال فلسطين طوله فرسخ في مثله، وكذلك كان عسكرهم، فجعل عليهم مثل الظلة، وأخرج الله تعالى البحر من ورائهم، وأضرم ناراً بين أيديهم، فاحتاط بهم غضبه، فقيل لهم: خذوها وعليكم الميثاق أن لا تضيعوها، وإلا سقط عليكم الجبل، وغرقكم البحر، وأحرقتكم النار، فسجدوا توبة لله، وأخذوا التوراة بالميثاق، وسجدوا على شق لأنهم كانوا يرقبون الجبل خوفاً. فلما رحمهم الله قالوا: لا سجدة أفضل من سجدة تقبلها الله ورحم بها، فأمروا سجودهم على شق واحد. [تفسير البحر المحيط (1/ 313)].

﴿٦٦ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [البقرة: ٦٤ - ٧٠]

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ [البقرة: 64] أي: أعرضتم عن الوفاء بما أمرتم به ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ المذكور من أخذ الميثاق وما معه ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ لكم بالتوبة أو بتأخير العقوبة ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الهالكين ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا﴾ [البقرة: 65] تجاوزوا الحد ﴿مِنْكُمْ﴾ بصيد السمك وقد نهيناهم عنه وهم أصل إيلة ﴿فِي السَّبْتِ﴾ أصله القطع سُمي اليوم بذلك لأن الله قطع فيه الخلق أي: لأنه انهى خلق السماوات والأرض قبله أو لأن اليهود أمروا فيه بقطع الأعمال ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً﴾ أمر تحويل وتكوين ﴿خَاسِئِينَ﴾ مبعودين مطرودين فكانوا قردة حقيقة وهلكوا بعد ثلاثة أيام.

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا﴾ [البقرة: 66] أي: هذه الحالة من العقوبة ﴿نَكَالًا﴾ عبرة مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا وهو اسم لكل عقوبة ينكل الناظرين، وأصله من النكل بكسر النون وإسكان الكاف وهو القيد الشديد والجمع أنكال ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ ما سبق لهم من الذنوب ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ ما حضرها من عصيانهم بأخذ الحيتان وقيل غير ذلك كما في الأصل ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ حكمة وذكرى ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ ربهم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ [البقرة: 67] وقد قتل لهم قتيل لا يُدرى قاتله وسألوا أن يدعو الله لبيانه فدعا ﴿إِنَّ الله يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ بضم الزاي وبالهمز، وحفص لا يهمز فيبدل الهمز واوًا ومثله ﴿كُفُواً﴾ [الإخلاص: 4] قرأ حمزة وخلف بسكون الزاي وبالهمز كما قرأ في «كفؤا» بإسكان الفاء وبالهمز وافقهما يعقوب في «كفؤا»، وقالوا لموسى ذلك لأنهم سألوه عن أمر القتيل، فأجابهم بذبح البقرة فظنوا أنه صيّرهم مهزؤًا بهم لإجابته لهم بخلاف السؤال ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿أَعُوذُ﴾ امتنع

﴿بِاللهِ﴾ من ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾ الذين يستهزؤون بالمؤمنين فلما علموا أنه عزم.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: 68] باعتبار سنها ﴿قَالَ إِنَّهُ﴾ الضمير لله ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ﴾ مسنة لا تلد ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ فتية صغيرة ﴿عَوَانٌ﴾ نصف ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ بين الشتين ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ من الذبح ولا تكرروا سؤالكم.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ﴾ [البقرة: 69] هو اتباع دال على شدة الصفرة كقولهم أسود حالك، وأحمر قاني، وأخضر ناصع، وأبيض يقق للمبالغة فيها، وقيل: المراد بالصفرة السواد ويبطله قوله: ﴿فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ أي: لون البقرة ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ تعجبهم ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: 70] سائمة أو عاملة ﴿إِنَّ الْبَقَرَ﴾ أي: جنسه المنعوت بما ذكر ﴿تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ فلم نهتدِ إلى المقصود ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إليها، قال رسول الله ﷺ: «وَايمُ اللهِ لَو لَمْ يَسْتَثْنُوا لَمَا بُيِّنَتْ لَهُم آخرَ الأَبَدِ»[1].

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة: ٧١ - ٧٤].

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ﴾ [البقرة: 71] ذليلة للعمل ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ أي: تقلِّبها للزرع ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ الأرض المهيأة للزرع فليست بساقية ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ بريئة من العيوب وآثار العمل ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ هل الشية العيب أو اختلاف اللون أو اجتماع البياض والسواد؟ أقوال، أقربها الثاني ﴿قَالُوا الْآنَ﴾ هو ظرف الزمان الذي أنت

(1) ذكره الشيخ حقي في «تفسيره» (200/1)، والنسفي في «تفسيره» (54/1).

فيه ﴿جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ الذي يتبع لنهاية البيان، ثم طلبوا البقرة فوجدوها عند شاب كان من شأنه برُّ أمه فاشتروها على جلدها ذهبًا ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ إما من غلو الثمن أو قلة اجتماع الأوصاف أو شدة الاختلاف[1]، وفي الحديث: «**لو ذبحوا**

(1) قال أبو بكر بن العربي: هذه الآية عظيمة الموقع، مشكلة في النظر، وفيها مسائل:
المسألة الأولى: في سبب ذلك، روي أن رجلاً من بني إسرائيل، قتل غيلة وطرح بين قوم، فدعي به عليهم؛ فسأل بنو إسرائيل من موسى أن يدعو الله ليبين القاتل، فدعا ربه؛ فأمرهم بذبح بقرة، وضرب القتيل ببعض منها؛ فشددوا في السؤال عنها، فشدد الله عليهم، فلم يجدوا تلك الصفة إلا عند رجل بر بأبويه؛ فطلب منهم فيها ملء مسكها ذهبا، فبذلوه له؛ ثم ذبحوها وضرب ببعضها، فحيي فقال: فلان قتله. وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قال: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج».
ومعناه: الخبر عنهم بما يخبرون به عن أنفسهم، لا بما يخبرون به عن غيرهم؛ لأن إخبارهم عن غيرهم يفتقر إلى عدالة؛ ولهذا إذا أخبروا عن شرع لم يلزم قبوله. وقد قال عمر: رآني رسول الله ﷺ وأنا أمسك مصحفاً، فقال: «ما هذا؟» قلت: جزء من التوراة، فقال: «إن كنت تعلم أنها التوراة التي أنزلت على موسى يوم طور سيناء فاقرأها؛ ثم غضب وقال: والله لو كان موسى حياً، ما وسعه إلا اتباعي».
المسألة الثانية: أخبر الله تعالى هنا عن حكم جرى في شرع موسى، واختلف الناس هل يلزمنا حكمه أو لا؟ وتلقب هذه المسألة بشرع من قبلنا، هل يلزمنا أو لا؟ وقد قال أكثر الفقهاء والمتكلمين: إن شرع من قبلنا لازم لنا وله ﷺ ونص عليه ابن بكير. وقال القاضي عبد الوهاب هذا هو الذي تقتضيه أصول مذهب مالك وقاله الشافعي. وقال القاضي أبو بكر: إنا لم نتعبد بشرع أحد، ولا أمر به ﷺ. قال القاضي أبو بكر بن العربي: والصحيح القول بلزوم شرع من قبلنا مما أخبرنا به نبينا عنهم دون ما وصل إلينا من غيره، لفساد ما عندهم؛ وهذا هو صحيح مذهب مالك في مسائله، قال: ونكتة هذا: إن الله تعالى أخبرنا عن قصص الماضين، فما كان من آيات الازدجار وذكر الاعتبار، ففائدته الوعظ؛ وما كان من آيات الأحكام، فالمراد به: الامتثال والاقتداء لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾. وقال ابن الجويني: إن نبينا ما رجع قط إلى أحد من أهل الكتاب ولا باحثه عن حكم، لفساد ما عندهم؛ وأما ما نزل به الملك عليه، فهو الحق المفيد للحكم.
المسألة الثالثة: لما ضرب بنو إسرائيل الميت بذلك العضو، قال: دمي عند فلان، فتعين قتله؛ وقد استدل مالك بهذا على القسامة، وقال إنه يدل على أن قول الميت: دمي عند فلان مقبول، ويقسم عليه؛ فإن قيل: هذا آية ومعجزة لموسى، قلنا: الآية والمعجزة في إحيائه الميت، فلما صار حياً، صار كسائر الأحياء في قوله قبولاً ورداً؛ فإن قيل: إنما قتله موسى بالآية، قلنا ولعله أمرهم بالقسامة وأخبره جبريل بصدقه فقتله موسى بعلمه كما تقدم في قتله ﷺ، للحارث بن سويد بإخبار جبريل له؛ وقد ثبت في شرعنا القول في حديث حويصة ومحيصة الثابت في الموطأ. وروى أبو داود أن رسول الله ﷺ قتل رجلاً بالقسامة وقد استبعد الشافعي وجماعة من
=

أي بقرة كانت لأجزأتهم ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم»[1] ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ﴾ [البقرة: 72] اختلفتم وقد افقتم ﴿فِيهَا﴾ أي: في النفس وفي الخبر: «ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة»[2] ﴿وَالله مُخْرِجٌ﴾ مظهر ﴿مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من أمر القتيل وهذا اعتراض وهو أول القصة.

﴿فَقُلْنَا﴾ [البقرة: 73] بعد ذبح البقرة ﴿اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ إما عجب الذنب أو اللسان أو فخذها الأيمن أو الغضروف بضم الغين وإسكان الضاد المعجمتين ثم راء وواو وفاء وهو أصل الأذن أو عضو من أعضائها لم يعين أقوال، رابعها لابن عباس، والأمر بالضرب ليحيى ويخبر عن قاتله، ففعلوا فقام حيًّا وقال: قاتلي فلان وفلان لابني عمه، ومات فحرما الميراث وقتلا أو قاتله ابن أخيه وفعل به ما ذكر ﴿كَذَلِكَ﴾ الإحياء ﴿يُحْيِي الله الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أن القادر على إحياء نفس قادر على إحياء نفوس جمة فتؤمنون.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: 74] أيها اليهود عن قبول الحق؛ أي: صلبت أو يبست وجفت مجازاة عن خروج الرحمة واللين ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الذي ظهر لكن ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ في القوة ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ كما وقع لموسى عليه السلام ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ عيونًا ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾ أي: ينزل من أعلى الجبل إلى أسفله كما وقع في تجلي الله للجبل ﴿مِنْ خَشْيَةِ الله﴾ فما لقلوبكم لا تلين ولا تخشع، والخشية في الحجارة ونحوها من الجمادات لما أودعه الله تعالى فيها من العلم، ولكل جماد صلاة وتسبيح، وثبت تسليم الأحجار عليه ﷺ وحنين الجزع ﴿وَمَا الله بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وإنما يؤخركم لوقتكم قُرأ بالياء من أسفل لابن كثير ولغيره بالتاء من فوق.

العلماء كالبخاري وغيره القول بالقسامة، وقالوا: كيف يقبل قوله في الدم وهو لا يقبل في درهم؟ والجواب أن السنة هي التي تمضي وترد ولا يعترض عليها، ولا تناقض فيها.

واعم أن هذه الآية تدل على حصر الحيوان المعين بالصفة، وقال أبو حنيفة: لا يتعين الحيوان بصفة، ولا يتعين بجهة والله أعلم. [الأحكام الصغرى ص21] بتحقيقنا.

(1) ذكره القرطبي في «تفسيره» (448/1)، والبغوي في «تفسيره» (106/1).

(2) ذكره البغوي في «تفسيره» (109/1).

﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [البقرة: ٧٥ - ٧٩].

﴿أَفَتطْمَعُونَ﴾ [البقرة: 75] خطاب النبي ﷺ وصحبه ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ أي: اليهود ﴿لَكُمْ﴾ لأجلكم ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ﴾ طائفة ﴿مِنْهُمْ﴾ أحبارهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ﴾ في التوراة ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ يبدلونه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ فهموه كتبديلهم آية الرجم ووصف محمد ﷺ وهل هم السبعون المختارون من قوم موسى، أم غيرهم؟ قولان: الأول لابن عباس ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أن الحق خلاف ما قالوه والهمزة للإنكار؛ أي: لا تطمعوا فلهم سابقة في الكفر.

﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ [البقرة: 76] أي: المنافقون منهم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ كإيمانكم ﴿وَإِذَا خَلَا﴾ رجع ﴿بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ لاموهم على ذلك ﴿قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ﴾ هل هو قصى أو بين أو أنزل أو منَّ؟ أقوال ﴿عَلَيْكُمْ﴾ من صفة محمد ﷺ ﴿لِيُحَاجُوكُمْ﴾ ليخاصموكم ﴿بِهِ﴾ أي: بما قلتم لهم ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ في الآخرة ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ذلك.

قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 77] أي: المنافقون ﴿أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ يخفون ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يبدون من ذلك ومن غيره فيرجعوا عن ذلك ﴿وَمِنْهُمْ﴾ [البقرة: 78] أي: اليهود ﴿أُمِّيُّونَ﴾ عوام، جمع أمي وهو الذي لا يحسن القراءة ولا الكتابة، نسبه إلى أمه كأنه باقٍ على حال انفصاله عنها ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ أي: الكتابة حتى يطالعون ويعرفون ما في التوراة ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَمَانِيَّ﴾ بتخفيف الياء في كل

القراءن لأبي جعفر وبالتشديد لغيره، وأماني جمع أمنية؛ أي: كذبة افتعلوها من قبل أنفسهم أو تلقوها من كبرائهم فاعتمدوها، وقيل: تلاوة لا يعرفون معناها فيكون نفي الكتاب نفيًا لفهمه أو الأماني ما يطلبونه لأنفسهم من الله على جهلهم ﴿وَإِنْ هُمْ﴾ ما هم في جحد نبوة محمد ﷺ وغيره مما يختلقونه ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ توهمًا لا يقينًا وقيل يكذبون.

﴿فَوَيْلٌ﴾ [البقرة: 79] هي كلمة يقولها كل من وقع هلكة، وهل هي دعاء الكفار على أنفسهم بالويل، أو هي شدة العذاب، أو واد في جهنم؟ أقوال ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ وهم اليهود ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ الله لِيَشْتَرُوا بِهِ﴾ يستبدلوا به ﴿ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ من متاع الدنيا نزلت في تغييرهم صفة محمد ﷺ وآية الرجم وغيرها وكتبوها على خلاف ما أنزل ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من المختلق ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ من الجرائم.

﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ٨٠ - ٨٣].

﴿وَقَالُوا﴾ [البقرة: 80] أي: اليهود لما وعدهم النبي ﷺ النار ﴿لَنْ تَمَسَّنَا﴾ تصيبنا ﴿النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ قيل: سبعة آلاف سنة، وقيل: أربعون يومًا عدة الدنيا أو عدة عبادة العجل، ثم نزول ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهم ﴿أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ الله عَهْدًا﴾ موثقًا بذلك أو عهدًا بالتوحيد ﴿فَلَنْ يُخْلِفَ الله عَهْدَهُ﴾ به لا ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى الله مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الكتاب.

﴿بَلَى﴾ [البقرة: 81] تمسكم وتخلدون فيها ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ﴾ الإحاطة الإحداق بالشيء من جميع جوانبه ﴿خَطِيئَتُهُ﴾ قرأ المدنيان «خطياءته» بالجمع والباقون بالإفراد، وهل المراد الشرك والإصرار على الكبائر، أو إهلاك الخطيئة له لكونها شركًا مات عليه؟ أقوال، الثاني منها لا معول عليه، والأول والأخير قول في المعنى ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [البقرة: 81 - 83] في التوراة وقلنا ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء من تحت، والباقون بالتاء والمعنى: «ألا تعبدوا» ﴿إِلَّا الله وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي: احسنوا أو يحسنون بالوالدين برًّا وتعظيمًا ومطاوعة إلا فيما نهى الله عنه ﴿وَذِي﴾ أصحاب ﴿الْقُرْبَى﴾ الأقارب ولو من ذوي الأرحام ﴿وَالْيَتَامَى﴾ جمع يتيم وهو صغير لا أب له ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ جمع مسكين، وهو هنا الفقير والتقدير وبذي القربى إلى آخره ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قرأ حمزة والكسائي ويعقوب وخلف بفتح السين والحاء والباقون بضم الحاء وإسكان السين، فالمراد على الأول: قولاً حسنًا وعلى الثاني: قولاً شأن محمد ﷺ قاله ابن عباس وغيره، وقيل: هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقيل: اللين في المعاشرة وحسن الخلق ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي: ما فرض عليكم من ذلك في ملتكم فقبلتم ذلك ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ﴾ ممن مات على حق اليهودية ولم يدرك محمدًا ﷺ أو أدركه ﷺ فأمن به ﴿وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ أصل الإعراض الذهاب عن المواجهة إلى جهة العرض والمراد هنا الإخبار بأنهم كآبائهم في الإعراض.

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا

تَعۡمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٨٤ - ٨٥].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ وقلنا ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ [البقرة: 84] أي: لا يسفك بعضهم دم بعض والسفك إراقة الدم إما مباشرة أو تسببًا ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ أي: لا يخرج بعضكم بعضًا، أو لا تؤذوا الجار بالسب ونحوه فيخرج ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ ألزمتكم ذلك ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ بذلك على أنفسكم ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ [البقرة: 85] والتقدير: يا هؤلاء ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ أي: يقتل بعضكم بعضًا إلى آخره ﴿تَظَاهَرُونَ﴾ بتاء واحدة وتشديد الظاء للجمهور وقرأ عاصم والكسائي وحمزة بتخفيف الظاء؛ أي: يتعاونون والظهير العون ﴿عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ﴾ المعصية ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ الظلم ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى﴾ قرأ حمزة «أسرى» بفتح الهمزة وإسكان السين من غير ألف والباقون بضم الهمزة وألف بعد السين وهو جمع «أسرى» كسكرى وسكارى، والأول جمع أسير كجريح وجرحى يفدوهم بالمال لإنقاذهم قرأ المدنيان وعاصم والكسائي ويعقوب ﴿تُفَادُوهُمْ﴾ بضم التاء وبألف بعد الفاء؛ أي: تبادلوهم أسيرًا بأسير والباقون بفتح التاء وإسكان الفاء بلا ألف ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ كما حرم عليكم ترك العذاب ونزلت لأن قريظة حالفت الأوس وحالف النضير الخزرج فكان كل يقاتل مع من حالفه ويخرب ديارهم ويخرجهم، فإذا أسروا فدوهم وكانوا إذا قيل لهم: لم تقاتلونهم وتفدونهم؟ قالوا: أمرنا بالفداء، فيسألون: لم تقاتلونهم؟ فيقولون: قاتلناهم حياء أن تستدل حلفاؤنا، فقال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ وهو الفداء ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ وهو ترك القتل والإخراج والمظاهرة ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بقتل قريظة وسبيهم وإجلاء النضير إلى الشام وضرب الجزية ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ في النار ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قرأ نافع وابن كثير وخلف وأبو بكر «يعملون» والباقون بالخطاب.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ

أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [البقرة: ٨٦ - ٨٩].

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ [البقرة: 86] فآثروا الفاني على الباقي ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ في الدنيا فلا ينقص الخزي ولا في الآخرة فلا ينقص عذاب النار ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يمنعون من عذاب الله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا﴾ [البقرة: 87] اتبعنا ﴿مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ الدلالات الواضحات وهي ما ذكر في آل عمران والمائدة وقيل الإنجيل ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾ قوّيناه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾[1] وهل هو جبريل يسير معه حيث سار، أو الروح ما نفخ فيه والقدس هو الله تعالى عز وجل أو الروح الظاهر أو الإنجيل واسم الله الأعظم؟ أقوال، أصحها الأول، والقدس الظاهر وهو بإسكان الدال لابن كثير وضمها لغيره ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى﴾ تحب ﴿أَنْفُسُكُمُ﴾ من الحق ﴿اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم

---

(1) قال البغوي في «تفسيره»: اختلفوا في روح القدس، قال الربيع وغيره: أراد بالروح الذي نفخ فيه، والقدس هو الله أضافه إلى نفسه تكريمًا وتخصيصًا نحو بيت الله، وناقة الله، كما قال: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾، وقيل: أراد بالقدس الطهارة، يعني الروح الطاهر سُمي روحه قدسًا؛ لأنه لم تتضمنه أصلاب الفحولة ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث، إنما كان أمرًا من أمر الله تعالى، قال قتادة والسدي والضحاك: روح القدس جبريل ﷺ قيل: وصف جبريل بالقدس؛ أي: بالطهارة؛ لأنه لم يقترف ذنبًا، وقال الحسن: القدس هو الله وروحه جبريل قال الله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ وتأييد عيسى بجبريل - عليهما السلام - لأنه أمر أن يسير معه حيث سار حتى صعد به الله إلى السماء، وقيل: سُمي جبريل ﷺ روحًا للطافته ولمكانته من الوحي الذي هو سبب حياة القلوب، وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: روح القدس هو اسم الله تعالى الأعظم به كان يحيي الموتى ويرى الناس به العجائب، وقيل: هو الإنجيل جعل له روحًا كما جعل القرآن روحا لمحمد ﷺ لأنه سبب لحياة القلوب، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا﴾ فلما سمع اليهود ذكر عيسى ﷺ فقالوا: يا محمد لا مثل عيسى - كما تزعم - عملت، ولا كما تقص علينا من الأنبياء فعلت، فأتنا بما أتى به عيسى إن كنت صادقًا.

عن اتباعه أو طلبتم الكبر ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ من الرسل كموسى وعيسى ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ كزكريا ويحيى والاستفهام للتوبيخ.

﴿وَقَالُوا﴾ [البقرة: 88] أي: اليهود للنبي محمد ﷺ استهزاء ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ جمع أغلف أي: مغشاة لا تعي ولا تفقه ما تقول، وقيل: أصله غلف بضم اللام جمع غلاف فخفف بالإسكان أي: هي أوعية للعلم فلا تسمع علمًا إلا وعته فلا تحتاج لعلم محمد ﷺ على زعمهم الكاذب أو هي أوعية لكل علم إلا علمك يا محمد ﷺ وقالوه تعززًا منهم عليه قال تعالى: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ﴾ أبعدهم عن رحمته وخذلهم عن القبول ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ وليس عدم قبولهم لخلل بقلوبهم ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: ما يؤمن منهم إلا قليلاً ولا يؤمنون إلا بقليل مما في أيديهم ويكفرون بأكثره، وقيل: المعنى لا يؤمنون كثيرًا ولا قليلاً كقولك لغيرك: ما أقل ما نفعل كذا؛ أي: لا نفعله أبدًا.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ [البقرة: 89] هو القرآن ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل نزوله ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ به فيقولون: إن زمان نبي جاء ومعه كتاب مصدق لما معنا، ويقولون: اللهم انصرنا ببعثة نبي آخر الزمان ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ من الحق وهو بعثة محمد ﷺ ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ حسدًا وخوفًا على الرئاسة ﴿فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ

ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [البقرة: ٩٠ - ٩٤].

﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا﴾ [البقرة: 90] باعوا ﴿بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: حظها من الثواب ﴿أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ من القرآن ﴿بَغْيًا﴾ طلبًا لما ليس لهم وحسدًا ﴿أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ﴾ بمعنى حسدوه على إنزاله أو لإنزاله ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ الوحي ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ للرسالة ﴿مِنْ عِبَادِهِ﴾ قرأ ابن كثير والبصريان «ينزله» الذي أوله الياء و«تنزل» الذي أوله التاء من فوق، و«ننزل» الذي أوله النون بالتخفيف، إلا قوله في الحجر «وما ننزله إلا بقدر معلوم» وافقهم حمزة والكسائي وخلف في «ينزل الغيث» في لقمان والشورى، وخفف ابن كثير «أن ينزل» آية في الأنعام، وخفف البصريان وحدهما «وننزل من القرآن» و«حتى تنزل علينا» في سبحان[1]، وخفف ابن كثير وأبو عمرو وحدهما «والله أعلم بما ينزل» في النحل، والباقون بالتشديد حيث وقع ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ﴾ وهو كفرهم بمحمد ﷺ ﴿عَلَى غَضَبٍ﴾ استحقوه، قيل: ذلك بسبب كفرهم بعيسى أو غضب الكفر وغضب الحسد ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ أي: مذل ذو إهانة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ [البقرة: 91] وهو جميع الكتب ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ وهو التوراة، قال تعالى: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ بما سواه أو بما بعده ﴿وَهُوَ﴾ أي: القرآن وما وراءه ﴿الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل هذا ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالتوراة وقد نهي فيها عن قتلهم، خُوطب بذلك من وجد في زمنه ﷺ لرضاه بفعل سلفه.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [البقرة: 92] الآيات التسع الآتية في الأعراف ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ إلهًا ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد ذهاب موسى للميقات ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ بذلك ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ [البقرة: 93] على العمل بما في التوراة ﴿وَ﴾ قد ﴿رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا﴾ أي: فقلنا خذوا ﴿مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجد وعزم على العمل به ﴿وَاسْمَعُوا﴾ سماع طاعة ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَأُشْرِبُوا﴾ أدخل العصيان ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ كإشراب اللون اللون لشدة الملازمة، يقال في الوصف

(1) يقصد به سورة «الإسراء».

مشرب اللون أي: مختلط البياض بالحمرة والمعنى أن حبه والحرص على عبادته داخلهم كما يداخل الثوب الصبغ ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ أي: بسببه ﴿قُلْ بِئْسَمَا﴾ شيئًا ﴿يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ عبادة العجل ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ والمراد إباؤهم فهم كذلك ليسوا بمؤمنين بما في التوراة، وقد كذبوا محمدًا ﷺ والإيمان بها لا يأمر بتكذيبه ﴿قُلْ﴾ [البقرة: 94] يا محمد ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ الجنة ﴿عِنْدَ الله خَالِصَةً﴾ خاصة ﴿مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ سائرهم أي: باقيهم كما زعمتم ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم إنها لكم خاصة، والتمني إرادة الشيء وسؤاله.

﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥) وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦) قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ (٩٨) وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (٩٩) أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٠) ﴾ [البقرة: ٩٥ - ١٠٠].

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ﴾ [البقرة: 95] بسبب ما قدمت ﴿أَيْدِيهِمْ﴾ أي: الذي فعلوه في الدنيا من الكفر بمحمد ﷺ المستلزم لكذبهم ﴿وَالله عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ [البقرة: 96] من وجدَّ بفعله الجاري مجرى علم ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ وأحرص ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ المنكرين للبعث لعلمهما بأن مصيره النار دون المشركين لإنكارهم له ﴿يَوَدُّ﴾ يريد ويتمنى ﴿أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ إما حقيقة أو المقصود المبالغة في الحياة حتى أنه لا يموت ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: ودَّه لذلك العمر ﴿بِمُزَحْزِحِهِ﴾ بمباعده ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ بالنار ﴿أَنْ يُعَمَّرَ﴾ أي: ما يبعده عن العذاب طول عمره ﴿وَالله بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم، قرأ يعقوب بالتاء خطابًا والباقون بالباء.

﴿قُلْ﴾ [البقرة: 97] لهم ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ من اليهود فليمت غيظًا كعبد الله بن صوريا الذي تنزلت الآية بسببه؛ لأنه سأل النبي ﷺ أو سأل عمر ﷺ عمن يأتي بالوحي من الملائكة فقال: هو جبريل فقال: هو عدونا يأتي بالعذاب، ولو كان ميكائيل لآمنا؛ لأنه يأتي بالخصب والسلامة، قرأ حمزة والكسائي وخلف والعليمي عن أبي بكر «جبريل» هنا وفي التحريم بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة بعدها ياء، وأبو بكر من طريق يحيى بن آدم كذلك إلا أنه يحذف الياء، وابن كثير بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز والباقون كذلك إلا أنهم يكسرون الجيم ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ أي: جبريل نزل القرآن ﴿عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ بتيسيره وأمره ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَبُشْرَى﴾ بالجنة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ * مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: 97 - 98] هكذا قرأه البصريان وأبو حفص بغير همز ولا ياء بعد الألف، ونافع وأبو جعفر وقنبل من طريق ابن شنبوذ بهمزة من غير ياء بعدها، والباقون بهمزة بعدها ياء ﴿فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ﴾ وعداوة الله انتقامه من خلقه ﴿لِلْكَافِرِينَ * وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ [البقرة: 98 - 99] يا محمد ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ دلالات واضحات، ونزلت ردًّا لقول ابن صوريا ما جئتنا بشيء ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ الخارجون عن الطاعة وكفروا بها.

﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا﴾ [البقرة: 100] الله ﴿عَهْدًا﴾ على الإيمان بمحمد ﷺ أن بعث أو المراد عاهدوا النبي ﷺ أن لا يعاونوا عليه مشركًا ﴿نَبَذَهُ﴾ بعضهم وطرحه ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ ينقصه ومحل الإنكار التبديل ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ

مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۖ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [البقرة: ١٠١ - ١٠٣].

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ [البقرة: 101] وهو محمد ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ﴾ وهو التوراة ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ كناية عن عدم الالتفات إليه والاعتناء به ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنه من عند الله أو لا يعلمون ما فيه من أنه نبي حق ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ [البقرة: 102] عطف على نبذ ﴿مَا تَتْلُو﴾ أي: تلت ﴿الشَّيَاطِينُ﴾ من كتب السحر أي: تقرأ أو تتعلم أو تدرس، وهو شامل شياطين الجن والإنس ﴿عَلَى مُلْكِ﴾ عهد ﴿سُلَيْمَانَ﴾ أي: أيامه من السحر، وكانت دفنته تحت كرسيه لما نزع ملكه، أو لأن الشيطان كان يكذب على الكاهن بعد استراقه السمع في أيامه فيدون كذبه فغشي وشاع علم الجن للغيب؛ فجمع سليمان الكتب ودفنها فدل الشياطين عليها بعد موته زاعمين أن ملك سيلمان كان بها فتعلمه الناس ورفضوا كتب الأنبياء إليهم، فقال تعالى ردًا على اليهود في قولهم: ذكر محمد سليمان وما كان إلا ساحرًا أو تبرئة لسليمان ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ أي: لم يعمل سحرًا يكفر به إمَّا حقيقة، وإما للنعمة ﴿وَلَكِنَّ﴾ بتخفيف النون لابن عامر وحمزة والكسائي ﴿الشَّيَاطِينَ﴾ رفع وافقهم خلف هنا وفي الأنفال: «ولكن الله قتلهم» «ولكن الله رمى» برفع الجلالة فيهما، وكذا قرأ نافع وابن عامر «ولكن البر من آمن» «ولكن البر من اتقى» في هذه السورة، وكذا حمزة والكسائي وخلف «ولكن الناس أنفسهم يظلمون» في يونس، والباقون بالتشديد والنصب في الستة ﴿كَفَرُوا﴾ باتِّباع السحر ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ أي: بعض الناس بعض السحر فهو عام أريد به الخاص ﴿وَمَا أُنْزِلَ﴾ أي: ويعلمون الناس ما أنزل ﴿عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾ وهي بابل العراق سُميت بذلك لتبلبل أي: اختلاف الألسن بها عند سقوط صرح نمرود، والمراد بالإنزال الإلهام ﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ ملكان أنزلا؛ لتعليمه ابتلاء من الله للناس، وقيل: رجلان ويرده فتح لام ملك ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾ أي: الملكين ﴿مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا﴾ له نصحًا ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي: ابتلاء للناس ومحنة واختبار ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ بتعلمه معتقدًا له، بل إذا تعلمته كن

متعلمًا؛ لتجنب الضرر ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ أي: من الملكين ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ﴾ أي: بسببه ﴿بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ بأن يبغض كل الآخر ﴿وَمَا هُمْ﴾ أي: المتعلمون ﴿بِضَارِّينَ بِهِ﴾ أي: بالسحر ﴿مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾ إرادته ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ في الآخرة كما ذكرنا ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ بالثواب عند الله ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ أي: اليهود ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ أي: اختاره أو استبدل بكتاب الله ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ نصيب في الجنة ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: الشاري أن تعلموه لإيجابه لهم النار ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أمره كله بالتكفر أو قبحه على التعيين أو حقيقة ما يصيرون إليه من العذاب ما تعلموه.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ [البقرة: 103] أي: اليهود ﴿آمَنُوا﴾ بالرسول والكتاب ﴿وَاتَّقَوْا﴾ العقاب أو السحر والكفر، وجواب لو حذف لدلالة ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ أي: لا يثبوا مثوبة وهي الثواب ﴿مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ﴾ من كل ما سوى ذلك ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أن ثواب الله خير لما آثروه عليه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١٠٥) مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٠٧)﴾ [البقرة: ١٠٤ - ١٠٧].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: 104] كان اليهود يقولون لرسول الله ﷺ راعنا لما سمعوا المسلمين يقولون ذلك، وقصد المسلمين بها فرغ سمعك لكلامنا وهو عند اليهود بمعنى الرعونة والحمق ﴿لَا تَقُولُوا﴾ للنبي ﷺ ﴿رَاعِنَا﴾ حذرًا من الدخول في الذم وأول من فطن لذلك سعد بن معاذ ﷺ ﴿وَقُولُوا انْظُرْنَا﴾ بدلها؛ أي: انظر إلينا أو انتظرنا وتأنَّ بنا أو فهمنا ﴿وَاسْمَعُوا﴾ لما أنزل عليكم من الرسول ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم وهو النار ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: 105] من العرب نزلت في قوم ادعوا حب المؤمنين من الكفار ﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ

﴿خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ حسدًا لكم ﴿وَالله يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ بنبوته ﴿مَنْ يَشَاءُ وَالله ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ [البقرة: 106] اعترضت اليهود والكفار على النسخ، وقالوا: إن محمدًا يأمر بأمر اليوم ويهنى عنه غدًا فنزلت، وقرأ ابن عامر في بعض طرقه «ما ننسخ» بضم النون الأولى وكسر السين؛ أي: نجعله في المنسوخ أو نسخه لك، والباقون بفتحها على إرادة النسخ، وهو رفع متعلق الحكم الأول الثابت بالخطاب إما إلى بدل أو إلى غيره ﴿أَوْ نُنْسِهَا﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح النون الأولى وإسكان الثانية وفتح السين وبعدها همزة ساكنة ومعناها: نتركها بلا نسخ، وقرأ الباقون بضم النون الأولى وكسر السين من غير همز ومعناه بنفيها على قلبك بغير نسخ، أو نأمرك بتركها ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ للعباد إما في كونه أخف أو أكثر ثوابًا ﴿أَوْ مِثْلِهَا﴾ في التكليف وكثرة الأجر ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ استفهام تقريري.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ [البقرة: 107] للتصدير كالأول ﴿أَنَّ الله لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ الله﴾ أي: غير ﴿مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ أي: حفيظ ولا مانع ونزلت عند سؤال أهل مكة لرسول الله ﷺ أن يوسعها، ويجعل لهم الصفا ذهبًا.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ

يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٨ - ١١٣].

﴿**أَمْ**﴾ [البقرة: 108] بل ﴿**تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ**﴾ محمدًا ﷺ ﴿**كَمَا سُئِلَ مُوسَى**﴾ عليه السلام ﴿**مِنْ قَبْلُ**﴾ في قول قومه له ﴿**أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً**﴾ [النساء: 153] وغير ذلك، فلا تتعنتوا بذلك بل عليكم بالثقة بما يقول وترك الاختلاف ﴿**وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ**﴾ أي: يأخذ الكفر عوضًا عن الإيمان بترك نظره في آياته ﷻ الواضحة واقتراح غير ذلك ﴿**فَقَدْ ضَلَّ**﴾ أخطأ ﴿**سَوَاءَ**﴾ وسط ﴿**السَّبِيلِ**﴾ الطريق.

﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**﴾ [البقرة: 109] أي: أحبارهم ﴿**لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا**﴾ أي: مرتدين ﴿**حَسَدًا**﴾ أي: ودوا ذلك للحسد ﴿**مِنْ عِنْدِ**﴾ من قبل ﴿**أَنْفُسِهِمْ**﴾ بالتشهي ﴿**مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا**﴾ بترك عقوبة الذنب ﴿**وَاصْفَحُوا**﴾ لا تعتبوا عليه ﴿**حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ**﴾ بالقتال ﴿**إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾.

﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ**﴾ [البقرة: 110] مما ذكر من الصلاة وغيرها ﴿**تَجِدُوهُ**﴾ أي: ثوابه ﴿**عِنْدَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَقَالُوا**﴾ [البقرة: 111] أي: اليهود من المدينة والنصارى من أهل نجدان لما تناظروا بين يدي النبي ﷺ ﴿**لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى**﴾ لفهم قول الفريقين ثقة بفهم السامع أن كلا أثبت دخول نفسه فقط ﴿**تِلْكَ**﴾ القولة ﴿**أَمَانِيُّهُمْ**﴾ أكاذيبهم ﴿**قُلْ**﴾ لهم يا محمد ﴿**هَاتُوا**﴾ أقيموا وأحضروا ﴿**بُرْهَانَكُمْ**﴾ حجتكم على دعواكم ﴿**إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ في دعواكم.

﴿**بَلَى**﴾ [البقرة: 112] يدخل الجنة غيركم ﴿**مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ**﴾ أخلص نفسه قصدًا منه إذا لأمره خص الوجه؛ لأنه أشرف أعضاء الإنسان ﴿**لِله وَهُوَ مُحْسِنٌ**﴾ في العمل أو بالتوحيد ﴿**فَلَهُ أَجْرُهُ**﴾ بالجنة ﴿**عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ**﴾ [البقرة: 112 - 113] أي: كل ليس على معتد به ﴿**وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ**﴾ الذي حصل به العلم وفيه صدق نبوة موسى وفي التوراة صدق نبوة عيسى ﴿**كَذَلِكَ**﴾ مثل ما قالوا ﴿**قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ كتابًا وهم عبدة الأصنام والمعطلة ﴿**مِثْلَ قَوْلِهِمْ**﴾ وبخهم على

ذلك حيث اشهوا به الجهال، وذم كلا من الفريقين لأنه قصد إبطال دين الآخر من أصله، وإن كانوا الآن ليسوا على شيء ﴿فَالله يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين هذه الفرق ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من ذلك ومن غيره فللمحق الجنة ولغيره النار.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾ [البقرة: ١١٤ - ١١٩].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ [البقرة: 114] أي: لا أظلم ﴿مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ الله أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ صلاة وتسبيحًا ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ بتعطيلها من ذلك أو هدمها، وهل نزلت في تخريب الروم بيت المقدس أو في من صد محمدًا ﷺ عام الحديبية عن البيت؟ قولان، ﴿أُولَئِكَ﴾ المذكورون ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ خبر بمعنى الأمر فنخيفهم فلا يدخلوه آمنين والحكم إنا نمنع الكفار من دخول الحرم مطلقًا، ويجوز لهم دخول غيره بإذن مسلم بالغ ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ بالقتل والسبي وضرب الجزية ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ بكفرهم.

﴿وَلله الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ [البقرة: 115] أي: جهتي الأرض كلها ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ تقصدوا بوجوهكم ﴿فَثَمَّ﴾ هناك ﴿وَجْهُ الله﴾ أي: الجهة التي أمر بها فالمعنى إذا منعتم من دخول المسجد الحرام والتوجه إلى الكعبة فصلوا في أي جهة كانت؛ إذ الأرض جعلت لكم مسجدًا وطهورًا، ونزلت لطعن اليهود في نسخ القبلة أو في التوجه على الراحلة في نقل السفر لجهة المقصد ﴿إِنَّ الله وَاسِعٌ﴾ غني يعطي من السعة أو

واسع المغفرة أو واسع عطاؤه ﴿عَلِيمٌ * وَقَالُوا﴾ [البقرة: 115 - 116] قرأ ابن عامر «عليم قالوا» بلا واو، والباقون بالواو والضمير لليهود في قولهم: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ﴾ [التوبة: 13] وللنصارى في قولهم: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ﴾ ولمشركي العرب في قولهم: الملائكة بنات الله ﴿اتَّخَذَ الله وَلَدًا﴾ قال تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ عن طلحة بن عبيد الله قال سألت رسول الله ﷺ عن تفسير سبحان الله فقال: هو تنزيه الله عن كل سوء ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فخلق الكل وملكه ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾[1] طائعون كل بما يراد منه أو مقرون بالشهادة، وقيل: بالعبودية، وأصل القنوت القيام، وما كان كذلك لم يجانس الله حتى يكون ولدًا له بل ذلك مناف.

---

(1) قال الفخر الرازي: فيه مسائل:

المسألة الأولى: القنوت: أصله الدوام، ثم يستعمل على أربعة أوجه: الطاعة، كقوله تعالى: ﴿يا مريم اقنتي لِرَبّكِ﴾ [آل عمران: 43] وطول القيام، كقوله عليه السلام لما سئل: أي الصلاة أفضل؟ قال: «طول القنوت» وبمعنى السكوت، كما قال زيد بن أرقم: كنا نتكلم في الصلاة حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِله قانتين﴾ [البقرة: 238] فأمسكنا عن الكلام، ويكون بمعنى الدوام، إذا عرفت هذا فنقول: قال بعض المفسرين: ﴿كُلٌّ لَّهُ قانتون﴾ أي: كل ما في السماوات والأرض قانتون مطيعون، والتنوين في كل عوض عن المضاف إليه وهو قول مجاهد وابن عباس. فقيل لهؤلاء الكفار: ليسوا مطيعين، فعند هذا قال آخرون: المعنى أنهم يطيعون يوم القيامة، وهو قول السدي، فقيل لهؤلاء: هذه صفة المكلفين، وقوله: ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَوات﴾ يتناول من لا يكون مكلفاً فعند هذا فسروا القنوت بوجوه أخر. الأول: بكونها شاهدة على وجود الخالق سبحانه بما فيها من آثار الصنعة وأمارات الحدوث والدلالة على الربوبية. الثاني: كون جميعها في ملكه وقهره يتصرف فيها كيف يشاء، وهو قول أبي مسلم، وعلى هذين الوجهين الآية عامة. الثالث: أراد به الملائكة وعزيراً والمسيح، أي: كل من هؤلاء الذين حكموا عليهم بالولد أنهم قانتون له، يحكى عن علي بن أبي طالب قال لبعض النصارى: لولا تمرد عيسى عن عبادة الله لصرت على دينه، فقال النصراني: كيف يجوز أن ينسب ذلك إلى عيسى مع جده في طاعة الله، فقال علي رضي الله عنه: فإن كان عيسى إلهاً فالإله كيف يعبد غيره إنما العبد هو الذي يليق به العبادة، فانقطع النصراني.

المسألة الثانية: لما كان القنوت في أصل اللغة عبارة عن الدوام كان معنى الآية أن دوام الممكنات وبقاءها به سبحانه ولأجله وهذا يقتضي أن العالم حال بقائه واستمراره محتاج إليه سبحانه وتعالى، فثبت أن الممكن يقتضي أن لا تنقطع حاجته عن المؤثر لا حال حدوثه ولا حال بقائه.

المسألة الثالثة: يقال كيف جاء بما الذي لغير أولي العلم مع قوله: ﴿قانتون﴾ جوابه: كأنه جاء بما دون من تحقيراً لشأنهم. [تفسير الرازي (2/ 311)].

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: 117] أي: مخترعهما لا على مثال سبق ﴿وَإِذَا قَضَى﴾ إذا أراد ﴿أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ خاطبه وإن كان معدومًا لتنزيله منزلة الموجود، وقيل: المعنى إنما قوله لإجابة كن فيكون، والمراد أحدث فيحدث والتحقيق من ضرب المثل؛ لأن الله تعالى وتقدس في إبداعه للأشياء إذ أراد وجودها تحصل بلا توقف في أسرع وقت وقرأ ابن عامر «كن فيكون» بنصب النون حيث وقع إلا قوله: ﴿فَيَكُونُ * الْحَقُّ﴾ [آل عمران: 59 - 60] في آل عمران، و﴿فَيَكُونُ قَوْلُهُ﴾ [الأنعام: 56]، في الأنعام والمختلف فيه ستة هنا وأول آل عمران: ﴿فَيَكُونُ * وَيُعَلِّمُهُ﴾ [آل عمران: 47 - 48] والنحل: ﴿فَيَكُونُ * وَالَّذِينَ﴾ [النحل: 40 - 41] وفي مريم: ﴿فَيَكُونُ * وَإِنَّ اللهَ رَبِّي﴾ [مريم: 35 - 36] وفي يس: ﴿فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ﴾ وفي المؤمن ﴿فَيَكُونُ * أَلَمْ تَرَ﴾ [غافر: 68 - 69] وافقه الكسائي في النحل وليس والباقون بالرفع في الستة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 118] من جهلة المشركين ومتجاهلي أهل الكتاب للنبي ﷺ: ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿يُكَلِّمُنَا اللهُ﴾ أنك رسوله كما كلم الملائكة ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ أي: حجة مما اقترحناه بأنك صادق ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما قال هؤلاء ﴿قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من كفار الأمم السالفة لأنبيائهم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ من التعنت وطلب الآيات نحو قولهم ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: 153] ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ في العمى عن الحق والعناد وفيه تسلية له ﷺ ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1] أي: يطلبون اليقين أو يوقنون

---

(1) ذكر سبحانه امتنانه على المؤمنين بما خاطبهم بمجموع كلامه القديم الذي أبنا ما عنده لهم من مذخور السعادات، وسني الكرامات، وعظيم الدرجات، ودعاهم به إلى أعمال ذكية، وأحوال شريفة، ومقامات عزيزة، وعرّفهم به أسمائه ونعوته وصفاته وذاته تعالى وأفعاله في انتظام صنائعه، وإعلام قدرته وبدّلهم به إلى المعرفة كل صفة من صفاته القديمة التي معرفتها معرفة ذاته تعالى، عرّف نفسه به للعارفين، وفتح بمفاتيحه كنوز غيبه للروحانيين، وكشف قناع الجهل بأنواره عن قلوب الغافلين والعالمين، وجذب بلطائفه قلوب المحبين والمشتاقين والعاشقين إلى مشاهدته ووصاله، ورتّب فيه مقامات العبودية ومعارف الربوبية، وذلك صدر منه بسابق علمه وقديم حكمه، ويهدي به إلى نفسه قلوب المؤمنين به، وذلك منه رحمة كافية للعموم والخصوص، وكان رحمته سبقت في الأزل لمَنْ خاطبه سبحانه بنعمة هدايته به إليه، وأي نعمة أعظم من إنزاله كلامه إلينا الذي يعتقنا من رق النفوسية، ويخلصنا من شهوات الشيطانية، =

بالحق بلا شبهة ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: 119] بالهدى ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ﴾ بفتح التاء وإسكان اللام لنافع ويعقوب، والباقون بضم التاء واللام ﴿عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ فلا يقال لك: ما لهم لم يؤمنوا؛ لأن المدار على التبليغ وقد حصل.

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٠ - ١٢٣].

﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: 120] فهم لا يتبعونك أصلاً؛ لأنك معصوم من ذلك ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى﴾ وهداه الإسلام ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ آراهم الفاسدة ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ وهو الوحي ﴿مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: 120 - 121] كعبد الله بن سلام ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ بلا تحريف أو يحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمشابهه ويكلون علم ما عدا ذلك إلى الله أو يتبعونه حق اتباعه ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ﴾ به لعلمهم به، نزلت في جماعة قدموا من الحبشة وأسلموا ﴿بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ أي: بالكتاب المنزل بتحريف أو غيره ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لشرائهم الكفر بالإيمان.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 122] في زمانكم ﴿وَاتَّقُوا﴾ [البقرة: 123] خافوا ﴿يَوْمًا لَا تَجْزِي﴾ يغني

=

ويهدينا بنور إلى أنوار الربانية، والحمد لله الذي أمنن علينا بفواتح أنعامه ولطائف إكرامه واصطفانا بخطابه، وجعل استماعنا محل استماع كلامه وقلوبنا أوطان بيانه وأسرارنا أوعية أنوار سلطانه وأرواحنا خزائن عرفانه، وعقولنا مشاهد برهانه وأبداننا مساقط شرائعه من قرآنه.

﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ﴾ فيه ﴿شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فداء ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يمنعون من العذاب.

﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٤ - ١٢٦].

﴿وَإِذِ ابْتَلَى﴾ [البقرة: 124] أخبر بأوامر ونواهي ﴿إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قام بحملتهن واختلف في تعينها هل هي شرائع الإسلام الثلاثون عشرة في براة: ﴿التَّائِبُونَ العَابِدُونَ.... ﴾ إلى آخرها، وعشرة في: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ.... ﴾ إلى آخرها، وعشرة في الأحزاب ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ إلى آخرها، أو هي العشرة المطلوبة في الرأس والوجه والبدن وقص الشارب والمضمضة والاستنشاق وفرق الرأس والسواك ونتف الإبط وحلق العانة وتقليم الأظفار والختان والاستنجاء بالماء أو هي الآيات في قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ إلى آخر الآية؟ أقوال، روي أولها وثانيها عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تعالى له: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يقتدون بك في أمورهم ﴿قَالَ وَ﴾ اجعل ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ كذلك ﴿قَالَ لَا يَنَالُ﴾ أي: لا يصيب ﴿عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أشار به إلى أن بعضهم لا يستحق ذلك وهل المراد الرحمة أو النبوة أو الإمامة؟ أقوال، أصحها آخرها.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ [البقرة: 125] الكعبة ﴿مَثَابَةً﴾ مرجعًا ومعاذًا وملجأ من كل جانب فإن من تقدم كانوا يوقرون أهل مكة، ويقولون: هم أهل الله فلا يصل إليهم الأذى ﴿لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ محلاً يأمنون فيه من الظلم والإغارة الواقعين في غيره كان الرجل يلقى قاتل أبيه فيه فلا يهجيه ﴿وَاتَّخِذُوا﴾ أي: وقلنا اتخذوا، وقرأ نافع وابن عامر «واتخذوا» بفتح الخاء، والباقون بالكسر ﴿مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ وهو الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت ﴿مُصَلًّى﴾ مكان صلاة بأن تصلوا خلفه ركعتي الطواف وندب

أن يقف الإمام خلفه ويستدير [المأموم][1] حول البيت، قرأ ابن عامر سوى النقاش عن الأخفش «إبراهام» بالألف في ثلاثة وثلاثين موضعًا، خمسة عشر في هذه السورة.

وفي النساء ثلاثة وهي الأخيرة: **«ملة إبراهام حنيفًا»**، و«**اتخذ الله إبراهام خليلاً**»، و«**أوحينا إلى إبراهام**».

وفي الأنعام الموضع الأخير وهو: «**ملة إبراهام**».

وفي التوبة موضعان وهما الأخيران: «**وما كان استغفار إبراهام**»، «**إن إبراهام لأواه**».

وفي إبراهيم: «**وإذ قال إبراهام**».

وفي النحل موضعان: «**إن إبراهام كان أمة**»، و«**ملة إبراهام**».

وفي مريم ثلاثة: «**في الكتاب إبراهام**»، و«**عن آلهتي يا إبراهام**»، و«**ومن ذريته إبراهام**».

وفي العنكبوت الموضع الأخير وهو: «**لما جاءت رسلنا إبراهام**».

وفي الشورى: «**وما وصينا به إبراهام**».

وفي الذاريات: «**حديث ضيف إبراهام**».

وفي النجم: **«وإبراهام الذي وفى»**.

وفي الحديد: «**نوحًا وإبراهام**».

وفي الممتحنة موضع واحد وهو: «**أسوة حسنة في ابراهام**».

وروى جماعة المغاربة عن ابن الأحزم عن الأخفش عن ابن ذكوان بالألف في البقرة خاصة، وبه قرأ الداني عن أبي الحسن في أحد وجهيه، وروى النقاش عن الأخفش عن ابن ذكوان بالياء في الجميع وكذلك الباقون ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ أمرناهما ووصيناهما ﴿أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ بأن طهراه عن الأوثان وقول الزور والريب، وقيل: ابنياه على الطهارة وقيل بخراه وخلعاه ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ فاعلي العبادة المخصوصة، وقيل: الغرباء ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ المجاورين فيه، وقيل: أهل مكة ﴿وَالرُّكَّعِ﴾ جمع راكع ﴿السُّجُودِ﴾ جمع ساجد، والمراد: المصلون والصلاة بمكة أفضل من

(1) في المخطوطتين: «المأمون»، ولعله سهو ناسخ أو سبق قلم، والله أعلم.

الطواف، وقيل هو للغرباء أفضل.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا﴾ [البقرة: 126] البلد أو المكان ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾ ذا أمن، فأجيب بحرمة صيده وجعله محلاً لا يليق به ظلم ولا يختلى خلاه؛ أي: لا يقطع شجره ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ ففعل بنقل الطائف إليه من الشام وكان أقفر بلا زرع ولا ماء ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ﴾ تعالى ﴿وَ﴾ أرزق ﴿مَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ﴾ بضم الهمزة وإسكان الميم وكسر التاء وضم العين لابن عامر، والباقون أمتعه بفتح الميم وتشديد التاء وكسرها، والمعنى: أنه يبقى في الدنيا بالرزق ﴿قَلِيلًا﴾ مدة حياته ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾ أي: ألجأه في الآخرة ﴿إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾ فلا يجد عنها مفر ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ العذاب أو المرجع هي.

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٣٠].

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ﴾ [البقرة: 127] جمع قاعدة وهي الأساس ورفعها البناء عليها ﴿مِنَ الْبَيْتِ﴾ أي: يرفع قواعده بالإعلاء معنى بالدعاء إلى الحج وحسًا بالبناء ﴿وَإِسْمَاعِيلُ﴾ معه وكان يناوله الحجارة يقولان ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ بنانا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لدعائنا ﴿الْعَلِيمُ﴾ بفعلنا ونياتنا ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة: 128] من الإخلاص والاستسلام ﴿وَ﴾ اجعل ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾ أولادنا ﴿أُمَّةً﴾ جماعة ﴿مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا﴾ قرأ ابن كثير ويعقوب «أرنا» و«أرني» حيث وقع بإسكان الراء وافقهما في فصلت ابن ذكوان وأبو بكر والحلواني عن ابن هشام واختلف عن أبي عمرو فروى كثير من العراقيين عنه في الروايتين كذلك وروى الآخرون عنه الاختلاس، وروى الداني ومن وافقه من المغاربة الإسكان للسوسي والاختلاس للدوري، والباقون بالكسر، والمراد: عرِّفنا ﴿مَنَاسِكَنَا﴾ هي مناسك الحج أو شرائع العبادة ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا

إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ سألاه ذلك تواضعًا منهما وتعليمًا لغيرهما.

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾ [البقرة: 129] أي: في ذريتنا ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ وهو محمد ﷺ إذ لم يبعث من ذرية إسماعيل غيره ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ القرآن ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ هل هي فهم القرآن أو مواعظه أو العلم والعمل لأن الرجل لا يكون حكيمًا حتى يجمعهما أو السنة أو الفقه؟ أقوال، أقربها الرابع ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ هل المراد أنه يطهرهم من الشرك أو يأخذ منهم الزكاة أو يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة؟ أقوال، أقربها الأول ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يوجد مثله ﴿الْحَكِيمُ * وَمَنْ﴾ [البقرة: 129 - 130] أي: لا ﴿يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ﴾ دين ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: يتركها والرغبة في الشيء أخذه وعن الشيء تركه ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ خسرها، وقيل: ضل من قبلها، وقيل: أهلكها، وقيل: جهلها أو جهل أنها مخلوقة لله يجب عليها عبادته أو استخف بها وامتهنها ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ﴾ اخترناه ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بالنبوة والرسالة والخلة وإن جميع الأنبياء بعده من ولده ﷺ ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٣١ - ١٣٤].

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ [البقرة: 131] أي: استقم أو أخلص ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى﴾ [البقرة: 131 - 132] قرأ المدنيان وابن عامر «وأوصى» بهمزة مفتوحة بين الواوين مع تخفيف الصاد، والباقون بتشديد الصاد من غير همز ﴿بِهَا﴾ عائد على ملته، وقيل: على كلمة الإخلاص التي هي ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ أي: ووصى بها يعقوب بنيه أيضًا ﴿يَا بَنِيَّ﴾ أي: قال يا بني ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ الإسلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ نهى عن تركه وأمر بدوامه للموت ومعنى مسلمون مخلصون، وقيل: مؤمنون، وقيل: محسنون،

ولما قال اليهود لمحمد ﷺ: ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية نزل ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ [البقرة: 133] حضورًا ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ بعد موتي وأراد بالسؤال تقريرهم على الإسلام ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ وعد إسماعيل من الأب؛ لأن العم كالأب أو هو من باب التغليب أو هو من الوقار ﴿إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ مخلصون ومنقادون والاستفهام للإنكار.

﴿تِلْكَ﴾ [البقرة: 134] أي: إبراهيم ويعقوب وبنيهما ﴿أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من العمل أي: جزاؤه ﴿وَلَكُمْ﴾ الخطاب لليهود ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ منه ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ولا يسألون عن عملكم.

﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٥ - ١٣٨].

﴿وَقَالُوا﴾ [البقرة: 135] أي: أهل الكتاب ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ أو للتفصيل وقال: الأول يهود المدينة، والثاني نصارى نجران ﴿تَهْتَدُوا﴾ جواب الأمر ﴿قُلْ بَلْ﴾ نتبع ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ فقط ﴿حَنِيفًا﴾[1] هو المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام ﴿وَمَا

---

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الأديان المكروهة إلى الحق دين إبراهيم، وهو في موضع نصب على الحال، قاله الزجاج؛ أي: بل نتبع ملة إبراهيم في هذه الحالة، وقال علي بن سليمان: هو منصوب على أعني، والحال خطأ، لا يجوز جاءني غلام هند مسرعة، وسُمي إبراهيم حنيفًا؛ لأنه حنف إلى دين الله وهو الإسلام، والحنف: الميل، ومنه رجل حنفاء، ورجل أحنف، وهو الذي تميل قدماه كل واحدة منهما إلى أختها بأصابعها، وقال قوم: الحنف =

كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ غرض فيه بالرد على من زعم أنه اتبعه في الشرك.

﴿قُولُوا﴾ [البقرة: 136] أيها المؤمنون ﴿آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ الصحف العشر ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ جمع سبط وهو الحافد وهم من حفدة يعقوب أي: ذراري أبنائه الاثني عشر والسبط من بني إسرائيل كالقبيلة من ولد إسماعيل ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ التوراة ﴿وَعِيسَى﴾ وهو الإنجيل ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ من الكتب والآيات ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ فنؤمن بالكل بخلاف اليهود والنصارى حيث آمنوا ببعض وكفروا ببعض ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ آمَنُوا﴾ [البقرة: 136 - 137] أي: اليهود والنصارى ﴿بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ أي: إيمانًا مثل إيمانكم أو آمنوا بما آمنتم به ﴿فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الإيمان ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ خلاف لكم ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ﴾ يا محمد أي: يكفيك شقاقهم ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ وقد كفاه إياهم بقتل قريظة ونفي النضير وضرب الجزية عليهم.

﴿صِبْغَةَ اللهِ﴾[1] [البقرة: 138] دينه أو هدايته أو تطهيره أي: صبغة الله وسُمي ما ذكر بذلك لظهور أثره على صاحبه ﴿وَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ ولما قال اليهود للمسلمين نحن أهل الكتاب الأول وقبلتنا أقدم ولم تكن الأنبياء من العرب ولو كان محمد نبيًا لكان منا فنزل تهديدًا لهم.

﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ

=

الاستقامة، فسُمي دين إبراهيم حنيفًا لاستقامته، وسُمي المعوج الرجلين أحنف تفاؤلاً بالاستقامة، كما قيل للديغ سليم، وللمهلكة مفازة، في قول أكثرهم.

(1) أي: هيئة صبغ الملك الأعلى التي هي حلية المسلم وفطرته كما أن الصبغة حلية المصبوغ حالاً تقاضاها معنى الكلام، وعاب على النحاة كونهم لا يعرفون الحال إلا من الكلم المفردة ولا يكادون يتفهمون الأحوال من جملة الكلام، وقال: الصبغة تطوير معاجل بسرعة وحيه، وقال: فلما كان هذا التلقين تلقيناً وحياً سريع التصيير من حال الضلال المبين الذي كانت فيه العرب في جاهليتها إلى حال الهدى المبين الذي كانت فيه الأنبياء في هدايتها من غير مدة جعله تعالى صبغة كما يصبغ الثوب في الوقت فيستحيل من لون إلى لون في مقابلة ما يصبغه أهل الكتاب بأتباعهم المتبعين لهم في أهوائهم في نحو الذي يسمونه الغِطاس. [نظم الدرر للبقاعي (1 / 195)].

وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٩ - ١٤٢].

﴿قُلْ﴾ [البقرة: 139] لهم ﴿أَتُحَاجُّونَنَا﴾[1] تجادلوننا ﴿فِي اللهِ﴾ أي: من جهة أن اصطفى نبيًا من العرب ﷺ ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ فيصطفي من شاء ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ الدين والعمل دونكم فنحن أولى بالاصطفاء.

﴿أَمْ﴾ [البقرة: 140] بل ﴿تَقُولُونَ﴾ بالتاء من تحت لكل القراء إلا ابن عامر وحمزة والكسائي فقرأوا بالتاء من فوق ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ﴾ لهم ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ﴾ أي: هو أعلم وقد نفاه عن إبراهيم والمذكور معه تبع له ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ﴾ أخفى ﴿شَهَادَةً عِنْدَهُ﴾ كائنة ﴿مِنَ اللهِ﴾ أي: لا أحد أظلم منه وكتموا شهادة الله في التوراة لإبراهيم بالحنيفية ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ليجازيكم.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة: 141 - 142] أي: اليهود ومن تابعهم في إنكار

---

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: قال الحسن: كانت المحاجة أن قالوا: نحن أولى بالله منكم، لأنا أبناء الله وأحباؤه، وقيل: لتقدم آبائنا وكتبنا، ولأنا لم نعبد الأوثان، فمعنى الآية: قل لهم يا محمد؛ أي: قل لهؤلاء اليهود والنصارى الذين زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه وادعوا أنهم أولى بالله منكم لقدم آبائهم وكتبهم: ﴿أَتُحَاجُّونَنَا﴾ أي: أتجاذبوننا الحجة على دعواكم والرب واحد، وكل مجازى بعمله، فأي تأثير لقدم الدين، وقراءة الجماعة: ﴿أَتُحَاجُّونَنَا﴾ وجاز اجتماع حرفين مثلين من جنس واحد متحركين؛ لأن الثاني كالمنفصل، وقرأ ابن محصين «أتحاجونا» بالإدغام لاجتماع المثلين، قال النحاس: وهذا جائز إلا أنه مخالف للسواد، ويجوز «أتحاجون» بحذف النون الثانية، كما قرأ نافع: ﴿فبم تبشرون﴾.

التحويل في القبلة ﴿مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ﴾ أي شيء صرفهم ﴿عَنْ قِبْلَتِهِمُ﴾ بيت المقدس ﴿الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ في الصلاة والإتيان بالسين الدالة على الاستقبال من الإخبار بالغيب ﴿قُلْ لِله الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ فالجهات له يوجه من شاء لما شاء ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣ - ١٤٥].

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [البقرة: 143] أي: كما أنعمت عليكم بالهداية إلى صراط مستقيم أنعمنا عليكم بالمذكور بقوله: ﴿جَعَلْنَاكُمْ﴾ يا أمة محمد ﷺ ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾[1] عدلاً أو

(1) قال العلامة ابن عادل: قال الجوهري في «الصحاح»: ﴿أُمَّةً وَسَطاً﴾ أي: عدلاً، وهو الذي قاله الأخفش، والخليل، وقطرب، فالقرآن والحديث والشعر يدلون على أن الوَسَط: خيار الشيء. وأما المعنى فمن وجوه. **أحدها**: أن الوسط حقيقة في البُعْد عن الطرفين، ولا شك أن طرفي الإفراط والتفريط رذيلتان، فالمتوسّط في الأخلاق يكون بعيداً عن الطرفين، فكان معتدلاً فاضلاً. **وثانيها**: إنما سمي العدل وسطاً؛ لأنه لا يميل إلى أحد الخصمين، والعدل هو المعتدل الذي لا يميل إلى أحد الطرفين. **وثالثها**: أن المراد بقوله: ﴿جُعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ طريقة المدح لهم؛ لأنه لا يجوز أن يذكر الله - تعالى - وصفاً، ويجعله كالعلة في أن جعلهم شهودًا له ثم عطف على ذلك شهادة الرسول، وذلك مدح، فثبت أن المراد بقوله: «وَسَطاً» ما يتعلّق بالمدح في باب =

خيارًا، وقيل: أهل دين وسط بين الغلو والتقصير وكلاهما مذموم في الدين ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ﴾ في الدار الآخرة ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ تبليغ أنسابهم لهم الدال على ذلك قراءتهم القرآن ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ إن بلغكم أو شهيدًا لكم بالعدالة ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ وهي بيت المقدس ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ عند تحوله عنها فيصدقه ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ أن يرتد عن دينه فيرجع للكفر شكًا في الدين وظنًا إن النبي ﷺ في حيرة من أمره وقد ارتد لذلك جماعة، أو المراد الكعبة أي: ما صرنا لك الآن الجهة التي كنت عليها أولاً أي: ما حولناك لها إلا لذلك؛ لأنه ﷺ كان يصلي للكعبة بمعنى جعلها متوسطة بينه وبين بيت المقدس وهو بمكة فلما هاجر أمره باستقبال بيت المقدس تألفًا لليهود فصلى إليه ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا ثم حول ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ أي: التحويلة عن بيت المقدس إلى الكعبة ﴿لَكَبِيرَةً﴾ ثقيلة شديدة ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ﴾ منهم ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ صلاتكم عند البيت أو غيره إلى بيت المقدس بل يثيبكم عليه؛ لأنها نزلت في سؤال من حول إلى الكعبة عن قوم ماتوا مؤمنين قبل التحويل ﴿إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ قرأ البصريان والكوفيون سوى حفص لرءوف حيث وقع بقصر الهمزة من غير واو، والباقون بواو بعد الهمز والرأفة شدة الرحمة.

﴿قَدْ﴾ [البقرة: 144] للتحقيق ﴿نَرَى تَقَلُّبَ﴾ تردد أو تصرف ﴿وَجْهِكَ﴾ بصرك ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ في جهتها لطلب تحويل القبلة، وكان يريد ذلك لأنها قبلة إبراهيم ولأنه أدعى لإسلام قومه ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ نحولنك ﴿قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ تحبها وتهواها ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ استقبل في الصلاة ﴿شَطْرَ﴾ جهة ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ المحرم على الناس الظلم فيه والتعرض لصيده والتقاط لقطته للتملك ﴿وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ﴾ خطاب للأمة ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ في الصلاة ﴿شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي: التحويل للكعبة ﴿الْحَقُّ﴾ الثابت ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ لما وجدوا في كتبهم في نعت النبي ﷺ

=

الدين، ولا يجوز أن يمدح الله الشُّهود حال حكمه عليهم بكونهم شهوداً لا بكونهم عدولاً؛ فوجب أن يكون المراد من الوَسَط العدالة. ورابعها: أن الأوساط محمية بالأطراف، وحكمها مع الأطراف على حدّ سواء، والأطراف يتسارع إليها الخَلَل والفساد، والوسط عبارة عن المعتدل الذي لا يميل إلى جِهَةٍ دون جهة. [تفسير اللباب لابن عادل (2 /153)].

من أنه يتحول إليها ﴿وَمَا الله بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر وروح بن الخطاب، والباقون بالياء.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾ [البقرة: 145] معجزة على صدقك في أمر القبلة ﴿مَا تَبِعُوا﴾ أي: لا يتبعون ﴿قِبْلَتَكَ﴾ عنادًا ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ قطع لطمعه في إسلام كلهم ولطمعهم في عوده ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ أي: اليهود قبلة النصارى وبالعكس ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ آرائهم الفاسدة التي يدعونك إليها ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ من الحق والوحي في أمر القبلة وغيرها ﴿إِنَّكَ إِذًا﴾ أي: إن اتبعتهم ﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الواضعين الأمر في غير موضعه وهذا على سبيل الفرض وإن كان محالاً.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٦ - ١٥٠].

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: 146] اليهود وغيرهم ممن أوتيه ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ أي: محمدًا ﷺ ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ لنعته في كتابهم، قال: ابن سلام لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ولمعرفتي بمحمد أشد ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ﴾ أي: من علمائهم ﴿لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ من الإقرار بنبوته أو نعته ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ هذا الذي أنت عليه.

﴿الْحَقُّ﴾ [البقرة: 147] كائنًا ﴿مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه ﴿وَلِكُلٍّ﴾ [البقرة: 148] أي: لكل أمة فالتنوين عوض عن أمة ﴿وِجْهَةٌ﴾ جهة متوجهة إليها ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ قرأ ابن عامر بفتح اللام وألف بعدها، والباقون بكسر اللام وياء

بعدها ﴿فَاسْتَبِقُوا﴾ بادروا إلى ﴿الْخَيْرَاتِ﴾ الطاعات وإلى قبولها ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا﴾ فيجازيكم بأعمالكم ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ [البقرة: 148 - 149] لسفر أي: من أي مكان ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالياء لأبي عمرو وبتاء الخطاب لغيره وكرره لبيان تساوي حكم السفر وغيره.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: 150] كررت للتأكيد ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ اليهود والمشركين ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أي: مجادلة في التولي إلى غيره أي: لتنتفي مجادلتهم لهم من قول اليهود بجحد ديننا وتتبع قبلتنا وقول المشركين يدعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ فإنهم يحتجون بحجة داحضة أو المعنى إلا المعاندون فإنهم يقولون ما تحول إليها إلا ميلاً إلى دين آبائه ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ لا تخافوهم وجادلهم في التولي إليها وخافوني ﴿وَلِأُتِمَّ﴾ أي: اخشوني لأحفظكم ولأتم أو ولوا وجوهكم شطره ليلاً ولأتم ﴿نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ بالهداية إلى معالم دينكم أو بالموت على الإسلام ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ للحق.

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥١ - ١٥٧].

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ [البقرة: 151] أي: لأتم كما أرسلنا والمعنى إتمامها كإتمامها بإرسالنا ﴿فِيكُمْ﴾ يا معشر العرب أو يا معشر الناس أو يا معشر الإنس والجن ﴿رَسُولًا

﴿مِنْكُمْ﴾ ﷺ إما من العرب أو الناس أو المخلوقات على الأقوال ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يطهركم من النقائص ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ السنة أو ما في القرآن من الأحكام وغيرها ﴿وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * فَاذْكُرُونِي﴾ [البقرة: 151 - 152] بالطاعة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالثواب وفي الحديث القدسي: «**من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملائه**»[1] ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ نعمتي بالطاعة ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بالمعصية.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا﴾ [البقرة: 153] على ما أمرتم به من عمل الآخرة ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على الطاعة والبلاء وعن المعصية ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ وخصها بالذكر لتكررها وعظمها من حيث إنها أفضل عبادات البدن ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بمعونته وحفظه ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ [البقرة: 154] أي: هم في البرزخ أحياء أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ بذلك نزلت في أناس ماتوا على الشهادة، فقيل: هم أموات ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ [البقرة: 155] لنختبرنكم فننظر تصبرون أم لا ﴿بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ﴾ هو خوف الله ﴿وَالْجُوعِ﴾ هو صوم رمضان ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾ بالزكوات ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ بالأمراض ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ بموت الأولاد هكذا فسره الشافعي ﷺ وقيل: الخوف من العدو والجوع القحط ونقص الأموال والأنفس والثمرات بالتلف ونحو ذلك ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ على البلاء بالجنة.

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ [البقرة: 156] بلاء ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ ملكًا وعبيدًا يفعل بنا ما يشاء ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فيجازينا ومن استرجع عند المصيبة أجره الله فيها وأخلف عليه خيرًا ولو كان بنحو طفي مصباح من كل ما أدى ولو قل ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ﴾ [البقرة: 157] بركات ورحمات ومغفرة ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ نعمة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ إلى الحق.

﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا

---

(1) رواه أحمد في «مسنده» (414/18)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (75/7).

جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٨ - ١٦٣].

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ [البقرة: 158] هما جبلان بمكة ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾ أعلام دينه الواحدة شعيرة والمراد بها هنا المناسك والصفا جمع «صفاة» وهي الصخرة الملساء الصلبة والمروة الحجر الرخو جمعها مروات هذا أصلهما ثم غلب على المكانين المشهورين ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾ أي: فليس بأحدهما ﴿فَلا جُنَاحَ﴾ إثم ﴿عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ قال ذلك؛ لأنهما في الجاهلية كانا في محل تعبد الكفار إذ كان صنم على الصفا وآخر على المروة، الأول «نائلة» على وزن فاعلة، والثاني «إساف» على وزن إكاف فتخرج الناس في الإسلام لذلك فنزلت والسعي واجب ببيان السنة ولا بدّ من سبع ذهابه من الصفا إلى المروة مرة وعوده منها إليه أخرى فإن شك أحد بالأقل ويبدأ بالصفا للبداة به في الآية وصح عنه ﷺ ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أي: أتى خيرًا، وقرأ حمزة والكسائي وخلف يطوع خيرًا هنا وفي قوله: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾ [البقرة: 184] بسكون العين وتثقيل الطاء والياء من تحت في أولهما وافقهم يعقوب في الأول، والباقون بتاء مثناة من فوق وتخفيف الطاء في الموضعين ﴿فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ ونزل في اليهود.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ [البقرة: 159] الدلالات على نبوة محمد ﷺ ﴿وَالْهُدَى﴾ الهادي إلى اتباعه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ وهو التوراة ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾ وأصل اللعن الطرد، ومعناه هنا الإبعاد عن الخير والرحمة، واختلف في اللاعنين فقيل جميع الخلائق قاله ابن عباس، وقيل

غير ذلك مما ذكر في الأصل ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ [البقرة: 160] رجعوا عن ذلك ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿وَبَيَّنُوا﴾ ما كتموا ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أقبل توبتهم ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: 160 - 161] أي: هم مستحقون ذلك دنيا وأخرى والناس عام أو هم المؤمنون ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [البقرة: 162] أي: في اللعنة أو في النار كناية عن غير مذكور وحسن؛ لأن اللعنة تدل على النار ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يمهلون لتوبة أو غيرها ونزل لما قالوا: صف لنا ربك ﴿وَإِلَهُكُمْ﴾ [البقرة: 163] أي: المستحق للعبادة منكم ﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ لا نظير له في ذاته ولا في صفاته ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٤ - ١٦٧].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [البقرة: 164] تعاقبهما فكل يخلف الآخر ﴿وَالْفُلْكِ﴾ السفن واحدة وجمع سواء ﴿الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ موقرة ولا ترسب ﴿بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ من التجارات وغيرها ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ﴾ مطر ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ أي: فرق ونشر في الأرض بالماء الدواب؛ لأن حياتهم بالخصب الناشئ عنه بعبادة الله تعالى ﴿وَتَصْرِيفِ﴾ تقليب ﴿الرِّيَاحِ﴾ في مهابها وأحوالها ﴿وَالسَّحَابِ﴾ الغيم

﴿الْمُسَخَّرِ﴾ المذلل ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بلا علاقة لا ينزل إليها ولا يذهبه الريح ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلالات واضحات على وحدانية الله تعالى ورحمته ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ذلك بالفكر والنظر الصحيح، ونزلت لما طلبوا آية على الواحدانية، وقيل: الأرياح ثمانية أربعة للرحمة المبشرات والناشرات والذاريات والمرسلات ومثلها للعذاب العقيم والصرصر في البر والعاصف والقاصف الأول بالعين والثاني بالقاف في البحر.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ الله أَنْدَادًا﴾ [البقرة: 165] أصنامًا أو رؤساء ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الله﴾ في امتثال الأمر والتعظيم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِله﴾ لعدم انقطاعها وانتفاء العدول في الشدة إلى غير محبوبهم ومحبة الكفار تنقطع في الآخرة وهم يعذبون في الشدائد إلى الله في الدنيا أيضًا ﴿وَلَوْ يَرَى﴾ قرأ نافع وابن عامر ويعقوب وعيسى بن وردان بخلاف عنه بالخطاب، والباقون بالغيب ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ باتخاذ الأنداد ﴿إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ لندموا ندمًا شديدًا، أو لرأيت أمرًا عظيمًا، وقرأ بضم الياء من يرون ابن عامر، والباقون بالفتح ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِله جَمِيعًا وَأَنَّ الله شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ وقرأ بالكسر في «**إن القوة**» و«**إن الله**» أبو جعفر ويعقوب، والباقون بالفتح.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا﴾ [البقرة: 166] أي: الرؤساء ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ والمعنى انكروا أضلالهم ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ﴾ عنهم ﴿الْأَسْبَابُ﴾ الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا من قرابة وصداقة ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ [البقرة: 167] رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ﴾ مثل حالهم القطيع في رؤية العذاب وتبرأ البعض من البعض ﴿يُرِيهِمُ الله أَعْمَالَهُمْ﴾ السيئة ﴿حَسَرَاتٍ﴾ الحسرة الندامة ﴿عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ إشارة إلى الخلود بعد الدخول، ونزل فيمن حرم السوائب ونحوها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ

لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٨ - ١٧٣].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِباً﴾ [البقرة: 168] حلالاً جمع بينهما للتأكيد أو المعنى مما تستلذه الشهوة فالمعنى كلوا الحلال وإن علا نوعه وجنسه ﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ آثاره وزلاته وتزينه كالنذر في المعصية ومحقرات الذنوب، وهو ساكن الطاء لنافع وإلى عمرو وحمزة وخلف وأبي بكر والبزي من طريق أبي ربيعة وللباقين الضم ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ مظهر العداوة.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ﴾ [البقرة: 169] الإثم ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾ المعاصي ومنه الزنا والبخل ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الأنداد وتحريمه ما لم يحرم ونحوهما.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ [البقرة: 170] أي: الكفار ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ من التوحيد وتحليل الطيبات ﴿قَالُوا﴾ لا ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا﴾ وجدنا ﴿عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ من الكفر وتحريم السوائب والبحائر يتبعونهم ﴿أَوَلَوْ﴾ الاستفهام للتوبيخ ﴿كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ من الحق ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إليه وجواب لو محذوف أي: لا يتبعوهم.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: 171] ومثلك يا محمد ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾ والمنعوق به؛ أي: مثل محمد ﷺ كمثل الناعق ومثل الكفار كمثل المنعوق به فهم مع محمد ﷺ كغنم لا تفهم صوته ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ما تخاطبهم به ولا يتفكرون فيه حتى يظهر لهم أنه الحق.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ [البقرة: 172] حلالات ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا للهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ وأخرج البيهقي عن عمارة بن حمزة أنه قال: إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا بقلة الشكر.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ [البقرة: 173] أي: أكلها؛ لأنه المتكلم فيه وكذا الباقي، قرأ أبو جعفر هنا وفي المائدة والنحل ويس و«ميتة» في موضعي الأنعام،

و«**ميتًا**» فيها والفرقان والزخرف والحجرات «**ولبلد ميت**»، «**وإلى بلد ميت**»، «**والحي من الميت والميت من الحيّ**» بتشديد الياء في ذلك كله ووافقه نافع في «**الميتة**» في يس، و«**ميتًا**» في الأنعام والحجرات، و«**بلد ميت**» وافقهما يعقوب في الحجرات، وروى بعضهم عنه التخفيف فيه، ووافقهما أيضًا حمزة وخلف والكسائي، وحفص «**في بلد ميت**» و«**الميت**» ووافقهما يعقوب «**في الميت**» والباقون بالتخفيف، وتحريم الميتة ليست بها وبجلدها ولو بعد الدبغ بأكل أو غيره والسمك والجراد، لكن وردت السنة بإباحة الجلد المدبوغ إذا كانت حاسة بالموت، ويحل السمك والجراد والحق بالميت ما أبين من حي نحو صوف وشعر وريش انفصل لا على جزء من الحيوان ﴿**وَالدَّمَ**﴾ المسفوح ﴿**وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ**﴾ أي: رفع الصوت ﴿**بِهِ لِغَيْرِ اللهِ**﴾ والمراد ذبح لغيره ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ**﴾[1] الحاجة الضرورة لأكل شيء من المذكور فأكله ﴿**غَيْرَ بَاغٍ**﴾

---

(1) قال القاضي أبو بكر: قوله تعالى: ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ**﴾، تصريفه: اضطرر من الضرر، كافتتن من الفتنة، أي أدركه ضرر: وقد تقدم أن الضرر: هو الألم الذي لا نفع يوازيه أو يربي عليه؛ ولهذا لم يوصف شرب الأدوية الكريهة، ولا العبادات الشاقة بالضرر، لما في ذلك من النفع الموازي له؛ ثم المضطر قد يطلق على المحتاج، كما ورد في الآية، ويطلق على الملجأ إلى الشيء كالمرتعش والمحموم؛ لكن الملجأ مضطر حقيقة، والمحتاج مضطر مجازاً. والمراد بقوله: ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ**﴾ أي خاف التلف، فسماه مضطراً وإن قدر على التناول؛ ثم الضرر تارة يلحق بإكراه من ظالم، وتارة بجوع من مخمصة، فيرتفع التحريم، ويباح الممنوع؛ فأما الإكراه، فيبيح ذلك إلى آخر الإكراه. وأما المخمصة، فإن كانت دائمة، فلا خلاف في جواز الشبع؛ وإن كانت نادرة، فقيل: يشبع، قاله مالك، وقيل: يأكل بمقدار سد الرمق، قاله ابن حبيب؛ لأن الإباحة ضرورة، فتتقدر بقدرها.

المسألة الخامسة: من اضطر إلى خمر، فإن أكره على شربه، أو كان لعطش؛ فقال مالك: لا يشربها، لأنها لا تزيده إلا عطشاً، ولأن الله حرم الخمر مطلقاً، والميتة بشرط عدم الضرورة. قال الأبهري: إن ردت عنه جوعاً أو عطشاً شربها، فقد قال تعالى في الخنزير إنه رجس، ثم أباحه للضرورة. وقد قال في الخمر إنه رجس، فيباح للضرورة كالخنزير؛ فلو غص بلقمة، قال ابن حبيب: يسيغها بالخمر للضرورة، وقيل لا، سداً للذريعة. وقال العلماء: من اضطر إلى أكل محرم فلم يفعل، دخل النار لقوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ**﴾. واعلم أن البغي لغة الطلب، خيراً أو شراً، ومن طلب الشر: الخارج عن إمام الأمة المفارق للجماعة، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿**فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى**﴾، وأما العادي، فهو من جاوز ما يجوز إلى ما لا يجوز، والمراد به هنا: قاطع الطريق.

وقال قتادة: الباغي: آكل الميتة فوق الحد، والعادي: آكلها مع وجود غيرها؛ والمعنى: **فمن**

=

قاصد للفساد بسفره ﴿وَلَا عَادٍ﴾ بمجاوزته لما حل له أكله، وقيل: غير خارج عن المسلمين ولا متعد بقطع الطريق عليهم ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في تناوله ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وحكم المسألة أن العاصي بسفره لا يحل له تناول الميتة ما لم يتب، فإن كان طائفًا به واضطر بأن خاف على نفسه محذور يتمم أكل وجوبًا ما يسد الرمق فقط إن رجا حلالاً، وإلا زاد إن خشي بالاقتصار على سدِّ الرمق التلف ويجوز له التزود منها رجا الحلال أم لا، وعليه أكل الميتة في الحضر إن لم يجد غيرها وشبعة كما سبق، وقرأ أبو جعفر «**فمن اضطر**» بكسر الطاء حيث وقع، واختلف عن عيسى بن وردان في «**اضطرارتم إليه**» والباقون بالضم على الأصل، وقرأ عاصم وحمزة «**فمن اضطر**»، و«**إن أحكم**»، و«**إن أسكر**» بكسر النون، وكذلك الدال من «**ولقد استهزئ**»، والتاء من «**وقالت اخرج**»، والتنوين من ﴿مَحْظُوراً * انظُرْ﴾ و﴿عُيُونٍ * ادْخُلُوهَا﴾ ونحوه، واللام من «**قل ادعوا**» ونحوه، والواو من نحو «**أو انقص**» مما اجتمع فيه ساكنان وبدأ الفعل الذي يليه بالضم، وكان الثالث أيضًا مضمومًا، وافقهما يعقوب في غير الواو وأبو عمرو

اضطر غير طالب شراً، ولا مجاوز حداً؛ فيدخل في ذلك كل خارج عن الإمام، وقاطع الطريق. وقد ثبت أن الصحابة شبعوا من ميتة الحوت وتزودوا، وفي الحديث: إنهم ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فأخبرهم ﷺ أنه حلال، وقال: «هل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟». **المسألة السادسة**: يؤخذ من الآية أن العاصي بسفره لا يستبيح رخصة، ولا تباح له بحال حتى يتوب، لأن الله تعالى أباح ذلك عوناً، والعاصي لا تجوز إعانته؛ ومن أباح له الترخص، فقد أخطأ قطعاً؛ وإذا وجد المضطر ميتة، ودماً، ولحم خنزير، وخمرًا، وصيدًا حرميًا، وهو محرم؛ فإنه يقدم الميتة، لأنها تحل حية بخلاف الخنزير؛ ولأن التحريم المخفف، أولى من المثقل؛ كما لو أكره أن يطأ أخته أو أجنبية، فإنه يطأ الأجنبية، لأنها تحل له في وقت؛ فإن وجد ميتة وخمراً، فقال ابن القاسم: يأكل الميتة، لأنها أحلت لحليتها حية؛ وكذلك لو وجد ميتة وبعيراً ضالاً، فإنه يأكل الميتة كما تقدم؛ فلو وجد ميتة وكنزاً، أكل الكنز؛ فإن وجد ميتة ولحم آدمي، أكل الميتة، لأنها تحل حال الحياة. وقال الشافعي: يأكل لحم ابن آدم، لأنه ميتة لم ينص على تحريمها؛ فإن وجد المحرم ميتة وصيدًا، أكل الصيد؛ لأن تحريمه مؤقت، فهو أخف؛ فإن احتاج إلى التداوي بالميتة، فإن تغيرت بالحرق، جاز التداوي بها والصلاة، قاله ابن حبيب، لأن الحرق تطهير وتغيير للصفات. وقال مالك في العتبية في المرهم يصنع من عظام الميتة، إذا جعله في جرحه لا يصلي به حتى يغسله. قال القاضي أبو بكر: والصحيح أنه لا يتداوى بالنجس؛ لأن الأعيان النجسة لا تطهر إلا بالماء الذي جعله الشرع مطهراً لها. وفي مسلم أن رسول الله ﷺ سئل عن الخمر يتداوى بها، قال: «ليست بدواء ولكنها داء». [الأحكام الصغرى ص 35].

وافقهما في غير الواو «**وقل، وقد**» واختلف عن ابن ذكوان في التنوين فكسر الأخفش وضم الصوري واستثنى بعضهم عن ابن الأحرم برحمة «**ادخلوا**» في الأعراف، وحيثية «**اجتثت**» في إبراهيم، واختلف عن قنبل في التنوين المكسور نحو «**ميت ادخلوها**» فكسره ابن شنبوذ، وضمه ابن مجاهد، وكذلك قرأ الباقون.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًاۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿١٧٦﴾﴾ [البقرة: ١٧٤ - ١٧٦].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [البقرة: 174] نزلت في اليهود لكتمهم صفة محمد ﷺ المذكورة في التوراة ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا وهو المأخوذ من السفلة فلا يظهرونه خوف قوته عليهم ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ لأنها ماله ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ غضبًا عليهم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ أي: لا يطهرهم من دنس الذنوب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في النار بالخلود.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: 175] تعجب لنا من شأنهم حيث ارتكبوا موجبها بلا مبالاة وإلا فأي صبر لهم.

﴿ذَلِكَ﴾ [البقرة: 176] العذاب ﴿بِأَنَّ اللهَ﴾ بسبب أن الله ﴿نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ فاختلفوا فيه إيمانًا وكفرًا وإظهارًا وإخفاءًا ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ يقول بعضهم سحر وبعضهم شعر وكهانة أو في الكتب فآمنوا ببعض وكفروا ببعض ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾ خلافًا وضلالاً ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحق.

﴿۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي

ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٧ - ١٧٨].

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: 177] أي: ليس الفعل المرضي التوجه للقبلة وحده نزلت ردًا على أهل الكتاب حيث زعموا ذلك فأمر أهل الإيمان أن لا يقتصروا على ذلك قرأ حمزة وحفص ﴿لَيْسَ الْبِرَّ﴾ بالنصب بمعنى: ليس يوليكم وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر، والباقون بالرفع ولكن البر من آمن أي: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ﴾ أي: ولكن البر الذي يعتني به من آمن، وقرأ نافع وابن عامر ﴿وَلَكِنِ الْبِرُّ مَنْ آمَنَ ﴾ ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ [البقرة: 189] في الموضعين بتخفيف لكن ورفع البر، والباقون بالتشديد ونصب البر ﴿بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ﴾ المراد به الجنس أي: بسائر الكتب ﴿وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى﴾ مع ﴿حُبِّهِ﴾ للمال أو لله أو الآية ﴿ذَوِي﴾ أصحاب ﴿الْقُرْبَى﴾ القرابة ﴿وَالْيَتَامَى﴾ جمع يتيم وهو صغير لا أب له ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾ جمع مسكين وهو من ملك شيئًا يقع هو موقعًا من كفايته ولا يكفيه كأن احتاج إلى عشرة فوجد ثمانية وهو خلاف الفقير؛ لأن الفقير من لم يملك شيئًا أو ملك ما لا يقع موقعًا من كفايته كأن احتاج إلى عشرة فوجد خمسة هذا إن اجتمعا في محل، فإن ذكر كل وحده فهما بمعنى واحد ومن ثم قيل: إذا افترقا اجتمعا وإذا اجتمعا افترقا ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ الطريق وهو منشئ سفر أو مجتاز سمي بذلك؛ لأنه ملازم للطريق.

﴿وَالسَّائِلِينَ﴾ الطالبين ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ هم المكاتبون والأسرى، وليست الآية في الزكاة ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ المفروضة وما قبله في التطوع ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ الله والناس ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ﴾ الفقر والشدة ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾

المرض والزمان ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ وقت مجاهدة العدو ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ مع الله ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ﴾ [البقرة: 178] فرض وأثبت، وقيل: هو إخبار عما كتب في اللوح المحفوظ وسبق به القص ﴿عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾[1] المماثلة ﴿فِي الْقَتْلَى﴾ وصفًا وفعلاً والأطراف كذلك إلا ما استثنى في الفروع، ونزلت في حيين بينهما دمًا فقالوا: نقتل في ﴿الْحُرُّ﴾ عبدًا وفي الأنثى ذكرًا الحر يقتل ﴿بِالْحُرِّ﴾ ولا يقتل بالعبد ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ ويقتل الذكر بالأنثى لما صح أن النبي ﷺ قتل من رض رأس جارية حتى ماتت، وتعتبر المماثلة دينًا فلا يقتل مسلم ولو عبدًا بكافر ولو حرًا كما بينته السنة ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ﴾ من القاتلين ﴿مِنْ﴾ دم ﴿أَخِيهِ﴾ المقتول أي: صاحبه ﴿شَيْءٌ﴾ من العفو وأتى بشيء؛ لأن العفو عن بعض القصاص كالعفو عن كله والعفو عن بعض الورثة كعفو كلهم ﴿فَاتِّبَاعٌ﴾ أي: فعلى العافي اتباع للقاتل ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ فلا يطالبه بالدية بالعنف ولا بأكثر منها والواجب القود عينًا والدية بدل عند سقوطه فلو عفى، ولم يسمها لم يجب شيء وذكر الاتباع مرتبًا على العفو لبيان أن المطالبة بالدية لا تكون إلا عند العفو عليها وعلى القاتل ﴿وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ﴾ إلى العافي وهو الوارث ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ بلا مطل ولا ظلم ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من جواز العفو على المال والقصاص ﴿تَخْفِيفٌ﴾ تسهيل ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ حيث أجازه ولو شاء لحتم القتل كما حتمه على اليهود أو الدية كما حتمها على النصارى ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ العفو أو بعد ما أنزل الله فيه فخالف أمر الله كان قتل القاتل بعد العفو ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2] في الدنيا

---

(1) قال النسفي: كلام فصيح لما فيه من الغرابة، إذ القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل ظرفاً للحياة. وفي تعريف القصاص وتنكير الحياة بلاغة بينة لأن المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة لمنعه عما كانوا عليه من قتل الجماعة بواحد متى اقتدروا فكان القصاص حياة وأي حياة. أو نوع من الحياة وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالقصاص من القاتل؛ لأنه إذا هم بالقتل فتذكر الاقتصاص ارتدع فسلم صاحبه من القتل وهو من القود فكان شرع القصاص سبب حياة نفسين. [تفسير النسفي (93/1)].

(2) قال القرطبي في «تفسيره» فيها سبع عشرة مسألة:

الأولى: روى البخاري والنسائي والدارقطني عن ابن عباس قال: «كان في بني إسرائيل القصاص ولم تكن فيهم الدية، فقال الله لهذه الأمة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ =

بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ فالعفو أن يقبل الدية في العمد ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ يتبع بالمعروف ويؤدي بإحسان: ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ مما كتب على من كان قبلكم ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قتل بعد قبول الدية، هذا لفظ البخاري: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو، قال: سمعت مجاهدًا، قال: سمعت ابن عباس يقول، وقال الشعبي في قوله تعالى: ﴿الحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى﴾ قال: أنزلت في قبيلتين من قبائل العرب اقتتلتا فقالوا، نقتل بعبدنا فلان بن فلان، وبأمتنا فلانة بنت فلان، ونحوه عن قتادة.

الثانية: قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ﴾ ﴿كُتِبَ﴾ معناه فرض وأثبت، وقد قيل: إن ﴿كُتِبَ﴾ هنا إخبار عما كتب في اللوح المحفوظ وسبق به القضاء، والقصاص مأخوذ من قص الأثر وهو اتباعه، ومنه القاص لأنه يتبع الآثار والأخبار، وقص الشعر اتباع أثره، فكأن القاتل سلك طريقًا من القتل فقص أثره فيها ومشى على سبيله في ذلك، ومنه ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً﴾ وقيل: القص القطع، يقال: قصصت ما بينهما، ومنه أخذ القصاص؛ لأنه يجرحه مثل جرحه أو يقتله به، يقال: أقص الحاكم فلانًا من فلان وأباءه به فأمثله فامتثل منه؛ أي: اقتص منه.

الثالثة: صورة القصاص هو أن القاتل فرض عليه إذا أراد الولي القتل الاستسلام لأمر الله والانقياد لقصاصه المشروع، وأن الولي فرض عليه الوقوف عند قاتل وليه وترك التعدي على غيره، كما كانت العرب تتعدى فتقتل غير القاتل، وهو معنى قوله ﷺ: «**إن من أعتى الناس على الله يوم القيامة ثلاثة رجل قتل غير قاتله ورجل قتل في الحرم ورجل أخذ بذحول الجاهلية**»، قال الشعبي وقتادة وغيرهما: إن أهل الجاهلية كان فيهم بغي وطاعة للشيطان، فكان الحي إذا كان فيه عز ومنعة فقتل لهم عبد، قتله عبد قوم آخرين، قالوا: لا نقتل به إلا حرًا، وإذا قتلت منهم امرأة قالوا: لا نقتل بها إلا رجلاً، وإذا قتل لهم وضيع قالوا: لا نقتل به إلا شريفًا، ويقولون: «القتل أوقى للقتل» بالواو والقاف، ويروى «أبقى» بالباء والقاف، ويروى «أنفى» بالنون والفاء، فنهاهم الله عن البغي فقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ فِي القَتْلَى الحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ... الآية﴾، وقال: ﴿وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ﴾، وبين الكلامين في الفصاحة والجزل بون عظيم.

الرابعة: لا خلاف أن القصاص في القتل لا يقيمه إلا أولو الأمر، فرض عليهم النهوض بالقصاص وإقامة الحدود وغير ذلك؛ لأن الله سبحانه خاطب جميع المؤمنين بالقصاص، ثم لا يتهيأ للمؤمنين جميعًا أن يجتمعوا على القصاص، فأقاموا السلطان مقام أنفسهم في إقامة القصاص وغيره من الحدود، وليس القصاص بلازم إنما اللازم ألا يتجاوز القصاص وغيره من الحدود إلى الاعتداء، فأما إذا وقع الرضا بدون القصاص من دية أو عفو فذلك مباح، على ما يأتي بيانه، فإن قيل: فان قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ معناه فرض وألزم، فكيف يكون القصاص غير واجب؟ قيل له: معناه إذا أردتم، فاعلم أن القصاص هو الغاية عند التشاح، والقتلى جمع قتيل، لفظ مؤنث تأنيث الجماعة، وهو مما يدخل على الناس كرهًا، فلذلك جاء على هذا البناء كجرحى وزمنى وحمقى وصرعى وغرقى، وشبههن.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿الحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى... الآية﴾، اختلف في تأويلها، فقالت طائفة: جاءت الآية مبينة لحكم النوع إذا قتل نوعه، فبينت حكم الحر إذا قتل حرًا، والعبد إذا قتل عبدًا، والأنثى إذا قتلت أنثى، ولم تتعرض لأحد النوعين إذا قتل الآخر، فالآية محكمة وفيها إجمال يبينه قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾، وبينه النبي ﷺ بسنته لما قتل اليهودي بالمرأة، قاله مجاهد، وذكره أبو عبيد عن ابن عباس، وروي عن ابن عباس أيضًا أنها منسوخة بآية المائدة وهو قول أهل العراق.

السادسة: قال الكوفيون والثوري: يقتل الحر بالعبد، والمسلم بالذمي، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ فعم، وقوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾، قالوا: والذمي مع المسلم متساويان في الحرمة التي تكفي في القصاص وهي حرمة الدم الثابتة على التأبيد، فإن الذمي محقون الدم على التأبيد، والمسلم كذلك، وكلاهما قد صار من أهل دار الإسلام، والذي يحقق ذلك أن المسلم يقطع بسرقة مال الذمي، وهذا يدل على أن مال الذمي قد ساوى مال المسلم، فدل على مساواته لدمه إذ المال إنما يحرم بحرمة مالكه، واتفق أبو حنيفة وأصحابه والثوري وابن أبي ليلى على أن الحر يقتل بالعبد كما يقتل العبد به، وهو قول داود، وروي ذلك عن علي وابن مسعود - رضي الله عنهما -، وبه قال سعيد بن المسيب وقتادة وإبراهيم النخعي والحكم بن عيينة، والجمهور من العلماء لا يقتلون الحر بالعبد، للتنويع والتقسيم في الآية، وقال أبو ثور: لما اتفق جميعهم على أنه لا قصاص بين العبيد والأحرار فيما دون النفوس كانت النفوس أحرى بذلك، ومن فرق منهم بين ذلك فقد ناقض، أيضًا فالإجماع فيمن قتل عبدًا خطأً أنه ليس عليه إلا القيمة، فكما لم يشبه الحر في الخطأ لم يشبهه في العمد، وأيضًا فإن العبد سلعة من السلع يباع ويشترى، ويتصرف فيه الحر كيف شاء، فلا مساواة بينه وبين الحر ولا مقاومة، قلت: هذا الإجماع صحيح، وأما قوله أولاً: «ولما اتفق جميعهم - إلى قوله - فقد ناقض» فقد قال ابن أبي ليلى وداود بالقصاص بين الأحرار والعبيد في النفس وفي جميع الأعضاء، واستدل داود بقوله ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم» فلم يفرق بين حر وعبد، وسيأتي بيانه في النساء إن شاء الله تعالى.

السابعة: والجمهور أيضًا على أنه لا يقتل مسلم بكافر، لقوله ﷺ: «لا يقتل مسلم بكافر» أخرجه البخاري عن علي بن أبي طالب، ولا يصح لهم ما رووه من حديث ربيعة أن النبي ﷺ قتل يوم خيبر مسلمًا بكافر؛ لأنه منقطع، ومن حديث ابن البيلماني وهو ضعيف عن ابن عمر عن النبي ﷺ مرفوعًا، قال الدارقطني: لم يسنده غير إبراهيم بن أبي يحيى وهو متروك الحديث، والصواب عن ربيعة عن ابن البيلماني مرسل عن النبي ﷺ، وابن البيلماني ضعيف الحديث لا تقوم به حجة إذا وصل الحديث، فكيف بما يرسله. قلت: فلا يصح في الباب إلا حديث البخاري، وهو يخصص عموم قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى...﴾ الآية ، وعموم قوله: ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾.

الثامنة: روي عن علي بن أبي طالب والحسن بن أبي الحسن البصري أن الآية نزلت مبينة حكم المذكورين، ليدل ذلك على الفرق بينهم وبين أن يقتل حر عبدًا أو عبد حرًا، أو ذكر أنثى أو أنثى

ذكرًا، وقالا: إذا قتل رجل امرأة فإن أراد أولياؤها قتلوا صاحبهم ووفوا أولياءه نصف الدية، وإن أرادوا استحيوه وأخذوا منه دية المرأة، وإذا قتلت امرأة رجلاً فإن أراد أولياؤه قتلها قتلوها وأخذوا نصف الدية، وإلا أخذوا دية صاحبهم واستحيوها، روى هذا الشعبي عن علي، ولا يصح؛ لأن الشعبي لم يلق عليًا، وقد روى الحكم عن علي وعبد الله قالا: إذا قتل الرجل المرأة متعمدًا فهو بها قود، وهذا يعارض رواية الشعبي عن علي، وأجمع العلماء على أن الأعور والأشل إذا قتل رجلاً سالم الأعضاء أنه ليس لوليه أن يقتل الأعور، ويأخذ منه نصف الدية من أجل أنه قتل ذا عينين وهو أعور، وقتل ذا يدين وهو أشل، فهذا يدل على أن النفس مكافئة للنفس، ويكافئ الطفل فيها الكبير، ويقال لقائل ذلك: إن كان الرجل لا تكافئه المرأة ولا تدخل تحت قول النبي ﷺ: «**المسلمون تتكافأ دماؤهم**» فلم قتلت الرجل بها وهي لا تكافئه ثم تأخذ نصف الدية، والعلماء قد أجمعوا أن الدية لا تجتمع مع القصاص، وأن الدية إذا قبلت حرم الدم وارتفع القصاص، فليس قولك هذا بأصل ولا قياس، قاله أبو عمر ﷺ، وإذا قتل الحر العبد، فإن أراد سيد العبد قتل وأعطى دية الحر إلا قيمة العبد، وإن شاء استحيا وأخذ قيمة العبد، هذا مذكور عن، علي والحسن، وقد أنكر ذلك عنهم أيضا.

التاسعة: وأجمع العلماء على قتل الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل، والجمهور لا يرون الرجوع بشيء، وفرقة ترى الاتباع بفضل الديات، قال مالك والشافعي وأحمد وإسحاق والثوري وأبو ثور: وكذلك القصاص بينهما فيما دون النفس، وقال حماد بن أبي سليمان وأبو حنيفة: لا قصاص بينهما فيما دون النفس بالنفس وإنما هو في النفس بالنفس، وهما محجوجان بإلحاق ما دون النفس بالنفس على طريق الأخرى والأولى، على ما تقدم.

العاشرة: قال ابن العربي: ولقد بلغت الجهالة بأقوام إلى أن قالوا: يقتل الحر بعبد نفسه، ورووا في ذلك حديثًا عن الحسن عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال: «**من قتل عبده قتلناه**»، وهو حديث ضعيف، ودليلنا قوله تعالى: ﴿**وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ**﴾ والولي ها هنا السيد، فكيف يجعل له سلطان على نفسه، وقد اتفق الجميع على أن السيد لو قتل عبده خطأ أنه لا تؤخذ منه قيمته لبيت المال، وقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً قتل عبده متعمدًا فجلده النبي ﷺ ونفاه سنة ومحا سهمه من المسلمين ولم يقده به، فإن قيل: فإذا قتل الرجل زوجته لم لم تقولوا: ينصب النكاح شبهة في درء القصاص عن الزوج، إذ النكاح ضرب من الرق، وقد قال ذلك الليث بن سعد، قلنا: النكاح ينعقد لها عليه، كما ينعقد له عليها، بدليل أنه لا يتزوج أختها ولا أربعًا سواها، وتطالبه في حق الوطئ بما يطالبها، ولكن له عليها فضل القوامة التي جعل الله له عليها بما أنفق من ماله؛ أي: بما وجب عليه من صداق ونفقة، فلو أورث شبهة لأورثها في الجانبين، قلت: هذا الحديث الذي ضعفه ابن العربي وهو صحيح، أخرجه النسائي وأبو داود، وقال البخاري عن علي بن المديني: سماع الحسن من سمرة صحيح، وأخذ بهذا الحديث، وقال البخاري: وأنا أذهب إليه، فلو لم يصح الحديث لما ذهب إليه هذان الإمامان، وحسبك بهما!، ويقتل الحر بعبد نفسه، قال النخعي والثوري في أحد قوليه وقد قيل: إن الحسن لم يسمع من سمرة إلا حديث العقيقة، والله أعلم، واختلفوا في القصاص

=

=

بين العبيد فيما دون النفس، هذا قول عمر بن عبد العزيز وسالم بن عبد الله والزهري وقران ومالك والشافعي وأبو ثور، وقال الشعبي والنخعي والثوري وأبو حنيفة: لا قصاص بينهم إلا في النفس، قال ابن المنذر: الأول أصح.

الحادية عشرة: روى الدارقطني وأبو عيسى الترمذي عن سراقة بن مالك قال: حضرت رسول الله ﷺ يقيد الأب من ابنه، ولا يقيد الابن من أبيه، قال أبو عيسى: هذا حديث لا نعرفه من حديث سراقة إلا من هذا الوجه، وليس إسناده بصحيح، رواه إسماعيل بن عياش عن المثنى بن الصباح، والمثنى يضعف في الحديث، وقد روى هذا الحديث أبو خالد الأحمر عن الحجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن عمر عن النبي ﷺ، وقد روي هذا الحديث عن عمرو بن شعيب مرسلاً، وهذا الحديث فيه اضطراب، والعمل على هذا عند أهل العلم أن الأب إذا قتل ابنه لا يقتل به، وإذا قذفه لا يحد، وقال ابن المنذر: اختلف أهل العلم في الرجل يقتل ابنه عمدًا، فقالت طائفة: لا قود عليه وعليه ديته، وهذا قول الشافعي وأحمد وإسحاق وأصحاب الرأي، وروي ذلك عن عطاء ومجاهد، وقال مالك وابن نافع وابن عبد الحكم: يقتل به، وقال ابن المنذر: وبهذا نقول لظاهر الكتاب والسنة، فأما ظاهر الكتاب فقوله تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ**﴾، والثابت عن رسول الله ﷺ: «**المؤمنون تتكافأ دماؤهم**» ولا نعلم خبرًا ثابتًا يجب به استثناء الأب من جملة الآية، وقد روينا فيه أخبارًا غير ثابتة، وحكى الكيا الطبري عن عثمان البتي أنه يقتل الوالد بولده، للعمومات في القصاص، وروي مثل ذلك عن مالك، ولعلهما لا يقبلان أخبار الآحاد في مقابلة عمومات القرآن، قلت: لا خلاف في مذهب مالك أنه إذا قتل الرجل ابنه متعمدًا مثل أن يضجعه ويذبحه أو يصبره مما لا عذر له فيه ولا شبهة في ادعاء الخطأ، أنه يقتل به قولاً واحدًا، فأما إن رماه بالسلاح أدبًا أو حنقًا فقتله، ففيه في المذهب قولان: يقتل به، ولا يقتل به وتغلظ الدية، وبه قال جماعة العلماء، ويقتل الأجنبي بمثل هذا، ابن العربي: سمعت شيخنا فخر الإسلام الشاشي يقول في النظر: لا يقتل الأب بابنه؛ لأن الأب كان سبب وجوده، فكيف يكون هو سبب عدمه؟ وهذا يبطل بما إذا زنا بابنته فإنه يرجم، وكان سبب وجودها وتكون هي سبب عدمه، ثم أي فقه تحت هذا، ولم لا يكون سبب عدمه إذا عصى الله تعالى في ذلك، وقد أثروا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يقاد الوالد بولده**» وهو حديث باطل، ومتعلقهم أن عمر ﵁ قضى بالدية مغلظة في قاتل ابنه ولم ينكر أحد من الصحابة عليه، فأخذ سائر الفقهاء ﵏ المسألة مسجلة، وقالوا: لا يقتل الوالد بولده، وأخذها مالك محكمة مفصلة فقال: إنه لو حذفه بالسيف وهذه حالة محتملة لقصد القتل وعدمه، وشفقة الأبوة شبهة منتصبة شاهدة بعدم القصد إلى القتل تسقط القود، فإذا أضجعه كشف الغطاء عن قصده فالتحق بأصله، قال ابن المنذر: وكان مالك والشافعي وأحمد وإسحاق يقولون: إذا قتل الابن الأب قتل به.

الثانية عشرة: وقد استدل الإمام أحمد بن حنبل بهذه الآية على قوله: لا تقتل الجماعة بالواحد، قال: لأن الله سبحانه شرط المساواة ولا مساواة بين الجماعة والواحد، وقد قال تعالى: ﴿**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ**﴾. والجواب أن المراد بالقصاص في الآية قتل من قتل كائنًا من

=

كان، ردًا على العرب التي كانت تريد أن تقتل بمن قتل من لم يقتل، وتقتل في مقابلة الواحد مائة، افتخارًا واستظهارًا بالجاه والمقدرة، فأمر الله سبحانه بالعدل والمساواة، وذلك بأن يقتل من قتل، وقد قتل عمر ﷺ سبعة برجل بصنعاء وقال: لو تمالا عليه أهل صنعاء لقتلتهم به جميعًا، وقتل علي ﷺ الحرورية بعبد الله بن خباب، فإنه توقف عن قتالهم حتى يحدثوا، فلما ذبحوا عبد الله بن خباب كما تذبح الشاة، وأخبر علي بذلك قال: «الله أكبر! نادوهم أن أخرجوا إلينا قاتل عبد الله بن خباب، فقالوا: كلنا قتله، ثلاث مرات، فقال علي لأصحابه: دونكم القوم، فما لبث أن قتلهم علي وأصحابه» خرج الحديثين الدارقطني في «سننه»، وفي الترمذي عن أبي سعيد وأبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار**»، وقال فيه: حديث غريب، وأيضًا فلو علم الجماعة أنهم إذا قتلوا الواحد لم يقتلوا لتعاون الأعداء على قتل أعدائهم بالاشتراك في قتلهم وبلغوا الأمل من التشفي، ومراعاة هذه القاعدة أولى من مراعاة الألفاظ، والله أعلم، وقال ابن المنذر: وقال الزهري وحبيب بن أبي ثابت وابن سيرين: لا يقتل اثنان بواحد، روينا ذلك عن معاذ بن جبل وابن الزبير وعبد الملك، قال ابن المنذر: وهذا أصح، ولا حجة مع من أباح قتل جماعة بواحد، وقد ثبت عن ابن الزبير ما ذكرناه. **الثالثة عشرة**: روى الأئمة عن أبي شريح الكعبي قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا إنكم معشر خزاعة قتلتم هذا القتيل من هذيل وإني عاقله فمن قتل له بعد مقالتي هذه قتيل فأهله بين خيرتين أن يأخذوا العقل أو يقتلوا**» لفظ أبي داود، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وروي عن أبي شريح الخزاعي عن النبي ﷺ قال: «**من قتل له قتيل فله أن يقتل أو يعفو أو يأخذ الدية**»، وذهب إلى هذا بعض أهل العلم، وهو قول أحمد وإسحاق.

الرابعة عشرة: اختلف أهل العلم في أخذ الدية من قاتل العمد، فقالت طائفة: ولي المقتول بالخيار إن شاء اقتص وإن شاء أخذ الدية وإن لم يرض القاتل، يروى هذا عن سعيد بن المسيب وعطاء والحسن، ورواه أشهب عن مالك، وبه قال الليث والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق وأبو ثور، وحجتهم حديث أبي شريح وما كان في معناه، وهو نص في موضع الخلاف، وأيضًا من طريق النظر فإنما لزمته الدية بغير رضاه؛ لأن فرضًا عليه إحياء نفسه، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ**﴾، وقوله: ﴿**فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ**﴾ أي: ترك له دمه، في أحد التأويلات، ورضي منه بالدية ﴿**فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ أي: فعلى صاحب الدم اتباع بالمعروف في المطالبة بالدية، وعلى القاتل ﴿**وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ**﴾ أي: من غير مماطلة وتأخير عن الوقت ﴿**ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ**﴾ أي: أن من كان قبلنا لم يفرض الله عليهم غير النفس بالنفس، فتفضل الله على هذه الأمة بالدية إذا رضي بها ولي الدم، على ما يأتي بيانه، وقال آخرون: ليس لولي المقتول إلا القصاص، ولا يأخذ الدية إلا إذا رضي القاتل، رواه ابن القاسم عن مالك وهو المشهور عنه، وبه قال الثوري والكوفيون، واحتجوا بحديث أنس في قصة الربيع حين كسرت ثنية المرأة، رواه الأئمة قالوا: فلما حكم رسول الله ﷺ بالقصاص وقال: «**القصاص كتاب الله، القصاص كتاب الله**» ولم يخبر المجني عليه بين القصاص والدية ثبت بذلك أن الذي يجب بكتاب الله وسنة رسوله في العمد هو القصاص، والأول أصح، لحديث أبي شريح المذكور،

وروى الربيع عن الشافعي قال: أخبرني أبو حنيفة أن سماك بن الفضل الشهابي قال: وحدثني ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي شريح الكعبي أن رسول الله ﷺ قال عام الفتح: «**من قتل له قتيل فهو بخير النظرين إن أحب أخذ العقل وإن أحب فله القود**»، فقال أبو حنيفة: فقلت لابن أبي ذئب: أتأخذ بهذا يا أبا الحارث فضرب صدري وصاح علي صياحًا كثيرًا ونال مني وقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول: تأخذ به! نعم آخذ به، وذلك الفرض علي وعلى من سمعه، إن الله ﷻ ثناؤه اختار محمدًا ﷺ من الناس فهداهم به وعلى يديه، واختار لهم ما اختاره له وعلى لسانه، فعلى الخلق أن يتبعوه طائعين أو داخرين، لا مخرج لمسلم من ذلك، قال: وما سكت عني حتى تمنيت أن يسكت.

الخامسة عشرة: قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ**﴾ اختلف العلماء في تأويل «من» و«عفي» على تأويلات خمس: **أحدها**: أن «من» يراد بها القاتل، و«**عفي**» تتضمن عافيًا هو ولي الدم، والأخ هو المقتول، و«**شيء**» هو الدم الذي يعفى عنه ويرجع إلى أخذ الدية، هذا قول ابن عباس وقتادة ومجاهد وجماعة من العلماء، والعفو في هذا القول على بابه الذي هو الترك، والمعنى: أن القاتل إذا عفا عنه ولي المقتول عن دم مقتول وأسقط القصاص فإنه يأخذ الدية ويتبع بالمعروف، ويؤدي إليه القاتل بإحسان، **الثاني**: وهو قول مالك أن «من» يراد به الولي «**وعفي**» يسر، لا على بابها في العفو، والأخ يراد به القاتل، و«**شيء**» هو الدية، أي: أن الولي إذا جنح إلى العفو عن القصاص على أخذ الدية فإن القاتل مخير بين أن يعطيها أو يسلم نفسه، فمرة تيسر ومرة لا تيسر، وغير مالك يقول: إذا رضي الأولياء بالدية فلا خيار للقاتل بل تلزمه، وقد روي عن مالك هذا القول، ورجحه كثير من أصحابه، وقال أبو حنيفة: إن معنى «**عفي**» بذل، والعفو في اللغة: البذل، وقال قوم: وليؤد إليه القاتل بإحسان، فندبه تعالى إلى أخذ المال إذا سهل ذلك من جهة القاتل، وأخبر أنه تخفيف منه ورحمة، كما قال ذلك عقب ذكر القصاص في سورة المائدة: ﴿**فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ**﴾ فندب إلى رحمة العفو والصدقة، وكذلك ندب فيما ذكر في هذه الآية إلى قبول الدية إذا بذلها الجاني بإعطاء الدية، ثم أمر الولي باتباع وأمر الجاني بالأداء بالإحسان، وقد قال قوم: إن هذه الألفاظ في المعينين الذين نزلت فيهم الآية كلها وتساقطوا الديات فيما بينهم مقاصة، ومعنى الآية: فمن فضل له من الطائفتين على الأخرى **شيء** من تلك الديات، ويكون «**عفي**» بمعنى فضل، روى سفيان بن حسين بن شوعة عن الشعبي قال: كان بين حيين من العرب قتال، فقتل من هؤلاء وهؤلاء، وقال أحد الحيين: لا نرضى حتى يقتل بالمرأة الرجل وبالرجل المرأة، فارتفعوا إلى رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «**القتل سواء**» فاصطلحوا على الديات، ففضل أحد الحيين على الآخر، فهو قوله: ﴿**كُتِبَ**﴾ إلى قوله: ﴿**فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ**﴾ يعني: فمن فضل له على أخيه فضل فليؤده بالمعروف، فأخبر الشعبي عن السبب في نزول الآية، وذكر سفيان العفو هنا الفضل، وهو معنى يحتمله اللفظ، وتأويل خامس: وهو قول علي ؓ والحسن في الفضل بين دية الرجل والمرأة والحر والعبد؛ أي: من كان له ذلك الفضل فاتباع بالمعروف، و«**عفي**» في هذا الموضع أيضًا بمعنى فضل.

بالقتل وفي الآخرة بالنار.

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰأُولِي الْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَا إِثْمُهُۥ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٩ - ١٨٣].

السادسة عشرة: هذه الآية حض من الله تعالى على حسن الاقتضاء من الطالب، وحسن القضاء من المؤدي، وهل ذلك على الوجوب أو الندب، فقراءة الرفع تدل على الوجوب؛ لأن المعنى فعليه اتباع بالمعروف، قال النحاس: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ﴾ شرط والجواب، ﴿فَاتِّبَاعٌ﴾ وهو رفع بالابتداء، والتقدير فعليه اتباع بالمعروف، ويجوز في غير القرآن «فاتباعًا»، و«أداء» بجعلهما مصدرين، قال ابن عطية: وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة «فاتباعا» بالنصب، والرفع سبيل للواجبات، كقوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾ وأما المندوب إليه فيأتي منصوبًا، كقوله: ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾.

السابعة عشرة: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ لأن أهل التوراة كان لهم القتل ولم يكن لهم غير ذلك، وأهل الإنجيل كان لهم العفو ولم يكن لهم قود ولا دية، فجعل الله تعالى ذلك تخفيفًا لهذه الأمة، فمن شاء قتل، ومن شاء أخذ الدية، ومن شاء عفا، قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ﴾ شرط وجوابه، أي: قتل بعد أخذ الدية وسقوط الدم قاتل وليه، ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال الحسن: كان الرجل في الجاهلية إذا قتل قتيلاً فر إلى قومه فيجئ قومه فيصالحون بالدية فيقول ولي المقتول: إني أقبل الدية، حتى يأمن القاتل ويخرج، فيقتله ثم يرمي إليهم بالدية، واختلف العلماء فيمن قتل بعد أخذ الدية، فقال جماعة من العلماء منهم مالك والشافعي: هو كمن قتل ابتداء، إن شاء الولي قتله وإن شاء عفا عنه وعذابه في الآخرة، وقال قتادة وعكرمة والسدي وغيرهم: عذابه أن يقتل البتة، ولا يمكن الحاكم الولي من العفو، وروى أبو داود عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا أعفي من قتل بعد أخذ الدية**»، قال الحسن: عذابه أن يرد الدية فقط ويبقى إثمه إلى عذاب الآخرة، وقال عمر بن عبد العزيز: أمره إلى الإمام يصنع فيه ما يرى، وفي «سنن» الدارقطني عن أبي شريح الخزاعي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أصيب بدم أو خبل - والخبل عرج - فهو بالخيار بين إحدى ثلاث فإن أراد الرابعة فخذوا على يديه بين أن يقتص أو يعفو أو يأخذ العقل فإن قبل شيئًا من ذلك ثم عدا بعد ذلك فله النار خالدًا فيها مخلدًا**».

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: 179] عظيمة؛ لأن القاتل إذا علم أنه يقتل انزجر فحصلت الحياة له ولمن أراد قتله ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ هذا الحكم.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ [البقرة: 180] أي: أسبابه ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ مالاً ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ هكذا كان في مبدأ الإسلام، ونسخ بآية المواريث وبحديث لا وصية لوارث ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ العدل فلا يخص غنيًا ولا يفضله ولا يجاوز الثلث ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ [البقرة: 181] غيره من شاهد أو وصي ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُ﴾ أو وصل إليه ثابتًا ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ﴾ أي: الإيصاء المبدل ﴿عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ﴾ [البقرة: 182] قرأ يعقوب وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر ﴿مُوصٍ﴾ بفتح الواو وتشديد الصاد، والباقون بالإسكان والتخفيف ﴿جَنَفًا﴾ ميلاً عن الحق وخطأ في الوصية ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ تعمدًا لذلك بمخالفة المأمور به من المعروف السابق ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: الموصي لهم بإجرائهم على الحكم الشرع ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في هذا التبديل؛ لأنه تبديل باطل إلى حق أو المعنى علم جورًا في الوصية فأمر بالعدل فيها فلا إثم عليه في ذلك ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: 183] يعني الأنبياء والأمم، وهو لغة الإمساك وشرعًا إمساك عن المفطرات على وجه مخصوص ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الشهوات بالصوم إذ هي تتولد عن تركه مع الشبع.

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ

عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٤ - ١٨٦].

﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾[1] [البقرة: 184] موقتات بعدد معلوم وهل كتب على من قبلنا رمضان أو صوم في الجملة؟ قولان، الأكثر على الأول لكنهم غيروا ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا﴾ يضره الصوم ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي: راكب سفر فصبر وأجهده الصوم في المرض ولم يرده في السفر ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ عليه يقضي بها ما فاته ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ أي: الصوم ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ فإن شاءوا صاموا وإن شاءوا فطروا، وأخرج كل عن كل يوم مدًا من غالب قوت البلد، قرأ المدنيان وابن ذكوان فدية بغير تنوين طعام بالخفض والباقون بالتنوين والرفع، وقرأ المدنيان وابن عامر مساكين بالجمع بفتح النون بلا تنوين، والباقون بالإفراد والخفض منونًا ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ﴾ أي: التطوع ﴿خَيْرٌ لَهُ﴾ أي: من زاد في الفدية فهو خير له ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من الفدية ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما في الصوم من الفضل أو إن كنتم تعلمون أنه خير من تلك الأيام فافعلوه، وهذا كان في أول الإسلام ثم نسخ بوجوب الصوم على المطيق غير المسافر بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ كما يأتي قال ابن عباس رضي الله عنهما إلا الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفًا على الولد فإنها باقية بلا نسخ في حقهما، ومنهم من يقول هي محكمة، والمراد بها من كان يطيقه ثم عجز عنه لهرم فيقول التقدير وعلى الذين لا يطيقونه.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: 185] جملة واحدة من اللوح

---

(1) أي: حاصل لهم بسبب هذا القول الذي رسخ اعتقادهم له وهونوا به الخطوب ولم يبالوا معه بارتكاب المعاصي والذنوب، والمراد بالأيام المعدودات أيام عبادتهم العجل، وجاء هنا ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ بصيغة الجمع دون ما في البقرة فإنه ﴿مَّعْدُودَةً﴾ بصيغة المفرد تفنناً في التعبير، وذلك لأن جمع التكسير لغير العاقل يجوز أن يعامل معاملة الواحدة المؤنثة تارة ومعاملة جمع الإناث أخرى فيقال: هذه جبال راسية، وإن شئت قلت راسيات، وجمال ماشية وإن شئت ماشيات، وخص الجمع هنا لما فيه من الدلالة على القلة كموصوفه وذلك أليق بمقام التعجيب والتشنيع. [تفسير الألوسي (2 /464)].

المحفوظ ليست بعده في سماء الدنيا ليلة القدر أو أنزل في تعظيمة القرآن، قرأ ابن كثير بنقل حركة همزة قرآن والقرآن إلى الراء قبلها وحذف الهمزة، والباقون بإثباتها وإسكان الراء ﴿هُدًى﴾ أي: هاديًا من الضلالة ﴿لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ﴾ دلالات لهم ﴿مِنَ الْهُدَى﴾ الهادي للحق من الأحكام ﴿وَالْفُرْقَانِ﴾ الفارق بين الحق والباطل ﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾ حضر ﴿مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ تخصيص لمن شهد وسبق مثله وكرر لئلا يتوهم نسخه بعموم شهد ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ الرخصة ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ بإلزام المريض ونحوه، وضم السين من اليسر والعسر كيف وقع نحو لليسرى وللعسرى أبو جعفر والباقون بالإسكان، واختلف في الذاريات في قوله تعالى: ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً﴾ [الذاريات: 3] عن عيسى بن وردان ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ أي: عدة رمضان علة لمحذوف تقديره شرع ما ذكر في صوم الشاهد والقضاء لمن ذكر ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ أرشدكم في دينه ومنه الرخصة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فضله في عدم إرادة العسر وسأل جماعة النبي: أقريب ربنا نناجيه أم بعيد فنناديه؟ فنزل.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ﴾ [البقرة: 186] يا محمد ﴿عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ إليهم بعلمي ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ بإنالة السؤال ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا ﴾ يجيبوا ﴿لِي﴾ بالطاعة، وقيل: يستدعوا مني الإجابة ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ أمر بالثبات والمداومة أو المعنى يدعوا إلى الإيمان بي ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٧ - ١٨٨].

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ﴾[1] [البقرة: 187] الجماع، عُدي بـ«إلى» في قوله ﴿إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ لتضمه معنى الإفضاء نزلت ناسخة لتحريم الجماع بعد العشاء أو بعد النوم وإن كان قبلها إلى انتهاء الصوم ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ كناية عن عدم استغناء كل عن صاحبه ولاشتمال كل على صاحبه سُمي لباسًا، وقيل: هن سكن لكم وأنتم سكن لهن أو فراش لكم وأنت لحاف لهن ﴿عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ﴾ قبل نزول هذه الآية ﴿تَخْتَانُونَ﴾ تخوفون ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ بالجماع بعد العشاء كما وقع لعمر وجمع من الصحابة ﷺ ونزلت الآية لما شكوا ذلك لرسول الله ﷺ ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ مما مضى ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ فإنزال الالتزام بذلك نسخًا لبدله هو الأحق عليكم ﴿فَالْآنَ﴾ إذا حل لكم ﴿بَاشِرُوهُنَّ﴾ جامعوهن ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ﴾ قدر أو أباح ﴿اللهُ لَكُمْ﴾ اطلبوا الولد، وقيل: ليلة القدر في الشهر المذكور، وقيل: الرخصة والتوسعة ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ وإن نمتم قبل الأكل أو لم تأكلوا قبل العشاء ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ أي: بياض النهار من ظلام الليل، وقوله: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ بيان للخيط الأبيض وبيان الأسود محذوف تقديره من الليل ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ﴾ من الفجر ﴿إِلَى اللَّيْلِ﴾ الذي هو آخر وقته والمراد غروب الشمس ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ﴾ أي: نسائكم ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ﴾ مقيمون والعكوف والاعتكاف لغة الإقامة، وشرعًا الإقامة في المسجد بنية القربة، ويحصل عندنا بلبث قدر يسمى عكوفًا ولو وقفة لطيفة ولا يشترط فيه الصوم ﴿فِي الْمَسَاجِدِ﴾ نزلت نهيًا لمن كان يخرج وهو معتكف فيجامع امرأته ويعود ظنًا أن الجماع لا يبطله ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ لا تأتوها وأصل الحد في اللغة المنع ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل هذا التبيين ﴿يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

---

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: قوله تعالى: ﴿لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ﴾ «ليلة» نصب على الظرف، وهي اسم جنس فلذلك أفردت، والرفث: كناية عن الجماع؛ لأن الله ﷻ كريم يكني، قاله ابن عباس والسدي، وقال الزجاج: الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من امرأته، وقاله الأزهري أيضًا، وقال ابن عرفة: الرفث ها هنا الجماع، والرفث: التصريح بذكر الجماع والإعراب به، وتعدى: «الرفث» بـ«إلى» في قوله تعالى: ﴿الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ وأنت لا تقول: رفثت إلى النساء، ولكنه جيء به محمولاً على الإفضاء الذي يراد به الملابسة في مثل قوله: ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: 188] أي: لا يأكل بعضكم مال بعض بغير حق ولا ﴿وَتُدْلُوا﴾ تلقوا مأخوذ من أدلى بحجته وأدلى دلوه وناسب التعبير به؛ لأنه يطلب بها الحاجة كما يطلب بإدلاء الدلو لما ﴿بِهَا﴾ أي: بحكومتها أو بالأموال رشوة ﴿إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا﴾ بسبب ذلك ﴿فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ قطعة وجزءًا من أموالهم متلبسين ﴿بِالْإِثْمِ﴾ الظلم والتعدي ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم مبطلون.

﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٨٩) وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ (١٩١) فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٢) وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ (١٩٣) ﴾ [البقرة: ١٨٩ - ١٩٣].

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ [البقرة: 189] يا محمد ﴿عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ إذ قال معاذ وغيره: ما للهلال يبدو رقيقًا ثم يزيد حتى يمتلي نورًا ثم يعود كما بدى ولا يكون على حال واحد كالشمس ﴿قُلْ﴾ لهم جوابًا ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ﴾ جمع ميقات وهو الزمان المفروض لأمر والزمان مدة مقسومة، والمدة امتداد حركة الفلك من مبتداها إلى منتهاها ﴿لِلنَّاسِ﴾ في الآجال ونحوها ﴿وَالْحَجِّ﴾ فيعلم بها وقته وهذا جواب لإعلامهم بأن حقهم معرفة ذلك أي: فلو استمرت على حال واحد لم يعرف ذلك ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ أي: صاحب البر ﴿مَنِ اتَّقَى﴾ المعاصي نزلت في أناس كانوا في الحج لا يأتون بيتا من بابه بل ينقبون نقبًا للدخول والخروج ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ لتخالفوا طريق الجاهلية وتوافقوا الشرع، وقرأ أبو جعفر والبصريان وحفص وورش ﴿الْبُيُوتَ﴾ وبيوت حيث وقع بضم الباء، والباقون بكسرها، وكذا كسر حمزة الغين من الغيوب وكسر ابن كثير وحمزة والكسائي وابن ذكوان الغين من

الغيوب وكذا أبو بكر، والشين من ﴿شُيُوخاً﴾ [غافر: 67] في غافر، والجيم من ﴿جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: 31] في النور، إلا أنه اختلف عن أبي بكر في ﴿جُيُوبِهِنَّ﴾ والباقون بضم ذلك كله ﴿وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ولما صد ﷺ عن البيت عام الحديبية وصالح الكفار على أن يعود العام القابل، ويخلوا له مكة ثلاثة أيام ويجهز لعمرة القضاء وخافوا ألا تفي قريش ويقاتلوهم وكره المسلمون قتالهم في الحرم والإحرام والشهر الحرام نزل.

﴿وَقَاتِلُوا﴾ [البقرة: 190] جاهدوا ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ من الكفار دون عنهم ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ بقتال غيرهم أو عليهم بالابتداء بالقتال ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ المجاوزين ما حد لهم وهذا منسوخ بآية برأة وبقوله:

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [البقرة: 191] وجدتموهم وأصل الثقافة الحذق والبصر بالأمر ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ فأخرج المسلمون يوم فتح مكة من لم يسلم منها ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ المراد بها الشرك هنا ﴿أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ فشركهم أشد من قتلكم لهم في الحرم والإحرام الذي استعظموه ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: في الحرم ﴿حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ﴾ فيه ﴿فَاقْتُلُوهُمْ﴾ فيه ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: قتلهم وإخراجهم ﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ وقرأ حمزة والكسائي وخلف «**ولا تقتلوهم**»، «**حتى يقتلوكم**»، «**فإن قتلوكم**» بحذف الألف فهن، والباقون بإثباتها.

﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ [البقرة: 192] عن الكفر والقتل ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ﴾ [البقرة: 192 - 193] توجد ﴿فِتْنَةٌ﴾ شرك ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ﴾ العبادة ﴿لِله فَإِنِ انتَهَوْا﴾ عن شركهم ﴿فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ومن انتهى فليس بظالم فلا عدوان عليه والعدوان السبيل بالقتل وغيره سمي عدوانًا باسم مقابله.

﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ

أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ [البقرة: ١٩٤ - ١٩٦].

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾[1] [البقرة: 194] أي: ذو القعدة الذي دخلتم مكة فيه وقضيتم عمرتكم سنة سبع بالشهر الحرام وهو ذو القعدة أيضًا الذي صددتم فيه عن البيت سنة ست أو المعنى كما قاتلوكم فيه قاتلوهم فيه فهو رد لاستعظام المسلمين ذلك ﴿وَالْحُرُمَاتُ﴾ جمع حرمة جمعها؛ لأنه أراد حرمة الإحرام والشهر الحرام والبلد الحرام ويضبطها كل ما يجب احترامه ﴿قِصَاصٌ﴾ مساواة ومماثلة وهو أن يفعل بالفاعل مثل الذي فعل ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ من غير زيادة ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالحفظ والنصر.

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ [البقرة: 195] هو الجهاد إذا أطلق وكل خير سبيل الله؛ لأنه في الطريق التي أمر بها ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ أنفسكم ﴿إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ بترك الجهاد والإنفاق في سبيل الله؛ لأنه يقوي عدوكم عليكم أو بالإسراف والتهلكة كل شيء صير عاقبته إلى الهلاك، وقيل: ما يمكن الاحتراز عنه ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ باتباع الأمر ومنه النفقة

---

(1) فيها مسألتان: **المسألة الأولى** في سبب نزولها: قيل: نزلت سنة سبع حين قضى ﷺ عمرته في ذي القعدة، ودخل مكة وقضى نسكه. والمعنى: شهر بشهر، وحرمة بحرمة؛ وذلك أصل في كل مكلف عاقه عذر عن عبادة ثم قضاها، فإن الحرمة واحدة، والثواب سواء وقيل: إن المشركين قالوا: يا محمد، نهيت عن القتال في الشهر الحرام؟ قال: نعم؛ فأرادوا قتاله فيه، فنزلت الآية أي إن استحلوا قتالك فيه فقاتلهم، فإن الحرمة بالحرمة مكافأة.

تنبيه: قال علماؤنا: هذا يدل على أن لك أن تبيح دم من أباح دمك وعرض من أباح عرضك، ومال من أخذ مالك؛ لكن من أباح دمك فلا تأخذه إلا بحكم حاكم، لا باستطالتك وأخذك بيدك؛ وأما من أخذ مالك فخذ ماله إذا تمكنت منه، إن كان من جنس مالك: إن ذهباً فذهب، أو طعاماً فطعام، إذا أمنت أن تعد سارقاً؛ فإن لم يكن من جنسه، فالصحيح أنه يتحرى القيمة بقدر ذلك؛ وإما إن أخذ عرضك، فخذ عرضه ولا تتعداه لأبويه ولا إلى قريبه؛ ولا تكذب عليه، وإن كذب عليك، فإن المعصية لا تقابل بمثلها؛ فلو قال لك: يا كافر، فقل له: أنت الكافر، وإن قال لك: يا زان، فقل له: يا كاذب، يا شاهد زور؛ فإن قلت له: يا زان، كنت كاذباً وشاهد زور وأثمت، وإن مطلك، وهو غني، فقل له: يا ظالم؛ قال رسول الله ﷺ: «لَيُّ الغني يحلُّ عِرضه وعقوبته»، أما عرضه فبما فسرناه؛ وأما عقوبته فبالسجن حتى يؤدي. [الأحكام الصغرى ص 53].

﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: 196] بالإتيان بمناسكهما وحدودهما وسننهما ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ من نعيم الإتمام والإحصار المبيح للتحلل منع العدو ومثله شرط التحلل بالمرض في عقد الإحرام فإن لم يشترط لم يتحلل ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ تيسر ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ أي: فعليكم ذلك فيذبح شاة أو بدنة أو بقرة أو سبع واحدة منهما بأن يشترك فيها قوم ويذبحون ويفرق لحم ما ذبح بالموضع الذي أحضر فيه فإن عجز المشتري بقيمة الشاة طعامًا وتصدق به، فإن عجز صام عن كل مد يومًا ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ﴾ أي: لا تتحللوا ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ﴾ هو اسم لكل ما يهدى إلى بيت الله تعالى تقربًا إليه، والمراد به هاهنا ما يذبح من النعم ﴿مَحِلَّهُ﴾ أي: يصل إلى المحل الذي يحل ذبحه فيه وذلك حيث أحصر في الحل أو الحرم فلا يجوز للمحصر تقديم الحلق على الذبح، ويجب أن ينوي التحلل عند الذبح وعند الحلق ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ﴾ كقمل وصداع فحلق في الإحرام خشية محذور تيمم من تلف عضو أو منفعته أو بطيء البرء، أو شين فاحش في عضو ظاهر ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ أي: فعليه فدية يخير فيها بين ما ذكره بقوله ﴿مِنْ صِيَامٍ﴾ وهو ثلاثة أيام ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ بثلاثة أصع على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع الصاع أربعة أمداد المد رطل وثلث بالبغدادي، هو مائة وثمانين وعشرون درهمًا وأربعة أسباع درهم ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾ وهو ذبح شاة بصفة الأضحية أو الحلق بغير عذر كذلك بل هو أولى بالتكفير، وكذا كل أسماع كصيب ولبس وذهن لعذر أو غيره ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ الإحصار بأن ذهب العدو أو لم يكن ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ﴾ أي: بسبب فراغه منها بمحظورات الإحرام ﴿إِلَى الْحَجِّ﴾ بأن أحرم بها في أشهر الحج ثم بعد فراغها حج من سنته ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ تيسر ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ عليه أي شاة بصفة الأضحية أو سبع بدنة أو سبع بقرة ووقت الذبح بعد التحلل من العمرة والأفضل بعد الإحرام بالحج ويوم النحر ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ الهدي بأن عجز عن تحصيله أو وجده بأكثر من ثمن المثل ﴿فَصِيَامُ﴾ أي: فعليه صيام ﴿ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ أي: في أيامه فيجب أن يصومها بعد الإحرام والأولى أن يحرم قبل يوم السادس ويصومه ويصوم السابع والثامن والتاسع يفطره؛ لأنه يوم عرفة ويكره صومه للحاج الذي لم يؤخر الوقوف إلى الليل ولا يجوز يوم النحر وأيام التشريق ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى أهليكم فإن جاز بمكة صامها فيها مفرقًا بقدر تفريق الأداء وهو أربعة أيام

ومدة إمكان السير إلى أهله غالبًا ﴿تِلْكَ﴾ الأيام عشرة كاملة ﴿عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ﴾ أي: لزوم الدم والبدل عند العجز عنه ﴿لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وحاضروه من هو على دون مرحلتين من الحرم وذكر الأهل مشعر بالاستيطان، فلو أقام قبل أشهر الحج ولم يستوطن وتمتع فعليه الدم والحق بالمتمتع في الدم القارن، وهو من أحرم بالحج والعمرة معًا أو أدخل الحج عليها قبل الطواف كما بينته السنة ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٧ - ١٩٩].

﴿الْحَجُّ﴾ [البقرة: 197] أي: وقته ﴿أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ معروفات وهي شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة عندنا وسُمي بعض الشهر شهرًا إقامة للبعض مقام الكل ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ على نفسه أي: أحرم به ويحصل بمجرد النية ولا يشترط التلبية ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ لا جماع ولا مقدماته ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾[1] لا خروج من حدود

---

(1) قال ابن العربي المعافري: يقال: رفث يرفث بضم الفاء في المستقبل وكسرها، والرفث كل قول يتعلق بذكر النساء من جماع وغيره، والمراد: أنه لا رفث مشروع في الحج، لا أنه لا يوجد، بدليل وجود الرفث المفسد للحج، فيكون المنهى عبارة عن مشروعيته وإن كان موجوداً حساً، فمن جامع في الحج، فسد حجه، ولو باشر، لم يبطل، كما لو مس طيباً، لأن تحريم المباشرة تحريم وسائل، فهي أخف من تحريم المقاصد، وقد قال ﷺ: «لا ينكَح المحرم ولا يُنكَح، ولا يخطب». فلو فعل، لم يفسد حجه. وقوله: ﴿وَلاَ فُسُوقَ﴾، قيل: المراد: جميع المعاصي، لقوله ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»، وقال ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة». قال الفقهاء: المبرور هو الذي لم يعص الله في أثنائه. وقال الفقراء: هو الذي لم يعص الله بعد أدائه.

الشريعة، ومنه السباب والتنابز بالألقاب ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ لا مراء ولا مخاصمة مع الرفقاء والخدم وشبههم وإنما أمر باجتناب ذلك ﴿فِي الْحَجِّ﴾ مع أنه واجب الاجتناب في كل حال؛ لأنه مع الحج أقبح كلبس الحرير في الصلاة والمراد بالنفي وجوب ابتغائها وحقيقته ألا تكون ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا﴾ وأمر بالزاد؛ لأن قومًا من اليمن كانوا يحجون مع عدمه ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ ويفهم من الآية النهي عن الإلحاح في السؤال؛ لأن الحج بلا زاد سبب له ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ [البقرة: 198] حرج ﴿أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا﴾ عطاء وتجارة في مواسم الحج إذ نزلت لقولهم هل علينا جناح في ذلك ﴿مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ﴾ دفعتم ﴿مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ بعد الوقوف بها قيل هو جمع عرفة جمعت وإن كانت شيئًا واحدًا باعتبار ما حولها من المشاعر سميت بذلك لأنها وصفت لإبراهيم ﷺ فعرفها لما أبصرها وقيل غير ذلك مما ذكر في الأصل ﴿فَاذْكُرُوا اللهَ﴾ بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية والتهليل والدعاء ﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ وهو قزح جبل في آخر المزدلفة فإنه أفضل من غيره، وإن كانت مزدلفة كلها موقفًا وفي الحديث أنه ﷺ وقف به يذكر الله ويدعو حتى أسفر جدًا ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ أي: ذكرًا حسنًا كما هداكم أو بهدايتكم ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ الجاهلين.

﴿ثُمَّ﴾ [البقرة: 199] للترتيب في الذكر ﴿أَفِيضُوا﴾ من عرفات إلى المزدلفة ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ أي: العرب كلهم؛ لأن الحمس وهم قطان مكة من قريش وغيرهم المحالفين لهم كانوا يقفون بجمع ويقولون نحن قطان حرم الله وأهله فلا نخرج من الحرم فأمرهم الله بالوقوف بعرفات مع غيرهم من الناس والإفاضة المذكورة معهم ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ﴾ من ذنوبكم ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢) ۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ

فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٠ - ٢٠٤].

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ﴾ [البقرة: 200] أديتم ﴿مَنَاسِكَكُمْ﴾ حجكم وذبائحكم، فإن رميتم جمرة العقبة وطفتم واستقررتم بمنى ﴿فَاذْكُرُوا اللهَ﴾ بالتكبير والثناء ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ أي: وذكروه ذكرًا أشد من ذكركم لآبائكم أمروا بذلك لأنهم كانوا يذكرون مفاخرهم عند انقضاء المناسك بين المسجد والجبل من حسب ونسب ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ﴾ لأنه يريد الدنيا ﴿رَبَّنَا آتِنَا﴾ نصيبًا ﴿فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ حظ ونصيب.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [البقرة: 201] نعمة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ ففي الدنيا الصحة والكفاية والتوفيق ومن ذلك الزوجة الصالحة الحسنة والعلم والعمل به وفي الآخرة الجنة والثواب والرحمة ومنه الحور العين ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ بالعفو والمغفرة والحفظ من الشهوات، وهذا بيان لما كان عليه المشركون والحال والمؤمنين والقصد به الحث على طلب خير الدارين كما وعد الثواب عليه بقوله:

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾ [البقرة: 202] حظ وثواب ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ أي: من أجله ﴿وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فيحاسب الخلق كلهم في آن واحد في قدر لمحة، في قدر نصف نهار من أيام الدنيا.

﴿وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: 203] هي أيام التشريق والذكر فيها بالتكبير وخصوصًا عند رمي الجمار، فالحاج يكبر من ظهر النحر ويختم بصبح آخر آخر التشريق وغيره يكبر من صبح عرفة ويختم بعصر آخر التشريق ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾ أي: استعجل بالنفر من منى ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بالتعجيل ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بذلك ونفي الإثم ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ بأن راعى ما يجب في الحج أو راعى الحدود كلها والأول أقرب، والرمي المتعلق بالتحلل يدخل بمضي نصف ليلة النحر وهو أن يرمي سبع حصيات إلى جمرة العقبة وأما غيره فهو في اليوم الثاني إلى الجمرات الثلاث كل جمرة سبع حصيات وفي اليوم الثالث كذلك بعد الزوال فيهما ثم إن شاء نفر فجاء إلى مكة أو أي محل شاء، وهذا متعجل لأنه عجل لنفسه الفراغ من الرمي

ومن تأخر إلى غروب الشمس ليلة آخر أيام التشريق لزمه المبيت بمنى والرمي في اليوم الذي يليها وليس بمتعجل؛ لأنه أتى بالأكمل ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [البقرة: 204] فتستحسنه ويعظم في قلبك ولا يعجبك في الآخرة لمخالفته لاعتقاده ﴿وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ أنه موافق لقوله فيقول والله إني بك مؤمن ولك محب ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ شديد الخصومة لك ولأتباعك بعداوته لك، نزلت في الأخنس بن شريف كان منافقًا حلو الكلام للنبي ﷺ يحلف أنه مؤمن به ومحب له فيدني مجلسه فأكذبه الله في ذلك ومر بزرع وحمر لبعض المسلمين فأحرقه وعقرها ليلاً كما قال تعالى.

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ [البقرة: ٢٠٥ - ٢١٠].

﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ [البقرة: 205] أدبر وأعرض عنك ﴿سَعَى فِي الْأَرْضِ﴾ عمل فيها وقيل سار ومشي ﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ بأكاذيبه وأفعاله ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ﴾ وهو على بابه وقيل هو النساء ﴿وَالنَّسْلَ﴾ هو نسل كلما يدب على وجه الأرض لدلالة إهلاك بعضه عمدًا على إرادة إهلاك الكل، وقيل: المعنى إذا تولى ولاية سوء ظلم كثيرًا فمنع الله بسبب ظلمه الفطر فهلك الحرث والنسل ﴿وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ لا يرضى به.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ﴾ [البقرة: 206] في فعلك ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾ المنعة وشدة النفس ﴿بِالْإِثْمِ﴾ الظلم والعدوان، وقيل: المعنى أخذته العزة مع الإثم والمراد حملته

الأنفة والحمية على العمل بالإثم الذي أمر باتقائه ﴿فَحَسْبُهُ﴾ كافيه عاقبة وجزاء ﴿جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ الفراش.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي﴾ [البقرة: 207] يبيع ﴿نَفْسَهُ﴾ من الكفار أو يبذلها في طاعة الله، سُمي الأول بيعًا؛ لأنه بمعناه نزلت في صهيب أراد الهجرة من مكة إلى مدينة رسول الله ﷺ فأبت عليه قريش فقال لهم إن أخذتم ما لي تتركوني فرضوا ففعل فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**ربح البيع صهيب مرتين**»[1] ﴿ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاةِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ حيث أرشدهم لما فيه رضاه، ونزل في عبد الله بن سلام وأصحابه لما عظموا السبت وكرهوا الإثم بعد الإسلام.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾ [البقرة: 208] الإسلام بفتح السين للكسائي والمدنيان وابن كثير والباقون بكسرها ﴿كَافَّةً﴾ أي: ادخلوا في جميع شرائعه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ﴾ طريق ﴿الشَّيْطَانِ﴾ آثاره في التفريق بينكم وتزينه تفريق شرائع الإسلام ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾ [البقرة: 208 - 209] ضللتم، وقيل: ملتم عن الدخول في الإسلام أو في جميع شرائعه.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [البقرة: 209] الحجج الصحيحة على أنه حق ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: 210] أي: ينتظر التاركون الدخول في الإسلام ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ﴾ أي: أمره والمعنى أنهم لا ينتظرون إلا إتيانه ﴿فِي ظُلَلٍ﴾ جمع ظلة وهو المظل من فوق ﴿مِنَ الْغَمَامِ﴾ وهو السحاب الأبيض هنا؛ لأنه مظنة الرحمة فإذا جاءهم العذاب فيه كان أقطع، وقيل: غيره فقيل كهيئة الضباب، وقيل: هو كناية عن الستر عن الخلق فلا يرونه ﴿وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ﴾ تم ﴿الْأَمْرُ﴾ هلاكهم ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ بفتح التاء وكسر الجيم حيث وقع ابن عامر والأخوان.

﴿ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۢ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ

(1) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (1/564).

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾
[البقرة: ٢١١ - ٢١٣].

﴿سَلْ﴾ [البقرة: 211] يا محمد ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ تبكيتًا لهم ﴿كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ دلالة واضحة فبدلوها كفرًا ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ وصلت إليه ﴿فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له وهل النعمة الإسلام أو القراءة أو عهد الله؟ أقوال متقاربة.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: 212] من أهل مكة ﴿الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ بالتمويه فأحبوها ﴿وَ﴾ هم ﴿يَسْخَرُونَ﴾ يضحكون ويستهزئون ﴿مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لفقدهم كبلال وصهيب وعمار ويتعالون بالمال عليهم ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لأنهم هم الناجون ﴿وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ في الدنيا والآخرة أو الدنيا بأن يملك المسخور منه مال الساخر ورقبته.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة: 213] أي: على الإيمان ثم آمن بعضهم وكفر بعضهم، وقيل: المراد آدم، وقيل: المراد أن العرب كانوا على ملة إبراهيم إلى أن غيرها عمرو بن يحيى ﴿فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ﴾ إليهم ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي: الكتب ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿لِيَحْكُمَ﴾ قرأ أبو جعفر هنا وفي آل عمران وموضعي النور بضم الياء وفتح الكاف، والباقون بفتح الياء وضم الكاف ﴿بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ من أمورهم ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي: في الكتاب ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ فآمنوا ببعض وكفروا ببعض ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الحجج الظاهرة على التوحيد ﴿بَغْيًا﴾ حسدًا من الكفار ﴿بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ بقضائه وأمره وإرادته ﴿وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ طريق حق، ونزل في جهد أصاب المسلمين.

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم

مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٤ - ٢١٦].

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ [البقرة: 214] خطاب للنبي ﷺ وصحبه ﴿أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: حال الذين مضوا في الشدة فتصبروا كما صبروا وبينها بقوله: ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ﴾ شدة الفقر ﴿وَالضَّرَّاءُ﴾ المرض ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ أزعجوا بأنواع البلايا والرزايا تخويفًا ﴿حَتَّى يَقُولَ﴾ برفع اللام لنافع وبنصبها للباقين ﴿الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى﴾ يأتي ﴿نَصْرُ اللهِ﴾ الذي وعدناه قالوه فأجيبوا من قبل الله ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ * يَسْأَلُونَكَ﴾ [البقرة: 214 - 215] يا محمد ﴿مَاذَا﴾ أي: الذي ﴿يُنْفِقُونَ﴾ نزلت لأن عمرو بن الجموح الأنصاري كان شيخًا كبيرًا وله مال فسأل رسول الله ﷺ أين يضع ماله وفي رواية أنه قال ماذا أُنفق وعلى من ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﷺ ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ مال، وهذا المنفق وأما المتفق عليه فبين بقوله: ﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ أي: هم أولى به ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ إنفاق أو غيره ﴿فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

﴿كُتِبَ﴾ [البقرة: 216] فرض ﴿عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ الجهاد للكفار ﴿وَهُوَ كُرْهٌ﴾ مكروه ﴿لَكُمْ﴾ طبعًا؛ لأنه شاق عليكم ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[1]

---

(1) قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ أخبر سبحانه أن مقاومة النفس ومخالفتها صعب على صاحبها؛ لكن في درب كل خلقٍ دنا في نيران المجاهدة انفتاح كنز من كنوز الحقائق من الفِراسات والكرامات والمناجاة والمكاشفات والمشاهدات؛ لأن النفس الحجاب الكلي يحجب القلب عن مشاهدة الملكوت، ورؤية أنوار الجبروت، وسنة الله قد مضت بأن من خالف نفسه وهواه فقد استنَّ محجة المثلى وأدرك ممالك العليا، ورقي مدارج المكاشفات، وبلغ معارج المشاهدات؛ لأن مخالفة النفس هي موافقة للقلب، ومَنْ وافق قلبه أنس سعادة =

الجهاد ونحوه ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا﴾ وهو الشهوات ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ لما في ذلك من عار الدنيا وعقاب الآخرة ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ﴾ مصالحكم وما هو خير لكم ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ شيئًا منها فبادروا إلى ما يأمركم به.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٧ - ٢١٩].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ﴾ [البقرة: 217] لهم ﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ أي ذنب كبير ونسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: 5] ﴿وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ﴾ دين ﴿اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: وصد عنه وهو مكة

=

الكبرى، ونال منزلة الأعلى؛ لأن مَنْ باشر أنوار القلب فقد باشر أمر الحق، ومَنْ أدرك الحق بوصف الإلهام باشر سره نور الحكمة، ومَنْ أدرك نور الحكمة فقد أبصر نور معرفته، ومَنْ أبصر نور معرفته عاين حقيقة الكل بالكل، وقد استمسك بالعروة الوثقى، وهي مشاهدة مولاه، فأين هذه المنزلة والمرتبة في هوى حسن حظوظ البشرية، وحصول النفس عند توقانها نفائس الشهوة؛ بل الأمر المعظم في قتال النفس، وقمع شهواتها، وقلع صفاتها عنها حتى تصير مطمئنة ساكنة تحت قضاء الحق، وبقي القلب فارغًا عن وساوسها، وسرَّ عالم الملكوت بنور البصيرة، كما قال ﷺ: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء».

﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾ وهم النبي ﷺ والمؤمنون ﴿أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ﴾ مما سألتم عنه في أمر الشهر الحرام نزلت في سرية بعثها النبي ﷺ لعير قريش مع عبد الله بن جحش قلعوا العير فأخذوه وقتلوا ابن الحضرمي، وكان ذلك غرة رجب من غير علم من السرية إذ ظنوه آخر جمادى الآخرة؛ فلامت قريش على ذلك؛ فأنزل الله إنما فعلوه عمدًا أكبر مما فعلته السرية خطأ، وقيل: إنما فعلوا ذلك آخر يوم من جمادى الآخرة والتبس عليهم برجب؛ فنزلت نافية لظنهم ومفيدة أنه لو وقع لكان فعلهم أشد ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ الشرك وإخراج أهل الدور منها ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ﴾ أي: الكفار ﴿يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى﴾ كي ﴿يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾ إخبار عن دوام عداوة الكفار ﴿إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ الإسلام ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطل نفعها ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ومن لم يمت على الردة لم يحبط عمله فلا يعيد نحو الحج السابق عليها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ [البقرة: 218] من مكة إما للحبشة أو المدينة أو لهما ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ﴾ أي: ثوابه ﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ نزلت في السرية أيضًا إذ ظنوا أنهم سلموا من الإثم ولا أجر لهم فنزلت مثبتة للأجر بإثبات رجاء الرحمة، ونزل لما قال عمر: اللهم بين في الخمر بيانًا شافيًا.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ﴾ [البقرة: 219] حكم ﴿الْخَمْرِ﴾ وهي عصير العنب إذا اشتد وغلا ويلحق به كل مسكر ﴿وَ﴾ عن حكم ﴿الْمَيْسِرِ﴾ وهو القمار ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ عظيم، وقرأ حمزة والكسائي كثير بالثاء المثلثة، والباقون بالباء الموحدة ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ من الطرب واللذة في الخمر وكسب المال في القمار بلا تعب ﴿وَإِثْمُهُمَا﴾ بعد التحريم ﴿أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ قبله أو المفاسد الناشئة عن ذلك من زوال العقل والفقر أكبر من النفع الحاصل بالطرب وغنى الغير ولما نزلت شربها قوم وحرمها آخرون إلى أن نزلت آية المائدة ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ أي: ما قدره قبل هو سؤال عمرو بن الجموح أيضًا ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ قرأ أبو عمرو بضم الواو، والباقون بفتحها ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ما بين لكم في الإنفاق ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ

﴿ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٢٠ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٢٢١ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة: ٢٢٠ - ٢٢٢].

﴿فِي﴾ [البقرة: 220] أمر ﴿الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فتأخذون بالأصلح لكم فيها ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ لما نزل أن الذين يأكلون أموال اليتامى فاعتزلوهم وتركوا أمورهم فشق عليهم؛ لأن إن آكلوهم أثموا وإن عزلوهم وضعوا لهم طعامًا وحدهم خرج فسألوه ﷺ فنزلت ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ﴾ في أموالهم بالتنمية ومداخلتهم ﴿خَيْرٌ﴾ من اعتزالهم وترك أمورهم ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ﴾ أي: يخلطوا نفقتكم بنفقتهم ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ في الدين ومن شأن الأخ مخالطة أخيه أي: فلكم ذلك ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ كلكم ما يستو عليكم، قرأ البزي «لاعنتكم» بتسهيل الهمزة بين بين بخلاف عنه والباقون بتحقيقها ﴿إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَلَا تَنْكِحُوا﴾ [البقرة: 221] تتزوجوا أيها المؤمنون ﴿الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ فلا يجوز لمسلم نكاح كتابية ولا غيرها وكان ذلك في صدر الإسلام، فخص هذا العموم بقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [المائدة: 5] ﴿وَلَأَمَةٌ﴾ رقيقة ﴿مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ﴾ حرة، وإنما كان المعنى ذلك لورودها على سبب وهو العيب على من تزوج أمة والترغيب في نكاح حرة ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ في الحسن والمال ﴿وَلَا تُنْكِحُوا﴾ تزوجوا ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: الكفار المؤمنات ﴿حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ فيحرم على المسلمة زواج كل كافر كتابيًا كان أو غيره ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ﴾ ولو كان حرًا ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ ماله أو حسنه ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: المشركون والمشركات ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ لدعائهم للعمل الموجب لها فلا يليق مناكحتهم ﴿وَاللهُ يَدْعُو﴾ على لسان رسوله ﴿إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ بتوفيقه وقضائه فيجب اجابته بتزويج أوليائه ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ

لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ فيتعظون.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: 222] أي: حكم الحيض أو مكانه ماذا يفعل بالنساء فيه وسببه عدم مخالطتهم للحيض في الجاهلية حتى في المأكل والحيض والمحيض مصدران كالسير والمسير وأصله الانفجار والسيلان ﴿قُلْ هُوَ﴾ أي: الحيض ﴿أَذًى﴾ مستقذرًا ومحله ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ أي: مجامعتهن فيه وكذا الاستمتاع بما بين السرة والركبة ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ بما ذكر ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر بفتح الهاء والطاء وتشديدهما، والباقون بتخفيفهما ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ اغتسلن ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾ جامعوهن في القبل ﴿مِنْ﴾ في ﴿حَيْثُ﴾ مكان ﴿أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ هم المتنزهون من الفواحش والأقذار ومنه مجامعة الحائض وإتيان المرأة في دبرها.

﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٣ - ٢٢٧].

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: 223] مواضع حرثكم أي: وليكم والمعنى يحل زرعكم الولد ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾ أي: محله ﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾ كيف شئتم فيما عدا الدبر من قيام وقعود وإقبال وإدبار؛ لأنها نزلت لقول اليهود من جامع في القبل فمن جهة الدبر جاء ولده أحول ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ هل هو التسمية قبل الجماع أو طلب الولد أو التزويج بالعفائف أو موت الأولاد؟ أقوال، وتصح إرادة الكل ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالكرامة من الله والتنعيم الدائم.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ﴾ [البقرة: 224] العظيم ﴿عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ فتحلفون به على أي شيء شئتم قيل نزلت لما حلف الصديق كرم الله وجهه أن لا ينفق على مسطح ﴿أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ أي: فافعلوا ذلك من غير حلف به والحلف بغيره

مكروه أو المعنى لا تحلفوا لئلا تبروا إلى آخره فتكره اليمين على ترك الخير ويسن الحنث والتكفير مقدمًا أيهما شاء بخلافها على فعل البر ونحوه على طاعة يكره الحنث فيها ﴿وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: 225] وهو قول الرجل من غير قصد اليمين لا والله بلى والله وكلا والله فلا إثم فيه ولا كفارة ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ﴾ عزمت وقصدت ﴿قُلُوبُكُمْ﴾ فهو متعلق الحنث والكفارة ونحو ذلك ﴿وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ [البقرة: 226]، المعنى يحلفون يمينًا ولو بطلاق أو عتاق أو صوم ونحوه على الامتناع من الوطء فوق أربعة أشهر أو مطلقًا بشيء يلزم بعدها ﴿تَرَبُّصُ﴾ انتظار ﴿أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا﴾ رجعوا إلى الممتنعين عنه من الوطء ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما أتوه من ضرر المرأة بالحلف ﴿رَحِيمٌ﴾ بالمولى حيث لم يؤاخذه بذلك ولا يحنثه إذا كفر.

﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ [البقرة: 227]، أي عليه بأن لم يفيئوا وأوقعوه ﴿فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ المعنى ليس لهم بعد تربص ما ذكر إلا الفيئة أو الطلاق.

﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًاۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٨ - ٢٣٠].

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ [البقرة: 228] ينتظرن ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ القرء

الطهر المحوش بدمين عندنا، فإذا طلقت في طهر سبقه دم فانقضاء عدتها بحيضتين ثم الطعن في الثالثة وإن لم يسبقه دم فثلاثة والطعن في الرابعة كما إذا طلقت في حيض والمذكور فيمن دخل بها فغيرها لا عدة عليها وفي غير الستة وصغيره فلها ثلاثة أشهر وحامل فيعتد بوضع الحمل وإلا ما عدتهن قرءان بالستة أو شهر ونصف لليائسة والصغيرة ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ بطونهن قيل هو الحيض وقيل هو الولد ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ أزواج المطلقات ﴿أَحَقُّ﴾ أي: هم أصحاب الحق وإلا فلا مشارك لهم في ذلك ﴿بِرَدِّهِنَّ﴾ رجعتهن ﴿فِي ذَلِكَ﴾ أي: زمان العدة قبل انقضائها وإن لم يرد الرجعة ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ بذلك لا ضرر للزوجة وهو حث على ذلك وإلا فلا حرج عليهم في ذلك من حيث صحة النكاح ﴿وَلَهُنَّ﴾ على الزوج ﴿مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعًا من حسن عشرة وترك ضرر ونحوه ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ في الفضل والتوقير والتعظيم، وهل هو بالمهد والإنفاق أو الجهاد أو بالفضل أو بالشهادة أو بالطلاق أو بالرجعة أو الإمامة أو بالميراث أو بالدية أو فضيلة في الحق؟ أقوال ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ [البقرة: 229] أي: والتطليق الذي تثبت فيه الرجعة مرتان ﴿فَإِمْسَاكٌ﴾ بالمراجعة قبل انقضاء العدة ﴿بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ أي: بأداء حقها إليها أو إيذائها له منه والتسريح أن يتركها بعد الطلاق إلى أن تنقضي عدتها ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ أي: لا يحل لكم ﴿أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من الصداق ﴿شَيْئًا﴾ نزلت لما كرهت جميلة زوجة ثابت بن قيس زوجها ودفعت إليه حديقة ليطلقها، والخطاب للأزواج أو الحكام ليناسب قوله فإن خفتم إلى آخره ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾ قرأ حمزة وأبو جعفر ويعقوب بضم الياء أي: يظن ذلك منهما، والباقون بالفتح فهو راجع للزوجين ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ خطاب للحكام ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلَا جُنَاحَ﴾ لا إثم ﴿عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ فللزوجة بذله وللزوج أخذه ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام ﴿حُدُودُ اللهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ لا تتجاوزوها للمخالفة ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ [البقرة: 229 - 230] ثنتين ثم أتى بالثالثة ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ فيعقد عليها ويغيب حشفته في قبلها بشرط الانتشار ويقوم قدر الحشفة من مقطوعها مقامه ودل على اشتراط الوطء السنة ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ من تزوجها ثانيًا ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ لا إثم ﴿عَلَيْهِمَا﴾ أي: الزوجة والزوج الأول ﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ إلى ما

كانا عليه من النكاح بعد انقضاء عدة الثاني ﴿إِنْ ظَنَّا﴾ غلب على ظنهما ﴿أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يفهمون ويقومون بمقتضى العلم وهو العمل.

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣١ - ٢٣٢].

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ [البقرة: 231] وهو ما قارب انقضاء عدتهن أي: قبيل فراغها ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ بالمراجعة ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بترك الظلم من الحق ونحوه ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا﴾ بالظلم بذلك أو بإلجاء إلى الافتداء ومن المنهي أن يطول عليها العدة ويراجعها في آخرها ثم يطلق ونحوه ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ الإمساك المنهي ونحوه ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللهِ هُزُوًا﴾ مهزوءًا بها بمخالفتها بل أقبلوها بجد واجتهاد ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام والبيان ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ السنة والعلم والعمل ومواعظ القرآن ﴿يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ أي: بالمنزل عليكم ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ [البقرة: 232] انقضاء العدة ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ تمنعوهن أيها المخاطبون من الأولياء وغيرهم ﴿أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ المطلقين لهن أو غيرهم، وإن كان سبب نزولها إن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها فأراد أن يراجعها فمنعها معقل إذا العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ﴿إِذَا تَرَاضَوْا﴾ أي: الخطاب والنساء ﴿بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: بالنكاح على الوجه الشرعي ﴿ذَلِكَ﴾ الذي تقدم من سائر الأحكام ﴿يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

﴿ذَلِكُمْ﴾ المذكور من العلم والاتعاظ ﴿أَزْكَى لَكُمْ﴾ أنمى في أحوالكم ﴿وَأَطْهَرُ﴾ لنفوسكم من الرذائل النفسية أو المراد ترك الفصل أطهر لكم وللنساء لما يخشى من الريبة بسبب الرضى والمنع بعده ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فاتبعوا أمره.

﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٣ - ٢٣٥].

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ [البقرة: 233] خبر بمعنى الأمر ﴿حَوْلَيْنِ﴾ عامين ﴿كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ وهو الأب ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ أي: المرضعات ولو كانت المرضعة أمًا فكذلك عندنا وإن لم تطلق إذا أبت إلا بأجرة ولم يوجد متطوع أو من يرض بأقل والمراد أن ذلك أجرة فلا بدّ من شروطها ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ الذي توافقا عليه من غير إضرار بأحدهما ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها ولا يلزم الزوج أكثر من أجرة المثل وليس ظاهر الآية مراد ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾[1] قرأ ابن كثير والبصريان «لا تضار» برفع الراء، والباقون بنصبها واسكن الراء

(1) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وأبان، عن عاصم: لا تضارّ، بالرفع أي: برفع الراء المشددة، وهذه القراءة مناسبة لما قبلها من قوله: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ لاشتراك الجملتين في =

الرفع، وإن اختلف معناهما؛ لأن الأولى خبرية لفظًا ومعنى، وهذه خبرية لفظًا نهيية في المعنى. وقرأ باقي السبعة: لا تضار، بفتح الراء، جعلوه نهيًا، فسكنت الراء الأخيرة للجزم، وسكنت الراء الأولى للإدغام، فالتقى ساكنان فحرك الأخير منهما بالفتح لموافقة الألف التي قبل الراء؛ لتجانس الألف والفتحة، ألا تراهم حين رخموا: أسحارّا، وهم اسم نبات، إذا سُمي به حذفوا الراء الأخيرة، وفتحوا الراء الساكنة التي كانت مدغمة في الراء المحذوفة؛ لأجل الألف قبلها، ولم يكسروها على أصل التقاء الساكنين، فراعوا الألف وفتحوا، وعدلوا عن الكسر وإن كان الأصل؟ وقرأ: لا يضارِّ بكسر الراء المشددة على النهي، وقرأ أبو جعفر الصفار: لا تضار، بالسكون مع التشديد، أجرى الوصل مجرى الوقف، وروي عنه: لا تضار، بإسكان الراء وتخفيفها، وهي قراءة الأعرج من ضار يضير، وهو مرفوع أجري الوصل فيه مجرى الوقف، وقال الزمخشري: اختلس الضمة فظنه الراوي سكونًا. انتهى وهذا على عادته في تغليط القراء وتوهيمهم، ولا نذهب إلى ذلك. ووجِّه هذه القراءة بعضهم بأن قال: حذف الراء الثانية فرارًا من التشديد في الحرف المكرر، وهو الراء، وجاز أن يجمع بين الساكنين: إما لأنه أجرى الوصل مجرى الوقف، ولأنَ مدة الألف تجري مجرى الحركة. انتهى. وروي عن ابن عباس: لا تضارر، بفك الإدغام وكسر الراء الأول وسكون الثانية، وقرأ ابن مسعود: لا تضارر، بفك الإدغام أيضًا وفتح الراء الأولى وسكون الثانية، قيل: ورواها أبان عن عاصم، والإظهار في نحو هذين المثلين لغة الحجاز، فأما من قرأ بتشديد الراء، مرفوعة أو مفتوحة أو مكسورة، فيحتمل أن يكون الفعل مبنيًا للفاعل، ويحتمل أن يكون مبنيًا للمفعول كما جاء في قراءة ابن عباس، وفي قراءة ابن مسعود؛ ويكون ارتفاع: والدة ومولود، على الفاعلية إن قدر الفعل مبنيًا للفاعل، وعلى المفعولية إن قدر الفعل مبنيًا للمفعول، فإذا قدرناه مبنيًا للفاعل، فالمفعول محذوف تقديره: لا تضارر والدةُ زوجَها بأن تطالبه بما لا يقدر عليه من رزق وكسوة وغير ذلك من وجوه الضرر، ولا يضارر مولودٌ له زوجته بمنعها ما وجب لها من رزق وكسوة، وأخذ ولدها مع إيثارها إرضاعه، وغير ذلك من وجوه الضرر، والباء في: بولدها، وفي: بولده، باء السبب.

قال الزمخشري: ويجوز أن يكون يضار بمعنى: تضر، وأن تكون الباء من صلته لا تضر والدة بولدها، فلا تسيء غذاءه وتعهده، ولا تفرط فيما ينبغي له، ولا تدفعه إلى الأب بعدما آلفها، ولا يضر الوالد به بأن ينزعه من يدها، أو يقصر في حقها، فتقصر هي في حق الولد، ويعني بقوله: أن تكون الباء من صلته، يعنى متعلقة بتضار، ويكون ضار بمعنى أضر، فاعل بمعنى أفعل، نحو: باعدته وأبعدته، وضاعفته وأضعفته، وكون فاعل بمعنى أفعل هو من المعاني التي وضع لها فاعل، تقول: أضرّ بفلان الجوع، فالجار والمجرور هو المفعول به من حيث المعنى، فلا يكون المفعول محذوفًا، بخلاف التوجيه الأول، وهو أن تكون الباء للسبب، فيكون المفعول محذوفًا كما قدرناه، قيل: ويجوز أن يكون الضرار راجعًا إلى الصبي؛ أي: لا يضار كل واحد منهما الصبي، فلا يترك رضاعه حتى يموت، ولا ينفق عليه الأب أو ينزعه من أمه حتى يضر بالصبي، وتكون الباء زائدة معناه: لا تضار والدة ولدها ولا مولود له ولده. انتهى فيكون: ضار، بمعنى: ضر، فيكون مما وافق فيه فاعل الفعل المجرد الذي هو: ضر، نحو قولهم: جاوزت الشيء

مخففة أبو جعفر بخلاف عنه، وكذا خفف «ولا يضار» كانت والمعنى علمًا الأول أن الوالدة لا تضار الزوج بسبب ولدها فتطلب منه زيادة على أجرة المثل أو أجرة عند وجود من يرضعه بلا شيء أو أجرة المثل مع وجود من ترضعه بأقل أو يقول لا أرضعه بعد أن استأجرها لإرضاعه أو نحو ذلك ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ فالزوج لا يضار الزوجة بأن يطلب إرضاعه بلا أجرة أو بدون أجرة المثل مع وجود من ترضعه بها أو نحو ذلك، وكذا لا يكرهها على إرضاعه إلا إذا لم توجد ظئر فتلزم به ولدها أجرة المثل والمعنى على الثاني النهي عن أن يلحقها الضرار من قبل الزوج وأن يلحق بالزوج الضرار من قبلها بسبب الولد فيهما ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ المراد به الصبي؛ لأنه الذي يؤول إليه المال فعلى الولي في مال الصبي أجرة إرضاعه فإن لم يكن له مال فعلى الأم ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ أي: الأبوان ﴿فِصَالًا﴾ فطامًا ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ بينهما في أن الرضاع أو العظام هل هو مضر أم لا ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ في ذلك لا إثم فيه أي: إذا كان الصبي يجتزي بغير اللبن وكان الفصل معتدلاً بحيث لا يخشى عليه من ترك الرضاع ضرر كما هو مفهوم من السنة ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ﴾ خطاب للآباء ﴿أَنْ تَسْتَرْضِعُوا﴾ المراضع ﴿أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه فلكم استرضاع غير الوالدة بالشرط السابق ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾ دفعتم للمراضع ﴿مَا آتَيْتُمْ﴾ اعطيتموهن من الأجرة، قرأ ابن كثير «ما آتيتم بالمعروف» هنا وفي الروم «وأما آتيتم من رياء» بقصر الهمزة أي: فعلتم بعده أو تعجيله، والباقون بمدها ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ من غير مطل ولا ترك لبعض الحق ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾ [البقرة: 234] يموتون ﴿مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ﴾ يتركون ﴿أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي: ينتظرن ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ بعدهم عن النكاح ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ لا فرق فيه

=

وجزته، وواعدته ووعدته، وهو أحد المعاني التي جاء لها فاعل، والظاهر أن الباء للسبب، ويبين ذلك قراءة من قرأ لا تضارَرْ، براءين، الأولى مفتوحة، وهي قراءة عمر بن الخطاب.

وتأويل من تأول في الإدغام أن الفعل مبني للمفعول، فإذا كان الفعل مبنيًا للمفعول تعين كون الباء للسبب، وامتنع توجيه الزمخشري أن: ضارّ به في معنى: أضرَّ به، والتوجيه الآخر أن: ضارّ به بمعنى: ضره، وتكون الباء زائدة، ولا تنقاس زيادتها في المفعول، مع أن في التوجيهين إخراج فاعل عن المعنى الكثير فيه، وهو كون الاسمين شريكين في الفاعلية والمفعولية من حيث المعنى، وإن كان كل واحد منهما مرفوعًا والآخر منصوبًا.

بين المسلمة والكتابية والأمة على النصف من ذلك كما دلت عليه السنة والحامل أجلها وضع الحمل إجماعًا كما سيأتي إن شاء الله تعالى ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: انقضت عدتهن ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ لا إثم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أيها الأولياء ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ من أمر موافق للشرع من خطبة أو عقدًا نحو ذلك من تزين وتفرض للخطاب ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ﴾ [البقرة: 235] التعريض ما أفهم المراد من غير إتيان تحقيقه ذلك اللفظ ولا بمجازه كقوله جئت زائرًا لكم ونحوه ﴿مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ التماس نكاحهن ﴿أَوْ أَكْنَنْتُمْ﴾ أضمرتم ﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من قصد نكاحهن فلم تظهروه ﴿عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ﴾ أيها المخاطبون ﴿سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ للنكاح فأباح التعريض ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي: لا تواعدوهن مواعدة السر وهو الجماع فالتصريح بالخطبة لمعتدة الوفاة وغيرها حرام والتعريض للتباين والمتوفي عنها جائز وللرجعية حرام إلا من صاحب العدة ومنه أنك لجميلة ومن يجد مثلك ورب راغب فيك ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ وهو التعريض فيجوز ولو في الخفاء أو هو استثناء من محذوف أي: لا تواعدوهن مواعدة إلا مواعدة بمعروف ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ أي: على عقده ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ﴾ أي: المكتوب ﴿أَجَلَهُ﴾ فتنقضي العدة ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ أن يعاقبكم على المخالفة ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لمن يحذره ﴿حَلِيمٌ﴾ تأخير العقوبة عن مستحقها.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ [البقرة: ٢٣٦ - ٢٣٩].

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [البقرة: 236] أي: لا إثم ولا مهر لهن كما بين في السنة ﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ بالجماع وقرأ حمزة والكسائي وخلف ما لم تماسوهن في الموضعين هنا وفي الأحزاب بضم التاء وألف بعد الميم، والباقون بفتح التاء من غير ألف ﴿أَوْ﴾ لم ﴿تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ هي الصداق وهذا في المفوضة وهي رشيدة، قالت لوليها: زوجني بلا مهر أو سكتت عنه فزوج كذلك، فإذا طلقت قبل الدخول فلا شيء لها كغيرها إن كان الفراق قبله من جهتها والمعنى لا تبعة عليكم في الطلاق زمن عدم المسيس والفرض بإثم ولا مهر فطلقوهن ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ إذا طلقتموهن قبل الوطء إذا لم يجب لهن شطر مهر وكذا إن طلقتموهن بعده عند الشافعي فلها المتعة ويفرضها القاضي إذا لم يتوافقا على شيء معتبرًا حالهما ﴿عَلَى الْمُوسِعِ﴾ الغني ﴿قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ﴾ الفقير ﴿قَدَرُهُ﴾ فلا يزاد كل على حاله، وقرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي وخلف وابن ذكوان وحفص بفتح الدال فيهما، والباقون بالإسكان ﴿مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾ كما سبق ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ بالإعطاء.

﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة: 237] سميتم لهن مهرًا ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ يكون لهن وجوابًا ويرجع لكم النصف ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَعْفُونَ﴾ أي: المطلقات فلا يأخذن شيئًا ﴿أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ وهو الزوج فيترك للزوجة جميع ما سماه لها فضلاً منه هذا مذهب الشافعي، روى رويس بيده عقدة النكاح بيده فشربوا بيده ملكوت في سورة المؤمنين ويس بكسر الهاء بلا إشباع والباقي بالإشباع ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: لا يتفضل بعضكم على بعض ﴿إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿حَافِظُوا﴾ [البقرة: 238] واظبوا ﴿عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ الخمس بأدائها في أوقاتها ﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ وهي العصر على المعتمد عند الشافعي، وقيل: الصبح وهو قوله الثاني وعليه كثير من أصحابه وقيل الظهر وقيل غير ذلك كالضحى ﴿وَقُومُوا﴾ في الصلاة ﴿لِله قَانِتِينَ﴾ هل هو طول القيام فيها أو الطاعة أو السكوت عما لا يجوز التكلم به في الصلاة أو الدعاء أو الخشوع؟ أقوال، أقربها الأول.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ [البقرة: 239] من عدو أو غيره كسبع ﴿فَرِجَالًا﴾ جمع راجل أي: مشاة ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ جمع راكب فتجوز صلاة الماشي والراكب في الخوف كيف أمكن، ولو بلا استقبال وبإماء ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ من الخوف ﴿فَاذْكُرُوا اللهَ﴾ أي: صلوا ﴿كَمَا

عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ قبل تعليمه من فرائض الصلاة وآدابها.

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٠ - ٢٤٥].

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً﴾ [البقرة: 240] قرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص «وصية» بالنصب، والباقون بالرفع ﴿لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ يعطوهن ﴿مَتَاعًا﴾ ما يتمتعن به ﴿إِلَى الْحَوْلِ﴾ أي: تمامه ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ فلا تخرج من المسكن، وهذه الآية منسوخة بالاقتصار على أربعة أشهر وعشرًا في آية العدة السابقة وضعًا المتأخرة نزولاً ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ عن المنزل بأنفسهن زمن العدة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها المخاطبون ومنهم أولياء الميت ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ﴾ كترك الأحرار ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فلا يعترض عليه.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ﴾ [البقرة: 241] يعطينه ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر الإمكان ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ سبق تفسيره في غير الممسوسة وأعيد هنا في الممسوسة أيضًا ليفهم أنها مطلقة إلا التي وجب لها شطر المهر فقط. ﴿كَذَلِكَ﴾ [البقرة: 242] كما بين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ [البقرة: 243] نيته إلى علمك والقصد بمثله التسويق لما يذكر ﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ أهل داوردان إما أربعون أو ثمانية أو ثلاثة أو أربعة أو عشرة أو ثلاثون أو بضع وثلاثون أو سبعون ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ من الطاعون

﴿فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا﴾ فماتوا حقيقة ثمانية أيام ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ لاستيفاء آجالهم وأرزاقهم بسبب دعوة النبي حزقيل بكسر المهملة والقاف وسكون الزاي، فعاشوا دهرًا بعد ذلك عليهم أثر الموت لا يلبسون ثوبًا إلا عاد كالكفن وبقي ذلك في أسباطهم ﴿إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ نعمة الله عليهم، ومن جملة ما أريد بهذا تثبيت الناس على القتال فمن ثم جاء بعده.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ [البقرة: 244] لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم فيجازيكم.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ﴾ [البقرة: 245] المراد التمثيل للعمل الذي يطلب ثوابه بالقرض أي: بقرضه بالإنفاق في سبيله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ طيبة به نفسه من مال حلال بلا منة ولا أذى ولا رياء ولا سمعة مع طلب وجه الله لا لإحسان المعطي ولا لجاهه ﴿فَيُضَاعِفَهُ﴾ قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب هنا وفي الحديد بنصب الفاء فيهما، والباقون بالرفع وشدد العين مع حذف الألف منها ومن سائر الباب كيضعف، ومضعفه ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب والباقون بالتخفيف والألف ﴿لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ لا تناهي لها باعتبار دوامها في الجنة، وقيل: سبعمائة ضعف فأكثر في المقربين وبعشرة في غيرهم ﴿وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ قرأ خلف لنفسه وعن حمزة والدوري عن أبي عمرو وهشام ورويس «يبسط» وفي الخلق بسطة، وكذا في الأعراف بالسين واختلف فيهما عن قنبل والسوسي وابن ذكوان وحفص وخلاد والباقون بالصاد في الحرفين، وانفرد ابن سوار عن شعيب عن يحيى عن أبي بكر وأبو العلاء عن أبي الطيب عن النمار عن رويس بالسين هنا والصاد في الأعراف ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ

يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٦ - ٢٤٧].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ﴾ [البقرة: 246] الجماعة من الناس ويقال عرفًا لوجوه القوم وأشرافهم ﴿مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ أي: بعد وفاته ﷺ ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيّ لَهُمُ﴾ هو شمويل، وقيل: يوشع بن نون، وقيل شمعون ﴿ابْعَثْ﴾ اقم ﴿لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ﴾ معه ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ﴾ النبي لهم ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ بكسر السين هنا وفي القتال نافع، والباقون بالفتح ﴿إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ أي: أنه لا مانع منه مع وجود مقتضيه قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا أو جبنوا عنه ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ وهم الذين عبروا النهر مع طالوت كما يأتي ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ والآية نزلت في قول بني إسرائيل لنبيهم يوشع بن نون، وقيل: شمعون، وقيل: شمويل ما ذكر فيها لما عدت العمالقة عليهم بإخراجهم من ديارهم وسبي ذراريهم من قوم جالوت فأجيبوا فخالفوا إلا القليل.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ [البقرة: 247] لما أرادوا ملكًا يقاتل بهم وسأل ربه إرسال ملك فأجابه بإرسال طالوت ﴿إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى﴾ من أين أو كيف ﴿يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ قالوه؛ لأن النبوة لم تكن في بيته ولا الملك بل الأول في بيت لاوي، والثاني في بيت يهوذا وإنما كان صباغًا، وقيل: راعيًا ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ يستعين بها على إقامة الملك ﴿قَالَ﴾ لهم نبيهم ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ﴾ اختاره للملك ﴿عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾ سعة، روى قنبل من طريق ابن شنبوذ بالصاد، وانفرد به صاحب العنوان عن أبي بكر والأهوازي عن روح ﴿فِي الْعِلْمِ﴾ لأنه كان أعلم بني إسرائيل ﴿وَالْجِسْمِ﴾ لأن كان كامل الجسم جميلاً فلم يكن فيهم إذ ذاك من يماثله، وقيل: كان طويلاً ﴿وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ إيتاه فلا يعترض ﴿وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ

سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٨ - ٢٥٠].

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ [البقرة: 248] لما طلبوا منه آية ملكه ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾ أي: علامته ﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ وكان صندوقًا من عود طوله نحوًا من ثلاثة أذرع في ذراعين فيه صور الأنبياء كان عند آدم، ثم عند شيث بعده إلى أن بلغ إبراهيم، ثم صار لموسى ثم تركه عند يوشع، ويقال إن العمالقة غلبتهم وأخذوه وكانوا يستفتحون به على عدوهم ويسكنون إليه ويقدمونه في القتال كما قال تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ هي أشياء كانت من آثار الأنبياء تسكن إليها النفوس؛ أي: تطمئن بها، وقيل إنها نعل موسى وعصاه وعمامة هارون وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم ورضاض الألواح ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ﴾ هل هي عصاة موسى ورضاض الألواح أو غير ذلك مما ذكر في الأصل؟ أقوال ﴿مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ﴾ عمران؛ المراد موسى و﴿هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ فأقبلت به الملائكة حتى وضعته في بيت طالوت وأصبح في داره ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ علامة ﴿لَكُمْ﴾ على ملكه ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فأقروا بفضله وملكه وسارعوا للجهاد فاختار من شبابهم سبعين ألفًا.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ﴾ [البقرة: 249] خرج ﴿طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ عن بلده ﴿قَالَ﴾ بعد أن خرج بهم في شدة حر من بيت المقدس، وطلبوا منه المال ﴿إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾ مختبركم ﴿بِنَهَرٍ﴾ يظهر من أطاع من غيره وهو بين الأردن وفلسطين ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ﴾ أي: من

مائه ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي: لا من أشياعي ولا أتباعي ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ لم يذقه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ والمعنى المسامحة بالقليل دون الكثير، قرأ المدنيان وابن كثير وأبو عمر ﴿غَرْفَةً﴾ بفتح الغين والباقون بضمها ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ شربًا كثيرًا بأن كرعوا فيه لما جاؤه ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ فاقتصروا على الغرفة، ومن اقتصر عليها كفته لشربه ودوائه ومن زاد لم يحصل له ري ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ وهم الذين اقتصروا على الغرفة، وعدتهم ثلاثمائة وثلاثة عشر كما سبق ﴿قَالُوا﴾ أي: الذين شربوا ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا﴾ لا قوة لنا ﴿الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ لأنها كبيرة فلا نقدر على قتالهم ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يعلمون ﴿أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهِ﴾ إلى وجهه الكريم ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ فرقة لا كثرة لها ﴿غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ﴾ بإرادة ﴿اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا﴾ [البقرة: 250] صاروا إلى البراز وهو الأفيح المتسع من الأرض ﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي: ظهروا لقتالهم وتصافوا ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ قلوبنا وارزقنا الوقوف مع الثبات لقتالهم ﴿وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥١ - ٢٥٤].

﴿فَهَزَمُوهُمْ﴾ [البقرة: 251] غلبوهم ﴿بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ﴾ وكان في عسكر طالوت ﴿جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ﴾ الضمير لداود ﴿الْمُلْكَ﴾ العلم والرئاسة ولم يجتمع بنو

إسرائيل قبله على ملك نبي بل كان الملك في سبط والنبوة في آخر ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ العمل أو النبوة أو الزبور وكان إيتاؤه ذلك بعد موت شمويل وطالوت ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ هو نسج الدروع أو منطق الطير أو غير ذلك مما ذكر في الأصل ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ﴾ قرأ المدنيان ويعقوب «دفاع» بكسر الدال وألف بعد الفاء هنا وفي الحج، والباقون بفتح الدال وإسكان الفاء من غير ألف ﴿بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ إما بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخريب المساجد أو بهلاك الناس أو ظلمهم لبعضهم فالمراد يفسد أهلها ونسب إليها لوقوعه فيها ﴿وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بدفع بعضهم ببعض، والدفع إما أن يكون بالقتال أو بالبركة كما أخرج الطبراني في «الأوسط» عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لن تخلوا الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمن فبهم تسقون وبهم تنصرون**»[1].

﴿تِلْكَ﴾ [البقرة: 252] أي: ما ذكر في هذه السورة أو هنا من القصص ﴿آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ نقصها عليك بالوجه المطابق للواقع ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ [البقرة: 253] الإشارة لكل رسول أو لمن ذكر في السورة ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بتخصيص كل شيء ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ﴾ وهو موسى على الطور ومحمد ﷺ ليلة المعراج ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ بأن فضله على غيره ﴿دَرَجَاتٍ﴾ كأولي العزم أو البعض هنا محمد ﷺ ففضله بعموم الدعوة وختم النبوة وتفضيل أمته إلى غير ذلك ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ﴾ قويناه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبريل للسير معه حيث سار ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: بعد الرسل من الأمم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الدلالات الواضحات على الحق ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ﴾ باتباع الحق أو ثبت عليه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ لمخالفته كالنصارى بعد عيسى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 254] في طاعة الله ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ﴾ فداء ﴿فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾ صداقة ﴿وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ أي: إلا لمن أذن له الرحمن ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

---

(1) رواه الطبراني في «الأوسط» (247/4، رقم 4101)، قال الهيثمي (63/10): إسناده حسن.

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥ - ٢٥٦].

﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: 255] أي: لا معبود بحق في الوجود إلا هو ﴿الْحَيُّ﴾ الدائم الباقي ﴿الْقَيُّومُ﴾ والقيام والقيم لغات معناها واحد، وهو المبالغة في القيام على الخلق بتدبيرهم ﴿لَا تَأْخُذُهُ﴾ لا يقع عليه ولا يناله ﴿سِنَةٌ﴾ نعاس النوم الخفيف ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ وهو الثقيل المزيل للقوة والشعور، وقيل: السنة في الرأس والنوم في القلب ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا وعبيدًا ﴿مَنْ ذَا الَّذِي﴾ أي: لا أحد ﴿يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ له في الشفاعة ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: الخلق ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما مضى في الدنيا وما يأتي في الأخرة ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾ أن يعلموه بنحو أخبار الرسل ﴿وَسِعَ﴾ ضم ﴿كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ والكرسي: شيء أمام العرش أعظم منه، وقيل المراد به العلم، وقيل الملك وشهد للأول حديث: «**ما السماوات السبع في الكرسي إلا قدر دراهم سبعة ألقيت في ترس**»[1] ﴿وَلَا يَئُودُهُ﴾ لا يثقله ﴿حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ المتعالي عن الند والشبيه ﴿الْعَظِيمُ﴾ الكبير.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256] نزلت لأن نساء من الأنصار كن تبدرن قبل مجيء الإسلام تهويد أولادهن إذا قلوا، فلما جاء الإسلام وأمر بإجلاء بني النضير كان

---

(1) ذكره الطبري في التفسير (5 / 399)، ورواه محمد بن أبي شيبة في كتاب «العرش»، وعزاه ابن كثير لابن مردويه، ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات»: (2 / 149) وفيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني: متروك كذبه أبو حاتم وأبو زرعة، وطرق الحديث كلها واهية، فلا تعتضد لضعفها، انظر: النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد ص 283.

فيهم من أبناء الأنصار ونحوهم فقالوا: لا نترك آبائنا وإخواننا؛ أي: فمن شاء منهم أسلم ومن شاء لا يسلم إذ هم ممن أمر بإجلائه، أو نزلت فيمن له أولاد من الأنصار أراد أن يكرههم على الإسلام ﴿قَدْ تَبَيَّنَ﴾ بالآيات البينات ﴿الرُّشْدُ﴾ الإيمان ﴿مِنَ الْغَيِّ﴾ الكفر ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ هو كل ما عبد من دون الله ﴿وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾ تمسك واعتصم ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ القصد المحكم، والوثقى تأنيث الأوثق ﴿لَا انْفِصَامَ﴾ انقطاع ﴿لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٧ - ٢٥٨].

﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: 257] ناصرهم ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان وكلما في القرآن من النور والظلمة فهو بمعنى الكفر والإيمان إلا قوله في الأنعام ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: 1] فإن المراد منه الليل والنهار ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ والمراد أنهم يثبتون على الكفر من أجل الطاغوت ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وعلم من مقابله أن الذين آمنوا أصحاب الجنة هم فيها خالدون.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ﴾ [البقرة: 258] وهو نمرود خاصم أو جادل ﴿إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ﴾ لأن ﴿آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ﴾ فكانت المخاصمة من نظر الملك وطغيانه ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ لما قال له النمرود: من ربك الذي تدعونا إليه؟ ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: يخلق الحياة والموت في الأجساد ﴿قَالَ﴾ النمرود ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ بقتل واحد وترك آخر، ودعا برجلين فقتل واحدًا وترك آخر، قرأ المدنيان «أنا أحيي» بإثبات ألف أنا عند الهمزة المضمومة كما هنا حيث جاء وكذا عند المفتوحة نحو ﴿أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 163] واختلف عن قالون عند الهمزة المكسورة نحو ﴿إِنْ أَنَا إِلاَّ

﴿نَذِيرٌ﴾ [الشعراء: 115] وصح الوجهان جميعًا عنه من طريق أبي نشيط وبها قرأ الداني على أبي الفتح وبالقصر على أبي الحسن وبذلك قرأ الباقون عند الهمزات الثلاث ولا خلاف بينهم في الوقف على الجميع بالألف، وفي ترك الألف في الوصل فيما لم يقع بعده همزة نحو ﴿أَنَا رَبُّكُمُ﴾ [النازعات: 24] ﴿وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم﴾ [الأنبياء: 56] ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا﴾ أنت ﴿مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ عدل إبراهيم عن معارضته في ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ إلى ما لا يمكن أن يموه فيه منتقلاً إلى الأوضح والأشهر ﴿فَبُهِتَ﴾ تحير ﴿الَّذِي كَفَرَ﴾ وهو نمرود وإنما بهت مع أنه كان يمكنه أن يقول له: سل أنت ربك ذلك؛ لأنه خشي أن يخيبه فتزداد فضيحة نمرود قال بعضهم: الصحيح أن الله تعالى صرفه عن ذلك إظهارًا للحجة عليه أو معجزة لإبراهيم ﷺ وعلى سائر الأنبياء ﴿وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين فلا يوصلهم للجنة ولا لحجة الاحتجاج.

﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٩ - ٢٦٠].

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ [البقرة: 259] التقدير: أرأيت مثل الذي حاج إبراهيم أو مثل الذي مر على قرية ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ سقوفها لما خربها بختنصر، والمعنى أن السقوف سقطت ثم سقطت عليها الحيطان ﴿قَالَ أَنَّى﴾ أي: كيف ﴿يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ﴾ وألبثه ﴿مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ حيًا ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾

مكثت هاهنا ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ قاله ظنًا لجهله بالمدة؛ لأنه نام أول النهار فقبض وأحيى عند الغروب فظن أنه يوم النوم ﴿قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ﴾ وهو التين ﴿وَشَرَابِكَ﴾ وهو العصير ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يتغير، قرأ حمزة والكسائي يتسن بلا هاء في حال الوصل وإثباتها في حال الوقف، والباقون بإثباتها فيهما ﴿وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ كيف هو فرآه تفرقت عظامه وأجزاؤه ﴿وَلِنَجْعَلَكَ﴾ أي: فعلنا لتعلم ولنجعلنك ﴿آيَةً﴾ دلالة عظيمة على البعث ﴿لِلنَّاسِ﴾ من بعدك ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ وهي عظام حماره المتفرقة على الصحيح ﴿كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ قرأ الكوفيون وابن عامر «ننشرها» بالراء المنقوطة أي: نرفع بعضها على بعض، والباقون بالزاي أي: نحيها ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ فنظر إلى عظام حماره وقد تركبت وكسيت لحمًا ونفخ فيها الروح ونهق ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ إحياء الله للموتى بالمشاهدة ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ علم مشاهدة ﴿أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وقرأ حمزة والكسائي «قال اعلم» بوصل الهمزة وجزم الميم على الأمر والابتداء بكسر الهمزة، والباقون بالقطع والرفع.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ﴾ [البقرة: 260] بقدرتي على الإحياء وإنما قال ذلك مع علمه بإيمانه ليعلم الناس من جوابه عرضه ﴿قَالَ بَلَى﴾ آمنت ﴿وَلَكِنْ﴾ سألت ذلك ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ بزيادة علم العيان إلى الوحي والاستدلال، وذكر عن ابن وردان تسهيل همزة «يطمئن» ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ قرأ أبو جعفر وحمزة وخلف ورويس بكسر الصاد أي: قطعهن، والباقون بضمها أي: أملهن إليك ووجهن وأمر بتمزيقهن وخلط لحمهن وريشهن ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ﴾ يليك ﴿مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾ سكن الزاي من جزء المنصوب وجزء المرفوع حيث وقع كل القراء غير أبي بكر، وشددها أبو جعفر وحذف الهمزة، وسكن كاف «أكلها» فقط، وسكن عين «الرعب» و«رعب» حيث أبي نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة وخلف، وسكن سين «رسلنا» و«رسلهم» و«رسلكم» مما وقع مضافًا إلى ضمير إلى حرفين أبو عمرو، وسكن حاء «السحت» كيف جاء في المائدة نافع وابن عامر وحمزة وخلف، وسكن ذال «الإذن» و«إذن» كيف جاء نافع، وسكن راء «قربة» في التوبة كل القراء سوى ورش، وسكن راء «حرف» في التوبة أيضًا حمزة وخلف وأبو بكر وابن ذكوان وهشام بخلاف عنه، وسكن باء «سبلنا»حيث وقع أبو عمرو، وسكن قاف «عقبى» في الكهف عاصم وحمزة وخلف، وسكن كاف «نكرا» في

الكهف والطلاق وابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف وهشام وحفص، وسكن حاء «رحما» نافع وابن كثير وأبو عمرو والكوفيون، وسكن كاف «نكر» في القمر ابن كثير، وسكن راء «عربا» في الواقعة حمزة وخلف وأبو بكر، وسكن شين «خشب» في المنافقون ابن مجاهد عن قنبل، وسكن حاء «سحقا» كل القراء سوى ابن جماز واختلف على الكسائي في روايته وعن عيسى بن وردان من طريقه، وسكن لام «ثلثي الليل» في المزمل هشام، وسكن ذال «عذرا» في المرسلات كل القراء سوى روح، وسكن ذال «نذرا» فيها أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف وحفص، وقرأ الباقون بضم عين الفعل من ذلك كله ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ طيرانًا أو المراد شدة السرعة ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فلما أمر بذلك أخذ طاووسًا ونسرًا وغرابًا وديكًا وفعل بهن ما ذكر وأمسك رءوسهن عنده فسعت الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملت ثم أقبلت إلى رءوسها فالتأمت بها.

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦١ - ٢٦٤].

﴿مَثَلُ﴾ [البقرة: 261] صفة نفقات ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ هو جميع الخيرات ومنها الجهاد ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ﴾ أخرجت ﴿سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ فيضاعف الحبة إلى سبعمائة، وذلك موجود في الدخن بكثرة والقمح والشعير مثله، معنى المثل إن الله تعالى يقبل الصدقة ويضاعفها إلى سبعمائة ضعف إلى مالا نهاية له ﴿وَاللهُ يُضَاعِفُ﴾ ذلك النوع من المضاعفة أو أكثر منه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾

بفضله ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ يسع فضله كل خلقه ﴿عَلِيمٌ﴾.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا﴾ [البقرة: 262]، على المنفق عليه نحو قد أحسنت إليه ﴿وَلَا أَذًى﴾ للمنفق عليه أيضًا بذكر ذلك لمن لا يحب ذكره له ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثواب إنفاقهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ [البقرة: 263] وهو رد السائل برفق ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ من الله أو مغفرة للسائل في إلحاحه ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ بالمن ونحوه كالتعبير بالسؤال ﴿وَاللهُ غَنِيٌّ﴾ عن صدقات المتصدقين ﴿حَلِيمٌ﴾ فلا يعجل بالعقوبة على المان والمؤذي ويقبل توبته إذا تاب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ﴾ [البقرة: 264] أي: أجورها ﴿بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ إبطالاً ﴿كَالَّذِي﴾ أي: كإبطال نفقة الذي ﴿يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ مرائيًا لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَ﴾لا يؤمن بوجود ﴿الْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وهو المنافق ﴿فَمَثَلُهُ﴾ أي: المنفق رياء ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ هو الحجر الأملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ وهو المطر الكثير ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ أملسًا ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ استئناف لبيان المثل ﴿عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ عملوا أي: لا يجدرون له ثوابًا في الآخرة كما لا يوجد على الصفوان شيء ﴿وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾

ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٥ - ٢٦٨].

﴿وَمَثَلُ﴾ [البقرة: 265] نفقات ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاةِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ احتسابًا وتصديقًا بالثواب ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ بستان ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ هي المكان المرتفع المستوي تجري عليه الأنهار فلا تغطيه الماء فيمتنع عنه الزرع بسبب علو الماء ولا يذهب عنه فتزول بهجته، قرأ ابن عامر وعاصم هنا بفتح الراء والباقون بضمها ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ مطر عظيم ﴿فَآتَتْ أُكُلَهَا﴾ ثمرها ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ أي: حملت في السنة مرة ما يحمله غيرها في السنة مرتين، وقيل حملت في السنة مرتين ﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ هو المطر الضعيف الخفيف يكون الماء فيقوم مقام الوابل أو المراد أن المنفق لله بزكاة عمله كثر أو قل ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم.

﴿أَيَوَدُّ﴾ [البقرة: 266] أيحب ﴿أَحَدُكُمْ﴾ أي: لا يود ﴿أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا﴾ ثمر ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ وقد ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ في سنه فضعف عند الكسب ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ﴾ أولاد ﴿ضُعَفَاءُ﴾ صغار عاجزون عن الكسب ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾ وهو الريح العاصف الذي يرتفع إلى السماء كأنه عمود ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ هذه الآية متصلة بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا...﴾ الآية وهو مثل آخر لعمل المنافق المرائي عمله في حسنه كالحبة المذكورة، فلما عجزوا واحتاج إليها لإصلاح نفسه وذويه احترقت أي: بطل ثوابه عند احتياجه الشديد إليه وعن ابن عباس هو الرجل عمل بالطاعات لم بعث له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما بين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ في هذه الأمثال فتلزموا أنفسكم العمل بمقتضاها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا﴾ [البقرة: 267] زكوا ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ من حلالات أو خيار ﴿مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا﴾ أي: ومن طيبات ما ﴿أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ من الحبوب والثمار ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا﴾ قرأ بتشديد تاء «تيمموا» في الوصل البزي وكذلك أخواتها مما يأتي في الفعل المستقبل ويحسن مجيء ما أخرى معها وجملته أحد وثلاثون موضعًا هذا أوله، وفي آل عمران: «ولا تفرقوا»، وفي النساء: «الذين توفاهم الملائكة»، وفي المائدة: «ولا تعاونوا»، وفي الأنعام: «فتفرق بكم»، وفي الأعراف: «هي تلقف»،

وكذلك في طه والشعراء وفي الأنفال: «ولا تولوا» وفيها: «ولا تنازعوا»، وفي التوبة: «هل تربصون»، وفي هود: «وإن تولوا»، «لا تكلم»، وفي الحجر: «ما تنزل الملائكة»، وفي النور: «إذ تلقونه» وفيها «وإن تولوا»، وفي الشعراء: «على من تنزل» وبها أيضًا «تنزل»، وفي الأحزاب: «ولا تبرجن» وبها «ولا أن تبدل»، وفي الصافات: «لا تناصرون»، وفي الحجرات: «ولا تنابزوا» «ولا تجسسوا» «لتعارفوا»، وفي الممتحنة: «أن تولاهم»، وفي الملك: «تكاد تميز»، وفي نون: «لما تخيرون»، وفي عبس: «عنه تلهى»، وفي الليل: «نارا تلظى»، وفي القدر: «تنزل الملائكة»، فإن كان قبلها حرف مد زيد فيه لالتقاء الساكنين وإذا ابتداء خففن، وروى جماعة العراقيين تخفيفهن كالباقي، ووافقه أبو جعفر في تشديد «لا تناصرون»، ووافقه رويس على: «نارا تلظى»، وانفرد ابن فارس في «جامعه» بتشديدهن كلهن عن قنبل، وروى الداني ومن تبعه عن البزي بتشديد تاء: «كنتم تمنون» في آل عمران، و«ظلتم تفكهون» في الواقعة، والمعنى: لا تقصدوا.

﴿الْخَبِيثَ مِنْهُ﴾ أي: من الخبيث ﴿تُنْفِقُونَ﴾ في الزكاة والخبيث الرديء من كل شيء كالخشف من التمر ﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾ أي: إذا كان لكم على أحد حق لا تأخذون الخبيث ﴿إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا﴾ تساهلوا وتجاوزوا ﴿فِيهِ﴾ فكيف ترضون لله ما لا ترضونه لأنفسكم ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ﴾ فلا يحتاج إلى أعمالكم ومنها الصدقات ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في أفعاله.

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: 268] البخل عن المطلوبات شرعًا، وقيل: كل ما ورد في القرآن من لفظ الفحشاء فالمراد به الزنا إلا هنا ﴿وَاللهُ يَعِدُكُمْ﴾ على الإنفاق ﴿مَغْفِرَةً مِنْهُ﴾ لذنوبكم ﴿وَفَضْلًا﴾ رزقًا وخلفًا ﴿وَاللهُ وَاسِعٌ﴾ يسعكم فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم فيجازيكم عليها.

﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ

عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًاۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٩ - ٢٧٣].

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: 269] العلم والعمل ﴿مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ﴾ قرأ يعقوب بكسر التاء، ونقف بالتاء على أصله، والباقون بفتح التاء ﴿الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ بمصيره إلى السعادة الأبدية ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ يتعظ ﴿إِلَّا أُولُوا﴾ أصحاب ﴿الْأَلْبَابِ﴾ العقول.

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ [البقرة: 270] زكاة أو صدقة قلت أو كثرت أخلصتم فيها أم لا ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ في طاعة أو معصية وفيتم به أم لا ﴿فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ بوضع المال من غير حقه أو منع ما وجب عليهم ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ما تعين لهم من عذابه.

﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: 271] أي: النوافل ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ إذ تعم شيئًا إبدؤها، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف ﴿نِعِمَّا﴾ بفتح النون هنا وفي النساء، والباقون بكسرها وقرأ أبو جعفر بإسكان العين، وكذا روى الجمهور عن أبي عمرو وقالون وأبي بكر وروى الآخرون من المغاربة عنهم الاختلاس وروى الوجهين عنهم جميعًا الداني وصححهما، وقرأ الباقون بكسرها واتفقوا على تشديد الميم ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا﴾ تسروها ﴿وَتُؤْتُوهَا﴾ تعطوها ﴿الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من إظهارها وإتيانها الأغنياء والأفضل إظهار صدقة الفرض عند جمع؛ ليقتدى به ولئلا يتهم إلا لخوف ظالم ونحوه وإيتاؤها الفقراء وبقية مستحقيها متعين ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ قرأ ابن عامر وحفص بالياء، والباقون بالنون وقرأ المدنيان وحمزة والكسائي وخلف بالجزم والباقون بالرفع ﴿عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم بباطنه وظاهره ولما منع ﷺ من

التصدق على المشركين ليسلموا نزل:

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ [البقرة: 272] أي: إيصال الناس للحق يا محمد إنما عليك البلاغ ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته للدخول في الإسلام ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ مال في معروف ﴿فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾ أي: فالخير لها أو يصل لكم ثوابه ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿وَجْهِ اللهِ﴾ أي: لا تنفقوا إلا لطلب رضاه وثوابه لا غيره من أعراض الدنيا ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئًا.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ [البقرة: 273] أي: الصدقات للفقراء إلى آخره، والمراد بهم من حبس نفسه في طاعة الله أو على الجهاد نزلت في أهل الصُّفَّة وهم أربعمائة من المهاجرين أرصدوا لتعلم القرآن والخروج مع السرايا ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا﴾ سفرًا لتجارة وطلب معاش ﴿فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ بحالتهم ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ عن السؤال وتركه لأجل القناعة، قرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة ﴿يَحْسَبُهُمْ﴾ كيف وقع مستقبلاً بفتح السين، والباقون بكسرها ﴿تَعْرِفُهُمْ﴾ أيها المخاطب ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ علامتهم من التواضع وأثر الجهاد ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ﴾ شيئًا فيلحفون ﴿إِلْحَافًا﴾ والإلحاف: المبالغة في السؤال، والمراد نفي الإلحاف لنفي السؤال ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٤ - ٢٧٧].

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 274] نزلت في رباط الخيل في سبيل الله والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ [البقرة: 275] خص الأكل بالذكر؛ لأنه أعظم المنافع ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ من قبورهم يوم القيامة ﴿إِلَّا﴾ قيامًا ﴿كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾ يصرعه ﴿مِنَ الْمَسِّ﴾ وهو الجنون بهم، والربا لغةً الزيادة، وفي الشرع زيادة مخصوصة في شيء مخصوص على وجه معين وهو ثابت في النقد الذهب والفضة، والمطعوم وهو سائر المقتات اختيارًا كالماء العذب، فإذا باع جنسًا بجنس اشترط الحلول والمماثلة والتقابض قبل التفرق وإلا اشترط ما عدا التماثل إن اتفقا في العلة، وإن اختلفا فيها كتمر بذهب لم يشترط واحد منهما ومن الربا ربا النسبة وهو الزيادة في الدين للزيادة في الأجل ﴿ذَلِكَ﴾ العقاب ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ في الجواز فقال تعالى ردًا عليهم: ﴿وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ﴾ بلغه ﴿مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ تذكير وتخويف ﴿فَانْتَهَى﴾ رجع عن فعل ما نهي عنه ومنه أكل الربا ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ أي: يغفر الله له ما سلف أو لا يسترد منه ما أخذه قبل النهي ﴿وَأَمْرُهُ﴾ في العفو عنه ﴿إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ﴾ إلى تحليل الربا أو أكله مع تحليله ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا﴾ [البقرة: 276] يذهب بركته وينقصه ﴿وَيُرْبِي﴾ ينمي ﴿الصَّدَقَاتِ وَاللهُ لَا يُحِبُّ﴾ يثيب ﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾ مصر على الكفر ﴿أَثِيمٍ﴾ فاجر بارتكاب الإثم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 277] ونزل لما طالب بعض الصحابة بر ما كان له.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ

فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٨ - ٢٨١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا﴾ [البقرة: 278] اتركوا ﴿مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ أي: غير رأس المال لما يأتي ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ صادقين في إيمانكم.

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: 279] المأمور به ﴿فَأْذَنُوا﴾ قرأ حمزة وأبو بكر بقطع الهمزة ومدها وكسر الذال والباقون بالقصر ووصل الهمزة والمعنى على الأول اعلموا غيركم، وعلى الثاني اعلموا أنتم ﴿بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ وحرب الله النار وحرب رسوله القتال، ولما نزلت قالوا: لا بدّ لنا بحربه ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ﴾ من الربا أو استحلاله ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ﴾ أصول ﴿أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ بأخذ زائد ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بنقص ومطل من موسر.

﴿وَإِنْ كَانَ﴾ [البقرة: 280] وقع غريم ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾ صاحب إعسار ﴿فَنَظِرَةٌ﴾ أي: إنظار له عليكم فتؤخرون مطالبته ﴿إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ يسار أي: وقته، وقرأ نافع بضم سين ﴿مَيْسَرَةٍ﴾ والباقون بفتحها ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾ بالإبراء، قرأ عاصم بتخفيف الصاد، والباقون بتشديدها ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من أخذ رءوس الأموال أي: أكثر ثوابًا فهو حث على الإبراء من الدين ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما فيه من الخير في الدنيا والآخرة فافعلوه، وفي الحديث: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»[1].

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 281] تردون أو تصيرون ﴿فِيهِ إِلَى اللهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿ثُمَّ تُوَفَّى﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ أي: جزاؤه من خير أو شر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص حسنة أو زيادة سيئة وهذه آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبُۢ بِٱلْعَدْلِۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ فَإِن

(1) رواه مسلم (108/19)، وأحمد (359/2، رقم 8696)، والترمذي (599/3، رقم 1306) وقال: حسن صحيح غريب.

كَانَ ٱلَّذِى عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٌ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾ [البقرة: 282] تعاملتم﴿بِدَيْنٍ﴾ كسلم أو قرض ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ مدة معلومة الأول والآخر ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ أي: الدين استحبابًا للوثوق ودفع النزاع ﴿وَلْيَكْتُبْ﴾ كتاب ذلك ﴿بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ بالحق في كتابته فلا يزيد في المال والأجل ولا ينقص ويصف المدين ومن له الدين بما ينفي اللبس ﴿وَلَا يَأْبَ﴾ لا يمتنع ﴿كَاتِبٌ﴾ من ﴿أَنْ يَكْتُبَ﴾ إذا دعي إليها ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ﴾ كما شرع له ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ ما علمه الله له ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ أي: يمل أو المعنى إن الذي عليه الحق يشهد على إقراره فهو مملي الكاتب أو كما فصله بالكتابة فلا يبخل بها ﴿وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ﴾ في إملائه ﴿وَلَا يَبْخَسْ﴾ لا ينقص ﴿مِنْهُ﴾ أي: من الحق ﴿شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾ غير صالح لأمر دينه ودنياه ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ لصغر أو كبر عن الإملاء ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ﴾ هو لخرس أو جهل باللغة أو نحو ذلك من غيبة أو حبس أو عي ﴿هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ﴾[1] أي: ولي ماله أو متولي أمره من والد أو وصي

(1) الضمير في «وليه» عائد على أحد هؤلاء الثلاثة، وهو الذي عليه الحق، وتقدّم تفسير ابن عطية للولي، وقال الزمخشري: الذي يلي أمره من وصي إن كان سفيهًا أو صبيًا، أو وكيل إن كان غير مستطيع، أو ترجمان يملّ عنه وهو يصدّقه، وذهب الطبري إلى أن الضمير في «وليه» يعود على الحق، فيكون الولي هو الذي له الحقّ، وروي ذلك عن ابن عباس والربيع، قال ابن عطية: ولا يصح عن ابن عباس، وكيف تشهد البينة على شيء ويدخل مالا في ذمّة السفيه، بإملاء الذي له
=

أو قيم أو مترجم ﴿بِالْعَدْلِ﴾ بالحق ﴿وَاسْتَشْهِدُوا﴾ اشهدوا على الدين ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ شاهدين ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ أي: من المسلمين البالغين الأحرار ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾ أي: فإن لم تشهدوهما ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ أي: فالمستشهد أو فليشهد، وهذا متفق عليه في المال عند الشافعي والجمهور وما يطلع عليه النساء غالبًا كولادة يثبت بأربع نسوة فبرجلين أو رجل وامرأتين أولى ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ أي: تعلمون عدالتهم وتعدد النساء الناقصات عقلاً وضبطًا لأجل ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ تنسى ﴿إِحْدَاهُمَا﴾ الشهادة لنقص عقلهن وضبطهن ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا﴾ الذاكرة ﴿الْأُخْرَى﴾ الناسية أي: لتذكر إن ضلت، قرأ حمزة ﴿إِنْ تَضِلَّ﴾ بكسر الهمزة ﴿فَتُذَكِّرُ﴾ برفع الراء، والباقون بفتح الهمزة ونصب الراء ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ إلى تحمل الشهادة وأدائها ﴿وَلَا تَسْأَمُوا﴾ تملوا من ﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ أي: ما شهدتم عليه من الحق بكثرة وقوع ذلك ﴿صَغِيرًا أَوْ﴾ كان ﴿كَبِيرًا﴾ أي: قليلاً كان أو كثيرًا ﴿إِلَى أَجَلِهِ﴾ وقت حلوله ﴿ذَلِكُمْ﴾ المذكور ﴿أَقْسَطُ﴾ أعدل ﴿عِنْدَ اللهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ أعون على إقامتها ﴿وَأَدْنَى﴾ أقرب إلى ﴿أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ تشكوا في قدر الحق والأجل ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ﴾ تقع ﴿تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾ قرأ عاصم بنصبهما، والباقون بالرفع ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ في المجلس أي: تقبضونها ولا أجل فيها، والمراد البيع يد بيد ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ والمراد بها المتجر فيه ﴿وَأَشْهِدُوا﴾ هو استحباب ﴿إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ على البيع فإنه أدفع للاختلاف ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ وإضرارهما لغيرهما بترك ما أمر به من الكتابة ونحوها والإضرار بهما أن يستطال ويستخف بشأنهما ونحو ذلك ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا﴾ ما نهيتم عنه ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ﴾ خروج عن الطاعة لاحق ﴿بِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ

=

الدين، هذا شيء ليس في الشريعة، قال الراغب: لا يجوز أن يكون ولي الحق كما قال بعضهم؛ لأن قوله لا يؤثر إذ هو مدّع، و: بالعدل، متعلق بقوله: فليملل، ويحتمل أن تكون الباء للحال، وفي قوله: بالعدل، حث على تحريه لصاحب الحق، والمولى عليه، وقد استدل بهذه الآية على جواز الحجر على الصغير، واستدل بها على جواز تصرف السفيه، وعلى قيام ولاية التصرفات له في نفسه وأمواله.

﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾
[البقرة: ٢٨٣ - ٢٨٦].

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ [البقرة: 283] أي: مسافرين حال المعاملة بالدين ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو «فرهن» بضم الهاء والراء بلا ألف، والباقون بكسر الراء وفتح الهاء وألف بعدها وكلاهما جمع: رهن ﴿مَقْبُوضَةٌ﴾ والمعنى فالذي يستوثق به رهن ولا يلزم من جهة الراهن إلا بالقبض وبينت السنة جواز الرهن في الحضر ومع وجود الكاتب فالتقييد بما ذكر فيهما؛ لأن التوثق فيه أشد ويكفي قبض المرتهن المرهن أو وكيله ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ فاستغنى بالأمانة عن الارتهان ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ أي: يدفع من عليه الدين الحق لصاحبه ﴿وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ إذ ادعيتم لإقامتها ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ﴾ عاص ﴿قَلْبُهُ﴾ قيل المراد بذلك: مسخه فلا يقبل ضرًا وخص بالذكر لتبعية غيره له، ولأنه ممل الشهادة ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

﴿لِله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا﴾ [البقرة: 284] تظهروا ﴿مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من السوء والفرح عليه ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ تكتموه ﴿يُحَاسِبْكُمْ﴾ يجزيكم في الآخرة ﴿بِهِ اللهُ﴾ أخبر أنه يؤاخذ بحديث النفس، وإن لم يصمم عليه بالعزم ثم نسخه بقوله: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286] ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ الغفران له

﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه، وقرأ ابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب ﴿فَيَغْفِرُ﴾ ﴿وَيُعَذِّبُ﴾ برفع الراء، والباقون بجزمها ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿آمَنَ﴾ [البقرة: 285] صدق ﴿الرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ من القرآن ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف عليه وشهادة لهم من الله بذلك ﴿كُلٌّ﴾ من الرسول والمؤمنين ﴿آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف «وكتابه» بالتوحيد، والباقون بالجمع ﴿وَرُسُلِهِ﴾ فآمنوا بصدقهم وبنسخ شرائعهم بما جاء به محمد ﷺ وعليهم يقولون ﴿لَا نُفَرِّقُ﴾ قرأ يعقوب «يفرق» بالياء، والباقون بالنون ﴿بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل اليهود والنصارى ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾ ما أمرنا به سماع قبول ﴿وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ﴾ اغفر غفرانك أو نسألك غفرانك ﴿رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع بعد الموت، ولما نزلت الآية قبلها شكا المسلمون من الوسوسة وشق عليهم المحاسبة بها فنزل:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286] مقدورها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من خير أي: ثوابه ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من الإثم أي: وزره ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد ولا بما لم يكسبه مما وسوست به نفسه ﴿رَبَّنَا﴾ أي: قولوا ربنا ﴿لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ بالعقاب ﴿إِنْ نَسِينَا﴾ سهونا ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ تعمدنا فعل خلاف الصواب جهلاً بالحكم كما أخذت به من قبلنا وسؤالهم بذلك المرفوع عنهم الاعتراف بالنعمة ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ عهدًا ثقيلاً فلا يستطاع القيام به ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ من الأمم وهم بنو إسرائيل حملت عليهم مشاق كقتل النفس للتوبة وإخراج ربع المال في الزكاة وقرض موضع النجاسة أي: قطعه ونحو ذلك ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ﴾ قوة ﴿لَنَا بِهِ﴾ من التكاليف ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ أمحُ ذنوبنا ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ استر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة ﴿وَارْحَمْنَا﴾ تعطف علينا بالنعم ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ ناصرنا ﴿فَانْصُرْنَا﴾ أجمعين ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ بأسرهم بإقامة الحجة والغلبة في قتالهم، إذا شأن المولى نصر واليه على أعدائهم، وفي الخبر لما نزلت هذه الآية فقرأها ﷺ قيل له عقب كل كلمة قد فعلت وفيه: «**مَنْ قَرَأَ بِالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**»[1] أي: عن قيام الليل.

---

(1) رواه البخاري (16/498)، ومسلم (5/248).

سورة آل عمران

مدنية وهي مئتان أو إلا آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١ - ٧].

﴿الـم﴾ [آل عمران: 1]، وقرأ أبو جعفر ﴿الـم﴾ ﴿المص﴾ [الأعراف: 1] في كل الحروف المقطعة أوائل السور بتقطيع الحروف مع سكتة ويقف أيضًا على ﴿ص﴾ [ص: 1] و﴿ق﴾ [ق: 1] و﴿ن﴾ [القلم: 1] وقفة يسيرة وعن المفضل الوقف على ﴿الـم﴾ وقطع الهمزة والوصل به باقٍ مع فتح الميم.

﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: 2] القائم على كل نفس بما كسبت ومصالح العباد ومنها إنزال القرآن.

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: 3] القرآن منجمًا ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: متلبسًا بالصدق في أخباره ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لما قبله من الكتب ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ﴾ على موسى أمال التوراة إمالة كبرى ابن ذكوان والكسائي وأبو عمرو وخلف عن قالون

﴿وَالْإِنْجِيلَ﴾ على عيسى جملة.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ [آل عمران: 4] أي: من قبل تنزل القرآن ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ الكتب الفارقة بين الحق والباطل ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في الدنيا بالسيف وفي الآخرة بالخلود في النار ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ﴾ لا يغالب ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾.

﴿إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: 5] كائن ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ﴾ [آل عمران: 6] البطون ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من بياض وسواد وذكر وأنثى وخنثى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الذي وضع الأشياء في محلها.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: 7] يا محمد ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصله الذي يعول عليه من الأحكام ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[1] جعل الله

---

(1) مناسبة هذا لما قبله أنه: لما ذكر تعديل البنية وتصويرها على ما يشاء من الأشكال الحسنة، وهذا أمر جسماني، استطرد إلى العلم، وهو أمر روحاني. وكان قد جرى لوفد نجران أن من شُبَهِهِمْ قوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ فبيّن أن القرآن منه محكم العبارة قد صينت من الاحتمال، ومنه متشابه، وهو ما احتمل وجوهًا، ونذكر أقاويل المفسرين في المحكم والمتشابه، وقد جاء وصف القرآن بأن آياته محكمة، بمعنى كونه كاملاً، ولفظه أفصح، ومعناه أصح، لا يساويه في هذين الوصفين كلام، وجاء وصفه بالتشابه بقوله: ﴿كِتَاباً مُّتَشَابِهاً﴾ معناه يشبه بعضه بعضًا في الجنس والتصديق، وأما هنا فالتشابه ما احتُمل وعجز الذهن عن التمييز بينهما، نحو: ﴿إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾، ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً﴾ أي: مختلف الطعوم متفق المنظر، ومنه: اشتبه الأمران، إذا لم يفرق بينهما، ويقال لأصحاب المخاريق: أصحاب الشبه، وتقول: الكلمة الموضوعة لمعنى لا يحتمل غيره نص، أو يحتمل راجحًا أحد الاحتمالين على الآخر، فبالنسبة إلى الراجح ظاهر، وإلى المرجوح مؤول، أو يحتمل من غير رجحان، فمشترك بالنسبة إليهما، ومجمل بالنسبة إلى كل واحد منهما، والقدر المشترك بين النص والظاهر هو المحكم، والمشترك بين المجمل والمؤول هو المتشابه؛ لأن عدم الفهم حاصل في القسمين، قال ابن عباس، وابن مسعود، وقتادة، والربيع، والضحاك: المحكم الناسخ، والمتشابه المنسوخ، وقال مجاهد، وعكرمة: المحكم: ما بيّن تعالى حلاله وحرمه فلم تشتبه معانيه، والمتشابه: ما اشتبهت معانيه، وقال جعفر بن محمد، ومحمد بن جعفر بن الزبير، والشافعي: المحكم ما لا يتحمل إلاَّ وجهًا واحدًا، والمتشابه ما احتمل من التأويل أوجهًا، وقال ابن زيد: المحكم: ما لم تتكرر ألفاظه، والمتشابه: ما تكررت، وقال =

القرآن كله محكمًا في بعض الآيات؛ لأنه كله حق حسن لا غيب فيه وفي بعضها متشابها؛ لأنه يشبه بعضه بعضًا في الحسن وفرقه هنا فاختلف في ذلك والأرجح أن المحكم ما اتضح معناه والمتشابه ما استأثر الله بعلمه، وقد يطلع عليه بعض أصفيائه كأوائل السور ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ ميل عن الحق ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ بالتآويل الباطلة ﴿ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿الْفِتْنَةِ﴾ ومن فتنة الجهال بالإيقاع في الشبهات واللبس ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ تفسيره على شهوتهم ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ تفسيره تغير معنى المتشابه ﴿إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ﴾ المتمكنون ﴿فِي الْعِلْمِ﴾ يعلمون معناه أيضًا ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: قائلين ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ﴾ من المحكم والمتشابه ﴿مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ يتعظ ﴿إِلَّا أُولُو﴾ أصحاب ﴿الْأَلْبَابِ﴾ العقول مدح لهم ويقولون أيضًا إذا رأوا من يتبع المتشابه[1].

جابر بن عبد الله، وابن رئاب، وهو مقتضى قول الشعبي والثوري وغيرهما: المحكم ما فهم العلماء تفسيره، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه: كقيام الساعة، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج عيسى، وقال أبو عثمان: المحكم، الفاتحة، وقال محمد بن الفضل: سورة الإخلاص، لأن ليس فيها إلاَّ التوحيد فقط، وقال محمد بن إسحاق: المحكمات ما ليس لها تصريف ولا تحريف، وقال مقاتل: المحكمات خمسمائة آية؛ لأنها تبسط معانيها، فكانت أمَّ فروع قيست عليها وتولدت منها، كالأم يحدث منها الولد، ولذلك سماها: أم الكتاب، والمتشابه: القصص والأمثال، وقال يحيى بن يعمر: المحكم الفرائض، والوعد والوعيد؛ والمتشابه: القصص والأمثال، وقيل: المحكم ما قام بنفسه ولم يحتج إلى استدلال، والمتشابه ما كان معاني أحكامه غير معقولة، كأعداد الصلوات، واختصاص الصوم بشهر رمضان دون شعبان، وقيل: المحكم ما تقرر من القصص بلفظ واحد، والمتشابه ما اختلف لفظه، كقوله: ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ و﴿قُلْنَا احْمِلْ﴾ و﴿فَاسْلُكْ﴾، وقيل: المتشابهات ما لا سبيل إلى معرفته، كصفة الوجه، واليدين، واليد، والاستواء، وقيل: المحكم ما أمر الله به في كل كتاب أنزله، وقال أكثر الفقهاء: المحكمات التي أحكمت بالإبانة، فإذا سمعها السامع لم يحتج إلى تأويلها؛ لأنها ظاهرة بينة، والمتشابهات: ما خالفت ذلك، وقال ابن أبي نجيح: المحكم ما فيه الحلال والحرام.

(1) قال الشريف الرضي: فبين العلماء فيه اختلاف: فمنْهُم مَنَ جعلَ الوقف عند اسم الله تعالى، واستأنف قوله سبحانه: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾، فمَنْ ذهبَ إلى هذا المذهبْ منهم يُخرج العلماء عن أن يعلموا كُنْه التأويل وحقيقته، ويطّلعوا طلعه ويستنْبطوا غوامضُه، ويستخرجوا كوامِنُه، وحطّهم بذلك عن رتبة قد استحقوا الإيفاء عليها واطّلاع شرفها، لأنّ الله سبحانه قد أعطاهم من نهج السبيل وضياء الدليل ما يفتتحون به المبهم ويصدعون المظلم، وكل ذلك بتوفيق الله إيّاهم ونصب منار الأدلة لهم، فعلمهم بذلك مستمدٌ من علم الله سبحانه، فلا =

معنى للوقوف بهم دون هذه المنزلة، والإحجام عن إيصالِهم إلى أقصى هذه الرتبة.

وأمّا الذين يجعلون الوقف عند قوله تعالى: ﴿وما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلا الله وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ فيوفّون الاستثناء حقّه بإدخال العلماء فيه، ويجعلون لهم مَزِيّة العلم بتأويل القرآن، ومعرفة مداخله ومخارجه، وسلوك محاجّه ومِنَاهجه، وهذا القول مرويٌّ عن ابن عباس ومجاهد والربيع.

فأمّا المحققون من العلماء فيقفون في ذلك على منزلةٍ وسطى وطريقةٍ مُثْلى، فلا يخرجون العلماء هاهنا عنْ أنْ يعلموا شيئًا من تأويل القرآن جملةً، ولا يعطونهم منزلة العلم بجميعه، والاستيلاء على قليلِه وكثيرِه، بل يقولون: إنّ في التأويلِ ما يعلمه العلماء، وفيه ما لا يعلمه إلاّ الله تعالى، من نحو تعيين الصغيرة ووقت الساعة، وما بيننا وبينها من المدة، ومقادير الجزاء على الأعمال، وما أشبه ذلك.

وهذا قول جماعةٍ من متقدمي العلماء: منهم الحسن البصري وغيره، وإليه ذهب أبو عليّ الجُبّائِيّ؛ لأنّه يجعل المراد بالتأويل في هذه الآية مصائر الأمور وعواقبها، كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ [الأعراف: 53]: أي مصيره وعاقبته؛ لأنّ أصل التأويل من قولهم: آل يئول، إذا رجع، وممّا يؤكّد ذلك أن مجاهدًا قال في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: 59]: إنّه سبحانه أراد بالتأويل هاهنا الجزاء على الأعمال، فهذا المعنى يلامح ما نحنُ في ذكرِه؛ لأنّ الجزاء إنّما هو الشيء الذي آلوا إليه وحصلوا عليه. وقد قيل أيضًا: إنّ المراد. وما يعلم تأويله على التفصيل إلا الله تعالى، أو لا يعلم تأويله بعينهِ إلا الله؛ لأن كثيرًا من المتشابه يحتمل الوجوه الكثيرة، وكلّها غير خارجٍ عن أدلة العقول، فيذكر المتأولون جميعها، ولا يقع القطع منهم على مراد الله تعالى بعينه منها، ولايعلم ذلك إلا الله؛ لأن الذي يلزم المكلف من ذلك أن يعلمه في الجملة أنّه سبحانه لم يردْ ما يخالف أدلة العقول، ولأنّه ليس من تكليفِنا أنْ نعلم أنّ المراد من ذلك بعينهِ، وإن كان العلماء يعلمونُه على الجملة وعلى الوجه الذي يمكن أن يعلم عليه. وفي قول الراسخين في العلم: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: 7] دَلالة على استسلامهم فيما لم يعلموا من تأويل المتشابه، وما استبدّ الله بعلمه من قبيل ما ذكرنا: كوقت القيامة وتمييز الصّغائر من الكبائر، إلى ما أشبه ذلك، فقد بان أنّ في تأويل المتشابه ما لا يعلمونه، وإن كانوا يعلمون كثيرًا منه، وقال قاضي القضاة أبو الحسن بعد ذكره طرفًا من الخلاف في هذه الآية: "وما يقوله من حمل العطف على حقيقتِه وجعل للعلماء نصيبًا من علم التأويل على تفصيله أو جملته إمّا أنْ يكون المراد بذلك عنده: وما يعلم تأويله إلا الله وإلا الراسخون في العلم، ومع علمهم بتأويله ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾، أو يكون المراد أنّهم يعلمون تأويله في حال قولهم: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، ومَنْ قال بذلك استدلّ بظاهر العطف، وأنّه يقتضي مشاركة الثاني للأول فيما وُصِفَ به الأول وأُخْبِرَ به عنّه، وقال: إذا أمكن ذلك وأمكن حمل قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ على الحال أو على خبرٍ ثانٍ وَجبَ القول بذلك، ولِكلا الوجهين مسرحٌ في طريق اللغة، وإنّما ينبغي أنْ ننظر من جهة المعنى، فإنْ ثبتَ بالدليل صحة

=

أحد المعنيين قُضِيَ به، وإلاّ لم يُمتنع أنْ يرادا جميعًا إذا لم يقع بينهما تنافٍ".

قلت أنا: وهذه طريقةٌ لأبي علي فيما ورد من القراءات متغايرًا فإنّه يقول: "إذا كان يمكن حَمْل الكلام على القراءتين المختلفتين فإنّهما جميعًا مرادتان، إذا صحّت القراءة بهما جميعًا، نظير ذلك قوله سبحانه: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: 86]، وقد قُرِئَ (حامية)، فيقول: إنّه يجب أن تكون العين على الصفتين معًا، فتكون حمئة من الحمأة، وحامية من الحمْي، فتكون هناك حرارة وحمأة، وإلاّ كان يجب ألاّ تجوز إحدى القراءتين؛ لأنّ من أصلِه أنّ كل كلامٍ احْتمل حقيقتين ولم يكن هناك دَلالة على أنّ المراد به إحدى الحقيقتين دون الأُخرى فواجب حمل الكلام عليهما جميعًا حتى يكونا مرادين بذلك، ومتى لم يكن حمل الكلام عليهما جميعًا فلا بُد من أنْ يُبيّن الله تعالى مراده منهما بدلالة، وإلا خرج من أنْ يكون فيه فائدةٌ. فأمّا من قرأ حمئة من الحمأة، فإني قرأت بذلك على شيوخ القراءة لابن كثير ونافع وأبي عمرو وحفص عن عاصم، وأمّا من قرأ حامية من الحمْي فإني قرأت به لحمزة والكسائي وأبي بكر بن عياش عن عاصم وعبد الله بن عامر، وقد ظن بعض الناس أنه لا يجوز إلاّ أنْ يكون تمام الكلام ومقطعه عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ﴾ [آل عمران: 7]، وأن الواو للاستقبال دون الجمع، قال: "لأنّها لو كانت للجمع لقال: ويقولون آمنا به فيستأنف الواو كما استأنف الخبر"، واحتج على هذا القول مَنْ قال بالقول الأول، بأن قال: "هذا جائز، وقد وُجد مثله في القرآن وهو قوله تعالى في معنى قسم الفيء: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّـهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا الله إِنَّ اللَّـهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7]، ثم أعقب ذلك بالتفصيل وتسمية من يستحق هذا الفيء، فقال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ الله وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالإيمان مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ﴾ [الحشر: 8، 9، 10]، وهؤلاء لا شك داخلون في مستحقي الفيء كالأولين، والواو هاهنا للجمع، ثم قال سبحانه: ﴿يقولون رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾ [الحشر: 10]، ومعناه قائلين: ربنا اغفر لنا ولإخواننا، فكذلك قوله سبحانه: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ يكون معناه: والراسخون في العلم يعلمون تأويل ما نصبت لهم عليه الدلائل، ونحيت لهم إليه المذاهب من المتشابه قائلين: آمنا به..... واذا كان ذلك سائغًا في اللغة وجب حمله على موافقة دلالة الآية في وجوب ردّ المتشابه إلى المحكم، فيعلم الراسخون في العلم تأويله إذا استدلوا بالمحكم على معناه، ولو كان العلماء لا يعلمون شيئًا من تأويل المتشابه البتّة ما كان لما روي أن رسول الله ﷺ علّم أمير المؤمنين ﵇ التفسير معنًى، لأن معنى التفسير والتأويل إنما يكون لما غمض ودقّ ولم يعلم بظاهره، وهذه صفة المتشابه، وأمّا المحكم الذي يعلم بظاهره فلا حاجة بأحدٍ إلى تعليمه؛ لأن أهل اللسان فيه

=

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ

سواءٌ، ولولا أن الأمر على ذلك لما كان لدعاء النبي ﷺ لابن عباس بأن يعلمه الله التأويل معنًى؛ لأنا نعلم أنه لم يرد ﷺ تعليمه الظاهر الواضح، فلم يبق إلا الغامض الباطن.

ومن وجه آخر: أن حقيقة الواو الجمع، فوجب حملها على سنن حقيقتها ومقتضاها، ولا يجوز حملها على الابتداء إلا بدلالة، ولا دلالة هاهنا توجب صرفها عن الحقيقة، فوجب حملها على الجمع، حتى تقوم الدلالة، وكان أبو حاتم السجستاني يقول: "إن الوقف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 7]؛ لأنه قد حذف من الكلام أمّا، وكأنه تعالى قال: وأما الراسخون في العلم فيقولون آمنا به، وزعم أنه إنما جاز حذفها؛ لأنه قد جرى ذكرها وهو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: 7]، قال: "و(أما) لا تكاد تجيء في القرآن مفردة حتى تثنى أو تثلث أو تُزاد على ذلك، كقوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: 9]، ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: 10]، وكقوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ﴾ [الكهف: 79]، ﴿وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ [الكهف: 80]، ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ﴾ [الكهف: 82]،فلما قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران: 7]، قدّرنا أنّ "أمّا" مرادة مع (الراسخين في العلم)، فكأنه تعالى قال: وأما الراسخون في العلم". وكلام أبي حاتم في ذلك غير سديدٍ ولا مطردٍ؛ لأنه قدّر في الكلام حذف (أمّا)، وذكر أنها تقع في القرآن كثيرًا مكررةً، ولعمري إن الأمر كما قال من وقوعها مكررة في القرآن، وما علمناها جاءت فيه مرادةً محذوفةً، وكان ينبغي أن يُرينا من القرآن موضعًا هي فيه مرادة وقد حذفت ليكون شاهدًا على ما ذكره، فأما أن يستشهد بتكريرها على حذفها فذلك غير مستقيم، ولو كان الأمر على ما قال لكان وجه الكلام أن يقول تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران: 7]، كما قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ فيعلم أن الموضع لأمّا، وإلا لم تكن على ذلك دلالة، ولا يجوز الوقف على العلم في الوجهين جميعًا؛ لأن ما بعد العلم يكون حالاً في أحد الوجهين وخبرًا في الآخر، و(الوقف التام) على (به)، وقد أوردنا في هذه المسألة ما فيه بلاغٌ مقنعٌ بتوفيق الله تعالى. [حقائق التأويل ص163] بتحقيقنا.

جَهَنَّمَۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران: ٨ - ١٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ [آل عمران: 8] لا تملها عن طلب الحق باتباع تأويله الذي لا يليق بنا كما أزغت قلوب أولئك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ للإيمان به ﴿وَهَبْ لَنَا﴾ أعطنا ﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ﴾ [آل عمران: 9] أي: في يوم ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: في وقوعه وهو يوم القيامة ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ وأما ما وعد به الفساق فمشروط بعدم العفو كما علم من دلائل كثيرة كما هو مشروط بعدم التوبة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ﴾ [آل عمران: 10] تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللهِ﴾ أي: من عذابه ﴿شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ حطبها.

﴿كَدَأْبِ﴾ [آل عمران: 11] أي: دأبهم أي: فعلهم كفعل أو سنة أو عادة ﴿آلِ فِرْعَوْنَ﴾ أتباعه والمعنى لن تغني عنهم كما لم تغني عن آل فرعون ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم كعاد وثمود ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللهُ﴾ أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ بسببها ﴿وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ونزل لما أمر رسول الله ﷺ اليهود بالإيمان عند رجوعه من بدر فقالوا له: لا يغرنك إن قتلت نفرًا من قريش أغمارًا لا يعرفون القتال.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾ [آل عمران: 12] في الدنيا بقتل وغيره ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾ تجمعون وتساقون في الآخرة ﴿إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ الفراش جهنم، قرأ حمزة والكسائي وخلف تغلبون وتحشرون بالياء والباقون بالتاء المثناة.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ [آل عمران: 13] عبرة ﴿فِي فِئَتَيْنِ﴾ طائفتين ﴿الْتَقَتَا﴾ يوم بدر للقتال ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ طاعة الله ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ وهم المشركون ﴿يَرَوْنَهُمْ﴾ أي: المشركون يرون المؤمنين ﴿مِثْلَيْهِمْ﴾ وكان المؤمنون ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً معهم فرسان وستة أدرع وثمانية سيوف وأكثرهم مشاة والمشركون قريب ألف ﴿رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ رؤية ظاهرة معاينة، وقد نصرهم الله مع قلتهم، وقرأ يعقوب والمدنيان «ترونهم» بالخطاب فمعناه: أن المؤمنين رأوا الكفار مثليهم، والباقون بالياء

﴿وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ نصره ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً﴾ عظة واعتبار ﴿لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ أصحاب البصائر السليمة أو لمن أبصرهم[1].

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (١٧) شَهِدَ

---

(1) أما قوله تعالى: ﴿وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: 13]، فربما تعلّق به متعلِّق، فقال: إذا أضاف تعالى النصر إلى نفسه فيجب أن يكون من فعله، حتى أن الغالب تكون غلبته بنصر الله، والمغلوب تكون صرعته بخذلان الله، وهذا خلاف مذهبكم.

فالجواب: أنا قدّمنا في صدر هذا الكتاب من الكلام في حقيقة النصر والخذلان ما يغني عن تكلف إعادة شيءٍ منه، إلا أننا لا نُخلي هذا الموضع من يسيرٍ من القول في ذلك: يبلغ قدر الكفاية، ويقيم عمود الحجّة بتوفيق الله، فنقول: إن النصرة قد تكون بالحجّة إذا ظهرت للمؤمن على عدوّه عند المنازعة، وقد تكون بما يحصل له من التعظيم والكرامة، وللكافر من الإدالة والإهانة، وقد تكون في الحرب بالظفر والغلبة، وقد تكون بتحمل المشقة فيما يؤدي إلى الأجر والمثوبة، فلذلك قلنا: إن المؤمنين إذا غلبوا في الدنيا لم يخرج الكفار مع ذلك من أن يكونوا مخذولين، من حيث كان ما فعلوه مؤديًا إلى عظم النكال وأليم العقاب، ولم يخرج المؤمنون من أن يكونوا منصورين، من حيث كانوا يستحقون من الله تعالى الثواب الجزيل والمقام الشريف، والله تعالى يؤيد المؤمنين في حروب الأعداء، وينصرهم بضروبٍ من الألطاف؛ فتارة ينصرهم بأن يمدهم بالملائكة، وتارة ينصرهم بأن يخطر ببالهم ما أعدّ لهم من نعيم الجنة، فتقوى بذلك أنفسهم، وتثبت أقدامهم، ويتضاعف إقدامهم، وقد يؤيدهم أيضًا بإلقاء الخوف في قلوب أعدائهم، فيكون ذلك سببًا لتمكين المؤمنين من نواصيهم، وإنزالهم من صياصيهم، وربما علم تعالى في بعض المواطن أن الصلاح في ألا يؤيدهم بشيءٍ من ذلك، فيحمّلهم التكليف الصعب، ويلزمهم الشاقّ من الأمر، إذا علم تعالى أن فيه الصلاح لهم، فلا يكون مؤيدًا لهم في باب الظفر والغلبة، وإن كان فاعلاً بهم الأولى في باب المصلحة، وما ذكرناه في هذه المسألة كافٍ بتوفيق الله تعالى. [حقائق التأويل 184].

﴿اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٤ - ١٨].

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 14] ابتلاء ﴿حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ المنهيات وهي ما تدعوا النفس إليه ﴿مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ والأولاد المذكور ﴿وَالْقَنَاطِيرِ﴾ من الأموال الكثيرة جمع قنطار وهو المال الكثير ﴿الْمُقَنْطَرَةِ﴾[1] المحكمة، وقيل: الكثيرة المتعدد

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: قوله تعالى: ﴿وَالْقَنَاطِيرِ﴾ القناطير جمع قنطار، كما قال تعالى: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً﴾ وهو العقدة الكبيرة من المال، وقيل: هو اسم للمعيار الذي يوزن به، كما هو الرطل والربع، ويقال لما بلغ ذلك الوزن: هذا قنطار، أي: يعدل القنطار، والعرب تقول: قنطر الرجل إذا بلغ ماله أن يوزن بالقنطار، وقال الزجاج: القنطار مأخوذ من عقد الشيء وإحكامه، تقول العرب: قنطرت الشيء إذا أحكمته، ومنه سميت القنطرة لإحكامها، واختلف العلماء في تحرير حده كم هو على أقوال عديدة، فروى أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال: «**القنطار ألف أوقية ومائتا أوقية**» وقال بذلك معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر وأبو هريرة وجماعة من العلماء، قال ابن عطية: وهو أصح الأقوال، لكن القنطار على هذا يختلف باختلاف البلاد في قدر الأوقية، وقيل: اثنا عشر ألف أوقية، أسنده البستي في مسنده الصحيح عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «القنطار اثنا عشر ألف أوقية الأوقية خير مما بين السماء والأرض»، وقال بهذا القول أبو هريرة أيضًا، وفى مسند أبي محمد الدارمي عن أبي سعيد الخدري قال: «من قرأ في ليلة عشر آيات كتب من الذاكرين، ومن قرأ بمائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ بخمسمائة آية إلى الألف أصبح وله قنطار من الأجر» قيل: وما القنطار؟ قال: «ملء مسك ثور ذهبًا»، موقوف، وقال به أبو نضرة العبدي، وذكر ابن سيده أنه هكذا بالسريانية، وقال النقاش عن ابن الكلبي أنه هكذا بلغة الروم، وقال ابن عباس والضحاك والحسن: ألف ومائتا مثقال من الفضة، ورفعه الحسن، وعن ابن عباس: اثنا عشر ألف درهم من الفضة، ومن الذهب ألف دينار دية الرجل المسلم، وروي عن الحسن والضحاك، وقال سعيد بن المسيب: ثمانون ألفًا، قتادة: مائة رطل من الذهب أو ثمانون ألف درهم من الفضة، وقال أبو حمزة الثمالي: القنطار بإفريقية والأندلس ثمانية آلاف مثقال من ذهب أو فضة، السدي: أربعة آلاف مثقال، مجاهد: سبعون ألف مثقال، وروي عن ابن عمر، وحكى مكي قولاً أن القنطار أربعون أوقية من ذهب أو فضة، وقاله ابن سيده في المحكم، وقال: القنطار بربر ألف مثقال، وقال الربيع ابن أنس: القنطار المال الكثير بعضه على بعض، وهذا هو المعروف عند العرب، ومنه قوله: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً﴾ أي: مالاً كثيرًا، ومنه الحديث: «إن صفوان بن أمية قنطر في الجاهلية وقنطر أبوه» أي: صار له قنطار من المال، وعن الحكم هو ما بين السماء والأرض، واختلفوا في معنى ﴿الْمُقَنْطَرَةِ﴾ فقال الطبري وغيره: معناه المضعفة، وكأن القناطير ثلاثة والمقنطرة تسع، وروي عن الفراء أنه قال:
=

بعضها فوق بعض ﴿مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ الحسان ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ جمع نعم وهي الإبل والبقر والغنم ﴿وَالْحَرْثِ﴾ الزرع ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور كله ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يتمتع به فيها ثم يفنى ﴿وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ المرجع في الجنة.

﴿قُلْ﴾ [آل عمران: 15] يا محمد لقومك ﴿أَؤُنَبِّئُكُمْ﴾ أخبركم استفهام تقرير ﴿بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ﴾ المذكور من متاع الحياة الدنيا ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ إذا دخلوها ﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ من نحو حيض كما سبق ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ﴾ روى أبو بكر «رضوان» حيث وقع بضم الراء إلا الثاني في المائدة وهو من اتبع رضوانه فإنه كسره من طريق العليمي، واختلف عنه من طريق يحيى، والباقون بالكسر حيث وقع ﴿وَاللهُ بَصِيرٌ﴾ عليم ﴿بِالْعِبَادِ﴾ فيجازيهم بأعمالهم.

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ [آل عمران: 16] يا ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا﴾ بك وبرسلك ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

﴿الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 17] على التقوى ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ في الإيمان ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ المطيعين ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ في طاعة الله تعالى ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ الله ﴿بِالْأَسْحَارِ﴾ أواخر الليل خصها بالذكر؛ لأنها وقت الغفلة ولذة النوم.

﴿شَهِدَ﴾ [آل عمران: 18] بيّن ﴿اللهُ﴾ لخلقه بالدلائل ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا معبود بحق في الوجود إلا هو ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ أقروا بذلك وشهدوا به ﴿وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ من الأنبياء والمؤمنين كذلك بالاعتقاد واللفظ ﴿قَائِمًا﴾ بتدبير مصنوعاته ﴿بِالْقِسْطِ﴾ العدل ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ ويستحب لمن قرأ هذه الآية أن

=

القناطير جمع القنطار، والمقنطرة جمع الجمع، فيكون تسع قناطير، السدي: المقنطرة المضروبة حتى صارت دنانير أو دراهم، مكي: المقنطرة المكملة، وحكاه الهروي، كما يقال: بدر مبدرة، وآلاف مؤلفة، وقال بعضهم: ولهذا سمي البناء القنطرة لتكاثف البناء بعضه على بعض، ابن كيسان والفراء: لا تكون المقنطرة أقل من تسع قناطير، وقيل: المقنطرة إشارة إلى حضور المال وكونه عتيدًا، وفي صحيح البستي عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال: من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين.

يقول: وأنا أشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة[1].

(1) قال الشريف الرضي: ومن سأل عن معنى قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 18]، فقال: هذه شهادة منه سبحانه لنفسه، وقد استقر العرف بيننا على أن الشهادة إنما تكون لمن ادعى حقًّا من الحقوق، أو أمرًا من الأمور، بأن يشهد له غيره، لا أن تشهد له نفسه، وبعد فمنزلة الشاهد فيما يتعارف أنقص من منزلة المشهود عنده!
فالجواب: أن في هذه المسألة أقوالا:
1 - أحدها، أن تكون شهادته تعالى بذلك، ليعلم عباده به، ويبينه لهم ويحقّقه عندهم؛ لأن الشاهد إنما يعلم غيره الشيء المشهود به، ويحقّق عنده صحته، وكذلك البينة إنما سميت: بينة؛ لأنها تبيّن الحقّ، وتكشف اللّبس، والشهادة في الأصل: طريقٌ للعلم، ويوصف المؤدّي بأنه شاهدٌ، إذا كان أداؤه طريقًا للعلم الحاصل لغيره، وأمّا شهادة الملائكة وأولي العلم فهي أيضًا إعلام لمن سواهم من الخلق: أن الله تعالى واحدٌ، وأنه عادلٌ، ليقرّوا بذلك، ويعلموا أن الله تعالى وملائكته وأولي العلم لا يشهدون إلا بالحقّ، ولا يقولون غير الصدق، ومما يبيّن ما قلنا أنه خصّ سبحانه أولي العلم بهذه الشهادة؛ لأنهم الذين يعلمون الله على حقيقته، فيلزمهم تبيين ما علموه من ذلك لمن دونهم في طبقة العلم، لأنهم القدوة وبهم الأسوة، ألا ترى إلى قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]، وإنما خصّ العلماء بذلك، وإن كان غيرهم يخشى الله سبحانه، لأنهم أعرف به تعالى من غيرهم، فخشيتهم له على قدر معرفتهم به.
2 - وقال بعض العلماء: شهادة الله تعالى بأنه لا إله إلا هو إنما يُراد بها: ما بُني عليه الخلق من الحاجة إليه والسكينة والخضوع له، وكل ضعيفٍ وقويٍّ، وفقيرٍ وغنيٍّ، يدل من الوجه الذي ذكرناه على توحيد الله تعالى.
3 - وقال المؤرّج: أراد تعالى بقوله: ﴿شَهِدَ اللهُ﴾ [آل عمران: 18]، قال الله بلغة قيس عَيلان، لأن الشهادة في الأصل هي: قولٌ مخصوصٌ.
وفي هذا القول نظرٌ، لأن في القرآن مواضع ذُكرت فيها شهادة الله تعالى، ولا يجوز أن تُحمل على أن المراد بها القول، لأن الكلام يَفسد على هذا التأويل، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِالله شَهِيدًا﴾ [النساء: 166]، فلا يصح أن يقال ههنا: إن المراد بذلك لكن الله يقول بما أنزل، لفساد المعنى.
4 - وقال بعضهم: معنى ذلك: شهد الله عند خلقه بتدبيره العجيب، وصنعه اللطيف، وحكمته البالغة، وقدرته الباسطة: أنه لا إله إلا هو يدبر الأمر ويصرّف الخلق، وشهدت الملائكة بذلك عند الرسل بما أبانت لهم من الحجج النيّرة والأعلام القاهرة، وشهد أولو العلم بذلك عند سائر الخلق بما أوضحوا لهم من البيّنات، وأظهروا من الدلائل والأمارات.
5 - وقال بعضهم: معنى شهد الله: قضى الله أنه لا إله إلا هو، ولن يخلو أن يكون قضى ههنا بمعنى: أَعلَم وبيّن، أو يكون بمعنى: حكم وألزم، فإن كان بمعنى: أعلم وبيّن فهو بمعنى: شهد
-

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا

على ما ذكرناه، وقد جاء في التنزيل قضى بمعنى أعلم، في عدة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 4]، ومنها قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر: 66]، وإن كان بمعنى: حكم وألزم فالتقدير: أن الله سبحانه حكم بأن لا إله إلا هو وألزم خلقه أن يعتقدوا ذلك بالدلالات القائمة، والبينات الواضحة، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 23]: أي ألزم ذلك وحكم به.

ويكون على الوجه الأول رفع الملائكة وأولى العلم بما ارتفع به اسم الله تعالى، وهو أنهم أعلموا من سواهم من الخلق من لم يعلم كعلمهم أنه لا إله إلا الله، ويكون رفع الملائكة وأولى العلم على الوجه الآخر أيضًا على نحو من ذلك المعنى، فكأن الملائكة وأولي العلم ألزموا من دونهم من الخلق بما أظهروه لهم من واضح الدلائل، وعادل الشواهد، أن يعتقدوا أنه لا إله إلا الله، فالمعنيان متقاربان، والذي ذهب إلى أن معنى شهد ههنا معنى قضى من المتقدمين أبو عبيدة، وهو قولٌ فيه نظرٌ.

6 - وقال بعضهم: إن في ذلك تقديمًا وتأخيرًا، فكأنه سبحانه قال: شهد الله قائمًا بالقسط: أنه لا إله إلا هو، ومعنى ذلك: أنه أعلم الخلق بعدله عليهم وإحسانه إليهم أنه لا إله غيره يفعل ذلك بهم.

7 - وقال قاضي القضاة أبو الحسن: "قوله سبحانه: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يجب أن يُحمل على ما تعود فائدته على العباد، وهو أنه تعالى أودع خلقه الأدلّة على أنه لا إله إلا هو، ولا تحقّ العبادة إلا له، فمن حيث دلّ على ذلك، وبيّنه لجميع ما خلق من الخلق العجيب، بإكمال العقول والتكليف، صار شاهدًا بأنه كذلك، فأمّا الملائكة فلا يجب أن تكون شهادتها على هذا الوجه؛ لأنها لا يصح أن تكون دالة على حدّ ما دلّ تعالى به على نفسه وتوحيده، فالمراد أنه اعترفت بذلك وعلّمته وبيّنته للأنبياء عليهم السلام بالتنبيه على الأدلّة وإلقاء الحجج البيّنة، وشهادة أولي العلم من الأنبياء والمؤمنين لغيرهم بعد البصيرة والمعرفة، كشهادة الملائكة، وإذا شهد الله تعالى بأن لا إله إلا هو خبرًا، فذلك توكيدٌ منه لما ذكرناه؛ لأن المعرفة بذلك من جهته إنما تقع بالأدلة دون الخبر، وإن كان الخبر يحقّق ذلك ويوضحه وينبّه عليه ويؤكّده، ويدل على أن المراد ما ذكرناه، أنه تعالى خصّ أولي العلم بالشهادة بذلك مع الملائكة، ولو كان المراد الإقرار لكان غيرهم بمنزلتهم، وإنما خصّهم بذلك إذ كانوا لأجل ما أوتوا من العلم يتمكنون من البيان لغيرهم، ولمن ينحطّ في العلم عن درجتهم. وفي هذا القول أيضًا تنبيهٌ من الله تعالى للخلق، وبعثٌ لهم على معرفة التوحيد بالعقل، لتصحّ الشهادة بأن لا إله إلا الله؛ لأن الشهادة لا تحسن إلا مع المعرفة بما تتضمنه، وإلا كانت قبيحة، كان المؤدي لها لا يؤمن أن يكون كاذبًا فيها، وفيما ذكرناه من ذلك كفايةٌ بتوفيق الله سبحانه.

مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩ - ٢٢].

﴿إِنَّ الدِّينَ﴾ [آل عمران: 19] المرضي ﴿عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾ أي: الشرع المبعوث به الرسل المبني على التوحيد، قرأ الكسائي بفتح «أن»، والباقون بالكسر ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ بأن وحد بعض وكفر بعض وهم اليهود والنصارى ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بالتوحيد ﴿بَغْيًا﴾ حسد من الكفار ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وحبًا للرئاسة ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللَّـهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: المجازاة له.

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ [آل عمران: 20] خاصموك في الدين ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِله﴾ انقدت لله وحده بقلبي ولساني وجوارحي خص الوجه؛ لأنه أكرم الجوارح ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ كذلك ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ اليهود والنصارى ﴿وَالْأُمِّيِّينَ﴾ كفار العرب ﴿أَأَسْلَمْتُمْ﴾ أي: أسلموا ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ للحق ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الإسلام ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ التبليغ للرسالة ﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ وهذا قبل الأمر بالقتال.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ﴾ [آل عمران: 21] قرأ حمزة «ويقاتلون»، والباقون «يقتلون» ﴿الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ وهم اليهود جاء أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبيًا فنهاهم مائة وسبعون من عبادهم فقتلوهم في يومهم ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ أعلمهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وذكر البشارة تهكم بهم.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ﴾ [آل عمران: 22] بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ ما عملوه من خير صدقة وصلة رحم ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ فلن تقبل ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ فلا ثواب لهم بل لهم النار

والماء بطلت لعدم الاعتداد بها لانتفاء شرطها ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يمنعونهم من عذاب الله.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٣ - ٢٧].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ [آل عمران: 23] تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾ حظًا ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ هم اليهود أوتوا التوراة ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ﴾ الكتاب ﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن قبول حكمه نزلت في اليهود زنا منهم اثنان فتحاكموا إلى النبي ﷺ فحكم عليهما بالرجم فأبوا فجيء بالتوراة فوجد فيها فرجما فغضبوا.

﴿ذَلِكَ﴾ [آل عمران: 24] الولي والإعراض ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَالُوا﴾ أي: قولهم ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ﴾ الغرور الطمع فيما لا يحصل منه شيء ﴿فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ يكذبون من قولهم ذلك.

﴿فَكَيْفَ﴾ [آل عمران: 25] حالهم ﴿إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ﴾ أي: في يوم وهو يوم القيامة ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من أهل الكتاب ومن غيرهم ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ أي: جزاء ما عملت من خير وشر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لا تظلمون بنقص حسنة ولا زيادة سنة، ونزلت لما وعد النبي ﷺ أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون: هيهات.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ [آل عمران: 26] بالله ﴿مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي﴾ تعطي ﴿الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ من خلقك ممن أردته له ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ بإتيانه أو في

الدنيا بالنصر والتوفيق وفي الآخرة بالثواب ﴿وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ بنزعه أو بالإدبار والخذلان في الدنيا وفي الآخرة بالعذاب ﴿بِيَدِكَ﴾ بقدرتك ﴿الْخَيْرُ﴾ أي: والشر ذكر الخير وحده تعليمًا للأدب في ألفاظهم في خطابه تعالى ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [آل عمران: 27] المعنى تدخل الليل في النهار حتى يكون النهار خمسة عشرة ساعة والليل تسع ساعات وتدخل النهار حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات فما نقص من أحدهما زاد في الآخر ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ أي: يخرج الحي من النطفة وهي ميت والنطفة وهي ميت من الحي ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بلا ضيق ولا تقتير.

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٢٨ - ٣٢].

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ [آل عمران: 28] أصحابًا وأودَّاءَ يوالونهم ﴿مِنْ دُونِ﴾ أي: غير ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: يواليهم ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللهِ﴾ أي: من دينه ﴿فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ بفتح التاء وكسر القاف ثم ياء مشددة كما قرأ به يعقوب، والباقون «تقاة» أي: إلا أن تخافوا منهم مخافة فلكم موالاتهم باللسان دون القلب وهذا قبل عزة الإسلام ويجري في بلد ليس فيها قوى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ﴾ يخوفكم ﴿اللهُ نَفْسَهُ﴾ عقابه والمعنى يحذركم أن يغضب عليكم أن واليتموهم ﴿وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾ المرجع فيجازيكم.

﴿قُلْ﴾ [آل عمران: 29] لهم ﴿إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم من موالاتهم ﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾ تظهروه ﴿يَعْلَمْهُ اللهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾ [آل عمران: 30] أي: عملته ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ طاعة ﴿مُحْضَرًا﴾ أي ﴿وَمَا عَمِلَتْ﴾ أي: عملته ﴿مِنْ سُوءٍ﴾ عصيان ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ غاية شديدة البعد فلا يصل إليها ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ونزل لما قالوا: ما نعبد الأصنام إلا حبًا لله ليقربونا إليه ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: 32] فيما يأمركم به من التوحيد ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا ﴿فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ﴾ لا يثيب ﴿الْكَافِرِينَ﴾.

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٣ - ٣٧].

﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى﴾ [آل عمران: 33] اختار ﴿آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ إسماعيل وإسحاق وأولادهما ومنهم محمد ﷺ ﴿وَآلَ عِمْرَانَ﴾ موسى وهارون أو المراد إبراهيم وعمران أنفسهما بجعل الأنبياء من نسلهم ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: 34] في التناصر والتعاون أو بعضهم من ولد بعض ﴿وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِذْ قَالَتِ﴾ [آل عمران: 35] أي: اذكر ﴿امْرَأَةُ عِمْرَانَ﴾ حنة بالمهملة والنون

وليس عمران هذا أبا موسى ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ﴾ أن أجعل ﴿لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ عتيقًا خالصًا من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ وهلك عمران وهي حامل.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ [آل عمران: 36] الضمير لمريم أي: ولدتها جارية وكانت ترجو أن يكون غلامًا إذ لم يكن يحرر إلا الغلمان ﴿قَالَتْ﴾ معتذرة ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَا وَضَعَتْ﴾ أي: بالشيء الذي وضعته على قراءة فتح الواو والعين وإسكان الفاء، وقرأ ابن عامر وأبو بكر ويعقوب بإسكان العين وضم التاء على كونه من كلام أم مريم، قالته: تسلية لنفسها لعل الله يحدث فيه خيرًا ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ﴾ الذي طلبت ﴿كَالْأُنْثَى﴾ التي وضعت في خدمة الكنيسة؛ لأن الإناث لا تصلح لذلك؛ لأنهن في ضعف وعورة نظرا لهن الحيض ونحوه ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ معناه في لغتهم العابدة ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا﴾ أجيرها ﴿بِكَ﴾ بقوتك ﴿وَذُرِّيَّتَهَا﴾ أولادها ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ الطريد اللعين ﴿الرَّجِيمِ﴾ المرمي بالشهب وفي الحديث: «**ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخًا إلا مريم وابنها**»[1].

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ [آل عمران: 37] من أمها مكان الذكر ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ فسلك بها مسالك السعداء ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ فكانت تنبت في اليوم كما ينبت المولود في العام وأتت بها أمها الأحبار سدنة بيت المقدس فقالت: دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها بنت إمامهم، فقال زكريا: أنا أحق بها لأن خالتها عندي فقالوا لا حتى نقترع فانطلقوا - وهم تسعة وعشرون - إلى نهر الأردن وألقوا أقلامهم على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بها، فثبت قلم زكريا فأخذها وبنى لها غرفة في المسجد بسلم لا يصعد إليها غيره وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف كما قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ بتشديد الفاء للكوفيين أي: كفلها الله أي: ضمها، والباقون بالتخفيف ﴿زَكَرِيَّا﴾ نصبه أبو بكر والباقون بالرفع وقرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص زكريا حيث وقع بالقصر من غير همز، والباقون بالمد والهمز ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ الغرفة وهي أشرف المجالس أو المسجد ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى﴾ من أين ﴿لَكِ هَذَا قَالَتْ﴾ وهي صغيرة

---

(1) رواه البخاري (60/15)، ومسلم (417/15).

﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ يأتيني به من الجنة ﴿إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بغير تقتير ولا ضيق ولا تبعة.

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٣٩) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ (٤٠) قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ (٤١) وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٢) يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ (٤٣) ﴾ [آل عمران: ٣٨ - ٤٣].

﴿هُنَالِكَ﴾ [آل عمران: 38] أي: لما رأى زكريا ذلك وعلم أن القادر على أن القادر على إتيان الشيء في غير حينه قادر على إتيان الولد على الكبر فكان أهل بيته انقرضوا في ذلك الوقت ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ في جوف الليل لما دخل المحراب للصلاة جوف الليل ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿ذُرِّيَّةً﴾ تقع على الواحد والجمع ﴿طَيِّبَةً﴾ صالحة ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ﴾ مجيب ﴿الدُّعَاءِ﴾.

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [آل عمران: 39] المراد جبريل ذكره بلفظ الجمع؛ لأنهم من جنسهم، وقرأ حمزة والكسائي وخلف فناداه بألف بعد الدال ممالة على أصولهم ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ المسجد ﴿أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ قرأ حمزة وابن عامر «إن الله» بكسر الهمزة، والباقون بفتحها وقرأ حمزة والكسائي بفتح ما قبل الياء هنا وفي «بشر» في الكهف وتحفيف الشين وضمها، وكذا حمزة وحده في «بشرهم» في التوبة و«إنا نبشرك» في عباده في الشورى، والباقون بالضم وكسر الشين مشددة ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ﴾ كائنة ﴿مِنَ اللهِ﴾ والمراد عيسى أي: أنه روح الله سمي كلمة؛ لأنه خلق بكلمة كن ﴿وَسَيِّدًا﴾ في الدين ﴿وَحَصُورًا﴾ لا يأتي النساء مع قدرته على ذلك ﴿وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ روي أنه لم يعمل خطية ولم يهم بها.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى﴾ [آل عمران: 40] من أين ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ ولد ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ أي: أدركني الكبر، فبلغت نهاية السن مائة وعشرين سنة ﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ لا تلد؛ لأنها بلغت ثمانية وتسعين سنة ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ [آل عمران: 41] علامة أعرف بها الحبل ﴿قَالَ آيَتُكَ﴾ علامتك عليه ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ بلياليها أي: لا تقدر على كلامهم ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ إشارة بنحو يد أو رأس ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ﴾ صلي ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ ما بين الزوال إلى الغروب ﴿وَالْإِبْكَارِ﴾ ما بين صلاة الفجر إلى الضحى أمر بذلك في الأيام الثلاثة.

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ [آل عمران: 42] أي: جبريل ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ﴾ اختارك ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ من الحيض والنفاس ومسيس الرجال ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ في زمنك.

﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي﴾ [آل عمران: 43] أطيعي ﴿لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾.

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٤ - ٤٩].

﴿ذَلِكَ﴾ [آل عمران: 44] المذكور من أمر زكريا ومريم ﴿مِنْ أَنْبَاءِ﴾ أخبار ﴿الْغَيْبِ﴾ الذي غاب عنك ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ عندهم ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ سهامهم في الماء يظهر لهم ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ﴾ يربي ﴿مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في كفالتها فنفرق ذلك فتخبر به.

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ [آل عمران: 45] أي: جبريل ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ أي: ولدًا ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾[1] سُمي مسيح من كل قذر وريبة ما مسح ذا عاهة إلا شفي ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ خاطبها بنسبه إليها إعلامًا بولادتها إياه ﴿وَجِيهًا﴾ ذا جاه ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بالنبوة والرفعة إلى السماء به ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالشفاعة والدرجات العلى ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ عند الله.

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ [آل عمران: 46] هو المكان الذي يوضع فيه الطفل أي: طفلاً ﴿وَكَهْلًا﴾ فعلم أنه يبقى إلى الكهولة، أو المراد بكلمهم طفلاً وكهلاً، بكلام الأنبياء بلا تفاوت ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

---

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: لم يقل اسمها لأن معنى كلمة معنى ولد، والمسيح لقب لعيسى ومعناه الصديق، قاله إبراهيم النخعي، وهو فيما يقال معرب وأصله الشين وهو مشترك، وقال ابن فارس: والمسيح العرق، والمسيح الصديق، والمسيح الدرهم الأطلس لا نقش فيه والمسح الجماع، يقال مسحها، والأمسح: المكان الأملس، والمسحاء المرأة الرسحاء التي لا إست لها، وبفلان مسحة من جمال، والمسائح قسي جياد، واحدتها مسيحة، واختلف في المسيح ابن مريم مماذا أخذ، فقيل: لأنه مسح الأرض، أي: ذهب فيها فلم يستكن بكن، وروي عن ابن عباس أنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برئ، فكأنه سُمي مسيحًا لذلك، فهو على هذا فعيل بمعنى فاعل، وقيل: لأنه ممسوح بدهن البركة، كانت الأنبياء تمسح به، طيب الرائحة، فإذا مسح به علم أنه نبي، وقيل: لأنه كان ممسوح الأخمصين، وقيل: لأن الجمال مسحه، أي: أصابه وظهر عليه، وقيل: إنما سُمي بذلك لأنه مسح بالطهر من الذنوب، وقال أبو الهيثم: المسيح ضد المسيخ، يقال: مسحه الله أي خلقه خلقًا حسنًا مباركًا، ومسخه أي خلقه خلقًا ملعونًا قبيحًا، وقال ابن الأعرابي: المسيح الصديق، والمسيخ الأعور، وبه سُمي الدجال، وقال أبو عبيد: المسيح أصله بالعبرانية مشيحًا بالشين فعرب كما عرب موشى بموسى، وأما الدجال فسمي مسيحًا؛ لأنه ممسوح إحدى العينين، وقد قيل في الدجال مسيح بكسر الميم وشد السين، وبعضهم يقول كذلك بالخاء المنقوطة، وبعضهم يقول مسيخ بفتح الميم وبالخاء والتخفيف، والأول أشهر، وعليه الأكثر، سُمي به لأنه يسيح في الأرض أي يطوفها ويدخل جميع بلدانها إلا مكة والمدينة وبيت المقدس، فهو فعيل بمعنى فاعل، فالدجال يمسح الأرض محنة، وابن مريم يمسحها منحة، وعلى أنه ممسوح العين فعيل بمعنى مفعول.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى﴾ [آل عمران: 47] من أين أو كيف ﴿يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ يتزوج ولا غيره ﴿قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ تقديره الأمر كذلك من خلق ولد منك بلا أب ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا﴾ أراد خلقه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ [آل عمران: 48] قرأ المدنيان وعاصم ويعقوب «ويعلمه» بالياء والباقون بالنون ﴿الْكِتَابَ﴾ الخط ﴿وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾.

﴿وَ﴾ [آل عمران: 49] يجعله ﴿رَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ والمراد أنه جعله رسولاً في الصبا أو بعد البلوغ فنفخ جبريل في جيب درعها فحملت وسيأتي بقية شأنها في مريم فلما بعث إليهم قال لهم: إني رسول الله إليكم ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ﴾ علامة على صدق ﴿مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ﴾ أصور، قرأ المدنيان بكسر همزته، والباقون بفتحها ﴿لَكُمْ﴾ لأجلكم إظهارًا للمعجزة لتؤمنوا ﴿مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ﴾ فالإحياء منه لا مني فخلق لهم الخفاش؛ لأنه أكمل الطير خلقًا فكان يطير وهم ينظرونه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتًا، وقرأ أبو جعفر في الموضعين هنا وفي المائدة بألف بعدها همزة مكسورة على الإفراد وافقه نافع ويعقوب في طائر في الموضعين، والباقون بياء ساكنة من غير ألف ولا همزة في الأربعة ﴿وَأُبْرِئُ﴾ أشفي ﴿الْأَكْمَهَ﴾ الذي ولد أعمى ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ وخصا لإعيائهما الأطباء، وكان بعثه في زمن الطب فأبرأ في يوم خمسين ألفًا بالدعاء بشرط الإيمان ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ﴾ بإرادته وممن أحياه عازر صديقًا له وابن العجوز وابنة العاشر فعاشوا وولد لهم، وسام بن نوح ومات في الحال ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾ تخبئون ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾ مما غاب عني ولا تشكون فيه فكان يخبر بما أكل وما يؤكل بعد ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مصدقين بالحق وجئتكم.

﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ

فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران: ٥٠ - ٥٥].

﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ [آل عمران: 50] قبلي ﴿مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ في شريعة موسى ﷺ من الشحوم والعمل في السبت وأن يأكلوا من السمك ما لا شوكة له، وقيل: أكل الكل فهو معنى بعض ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أمركم به من توحيد الله وطاعته.

﴿إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا﴾ [آل عمران: 51] الذي دعوتكم إليه ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ لا عوج فيه فكذبوه ولم يؤمنوا به.

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ﴾ [آل عمران: 52] عرف ﴿عِيسَى مِنْهُمُ﴾ أي: اليهود ﴿الْكُفْرَ﴾ به وأرادوا قتله ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي﴾ أعواني ﴿إِلَى اللهِ﴾ أي: إلى دينه ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ جمع حواري وهم: خاصة الرجل التي يستعين بها فيما ينوبه ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ﴾ وكانوا اثني عشر، وهم أخصاء عيسى وأول من أمن به وهم مأخوذون من الحور؛ أي: البياض الخالص أو سموا به؛ لأنهم كانوا يحورون؛ أي: يقصرون الثياب ﴿آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ﴾ يا عيسى ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ﴾ [آل عمران: 53] من الإنجيل ﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ عيسى ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ لك بالوحدانية ولأنبيائك بالرسالة أو هم أمة محمد ﷺ الذين هم شهداء على الناس.

﴿وَمَكَرُوا﴾ [آل عمران: 54]، أي: الذين أحس عيسى منهم الكفر فأرادوا قتله غيلة ﷺ ووكلوا في ذلك ﴿وَمَكَرَ اللهُ﴾ بهم أي: جازاهم بمكرهم ومن ذلك أن ألقي شبه عيسى على من قصد قتله فقتلوه ورفع عيسى ﴿وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ مكرًا أي: أقواهم على الانتقام أو أعلمهم به.

﴿إِذْ﴾ [آل عمران: 55] أي: اذكر إذ ﴿قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ في آخر

الدنيا ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ قبل موتك، والمراد إلى محل ينتسب إلي أكثر من غيره وهو محل الملائكة ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ منجيك أو مبعدك ﴿مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بك وهم اليهود يعلونهم بالحجة والسيف ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ والمراد من آمن به ثم آمن بنبينا ﷺ إذ من لم يؤمن بأحدهما لم يتبعه ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ الضمير لعيسى ومن آمن ممن أرسل إليه ومن كفر ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ في أمر النبوة وغيرها[1].

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٦ - ٦١].

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: 56] بالقتل

(1) قال سيدي سهل بن عبد الله التستري (1/455): فإنه إذا مات فينزع عنه لطيف نفس الروح النوري من لطيف نفس الطبع الكثيف الذي به يعقل الأشياء ويرى الرؤيا في الملكوت، وإذا نام نزع عنه لطيف نفس الطبع الكثيف لا لطيف نفس الروح النوري، فيستفيق النائم نفساً لطيفاً، وهو من لطيف نفس الروح الذي إذا زايله لم تكن له حركة، وكان ميتاً. ولنفس طبع الكثيف لطيفة، ولنفس الروح لطيفة، فحياة لطيف نفس الطبع بنور لطيف نفس الروح، وحياة روح لطيف نفس الروح بالذكر، كما قال: ﴿أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169] أي يرزقون الذكر بما نالوا من لطيف نفس النوري، وحياة الطبع الكثيف بالأكل والشرب والتمتع، فمن لم يحسن الإصلاح بين هذين الضدين، أعني نفس الطبع ونفس الروح حتى يكون عيشهما جميعاً بالذكر والسعي بالذكر، فليس بعارف في الحقيقة. وقال عمر بن واصل: وكان المبرد النحوي يقول: الروح والنفس شيئان متصلان لا يقوم أحدهما بدون الآخر. قال: فذكرت ذلك لسهل، فقال: أخطأ، إن الروح يقوم بلطفه في ذاته بغير نفس الطبع الكثيف، ألا ترى أن الله تعالى خاطب الكل من الذر بنفس روح وفهم عقل وفطنة قلب وعلم لطيف بلا حضور طبع كثيف.

والسبي ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ مانعين من عذاب الله.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ﴾ [آل عمران: 57] بالياء في رواية حفص ورويس وروي عن روح، والباقون بالنون ﴿أُجُورَهُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ﴾ لا يثيب ﴿الظَّالِمِينَ﴾ فيعاقبهم قيل: إن الله أرسل إليه سحابة فرفعته فتعلقت به أمه وبكت فقال لها: إن القيامة تجمعنا وكان ذلك في ليلة توافق ليلة القدر عندنا ببيت المقدس وعمره ثلاث وثلاثون سنة وعاشت أمه بعده ست سنين وثبت أنه ينزل قبل الساعة ويحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ ويقتل الدجال والخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ويكن سبع سنين، وقيل: أربعين سنة.

﴿ذَلِكَ﴾ [آل عمران: 58] المذكور من شأن عيسى ﷺ وغيره ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾ العلامات الدالة على النبوة ﴿وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ المحكم وهو القرآن.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى﴾ [آل عمران: 59] شأنه القريب ﷺ ﴿عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾(1) كشأنه في خلق كل بلا أب ﴿خَلَقَهُ﴾ أي: آدم أي: قالبه ﴿مِنْ تُرَابٍ﴾ لا من أب ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ بشرًا ﴿فَيَكُونُ﴾ أي: فكان ومعنى ثم الترتيب في الإخبار، فكذلك عيسى

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: دليل على صحة القياس، والتشبيه واقع على أن عيسى خلق من غير أب كآدم، لا على أنه خلق من تراب، والشيء قد يشبه بالشيء وإن كان بينهما فرق كبير بعد أن يجتمعا في وصف واحد، فإن آدم خلق من تراب ولم يخلق عيسى من تراب فكان بينهما فرق من هذه الجهة، ولكن شبه ما بينهما أنهما خلقهما من غير أب، ولأن أصل خلقتهما كان من تراب لأن آدم لم يخلق من نفس التراب، ولكنه جعل التراب طينًا ثم جعله صلصالاً ثم خلقه منه، فكذلك عيسى حوله من حال إلى حال، ثم جعله بشرًا من غير أب، ونزلت هذه الآية بسبب وفد نجران حين أنكروا على النبي ﷺ قوله: «إن عيسى عبد الله وكلمته» فقالوا: أرنا عبدًا خلق من غير أب، فقال لهم النبي ﷺ: «آدم من كان أبوه أعجبتم من عيسى ليس له أب؟ فآدم ﷺ ليس له أب ولا أم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ أي: في عيسى ﴿إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ في آدم ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ [الفرقان: 33]، روي أنه ﷺ لما دعاهم إلى الإسلام قالوا: قد كنا مسلمين قبلك، فقال: «كذبتم يمنعكم من الإسلام ثلاث: قولكم اتخذ الله ولدًا، وأكلكم الخنزير، وسجودكم للصليب»، فقالوا: من أبو عيسى؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: 61]، فدعاهم النبي ﷺ فقال بعضهم لبعض: إن فعلتم اضطرم الوادي عليكم نارًا، فقالوا: أما تعرض علينا سوى هذا؟ فقال: «الإسلام أو الجزية أو الحرب» فأقروا بالجزية على ما يأتي.

قال له: كن من غير أب فكان.

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [آل عمران: 60] أي: ما تلوناه الحق من ربك ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه.

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ﴾ [آل عمران: 61] خاصمك ﴿فِيهِ﴾ أي: في عيسى فادعي ألوهيته ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بأمره ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ فنجمعهم ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ نتضرع بالدعاء ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ بل نقول اللهم العن الكاذب في شأن عيسى وقد دعا محمد ﷺ وفد نجران لذلك لما حاجوه فيه، فقالوا: حتى ننظر في أمرنا ثم نأتيك، فقال ذوو رأيهم: لقد عرفتم نبوته وأنه ما باهل قوم نبيًا إلا هلكوا فوادعوا الرجل وانصرفوا؛ فأتوه وقد خرج معه الحسن والحسين وفاطمة وعلي وقال لهم: «**إذا دعوت فأمنوا**»؛ فأبوا أن يلاعنوه فصالحوه على الجزية[1]، وفي حديث: «**أنهم صالحوه على ألفي حلة النصف في صفر والبقية في رجب وثلاثين درعًا وثلاثين فرسًا وثلاثين بعيرًا وثلاثين من كل صنف من أصناف السِّلاح**»[2] وعن ابن عباس: «**لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً**»[3]، وروي: «**لو خرجوا لاحترقوا**»[4].

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ

---

(1) ذكره النيسابوري في «تفسيره» (2/275).

(2) رواه أبو داود (9/177).

(3) رواه الطبري في «تفسيره» (3/297).

(4) التخريج السابق.

فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٢ - ٦٦].

﴿إِنَّ هَذَا﴾ [آل عمران: 62]، المذكور ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ﴾ الخبر ﴿الْحَقُّ﴾ الذي لا شك فيه ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ [آل عمران: 63] أعرضوا عن الإيمان ﴿فَإِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ فيجازيهم.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: 64] اليهود والنصارى ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ﴾ هي قوله لا نعبد إلى آخره ﴿سَوَاءٍ﴾ أي: مستو أمرها ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: فيها بصفة ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ﴾ لا عيسى ولا عزير ولا الملائكة ولا الأصنام ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن التوحيد ﴿فَقُولُوا﴾ أنتم لهم ﴿اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ موحدون ونزل لما قال اليهود إبراهيم يهودي ونحن على دينه وقالت النصارى كذلك.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ﴾ [آل عمران: 65] تخاصمون ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ بزعمكم أنه على دينكم ﴿وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ بزمن طويل وحدثت اليهودية والنصرانية بعد نزولهما فكيف يكون يهوديًا أو نصرانيًا ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بطلان قولكم.

﴿هَا﴾ [آل عمران: 66] للتنبيه ﴿أَنْتُمْ﴾ قرأ أهل المدينة وأبو عمرو «هيه» و«وهيه الله» عن زيد عن يعقوب «هانتم» بتخفيف الهمزة، وقرأ قنبل وورش بهمزة بعد الهاء بوزن ضربتم، والباقون خففوا الهمزة حيث كان وأتوا قبلها بألف ﴿هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ من أمر موسى وعيسى بزعمكم أنكم على دينهما ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ وهو دعوى ما ادعيتم في إبراهيم ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ

تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٧ - ٧٢].

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾ [آل عمران: 67] موحدًا ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ﴾ [آل عمران: 68] أحقهم ﴿بِإِبْرَاهِيمَ﴾ في الحجة والمعونة والنصر ﴿لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ في زمانه وماتوا على دينه قبل أن ينسخ ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ يعني محمد ﷺ لأنه وافقه في أكثر شرعه ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أمته فهم الذين ينبغي قولهم نحن على دينه ﴿وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ناصرهم ومعينهم وحافظهم ونزل لما دعا اليهود معاذًا وحذيفة وعمار إلى دينهم.

﴿وَدَّتْ﴾ [آل عمران: 69] أرادت وأحبت ﴿طَائِفَةٌ﴾ فرقة ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ بني قريظة والنضير وبني قينقاع ﴿لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ عن دينكم بالارتداد ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ فيه إخبار بحفظ هذه الأمة، والمراد ما يعودوا الضلال إلا عليهم؛ لأن المؤمنين لا يطيعونهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾ [آل عمران: 70] وهي القرآن المشتمل على نعت محمد ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ تعلمون نبوة محمد ﷺ من التوراة والإنجيل.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ﴾ [آل عمران: 71] تخلطون ﴿الْحَقَّ﴾ وصف محمد ﷺ الذي في التوراة ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ الذي تفترونه ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ وصفه ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أن الحق خلاف قولكم.

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: 72] المراد كعب بن الأشرف وقوم من اليهود قالوا لقومهم ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بمحمد من القرآن ﴿وَجْهَ النَّهَارِ﴾ أوله ﴿وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ﴾ أي: المؤمنون ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عن دينهم بذلك؛ إذ يقولوا ما رجع هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه وهم أولوا علم إلا للعلم ببطلانه، وقالوا أيضًا.

﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ

مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٣ - ٧٧].

﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ﴾ [آل عمران: 73] وافق ﴿دِينَكُمْ﴾ أي: لا تصدقوا وتقروا إلا لأهل دينكم ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ الْهُدَى﴾ وهو الإسلام ﴿هُدَى اللهِ﴾ وما عداه باطل ﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ التقدير قالت اليهود: لا يؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا أن يؤتي أحد مثل ما أوتيتم من الآيات كفلق البحر ونحوه ولا تؤمنوا أن يحاجوكم عند ربكم؛ لأنكم أصح دينًا منهم، وقيل المعنى: قالت اليهود لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم أي: لئلا يؤتي أحد، وقرأ ابن كثير «أن يؤتى» بمد الهمزة على الاستفهام والمعنى عليه أن يؤتي أحد مثل ما أوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة تحسدونه ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ فمن أين لكم أن لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم على الأول أو فمن أين لهم أن يؤمنوا مثلكم معشر المؤمنين ﴿وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ [آل عمران: 74] النبوة أو الإسلام والقرآن ﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ﴾ [آل عمران: 75] أي: بمال كثير ﴿يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ ومن المعلوم أمانته منهم عبد الله بن سلام أودعه رجل ألفًا ومائتين أوقية ذهب فأداها إليه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ لخيانته ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ ملحًا في الطلب لا تفارقه فمعنى فارقته أنكر، ككعب بن الأشرف أودعه قريشي دينار

فجحده ﴿ذَلِكَ﴾ أي: عدم الأداء ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ أي: العرب ﴿سَبِيلٌ﴾ إثم وحرج لاستحلالهم ظلم من خالف دينهم ونسبوه إليه قال تعالى ردًا عليهم ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون.

﴿بَلَى﴾ [آل عمران: 76] رد لقولهم ليس علينا فيهم سبيل أي: بلى لهم عليكم سبيل ﴿مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾ الذي عاهد الله عليه أو بعهد الله عليه فأمن بمحمد ﷺ وأداء الأمانة ﴿وَاتَّقَى فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ﴾ يثيب ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ ونزل في اليهود لما بدلوا نعت النبي وعهد الله إليهم في التوراة أو فيمن حلف كاذبًا في أو بيع سلعة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: 77] يستبدلون ﴿بِعَهْدِ اللهِ﴾ في أمر محمد ﷺ وأداء الأمانة ﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾ الكاذبة في قولهم لنؤمنن به ولننصرنه؛ لأن الرسل أخذت عليهم ذلك فلم يفوا لهم وفي غير ذلك ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عرضًا يسيرًا من الدنيا ﴿أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ﴾ نصيب ﴿لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: لا يرحمهم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم بالعذاب المنقطع إلى النعيم بل يخلدهم في النار دل عليه بقوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٧٨ - ٨١].

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ [آل عمران: 78] أي: من أهل الكتاب ﴿لَفَرِيقًا﴾ طائفة ككعب بن الأشرف ﴿يَلْوُونَ﴾ يفتلون ﴿أَلْسِنَتَهُمْ﴾ ويعطفونها ﴿بِالْكِتَابِ﴾ عن الحق إلى غيره

بالتغيير والتحريف ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ لتظنوه أي: المحرف ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ الذي أنزل الله ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم لكاذبون ونزل لما قال نصارى نجران إن عيسى أمرهم أن يتخذوه ربًا أو لما طلب بعض المسلمين السجود له ﷺ.

﴿مَا كَانَ﴾ ينبغي ﴿لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ [آل عمران: 79] أي: الفهم في الشريعة أو الحكم يبين الناس بما أنزل عليه ﴿وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ جمع رباني وهو العالم العامل الذي يربي الناس بعلمه على التدريج[1] ﴿بِمَا كُنْتُمْ﴾ بسب ما كنتم ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ بضم التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة لابن عامر والكوفيين، والباقون بفتح اللام والتاء وتخفيف العين ساكنة ﴿الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ﴾ وبسبب ما كنتم ﴿تَدْرُسُونَ﴾ أي: تدرسونه فإن فائدته تعملوا.

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ [آل عمران: 80] قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وخلف ويعقوب بنصب الراء، والباقون بالرفع وأبو عمرو على أصله في الإسكان والاختلاس ﴿أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ كما اتخذت الصائبة الملائكة واليهود عزيرًا والنصارى عيسى ﴿أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ هو خطاب للمؤمنين مقول على طريقة التعجيب من حال غيرهم أي: لا ينبغي ذلك.

(1) قال البغوي في «تفسيره»: اختلفوا فيه قال علي وابن عباس والحسن: كونوا فقهاء علماء وقال قتادة: حكماء وعلماء وقال سعيد بن جبير: العالم الذي يعمل بعلمه، وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس: فقهاء معلمين، وقيل: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، وقال عطاء: علماء حكماء نُصحاء لله في خلقه، قال أبو عبيدة: سمعت رجلاً عالمًا يقول: الرباني العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي، العالم بأنباء الأمة ما كان وما يكون، وقيل: الربانيون فوق الأحبار، والأحبار: العلماء، والربانيون: الذين جمعوا مع العلم البصارة بسياسة الناس، قال المؤرّج: كونوا ربانيين تدينون لربكم، من الربوبية، كان في الأصل رَبِيّ فأدخلت الألف للتفخيم، ثم أدخلت النون لسكون الألف، كما قيل: صنعاني وبهراني، وقال المبرد: هم أرباب العلم سُموا به؛ لأنهم يربون العلم، ويقومون به ويربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها، وكل من قام بإصلاح شيء وإتمامه فقد ربَّه يربه، واحدها: «ربان» كما قالوا: ريان وعطشان وشبعان وعُريان ثم ضُمت إليه ياء النسبة كما قالوا: لحياني ورقباني، وحكي عن علي ﷺ أنه قال: هو الذي يرب علمه، بعمله قال محمد بن الحنفية لما مات ابن عباس: اليوم مات رباني هذه الأمة.

﴿وَ﴾ [آل عمران: 81] اذكر ﴿إِذْ﴾ حين ﴿أَخَذَ الله مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ عهدهم ﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ﴾ قرأ حمزة: بكسر اللام، والباقون بفتحها، وقرأ المدنيان: «آتيناكم» بالنون والألف على الجمع، والباقون بتاء مضمومة بلا ألف ﴿مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ من الكتاب والحكمة ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ إن أدركتموه، وأممهم تبع لهم في ذلك ﴿قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ﴾ أيها الأنبياء ﴿وَأَخَذْتُمْ﴾ قبلتم ﴿عَلَى ذَلِكُمْ﴾ المشار إليه من التصديق بمحمد ﷺ ونصره ﴿إِصْرِي﴾ عهدي الثقيل ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا﴾ هل الخطاب بالشهادة للملائكة أو لمن أخذ عليه العهد أمرهم أن يشهدوا على أنفسهم؟ قولان، الأقرب الثاني ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عليكم وعليهم.

﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٢ - ٨٦].

﴿فَمَنْ تَوَلَّى﴾ [آل عمران: 82] أعرض، ولم يفعل مقتضى الميثاق ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: بعد وجوده ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الخارجون عن الدين.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ الله يَبْغُونَ﴾ [آل عمران: 83] يطلبون بالياء من أسفل لحفص والبصريين، والباقون بالخطاب ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾ انقاد ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾ كسجود المؤمن ﴿وَكَرْهًا﴾ كسجود ظل الكافر، أو الكره ما كان عند المعاينة ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ قرأ يعقوب وحفص بالغيب، والباقون بالخطاب، ويعقوب على أصله بفتح التاء وكسر الجيم.

﴿قُلْ﴾ [آل عمران: 84] لهم يا محمد ﴿آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ أولاده ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ من التوراة وغيرها من المعجزات ﴿وَعِيسَى﴾ من الإنجيل وغيره من المعجزات ﴿وَالنَّبِيُّونَ﴾ أي: وبما أوتي النبيُّون ﴿مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ فنؤمن بالكل ولا نؤمن ببعض ونكفر ببعض ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ منقادون أو مخلصون خير العبادة، ونزل فيمن ارتد ولحق بالكفار.

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ﴾ [آل عمران: 85] يطلب ويحب ﴿غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ ما دام عليه فإذا رجع إلى الإسلام قُبل ﴿وَهُوَ﴾ أي: من ابتغى غير الإسلام ﴿فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ لأنفسهم بالخلود في النار.

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللهُ﴾ [آل عمران: 86] لفظه الاستفهام وهو للتوبيخ؛ ومعناه: لا يهدي الله من كانت هذه صفته ما دام كذلك ﴿قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا﴾ أي: وشهادتهم ﴿أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَ﴾ قد ﴿جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الدلالات الواضحة على نبوته، ﴿والله لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين فلا يدخلهم الجنة.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٩٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٧ - ٩٢].

﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ الله وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [آل عمران: 87] حتى الكافر؛ إذ هو يلعن من لا يتبع الحق.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [آل عمران: 88] في اللعنة والعقوبة أو جهنم، المذكور[1]

(1) في نسخة: المدلول.

باللعنة عليها ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يمهلون.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [آل عمران: 89] عن ارتدادهم ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ [آل عمران: 90] هل نزلت في اليهود كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرًا بمحمد ﷺ وعلى سائر الأنبياء؟ أو اليهود والنصارى كفروا به ﷺ ثم ازدادوا ذنوبًا حال كفرهم بإقامتهم عليه إلى الممات؟ أو المراد كل كافر والازدياد بتجدده بنزول الآيات؟ أو الازدياد بقولهم: نتربص بمحمد ريب المنون؟ أقول متقاربة، وأقربها الأول ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ لأنهم لا يتوبون أو لأنهم لا يؤمنون إلا حال طلوع الروح، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ عن الحق.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ﴾ [آل عمران: 91] أي: قدر ملئها أو مثله ﴿ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾ في الآخرة لم يقبل أيضًا ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ مانعين من عذاب الله.

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ [آل عمران: 92] الجنة أو الطاعة أو ثواب الطاعة ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا﴾ تتصدقوا ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ من المال والجاه وغيرهما ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾ محبوب ﴿فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فيجازي عليه.

وروي أنها لما نزلت قال أبو طلحة: «إن أحب أموالي إليَّ بَيْرحاءُ»[1] وأمره النبي ﷺ أن يجعلها في الأقربين لما علم أنه يريد أن يجعلها في سبيل الله، ونزل لما قال اليهود: إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم، وكان لا يأكل لحم الإبل وألبانها كمن قبله من الأنبياء.

﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلۡ

(1) رواه البخاري (1014/3، رقم 2607)، ومسلم (693/2، رقم 998)، وأحمد (141/3، رقم 12461)، والنسائي في «الكبرى» (311/6، رقم 11066)، وابن حبان (129/8، رقم 3340).

صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٣ - ١٠٠].

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا﴾ [آل عمران: 93] حلالاً ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ﴾ يعقوب ﴿عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾ وذلك بعد إبراهيم، والذي حرم على نفسه لحوم الإبل وألبانها، وقيل: الأنعام، وقيل: كان به عَرق النساء - بالفتح والقصر - فنذر أنه إن شفي لا يأكل عرقًا، فحرم ذلك عليهم ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في زعمكم ذلك، فلم يأتوا بها خشية الفضيحة.

﴿فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [آل عمران: 94] أي: وضوح الحجة بأن التحريم من جهة يعقوب لا على زمن إبراهيم ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ إذ لم ينصفوا أو لم يتبعوا الحق.

﴿قُلْ صَدَقَ اللهُ﴾ [آل عمران: 95] الحق في هذا الجميع ما أخبر به ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ وهي ملة الإسلام التي جاء بها محمد ﷺ ﴿حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ فيه تعريض بشرك اليهود، ونزل لما قالوا: قبلتنا قبل قبلتكم.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 96] في الأرض؛ لأجل العبادة ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ هل هي مكة أو بكة موضع البيت؟ ومكة كله أو مكة موضع البيت والمطاف والباقي بكة؟ أقوال، وبناء الملائكة البيت قبل خلق آدم ووضع بعده الأقصى وبينهما أربعون سنة، وفي حديث: «**إنه أول ما ظهر على وجه الماء عند خلق**

السماوات والأرض بيضاء فدحيت الأرض من تحته»[1] وسميت بكة؛ لأنها تبكُّ أعناق الجبابرة؛ أي: تدقها لقصمها لهم، ومكة بالميم؛ لأنها تمك قواهم أو القوى كما تمك الفصيل ضرع أمه ﴿مُبَارَكًا﴾ كثير الخير ذا بركة ﴿وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ لأنه قبلة كثير منهم كأمة محمد ﷺ.

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ [آل عمران: 97] كالحجر والحطيم وزمزم؛ ومن آياته أن الشخص إذا قصد الصيد التجأ إليه فأمن، وأن الجارحة إذا قصدت خارجه يحتمى منها به ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني: منها مقام إبراهيم؛ والمقام: الحجر الذي قام عليه إبراهيم عند بناء البيت، فأثر قدماه فيه، وبقي إلى الآن مع تطاول الزمن وتداول الأيدي، ومن الآيات تضعيف الحسنات فيه، وأن الطير لا تعلو البيت؛ أي: لا تجلس عليه، قيل: إلا للتداوي ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ﴾ أي: البيت ﴿كَانَ آمِنًا﴾ من عذاب الله على الأشهر؛ أي: إن دخله مسلمًا ومات على ذلك ﴿وَلِله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ واجب ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ بالزاد والراحلة، فإن عجز استناب وجوبًا، وتفاصيل ذلك في الفروع ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ بالله أو بما فرضه من الحج ﴿فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ وعن عبادتهم بأسرهم.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ الله﴾ [آل عمران: 98] القرآن ﴿والله شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: مطلع فيجازيكم.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾ [آل عمران: 99] تصرفون ﴿عَنْ سَبِيلِ﴾ دين﴿الله مَنْ آمَنَ﴾ أي: الذي آمن وصدهم عنه بكتمهم صفة محمد ﷺ، وتكذيبهم له ﴿تَبْغُونَهَا﴾ أي: تطلبون السبيل؛ أي: التوراة ﴿عِوَجًا﴾ معوجة؛ أي: مائلة عن الحق ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ عالمون أن محمد ﷺ خير الأنبياء والرسل، وأنه يلزمهم اتباعه كما في كتابكم ﴿وَمَا الله بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من كفر وتكذيب، وإنما يؤخر المجازاة للوقت الذي أرادها فيه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 100] نزلت؛ لأن شاس بن قيس رأى تآلف الأوس والخزرج فأمر من ذكرهم بوقعة سبقت لهم كان النصر فيها للأوس، فثاروا وهموا للقتال، فحضر رسول الله ﷺ وسكن ذلك، فرجعوا واستغفروا وعانقوا بعضهم.

---

(1) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (30/4).

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٠١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥)﴾ [آل عمران: ١٠١ - ١٠٥].

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: 101] استفهام تعجيب وتوبيخ ﴿وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ الله وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ﴾ يتمسك بالله ﴿فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[1] [آل عمران: 102] هو أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، ولما نزلت شقت على المسلمين فأنزل الله ﴿فَاتَّقُوا الله مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16] ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ المراد: دوام الإسلام، وضم إليه حسن الظن بالله عند الموت.

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله﴾ [آل عمران: 103] دينه ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين عليه ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ عن الإسلام كتفرقكم في الجاهلية ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ﴾ إنعام ﴿الله عَلَيْكُمْ﴾ يا معشر الأوس والخزرج ﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ قبل الإسلام ﴿فَأَلَّفَ﴾ جمع ﴿بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾

---

(1) قال سيدنا أبو عبد الرحمن السلمي: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ تلف النفس في مواجبه. وقال القاسم: بذل المجهود، واستعمال الطاعة، وترك الرجوع إلى الراحة، ولا سبيل إليه؛ لأنَّ أوابل طرف الوصول التلف. وقال الواسطي: هو إتلاف النفس في مواجبه. وقال ابن عطاء: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ هو صدق قول لا إله إلا الله، وليس في قلبك شيء سواه. وقال بعضهم: إرادته أن يعرفنا مواضع فضله فيما رغمنا فيه من استعمال مواجبه؛ لأن واجب الحق لا يتناهى، والعمل لا يتناهى.

به ﴿فَأَصْبَحْتُمْ﴾ فصرتم ﴿بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ في الدين والولاية ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا﴾ طرف ﴿حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ ليس بينكم وبينها إلا الموت على الكفر ﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ بالإسلام ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل هذا البيان ﴿يُبَيِّنُ الله لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ تثبتون.

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: 104] وهو كل ما أمر الله به ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ خصه بعد ما سبق إشارة إلى فضله، وعلم من الآية أن الأمر بالمعروف وما معه من فروض الكفايات؛ إذ لا يصلح له جاهل، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالبقاء الدائم.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 105] عن دينهم ﴿وَاخْتَلَفُوا﴾ فيه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ وهم: اليهود والنصارى ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٦ - ١١١].

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: 106] وذلك يوم القيامة ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وهم: الكفار فيلقون في النار، ويقال لهم توبيخًا: ﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172] أو هم: المنافقون والخوارج وأهل البدع ﴿فَذُوقُوا﴾ أمر إهانة ﴿الْعَذَابَ بِمَا﴾ بسبب ما ﴿كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ [آل عمران: 107] وهم: المؤمنون ﴿فَفِي رَحْمَةِ الله﴾ وهي: الجنة ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿تِلْكَ﴾ [آل عمران: 108] أي: هذه الآيات ﴿آيَاتُ الله نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾

أي: متلبسة به ﴿وَمَا الله يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ بأن يأخذهم بلا جرم.

﴿وَلِله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ﴾ [آل عمران: 109] تصير ﴿الْأُمُورُ﴾.

﴿كُنْتُمْ﴾ [آل عمران: 110] يا أمة محمد ﷺ في اللوح المحفوظ أو في علم الله تعالى أو أنتم ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾ أظهرت ﴿لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ﴾ الإيمان ﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾ من الكفر، وما هم عليه ﴿مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الكافرون.

﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ﴾ [آل عمران: 111] أي: اليهود - يا معشر المسلمين - بشيء ﴿إِلَّا أَذًى﴾ هو استثناء متصل؛ والمراد: إنه لا يصل لنا منهم ضرر إلا الأذى باللسان من سب ووعيد، أو هو منقطع؛ والمعنى: لكن يؤذون أنفسهم بكلمة الكفر بالعذاب في الدنيا بالسيف وفي الآخرة بالنار، ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾ منهزمين ﴿ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ عليكم بل النصر بكم عليهم.

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٢ - ١١٥].

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ [آل عمران: 112] الجزية أو الأسر والقتل ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾ حيثما وجدوا فلا عز لهم ولا اعتصام ﴿إِلَّا﴾ كائنين ﴿بِحَبْلٍ﴾ بسبب ﴿مِنَ اللهِ﴾ وهو: الإيمان به وبنبيه محمد ﷺ وحبل من الناس ببذل جزية أو أمان، قالوا: ﴿وَ﴾ بمعنى: أو ومنهم من حمل ذكر الله على التبرك ﴿حَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ ما ذكر ﴿وَبَاءُوا

بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ فغالبهم فقير من المال ذليل؛ لفقره من الدين ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾ أي: بسبب عصيانهم ﴿وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ يتعدون الحدود.

﴿لَيْسُوا﴾ [آل عمران: 113] أي: أهل الكتاب ﴿سَوَاءً﴾ متساويين ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ بالعدل؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ﴾ ساعات، واحدها: إِنْي ﴿اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يصلون.

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ﴾ [آل عمران: 114] بما ذكر ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ومنهم من ليسوا كذلك فليسوا صالحين.

﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران: 115] تعدموا ثوابه، وقرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص بالياء في «تفعلوا» و«تكفروه» على الغيب، والباقون بالخطاب، لكن اختلف عن الدوري عن أبي عمرو ﴿والله عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ فيجازيهم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٦ - ١١٩].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ﴾ [آل عمران: 116] تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللهِ﴾ أي: من عذابه ﴿شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿مَثَلُ﴾ [آل عمران: 117] صفة ﴿مَا يُنْفِقُونَ﴾ أي: الكفار في عداوة محمد ﷺ

أو في الصدقات ونحوها ﴿فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ حر أو برد شديد ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ﴾ زرع ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعصية ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ والريح نيّاتهم الفاسدة أهلكت أعمالهم ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ﴾ بضياع نفقاتهم ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر الموجب لضياعها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً﴾[1] [آل عمران: 118] أولياء وأصفياء تطلعونهم على أسراركم ﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾ أي: من غير المسلمين كاليهود والمنافقين ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ لا يقصرون في الفساد ﴿وَدُّوا﴾ أحبوا ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ ما شق عليكم ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ﴾ العداوة لكم ﴿مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ بالوقيعة فيكم، واطلاع المشركين على سركم ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾ من العداوة ﴿أَكْبَرُ﴾ مما اطلعتم عليه ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ على عداوتهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿هَا﴾ [آل عمران: 119] تنبيه ﴿أَنْتُمْ﴾ كناية المخاطبين ﴿أُولَاءِ﴾ أنتم للمشار إليه ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ للقرابة ونحوها ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ للمخالفة في الدين ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ المراد به: الجنس ولا يؤمنون بكتابكم ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ﴾ أطراف الأصابع ﴿مِنَ﴾ شدة ﴿الْغَيْظِ﴾ لما يرون من [الحق][2] ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ قلة وذلة؛ لنصر الله الإسلام وأهله ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما فيها؛ والمراد القلوب، ومنه ما يضمره هؤلاء.

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾

---

(1) نزلت في رجال من المؤمنين يواصلون رجالاً من يهود للجوار والحلف والرضاع قاله: ابن عباس، وقال أيضًا هو وقتادة والسدي والربيع: نزلت في المنافقين، نهى الله المؤمنين عنهم شبه الصديق الصدق بما يباشرُ بطن الإنسان من ثوبه، يقال: له بطانة ووليجة، وقوله: من دونكم في موضع الصفة لبطانة، وقدّره الزمخشري: من دون أبناء جنسكم، وهم المسلمون، وقيل: يتعلق من بقوله: «لا تتخذوا» وقيل: «مِنْ» زائدة، أي: بطانة دونكم، والمعنى: أنهم نهوا أن يتخذوا أصفياء من غير المؤمنين، ودل هذا النهي على المنع من استكتاب أهل الذمة وتصريفهم في البيع والشراء والاستبانة إليهم، وقد عتب عمر أبا موسى على استكتابه ذميًا، وتلا عليه هذه الآية، وقد قيل لعمر في كاتب مجيد من نصارى الحيرة: ألا يكتب عنك؟ فقال: إذن اتخذ بطانة.

(2) بياض في الأصل.

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٠ - ١٢٥].

﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ﴾ [آل عمران: 120] تصبكم ﴿حَسَنَةٌ﴾ كنصر وغنيمة ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ تحزنهم ﴿وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ كهزيمة وجدب ﴿يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾ على عداوتهم وآذاهم وما أمرتم به ﴿وَتَتَّقُوا﴾ ما حرم عليكم ومنه موالاتهم ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ قرأ ابن عامر والكوفيون وأبو جعفر بضم الضاد ورفع الراء مشددة، والباقون بكسر الضاد وجزم الراء مخففة ﴿كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ لأن الله يحفظكم ﴿إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

﴿وَ﴾ [آل عمران: 121] اذكر يا محمد ﴿إِذْ غَدَوْتَ﴾ خرجت ﴿مِنْ أَهْلِكَ﴾ المراد به هنا: عائشة؛ لأنه خرج من بيتها لذلك، أو المراد: المدينة ﴿تُبَوِّئُ﴾ تنزل ﴿الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ﴾ مواطن يقفون فيها ﴿لِلْقِتَالِ والله سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ نزلت في غزوة أُحد.

قال سعد بن معاذ والحصين بن عبد الرحمن وقتادة وغيرهم: كان يوم أُحد يوم بلاء وتمحيص اختبر الله المؤمنين، ومحص به المنافقين ممن كان يظهر الإسلام بلسانه وهو مستخفيه بالكفر، ويوم أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته، وكان مما نزل من القرآن في يوم أُحد ستون آية من آل عمران فيها صفة ما كان في يومه ذلك، ومعاتبة من عاتب منهم يقول لنبيه: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾ وخرج الرسول ﷺ في تلك الغزوة بألف أو إلا خمسين رجلاً والمشركون ثلاثة آلاف، ونزل بالشعب يوم السبت سابع شوال سنة ثلاث من الهجرة، وجعل ظهره وعسكر عسكره إلى أُحد، وسوى صفوفهم وأجلس جيشًا من الرماة، وأمَّر عليهم عبد الله بن جبير بسفح الجبل وقال ﷺ: «**انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا غُلبنا أو نُصرنا**»[1].

---

(1) ذكره البغوي في «تفسيره» (112/2).

﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: 122] تجبنا أو تضعفا، والطائفتان: بنو سلمة وبنو حارثة من الأوس والخزرج، وكانا جناحي العسكر فلما تحول ابن أُبي المنافق مع أصحابه بثلث الناس، وقالوا عند ذلك: نقتل أنفسنا أولادنا، وقال لأبي حاتم السلمي القائل له: أنشدكم بالله نبيكم وأنفسكم ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ﴾ [آل عمران: 167] همُّوا بالانصراف فثبتهما الله ﴿والله وَلِيُّهُمَا﴾ معينهما وناصرهما ﴿وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ونزل لما هزموا تذكيرًا لهم بنعمة الله.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ الله بِبَدْرٍ﴾ [آل عمران: 123] موضع بين مكة والمدينة ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ بقلة العدد والسلاح ﴿فَاتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 124] أي: توعدهم تطمينًا ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ﴾ ونزلت؛ لأن المسلمين بلغهم ﴿أَنْ﴾ كُرز المحاربي يمد المشركين فشق عليهم أن ﴿يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ قال قتادة: أمدوا أولاً بألف ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف، والكل في بدر، وقرأ ابن عامر «منزلين» بالتشديد للتكثير، والباقون بالتخفيف.

﴿بَلَى﴾ [آل عمران: 125] أي: بلى يكفيكم ذلك ﴿إِنْ تَصْبِرُوا﴾ على القتال ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله في المخالفة ﴿وَيَأْتُوكُمْ﴾ الكفار ﴿مِنْ فَوْرِهِمْ﴾ وقتهم ﴿هَذَا﴾ أي: من غضبهم في هذه الساعة أو من ساعتهم ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ قرأ ابن كثير والبصريان وعاصم بكسر واو ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ والباقون بفتحها؛ أي: معلمين بعمائم بيض أو صفر بعذبات مرخاة بين أكتافهم، وقد صبروا وأنجز الله وعدهم بأن قاتلت معهم الملائكة على خيل بلق.

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ

وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ [آل عمران: ١٢٦ - ١٣٢].

﴿وَمَا جَعَلَهُ الله﴾ [آل عمران: 126] أي: الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَى﴾ بشارة ﴿لَكُمْ﴾ بالنصر، ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ لتسكن ﴿قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ فلا تجزع من كثرة العدو وقلتكم ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ الله الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

﴿لِيَقْطَعَ﴾ [آل عمران: 127] يهلك ﴿طَرَفًا﴾ طائفة ﴿مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسر ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ يذلهم ويهزمهم ﴿فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ بلا نيل طلب.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: 128] نزلت لما كسرت رباعيته ﷺ يوم أحد وشج في وجهه، فقال: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الله**»[1] وورد أنه أراد أن يدعو عليهم فنزلت لترك ذلك ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ عطف على ﴿أو يكبتهم﴾ وقيل: ﴿أَوْ﴾ بمعنى: إلا أن؛ أي: ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب عليهم فتسر به ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ فتشتفي منهم ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

﴿وَلِله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل عمران: 129] ملكًا وخلقًا وعبيدًا ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه فلا حجر عليه ﴿والله غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمٌ﴾ بأهل طاعته.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ [آل عمران: 130] نزلت؛ لأنهم كانوا يزيدون على المدين بعد حلول الأجل بسبب تأخر القضاء ﴿وَاتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون.

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ﴾ [آل عمران: 131] هيئت ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ أن تعذبوا بها ﴿وَأَطِيعُوا الله وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: 132].

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ

(1) رواه الترمذي في «السنن» (242/11)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٨].

﴿وَسَارِعُوا﴾ [آل عمران: 133] عن المدنيان وابن عامر «سَارِعُوا» بغير واو قبلها، والباقون بالواو، ونزلت؛ لأن المسلمين قالوا لرسول الله: بنو إسرائيل كانوا أكرم على الله منا كانوا إذا أذنب أحدهم ذنبًا أصبح كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بأنه اجدع أنفك اجدع أُذنك، افعل كذا أو كذا فسكت، فنزل عليه هؤلاء الآيات إلى قوله: ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 135] فقال النبي ﷺ: «**ألا أخبركم بخير من ذلكم**»[1] ثم تلا هؤلاء الآيات ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ﴾ المراد الأعمال التي يقتضيها ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي: كعرض ما ذكر لو وصل بعضه ببعض، فهو بيان لسعتها العظيمة عرضًا فما ظنك بها طولاً؟! ﴿أُعِدَّتْ﴾ هيئت ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ لله بعمل الطاعات وترك المعاصي.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ [آل عمران: 134] في طاعة الله ﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ العسر واليسر والشدة والرخاء ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ يمتلئ أحدهم غيظًا فيرده في جوفه ولا يظهره؛ والمراد: الكف عن إمضائه ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ عمن ظلمهم بترك العقوبة ﴿والله يُحِبُّ﴾ يثيب ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ [آل عمران: 135] قبيحة خارجة عما أذن الله فيه من الكبائر ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بأي دين كان ﴿ذَكَرُوا اللهَ﴾ أي: وعيده ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا﴾ يقيموا ﴿عَلَى مَا فَعَلُوا﴾ بل أقلعوا عنه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قبح ذلك الذنب أو أن ما أتوه معصية.

(1) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (56/4).

﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: 136] بالطاعة، هذا الأجر ونزل في هزيمة أحد.

﴿قَدْ خَلَتْ﴾ [آل عمران: 137] مضت ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ وقائع في الأمم السالفة من الكفار بإمهالهم ثم أخذهم ﴿فَسِيرُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا﴾ نظر اعتبار ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ الرسل؛ أي: آخر أمرهم إذ العاقبة آخر الأمر؛ لتعتبروا بذلك، وتعلموا أن آخر أمرهم للهلاك، فلا تحزنوا لغلبتهم فإنا أمهلناهم لوقتهم.

﴿هَذَا﴾ [آل عمران: 138] القرآن ﴿بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى﴾ رشد ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾ عظة واعتبار ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ منهم.

﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٩ - ١٤٤].

﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ [آل عمران: 139] تضعفوا عن قتال الكفار ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ لما حصل لكم بأُحد ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾[1] الغالبون ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يعني؛ إذ أي: أنتم

---

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ أي: لكم تكون العاقبة بالنصر والظفر ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: بصدق وعدي، وقيل: «إن» بمعنى «إذ»، قال ابن عباس: انهزم أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد فبيناهم كذلك؛ إذ أقبل خالد بن الوليد بخيل، من المشركين، يريد أن يعلو عليهم =

الأعلون لإيمانكم.

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ﴾ [آل عمران: 140] يصيبكم ﴿قَرْحٌ﴾ يوم أُحد؛ وهو: الشيء المؤذي، قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر: «قُرح» بضم القاف في الموضعين هنا وكذا في أصابهم القرح، والباقون بالفتح في الثلاثة ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ﴾ الكفار ﴿قَرْحٌ﴾ يوم بدر ﴿مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا﴾ نصرفها ونجعلها دولاً فيوم لهذا ويوم لهذا ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ الأمراء وغيرهم، فللحق دولة وللباطل دولة، وللمؤمنين الدولة على الكفار يوم بدر، وللكفار دولة يوم أُحد، وكل ذلك للعظة والاعتبار ﴿وَ﴾ كانت الدولة ﴿لِيَعْلَمَ اللهُ﴾ علم ظهري في الخارج ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وأخلصوا في إيمانهم من غيرهم ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ أي: يميت قومًا على الشهادة ﴿والله لَا يُحِبُّ﴾ لا يثيب ﴿الظَّالِمِينَ﴾ والنعم عليهم استدراج.

﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ [آل عمران: 141] يظهر ﴿الله الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من الذنوب بما يصيبهم ﴿وَيَمْحَقَ﴾ يهلك ﴿الْكَافِرِينَ﴾.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ [آل عمران: 142] تقديره: بل أحسبتم ﴿أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ﴾ العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب، وهو علم الظهور ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ من الذين لم يجاهدوا ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ منكم في الشدائد ممن لم يصبروا.

﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ [آل عمران: 143] أي: تودون القتال ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ أي: أسبابه من الحرب ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ بأعينكم ومتأملين الحال

= الجبل، فقال النبي ﷺ: «اللهم لا يعلن علينا اللهم لا قوة لنا إلا بك اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر»، فأنزل الله هذه الآيات، وثاب نفر من المسلمين رماه فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ يعني: الغالبين على الأعداء بعد أُحد، فلم يخرجوا بعد ذلك عسكرًا إلا ظفروا في كل عسكر كان في عهد رسول الله ﷺ، وفي كل عسكر كان بعد رسول الله ﷺ وكان فيه واحد من الصحابة كان الظفر لهم، وهذه البلدان كلها إنما افتتحت على عهد أصحاب رسول الله ﷺ، ثم بعد انقراضهم ما افتتحت بلدة على الوجه كما كانوا يفتتحون في ذلك الوقت، وفي هذه الآية بيان فضل هذه الأمة؛ لأنه خاطبهم بما خاطب به أنبياءه، لأنه قال لموسى: ﴿إنك أنت الأعلى﴾ [طه: 68] وقال لهذه الأمة: ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ وهذه اللفظة مشتقة من اسمه الأعلى فهو سبحانه العلي، وقال للمؤمنين: ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾.

كيف هي فلم انهزمتم؟ ونزلت؛ لأن جمعًا من الصحابة لما فاتهم يوم بدر تمنوا وجود يوم يحضرون فيه القتال لينالوا ما نال شهداء بدر، فلما تمنوا وحضروا وقعة أحد انهزموا.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [آل عمران: 144] مضت ﴿مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ نزلت؛ لأن عمر سمع يهوديًا يوم أحد يقول: قُتل محمد، فقال: لا أسمع من يقول ذلك إلا ضربت عنقه، قال: فنظرت فإذا رسول الله ﷺ والناس يتراجعون إليه، أو نزلت؛ لأن بعض المنافقين لما أشيع موته ﷺ يومئذ قال: إن كان قُتل فارجعوا لدينكم ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ كغيره ﴿انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ تمثيل معناه في الكلام: ارتددتم كفارًا بعد إيمانكم، فالكافر راجع عما كان عليه كالراجع يمشي إلى خلفه؛ والمعنى: ما كان معبودًا فترجعوا ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا﴾ وإنما يضر نفسه ﴿وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ نعمه بالثبات.

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٥ - ١٥٠].

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾ [آل عمران: 145] بقضائه وعلمه ﴿كِتَابًا﴾ أي: كتب الله ذلك ﴿مُؤَجَّلًا﴾ لوقت لا تقدم فيه ولا تأخر ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ بعمله ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ قيل: هو الغنيمة، وقيل: عام هو أقرب ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ ما قسم له ولا حظ له في الآخرة ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ أي: من يعمل لها يعط ثوابها

﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾.

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ﴾ [آل عمران: 146] قرأ ابن كثير وأبو جعفر: «وكائن» حيث وقع بألف ممدودة بعد الكاف بعدها همزة مكسورة، والباقون بهمزة مفتوحة بعدها ياء مشددة، وسهل الهمزة أبو جعفر، ووقف أبو عمرو بغير النون، وروى الكسائي والباقون بالنون، والتقدير: وكم من نبي؟ ﴿قَاتَلَ مَعَهُ﴾ قرأ نافع وابن كثير والبصريان: «قُتِل معه» بضم القاف وكسر التاء من غير ألف، والباقون بفتح القاف وألف بعدها وفتح التاء ﴿رِبِّيُّونَ﴾ جموع ﴿كَثِيرٌ﴾ أو ألوف أوقفها علماء أو أتباع كثير ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ جبنوا ﴿لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ من جرحهم وقتل أبنائهم وأصحابهم ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ عن جهاد عدوهم ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ ما ذلوا وما خضعوا لعدوهم كما فعلتم حين قيل: قُتل النبي ﴿والله يُحِبُّ﴾ يثيب ﴿الصَّابِرِينَ﴾ على البلاء.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ [آل عمران: 147] أي: ما كان قول المؤمنين عند قتل أنبيائهم مع ثباتهم وصبرهم، أو ما كان قول الأنبياء الذين قتل معهم من ذكر من قومهم المؤمنين ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ هي: الصغائر، ﴿وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾ وهو: تجاوز الحد أو الكبائر؛ والمراد بذلك: ذنوب أمتهم، على القول بأن الدعاء من الأنبياء وعلى أن المؤمنين دعوا به فذكر ذلك للاعتراف بأن ما أصابهم لسوء فعلهم وهضمًا لأنفسهم، ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ على الدين وفي قتال العدو، ﴿وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿فَآتَاهُمُ الله ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: 148] وهو: النصر والغنيمة ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ وهو: ما أعد لهم في الجنة، وحسنة الفضل فوق حسنة الاستحقاق، وإن كان الكل فضلاء ﴿والله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فيثيبهم ثوابًا عظيمًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: 149] فيما يأمرونكم به ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ إلى الكفر ﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾.

﴿بَلِ الله مَوْلَاكُمْ﴾ [آل عمران: 150] ناصركم وحافظكم ومعينكم ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾.

﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًاۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [آل عمران: ١٥١ - ١٥٣].

﴿سَنُلْقِي﴾ [آل عمران: 151] ندخل ﴿فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ الخوف نزلت؛ لأن الكفار لما رجعوا من أحد قالوا: قتلتموهم ولم يبق منهم إلا الشريد، ثم تركتموهم ارجعوا، فأنزل الله في قلوبهم الرعب فرعبوا ولم يرجعوا ﴿بِمَا أَشْرَكُوا﴾ بسبب إشراكهم ﴿بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ حجة وبرهانًا؛ وهو: عبادة الأصنام ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مقام ﴿الظَّالِمِينَ﴾ النار.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ الله وَعْدَهُ﴾ [آل عمران: 152] إياكم بالنصر ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ﴾ تقتلونهم قتلاً ذريعًا ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بقضائه وإرادته ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ جبنتم عن القتال، ﴿وَتَنَازَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أي: أمره ﷺ بالمقام في سفح الجبل للرمي، فقال بعضهم: نذهب فقد نصر أصحابنا، وبعضكم لا يخالف أمر النبي، ﴿وَعَصَيْتُمْ﴾ أمره فتركتم المركز لطلب الغنيمة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ﴾ الله ﴿مَا تُحِبُّونَ﴾ الغلبة في أول الأمر يوم أحد، وجواب «إذا» حذف لدلالة ما قبله عليه؛ أي: منعكم نصره ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ الغنيمة، فترك المركز، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ الشهادة والأجر فثبت به حتى قتل؛ كعبد الله بن جبير وأصحابه ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ أي: بعد أن استوليتم عليهم ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ ليختبركم بذلك فيظهر المخلص من غيره ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ فلم يستأصلكم بالهلاك.

والخطاب للرماة الذين خالفوا ما أمروا به، وكانت في ذلك أن النبي ﷺ جعل على الرماة يوم أُحد عبد الله بن جبير، ووضعهم موضعًا وقال: إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُم، فهزموهم، قال: فَأَنَا وَاللَّهِ رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ قَدْ بَدَتْ

خَلَاخِلُهُنَّ وَأَسْوُقُهُنَّ رَافِعَاتٍ ثِيَابَهُن، فقال أصحاب عبد الله: الغنيمة أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنظرون، قال عبد الله بن جبير: أفنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: إنا والله لَنَأْتِيَنَّ الناس فَلْنصِيبَنَّ من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين، فذلك الذي يدعوهم رسول الله ﷺ في أخراهم، فلم يبقَ مع رسول الله ﷺ غير اثنا عشر رجلاً فأصابوا سبعين من التجار، وكان رسول الله ﷺ أصاب يوم بدر من المشركين أربعين ومائة، سبعين أسيرًا وسبعين قتيلاً و﴿والله ذُو فَضْلٍ﴾ عظيم ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

اذكر ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ [آل عمران: 153] ترتفعون في الوادي يوم أُحد فرارًا ﴿وَلَا تَلْوُونَ﴾ ترجعون ﴿عَلَى أَحَدٍ﴾ ممن معكم ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾ من ورائكم أو آخركم، فيقول لكم: إلي عباد الله ارجعوا عن الانهزام وترادوا للقتال ﴿فَأَثَابَكُمْ﴾ جازاكم ﴿غَمًّا بِغَمٍّ﴾[1] أي: غمًّا على غم؛ الأول: القتل والجرح، والثاني: إرجاف الشيطان بقتل النبي ﷺ، أو غمًّا بسبب ما أدخلتم من الغم على المؤمنين بالهزيمة ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا﴾ أي: جازاكم ﴿غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا﴾ فـ(لا) زائدة، أو المعنى: عفا عنكم لكيلا تحزنوا ﴿عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمة ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ من الهزيمة والقتل ﴿والله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: الغم في اللغة: التغطية، غممت الشيء غطيته، ويوم غم وليلة غمة إذا كانا مظلمين، منه غم الهلال إذا لم ير، وغمني الأمر يغمني، قال مجاهد وقتادة وغيرهما: الغم الأول القتل والجراح، والغم الثاني الإرجاف بقتل النبي ﷺ إذ صاح به الشيطان، وقيل: الغم الأول ما فاتهم من الظفر والغنيمة، والثاني ما أصابهم من القتل والهزيمة، وقيل: الغم الأول الهزيمة، والثاني إشراف أبي وسفيان وخالد عليهم في الجبل، فلما نظر إليهم المسلمون غمهم ذلك، وظنوا أنهم يميلون عليهم فيقتلونهم فأنساهم هذا ما نالهم، فعند ذلك قال النبي ﷺ: «اللهم لا يعلن علينا» كما تقدم، والباء في ﴿بِغَمٍّ﴾ على هذا بمعنى على، وقيل: هي على بابها، والمعنى أنهم غموا النبي ﷺ بمخالفتهم إياه، فأثابهم بذلك غمهم بمن أصيب منهم، وقال الحسن: ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا﴾ يوم أحد ﴿بِغَمٍّ﴾ يوم بدر للمشركين، وسُمي الغم ثوابًا كما سُمي جزاء الذنب ذنبًا، وقيل: وقفهم الله على ذنبهم فشغلوا بذلك عما أصابهم.

هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْۖ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٤ - ١٥٧].

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا﴾ [آل عمران: 154] حتى قال الزبير بن العوام: رفعت رأسي يوم أُحد فجعلت أنظر وما منهم أحد إلا وهو يميد تحت جحفته من النعاس، فكانت السيوف تسقط منهم من شدة النعاس ﴿يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾ هم: المؤمنون، قرأ حمزة والكسائي: «تغشي» بالتاء المثناة فوق، والباقون بالياء من تحت، ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ هم: المنافقون؛ والمعنى: حملتهم أنفسهم على الهم فلا رغبة لهم إلا نجاتها دون النبي وأصحابه فلم يناموا ﴿يَظُنُّونَ بِاللهِ﴾ ظنًا ﴿غَيْرَ﴾ الظن ﴿الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ أي: كظن أهلها، وهو ظن عدم نصره ﷺ أو ظن قتله ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: ليس لنا من الأمر الذي وعدنا به محمد شيء، أو يقولون: ليس لنا من أمر الخروج شيء إنما خرجنا كارهين، يطيبون بذلك قلوب الكفار عليهم ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ أي: القضاء له، قرأ البصريان «كله» بالرفع والباقون بالنصب ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من الكفر والنفاق ﴿مَا لَا يُبْدُونَ﴾ يظهرون ﴿لَكَ يَقُولُونَ﴾ بيان لما قبله ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا﴾ والمعنى: لو كان الاختيار إلينا لم نخرج فلم نقتل، لكن أخرجنا كرهًا، ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ وفيكم من كتب الله عليه القتل ﴿لَبَرَزَ﴾ لخرج ﴿الَّذِينَ

كُتِبَ﴾ قضي ﴿عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ﴾ منكم ﴿إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ مصارعهم فيقتلوا ولم ينجهم قعودهم؛ لأن قضاءه تعالى كائن لا محالة، ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ﴾ المعنى: كتب عليكم القتال ليبتلي ﴿مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم من الإخلاص والنفاق ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ يخرج ويظهر أو يميز ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ واللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب لا يخفى عليه شيء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾ [آل عمران: 155] عن القتال خطاب للمؤمنين ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ جمع المؤمنين وجمع الكفار في يوم أُحد ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ﴾ طلب زلتهم أو أزلهم ﴿الشَّيْطَانُ﴾ بوسوسته ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ أي: بسبب بعض ما كسبوا من الذنوب، وهو مخالفة أمر النبي ﷺ أو غير ذلك من ذنوبهم.

ونزلت في عثمان ورافع بن المعلَّى وخارجة بن زيد والوليد بن عتبة وأبي حذيفة بن عتبة، وسعد بن عثمان وعتبة بن عثمان - أخوين من زريق - ولقد لام بعض الناس السيد عثمان على تخلفه يوم أُحد، فقال له: كيف تلومني وقد عفا الله عني؟ وهذا جار في بقية أصحابه ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجل على من عصاه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: 156] من المنافقين ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ أي: في شأنهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ سافروا فيها فماتوا ﴿أَوْ كَانُوا غُزًّى﴾ يعني: غزاة جمع غاز، فقتلوا ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ فهو نهي للمسلمين أن يقولوا مثل قول عبد الله بن أُبي ﴿لِيَجْعَلَ اللهُ﴾ المعنى: لا يكونوا مثلهم ليجعل أو قالوا ﴿ذَلِكَ﴾ ليجعل الله ذلك القول الذي قالوه في عاقبة أمرهم ﴿حَسْرَةً﴾ ندامة ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ على ما يفوتهم من الظفر والغنيمة ﴿واللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ واللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم، قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف بالياء من تحت في ﴿تعملونَ﴾ والباقون بالخطاب.

﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ [آل عمران: 157] من غير قتل فيه قرأ حمزة والكسائي وخلف «مِتم ومِتنا ومِت» حيث وقع بكسر الميم، وافقهم حفص في غير موضعين هذه السورة، والباقون بالضم ومعهم حفص هنا ﴿لَمَغْفِرَةٌ﴾ كائنة ﴿مِنَ اللهِ﴾ لذنوبكم، ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ منه لكم ﴿خَيْرٌ﴾ على ذلك ﴿مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الذنب، وقرأ حفص عن عاصم «يجمعون» بالياء من أسفل والباقون بتاء الخطاب.

﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ

لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران: ١٥٨ - ١٦٣].

﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ [آل عمران: 158] في الجهاد أو غيره ﴿لَإِلَى اللهِ﴾ لا غيره ﴿تُحْشَرُونَ﴾ تجمعون بعد البعث من القبور فيجازيكم.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ﴾ [آل عمران: 159] أي: فبرحمة من الله ﴿لِنْتَ لَهُمْ﴾[1] أي: سهلت أخلاقك وكثر احتمالك إذ خالفوك ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾ جافيًا سيئ

---

(1) متعلق الرحمة المؤمنون، فالمعنى: فبرحمة من الله عليهم لِنْت لهم، فتكون الرحمة امتن بها عليهم؛ أي: دمثت أخلاقك ولان جانبك لهم بعدما خالفوا أمرك وعصوك في هذه القراءة، وذلك برحمة الله إياهم، وقيل: متعلق الرحمة المخاطب ﷺ أي: برحمة الله إياك جعلك لين الجانب موطأ الأكناف، فرحمتهم ولنت لهم، ولم تؤاخذهم بالعصيان والفرار وإفرادك للأعداء، ويكون ذلك امتنانًا على رسول الله ﷺ ويحتمل أن يكون متعلق الرحمة النبي ﷺ بأن جعله على خلق عظيم، وبعثه بتتميم محاسن الأخلاق والمؤمنين، بأن لينه لهم، و«ما» هنا زائدة للتأكيد، وزيادتها بين الباء وعن ومن والكاف، وبين مجروراتها شيء معروف في اللسان، مقرر في علم العربية، وذهب بعض الناس إلى أنها منكرة تامة، ورحمة بدل منها. كأنه قيل: فبشيء أبهم، ثم أبدل على سبيل التوضيح، فقال: رحمة، وكان قائل هذا يفر من الإطلاق عليها أنها زائدة، وقيل: ما هنا استفهامية، قال الرازي: قال المحققون: دخول اللفظ المهمل الوضع في كلام أحكم الحاكمين غير جائز، وهنا يجوز أن تكون «ما» استفهامية للتعجب تقديره: فبأي رحمة من الله لنت لهم، وذلك بأن جنايتهم لما كانت عظيمة ثم أنه ما أظهر البتة تغليظًا في القول، ولا خشونة في الكلام، علموا أنَّ هذا لا يتأتى إلا بتأييد رباني قبل ذلك انتهى كلامه، وما قاله المحققون: صحيح، لكنَّ زيادة «ما» للتوكيد لا ينكره في أماكنه من له أدنى تعلق بالعربية، فضلاً عن مَنْ يتعاطى تفسير كلام الله، وليس ما في هذا المكان مما يتوهمه أحد مهملاً فلا يحتاج ذلك إلى تأويلها بأن يكون استفهامًا للتعجب، ثمّ إنَّ تقديره ذلك: فبأي رحمة، دليل على أنّه جعل ما =

الخلق ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ قاسيه ﴿لَانْفَضُّوا﴾ تفرقوا ﴿مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ تجاوز عن ذنوبهم ومنه ما أحدثوه يوم أُحد ﴿وَاسْتَغْفِرْ﴾ أي: سل الله المغفرة ﴿لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ المشاورة: استخراج الرأي وعلمك ما عند غيرك، وأمر ﷺ بها فيما ليس عنده فيه من الله علم، وكان ﷺ كثير المشاورة لهم ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ على إمضاء الأمر الذي شاورتهم فيه ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثق بالله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾ يثيب ﴿الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 160] يعنكم على عدوكم كيوم بدر ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ من الناس ﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ﴾ أي: يترككم من معونته كيوم أحد ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد خذلانه ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ لا غيره ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾ ليثق ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ﴾ [آل عمران: 161] ما ينبغي ﴿لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ يخون في الغنيمة فلا تظنوا به ذلك، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم «يغل» بفتح الياء وضم العين، والباقون بضم وفتح الغين، وسبب نزولها أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال منافق: لعل رسول الله أخذها، ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ﴾ يخن في شيء من الغنيمة ﴿يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ حاملاً له على ظهره أو عنقه ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاء ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ من خير أو شر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ لا ينقص لهم أجر، ولا يزاد عليهم عذاب[1].

=

مضافة للرحمة، وما ذهب إليه خطأ من وجهين: أحدهما: أنه لا تضاف «ما» الاستفهامية، ولا أسماء الاستفهام غير أي بلا خلاف، وكم على مذهب أبي إسحاق، والثاني: إذا لم تصح الإضافة فيكون إعرابه بدلاً، وإذا كان بدلاً من اسم الاستفهام فلا بدّ من إعادة همزة الاستفهام في البدل، وهذا الرجل لحظ المعنى ولم يلتفت إلى ما تقرر في علم النحو من أحكام الألفاظ، وكان يغنيه عن هذا الارتباك والتسلق إلى ما لا يحسنه والتسور عليه، قول الزجاج في ما هذه؟ إنها صلة فيها معنى التوكيد بإجماع النحويين.

(1) للآية تفسيران: الأول أزلنا الأحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في دار الدنيا بتصفية الطباع وإسقاط الوسواس ومنعه من أن يرد على القلوب، فإن الشيطان مشغول بالعذاب، فلا يتفرغ لإلقاء الوسواس فلم يكن بينهم إلا التوادد والتعاطف. عن علي كرم الله وجهه: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم. الثاني: أن درجات أهل الجنة متفاوتة بحسب الكمال والنقص، فالله تعالى أزال الحسد عن قلوبهم حتى إن صاحب الدرجة الناقصة لا يحسد صاحب الدرجة الكاملة فيكون هذا في مقابلة ما ذكره الله تعالى من تبرئ بعض أهل النار من بعض ولعن بعضهم بعضاً وليس هذا ببديع ولا بعيد من حال أهل الجنة، فإن أولياء الله تعالى في دار الدنيا
=

﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ الله كَمَنْ بَاءَ﴾ [آل عمران: 162] رجع ﴿بِسَخَطٍ﴾ غضب ﴿مِنَ الله﴾ والمراد به: إنكار استوائهم ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع جهنم أو مصيره.

﴿هُمْ دَرَجَاتٌ﴾ [آل عمران: 163] أي: الطائعون لهم درجات، والعصاة لهم دركات فاكتفى بذكر الأول عن ذكرهم، أو المعنى: هم أصحاب درجات ﴿عِنْدَ الله والله بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤ - ١٦٧].

﴿لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: 164] لا أعجميًا ولا ملكًا ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من النقائص، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ السنة ﴿وَإِنْ﴾ أي: أنهم ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾، أي: قبل الرسالة لهم ﴿لَفِي ضَلَالٍ﴾ بعد عن الحق ﴿مُبِينٍ﴾ ظاهر.

﴿أَوَلَمَّا﴾ [آل عمران: 165] الألف للاستفهام الإنكاري، والواو للعطف

=

أيضًا بهذه المثابة بحسن توفيق الله تعالى ونور عنايته، وهدايته كل منهم قد قنع بما حصل له من نعيم الدنيا وطيباتها لا يميل طبعه إلى زوجة لغيره أحسن من زوجته ولا إلى لا مشتهى ألذ مما رزقه الله، وكل هذا نتيجة ملكه الرضا بالقضاء والتسليم لأمر رب الأرض والسماء، فيموتون كذلك ويحشرون على ذلك وفقنا الله لنيل هذا المقام ببركة أولئك الكرام.

﴿أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾ المراد: القتل يوم أُحد؛ إذ قتل من الصحابة سبعون؛ من المهاجرين أربعة والبقية من الأنصار، وكانوا يوم بدر أصابوا مثليها لقتلهم سبعين وأسرهم مثلهم ﴿قُلْتُمْ﴾ متعجبين ﴿أَنَّى هَذَا﴾ من أين لنا الخذلان ونحن مسلمون ورسول الله فينا؟! ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ بسبب مخالفة الرماة ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ [آل عمران: 166] في يوم أُحد ﴿فَبِإِذْنِ اللهِ﴾ قضائه وإرادته وعلمه، ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ الله علم ظهور ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ حقًا.

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ [آل عمران: 167] ﴿وَ﴾ الذين ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾ لما انصرفوا عن القتال؛ وهم: عبد الله بن أُبي وأصحابه ﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ أعداءه ﴿أَوِ ادْفَعُوا﴾ إن لم تقاتلوا بكثرة السواد ﴿قَالُوا﴾ تهكمًا أو جوابًا بالظاهر مع إخفاء الكفر ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا﴾ أي: أنكم تقاتلونهم أو نحسن قتالاً ﴿لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ في سيركم وقاتلنا معكم ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يومئذ أظهروا ذلك ﴿أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ بسبب ما أظهروا من خذلانهم المؤمنين، وكانوا قبل ذلك أقرب للإيمان ظاهرًا ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: فلو علموا قتالاً لم يتبعوكم ﴿والله أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ من النفاق.

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٨ - ١٧٣].

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ [آل عمران: 168] في الدين ﴿وَ﴾ قد ﴿قَعَدُوا﴾، ولم يقاتلوا ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ أي: شهداء أُحد أو إخواننا في نهينا لهم عن الخروج فقعدوا ﴿مَا قُتِلُوا﴾ قرأ هاشم «قتلوا» هنا بالتشديد، والباقون بالتخفيف ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿فَادْرَءُوا﴾ ادفعوا ﴿عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في هذه الدعوى، وهم لا يقدرون على دفعه فهم كاذبون.

ونزل في الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ [آل عمران: 169] ولا تظنن، وقرأ: «يحسبن» هشام باختلاف عنه، يحسبن بالياء للغائب؛ أي: لا يحسبن حاسب ﴿الَّذِينَ قُتِلُوا﴾ قرأ بتشديد التاء هنا ابن عامر، وفي الحج: ﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾ [الحج: 58] والباقون بالتخفيف ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: لأجل دينه ﴿أَمْوَاتًا بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ وصح أن الشهيد لا يُبلى وإنه يأكل ويتنعم وإنه لا يسئل في قبره.

وروي في حديث: «**إن أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت**»[1] والمراد بذلك: من قاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى وقتل في القتال بسببه.

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [آل عمران: 170] ﴿وَ﴾ هم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ لم يموتوا من إخوانهم المؤمنين ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ ممن تأخر موته عن موتهم ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ المعنى: مستبشرون بألا خوف عليهم؛ أي: على الذين لم يلحقوا بهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ﴾ [آل عمران: 171] ثواب ﴿مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ﴾ زيادة عليه ﴿وَأَنَّ اللهَ﴾ أي: ويستبشرون بأن الله ﴿لَا يُضِيعُ﴾ يذهب ﴿أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بل يأجرهم، وقرأ الكسائي «وإن» بكسر الهمزة، والباقون بالفتح.

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلهِ﴾ [آل عمران: 172] أجابوا ﴿وَالرَّسُولِ﴾ دعائه بالخروج للقتال لما أراد أبو سفيان وأصحابه العود، وتواعدوا مع النبي بسوق بدر العام المقبل من يوم أُحد، والمستجيبون: أبو بكر الصديق، وعمر، وعثمان، وعلي، والزبير، وسعد، وطلحة، وابن عوف، وابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وأبو عبيدة بن الجراح،

---

(1) رواه البخاري (3/1035).

وجابر بن عبد الله في سبعين رجلاً ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ نالهم الجرح بأُحد، وهنا تم الكلام ثم استأنف فقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَاتَّقَوْا﴾ مخالفته ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ عند الله بالجنة والخلود فيها مع رضوانه.

وقيل: نزلت؛ لأن المشركين رجعوا إلى قصد، فقال المسلمون بعد انصرافهم من أُحد: إلى حمراء الأسد، فدعا رسول الله ﷺ أصحابه فأجابوه فخرج بهم إلى حمراء الأسد يوم الأحد ثاني يوم أُحد؛ وهي على ثمانية أميال من المدينة.

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ [آل عمران: 173] القائل: نعيم بن مسعود الأشجعي ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ أبا سفيان وأصحابه ﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ أي: لقتالكم، وهل وقع ذلك في غزوة بدر الصغرى أو في غزوة أُحد؟ قولان: الثاني لابن عباس وقتادة وهو أقرب لانتظام الكلام في قصة أُحد، ومن قال: إنها في بدر، قال: خرج المسلمون لقتالهم فلم يلقوهم لما أُلقي في قلوب الكفار من الرعب، وكان مع الصحابة تجارًا فباعوا وربحوا ﴿فَاخْشَوْهُمْ﴾ خافوهم ولا تأتوهم ﴿فَزَادَهُمْ﴾ ذلك القول ﴿إِيمَانًا﴾ تصديقًا ويقينًا وقوة ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ﴾ أي: كافينا الله أمرهم ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ الموكول إليه الأمور.

﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٤ - ١٨٠].

﴿فَانْقَلَبُوا﴾ [آل عمران: 174] انصرفوا ﴿بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ﴾ وهو: عدم بقاء العدو

﴿وَفَضْلٍ﴾ بمغفرته وثواب إجابة الرسول أو ربح وتجارة إن كانت لبدر ﴿لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ من قتل أو جرح ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ﴾ بطاعته ورسوله ﴿والله ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ﴾ [آل عمران: 175] أي: القائل لكم: «إن الناس... إلى آخره» ﴿الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ﴾ الناس ﴿أَوْلِيَاءَهُ﴾ يخوف المؤمن من الكافر ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ في ترك أمري ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ حقًا.

﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ [آل عمران: 176] يقعون فيه سريعًا بنصرته؛ وهم أهل مكة، وقيل: هم المنافقون، وقيل: من ارتد عن الإسلام؛ والمعنى: لا تهتم بكفرهم.

قرأ نافع: «يُحزِنك» بضم الياء وكسر الزاي، وكذلك يحزنهم ويحزنني وليحزن الذين آمنوا كيف وقع في القرآن، إلا قوله في الأنبياء: ﴿لاَ يَحْزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: 103] فأبو جعفر عكس نافع فيه بضم الياء وكسر الزاي، والباقون بفتح الياء وضم الزاي في الجميع ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا الله شَيْئًا﴾ بفعلهم وإنما يضرون أنفسهم ﴿يُرِيدُ الله أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا﴾ نصيبًا ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة فلذلك خذلهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ بالخلود في النار.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا﴾ [آل عمران: 177] استبدلوا ﴿الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ فكفروا، ولم يؤمنوا ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللهَ﴾ بكفرهم ﴿شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ [آل عمران: 178] قرأ حمزة هنا: ولا تحسبن ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ [آل عمران: 180] بالخطاب، والباقون بالغيب ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ أي: نمهلهم في الحياة الدنيا ﴿خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ بسبب إمهالهم لكثرة معاصيهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة في الدنيا بالسيف وفي الآخرة بالخلود في النار.

﴿مَا كَانَ الله لِيَذَرَ﴾ [آل عمران: 179] ليترك ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أيها الناس من اختلاط الصادق بغيره ﴿حَتَّى يَمِيزَ﴾ يفصل، قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب: «يميزهن»، وفي الأنفال بضم الياء الأولى وتشديد الأخرى وكسرها، والباقون بالفتح والتخفيف ساكنة ﴿الْخَبِيثَ﴾ وهو الكافر والمنافق ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ وهو المؤمن بالتكاليف الشاقة المبينة لذلك ففعل ذلك يوم أُحد، ﴿وَمَا كَانَ الله لِيُطْلِعَكُمْ﴾ أيها

القائلون: إن كان محمد نبيًا فيخبرنا عن الذي يموت مؤمنًا والذي يموت كافرًا ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾ من ذلك، أو المراد: ما كان ليطلعكم فتعرفوا المنافق من غيره قبل التمييز، ﴿وَلَكِنَّ الله يَجْتَبِي﴾ يصطفي ويختار ﴿مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ فيطلعه على غيبه كما أطلع النبي ﷺ على حال المنافقين ﴿فَآمِنُوا بِالله وَرُسُلِهِ﴾ ودعوا هذا التعنت، ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ النفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ بالخلود في الجنة ورضوان الله.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا﴾ [آل عمران: 180] بزكاة، ما ﴿آتَاهُمُ﴾ رزقهم ﴿اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ﴾ أي: بخلهم ﴿خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ﴾ للوعيد المذكور في قوله: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ﴾ أي: بزكاته من المال ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ كما في السنة من أن من لم يؤد بعيرًا مثلاً من الزكاة جاء يحمل البعير على عنقه، وقيل: يحمل في عنقه حية تنهشه، كما ورد في حديث: ﴿وَلِله مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فالكل آيل إليه في الدنيا بعد فناء الخلق وفي الآخرة أيضًا ﴿والله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ قرأ ابن كثير والبصريان بالغيب، والباقون بالخطاب.

﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨١ - ١٨٥].

﴿لَقَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ الله فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: 181] قائل ذلك فنحاص اليهودي لما نزل: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ الله قَرْضاً حَسَناً﴾ [الحديد: 11] فقال: لو كان غنيًا ما استقرضنا فهو فقير، فسمعه الصديق وكان دعاه للإسلام فأبى

محتجًا بما قاله، فحينئذ ضربه الصديق على وجهه ضربة شديدة فجاء فشكاه للنبي ﷺ وأنكر أنه قال ذلك، فنزلت الآية تصديقًا لأبي بكر ﴿سَنَكْتُبُ﴾ نأمر بكتب ﴿مَا قَالُوا﴾ في صحائف أعمالهم، قرأ بالياء من تحت مضمومة وفتح التاء من فوق ورفع لام «قتلهم» حمزة، «ويقول» بالياء من تحت، والباقون بالنون وضم التاء وفتح اللام والنون، ونكتب أو يكتب ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ﴾ أي: يقول لهم الله ذلك على لسان الملائكة ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي: المحرق من عذاب النار.

ويقال لهم إذا القوا فيها: ﴿ذَلِكَ﴾ [آل عمران: 182] العذاب ﴿بِمَا﴾ بسبب ما ﴿قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ ما فعلتم من الذنوب في الدنيا وعبر بهما عن الإنسان؛ لأن أكثر الأفعال تزاول بهما ﴿وَ﴾ بسبب ﴿أَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾ بذي ظلم ﴿لِلْعَبِيدِ﴾ فيعذبهم بغير ذنب.

﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ [آل عمران: 183] لمحمد ﷺ: ﴿إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾ أي: أمر وأوصى في التوراة ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾ نصدقه ﴿حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ﴾[1] هو: كل ما يتقرب به العبد إلى الله ﷻ والمراد به هنا ما ﴿تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ لأنه المعهود في زمن بني إسرائيل فالمقبول تأكله نار بيضاء؛ أي: تحرقه، وغيره يبقى مكانه وعهد إلى بني إسرائيل ذلك إلا في المسيح ومحمد ﷺ وعلى سائر الأنبياء؛ والمعنى: لا نؤمن لك حتى تأتينا بذلك ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ توبيخًا: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾ من القربان كزكريا ويحيى - صلى الله عليهما وسلم - فقتلتموهم، والخطاب لمن في زمن نبينا وإن كان الفعل لأجدادهم لرضاهم به ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في ادعائكم الإيمان عند الإتيان به.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [آل عمران: 184]

---

(1) قال الكعبي: نزلت في كعب بن الأشرف، ومالك بن الصيف، ووهب بن يهوذا، وزيد بن مانوه، وفنحاص بن عازوراء، وحيي بن أخطب، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: تزعم أن الله بعثك إلينا رسولاً، وأنزل عليك كتابًا، وأن الله قد عهد إلينا في التوراة أن لا نؤمن لرسول يزعم أنه من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار، فإن جئتنا به صدقناك وظاهر هذا القول أنه عهد إليهم في التوراة، فقيل: كان هذا في التوراة، ولكن كان تمام الكلام حتى يأتيكم المسيح ومحمد، فإذا أتياكم فآمنوا بهما من غير قربان، وقيل: كان أمر القرابين ثابتًا، إلى أن نسخت على لسان المسيح، وقيل: ذكرهم هذا العهد هو من كذبهم على الله تعالى، وافترائهم عليه وعلى أنبيائه.

الحجج الواضحة ﴿وَالزُّبُرِ﴾ جمع: زبور؛ وهو الكتاب قرأ ابن عامر: «وبالزبور» بزيادة، والباقون بدونها ﴿وَالْكِتَابِ﴾ قرأ هشام أيضًا بالباء، والباقون بدونها ﴿الْمُنِيرِ﴾ الواضح وهو التوراة والإنجيل؛ والمعنى: فاصبر كما صبروا.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾ [آل عمران: 185] التي هي جزاء أعمالكم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ﴾ أزيل وبعد ﴿عَنِ النَّارِ﴾ فنجا ﴿وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ ظفر، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: العيش فيها ﴿إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ الباطل يتمتع فيها به يسير ويزول.

﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨٦ - ١٩٠].

﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ [آل عمران: 186] لتختبرن ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ بما فرض فيها وما يصيبها من جائحة ﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾ بما تعبدتم به وما تلاقون من البلاء ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وهم: اليهود والنصارى ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ هم كفار العرب ﴿أَذًى كَثِيرًا﴾ من السب والطعن والتشبيب بنسائكم، ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾ على ذلك ﴿وَتَتَّقُوا﴾ ما نهيتم عنه مع فعل ما أمرتم به ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ رشدها وصلاحها؛ أي: من مفرداتها التي يعزم عليها لوجوبها.

﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: 187] من اليهود والنصارى؛ أي: العهد عليهم في كتبهم ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ﴾ أي: الكتاب ﴿لِلنَّاسِ﴾

يظهرون ما فيه لهم، ﴿وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ عنهم، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر «ليبيننه ولا يكتمونه» بالغيب فيهما مراعاة لما قبله، والباقون بتاء الخطاب ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ طرحوا الميثاق أو ألقوه ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ هي كناية عن الإعراض عنه فلم يعملوا به، ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ﴾ أخذوا بدله من السفلة ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ شراهم هذا.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ [آل عمران: 188] من إضلال الناس، قرأ الكوفيون ويعقوب «تحسبن» بالخطاب والباقون بالغيب،﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ من الخير منه التمسك بالحق وهم على ضلال ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء من تحت وضم الباء، والباقون بتاء الخطاب وفتح الياء ﴿بِمَفَازَةٍ﴾ منجى؛ أي: مكان ينجون فيه ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ في الآخرة بل لهم مكان يعذبون فيه وهو جهنم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم فيها، نزلت في المنافقين يفرحون باعتذارهم الباطل لمحمد ﷺ ويحبون أن يحمدوا عليه، أو في أحبار اليهود يفرحون باجتماعهم على الكفر ومحبتهم أن يقال لهم: علماء وليسوا بعلماء، أو في قوم من اليهود سألهم النبي ﷺ شيئًا وكتموه وفرحوا بذلك وأحبوا الحمد عليه، أو في أهل خيبر كذبوا لما قالوا للنبي ﷺ: نحن على ما أنت عليه وفرحوا بذلك وأحبوا الحمد عليه، أقوال رابعها لابن عباس وأولها لأبي سعيد الخدري.

﴿وَلِله مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: 189] خزائن المطر والرزق والنبات وغير ذلك، ﴿والله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فينجي المؤمنين ويعذب الكافرين.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: 190] وما فيهما من العجائب ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ في المقادير والساعات والمجيء والذهاب والضياء والظلمة والحر والبرد ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلالات واضحة على عظم قدرة الله ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا

سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩١ - ١٩٥].

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ الله قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 191] مضطجعين؛ أي: في سائر أحوالهم، وقيل: يصلون كذلك بحسب الطاقة، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا﴾ أي: يا ربنا ﴿مَا خَلَقْتَ هَذَا﴾ الخلق الذي نراه ﴿بَاطِلًا﴾ عبثًا أي: بل دليلاً على قدرتك ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهًا لك عن العبث ﴿فقِنَا﴾ أي: خل بيننا واصرف عنا ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ [آل عمران: 192] أذللته، وهذا في حق من لا يخلد ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ شفعاء يمنعونهم من عذاب النار.

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ [آل عمران: 193] أي: نادى منادٍ، وهل هو القرآن أو النبي ﷺ؟ قولان متقاربان ﴿يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ إليه ﴿أَنْ آمِنُوا﴾ بأن آمنوا ﴿بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ فلا تظهرها بالعقاب عليها ﴿وَتَوَفَّنَا﴾ أي: أقبض أرواحنا ﴿مَعَ﴾ في جملة ﴿الْأَبْرَارِ﴾ الأنبياء والصالحين.

﴿رَبَّنَا وَآتِنَا﴾ [آل عمران: 194] أعطنا ﴿مَا وَعَدْتَنَا﴾ به ﴿عَلَى﴾ ألسنة ﴿رُسُلِكَ﴾ من فضلك ورحمتك، سألوه مع علمهم إن الله لا يخلف وعده تذللاً لله واستكانة له، ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ الموعد بالبعث والجزاء.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي﴾ [آل عمران: 195] أي: بسبب أني ﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ﴾ فالكل سواء فيما يتعلق بالمقابلة على الأعمال، وإن فضل في بعض الأحوال الرجال ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ﴾ كائن ﴿مِنْ بَعْضٍ﴾ أي: الذكور من الإناث، وبالعكس، نزلت لما قالت أم سلمة: يا رسول الله، لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ من مكة إلى المدينة ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا

﴿فِي سَبِيلِي﴾ أي: في دين الإسلام بالجهاد ونحوه ﴿وَقَاتَلُوا﴾ الكفار ﴿وَقُتِلُوا﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف: وقتلوا وقاتلوا، بتقديم قتلوا، وكذلك في «التوبة»: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: 111] بتقديم الفعل المجهول فيهما والباقون بتأخيره، قرأ ابن كثير وابن عامر بتشديد التاء من «قتلوا» هنا.

وفي «الأنعام»: ﴿قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهاً﴾ [الأنعام: 140] والباقون بالتخفيف ﴿لأُكَفِّرَنَّ عَنهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي: أسترها بالمغفرة، ﴿وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ الله والله عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ الجزاء، ونزل لما قال المسلمون: أعداء الله فيما نرى من الخير ونحن في الجهد.

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٦ - ٢٠٠].

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ [آل عمران: 196] رواه رويس بتخفيف النون وسكونها، وكذلك: «يحطمنكم» في النمل، و«يستخفنك» في الروم، فإما تذهبن بك أو «نرينك»، وكذا «ينزغنك» في الأعراف، كما رواه أبو حاتم عن يعقوب وانفرد أبو العلاء بتخفيف ﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ والباقون بشدها ﴿تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ في الأرض واكتسابهم فيها ونحو ذلك.

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ [آل عمران: 197] أي: هو بلغة قليلة فانية ومتعة زائلة، يتمتعون به في الدنيا ويذهب ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ الفراش هي.

﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا﴾ [آل عمران: 198] جزاءً وثوابًا؛ وهو ما يعد للضيف ﴿مِنْ عِنْدِ الله وَمَا عِنْدَ الله خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ من الدنيا وما فيها.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ﴾ [آل عمران: 199] نزلت في النجاشي أو عبد الله بن سلام وصحبه، قولان ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ وهو: القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ من التوراة والإنجيل ﴿خَاشِعِينَ﴾ متواضعين ﴿لِله لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾ التي عندهم في التوراة والإنجيل من نعت محمد ﷺ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا بأن يكتموها خوفًا على الرئاسة كفعل غيرهم من اليهود ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الصفة ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يؤتونه مرتين كما في القصص ﴿إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ [آل عمران: 200] على الدين ﴿وَصَابِرُوا﴾[1] العدو من الكفار فلا يكونوا أشد صبرًا منكم ﴿وَرَابِطُوا﴾ داوموا وأثبتوا ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ في جميع أحوالكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ بالنجاة من النار وتفوزون بالجنة.

---

(1) قال البغوي في «تفسيره»: قال الحسن: اصبروا على دينكم ولا تدعوه لشدة ولا رخاء، وقال قتادة: اصبروا على طاعة الله، وقال الضحاك ومقاتل بن سليمان: على أمر الله، وقال مقاتل بن حيان: على أداء فرائض الله تعالى، وقال زيد بن أسلم: على الجهاد، وقال الكلبي: على البلاء، وصابروا يعني: الكفار، ورابطوا يعني: المشركين، قال أبو عبيدة، أي داوموا واثبتوا، والربطُ الشَّدُّ، وأصل الرباط أن يربط هؤلاء خيولهم، وهؤلاء خيولهم، ثم قيل: لكل مقيم في ثغر يدفعُ عمن وراءه، وإن لم يكن له مركب، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، نا أحمد بن عبد الله النعيمي، نا محمد بن يوسف، نا محمد بن إسماعيل، نا عبد الله بن منير، سمع أبا النضر، نا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد الساعدي، أن رسول الله ﷺ قال: «**رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها، وموضع سَوط أحدكم من الجنة خيرٌ من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها**» أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، أخبرنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي، أخبرنا عبد الله بن محمد بن مسلم أبو بكر الجُورْبَذي، أنا يونس بن عبد الأعلى، أنا ابن وهب، أخبرني عبد الرحمن بن شريح، عن عبد الكريم بن الحارث، عن أبي عبيدة بن عقبة، عن شرحبيل بن السِّمط عن سلمان الخير أن رسول الله ﷺ قال: «**من رابط يومًا وليلة في سبيل الله كان له أجرُ صيام شهر مقيم، ومن مات مرابطًا جرى له مثل ذلك الأجر، وأجري عليه من الرزق، وأُمن من الفتان**» وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: لم يكن في زمان النبي ﷺ غزو يرابط فيه، ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة، ودليل هذا التأويل ما أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، نا زاهر بن أحمد الفقيه، نا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، نا أبو مصعب، عن مالك، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أخبركم بما يمحو الله الخطايا ويرفع به الدرجات؟ إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط**».

سورة النساء(1)

مدنية وهي مائة وخمس أو ست أو سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ① وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ② وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ

---

(1) الجمهور على أن هذه السورة مدنية إلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾، وقال النحاس: مكية، وقال النقاش: نزلت عند الهجرة من مكة إلى المدينة. انتهى. ولا خلاف أنّ فيها ما نزل بالمدينة. وفي البخاري: آخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الكَلالَةِ﴾ ومناسبة هذه السورة لما قبلها أنه تعالى لما ذكر أحوال المشركين والمنافقين وأهل الكتاب والمؤمنين أولي الألباب، ونبه تعالى بقوله: ﴿أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم﴾ على المجازاة، وأخبر أنَّ بعضهم من بعض في أصل التوالد، نبه تعالى في أول هذه السورة على إيجاد الأصل، وتفرَّع العالم الإنساني منه ليحث على التوافق والتواد والتعاطف وعدم الاختلاف، ولينبه بذلك على أنّ أصل الجنس الإنساني كان عابدًا لله مفرده بالتوحيد والتقوى، طائعًا له، فكذلك ينبغي أن تكون فروعه التي نشأت منه، فنادى تعالى: دعاء عامًا للناس، وأمرهم بالتقوى التي هي ملاك الأمر، وجعل سببًا للتقوى تذكاره تعالى إياهم بأنه أوجدهم وأنشأهم من نفس واحدة، ومن كان قادرًا على مثل هذا الإيجاد الغريب الصنع وإعدام هذه الأشكال والنفع والضر فهو جدير بأنْ يتقي، ونبه بقوله: ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ على ما هو مركوز في الطباع من ميل بعض الأجناس إلى بعض، وألف له دون غيره؛ ليتألف بذلك عباده على تقواه، والظاهر في الناس: العموم؛ لأن الألف واللام فيه تفيده، وللأمر بالتقوى وللعلة؛ إذ ليسا مخصوصين بل هما عامان، وقيل: المراد بالناس أهل مكة، كان صاحب هذا القول ينظر إلى قوله: ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ لأن العرب هم الذين يتساءلون بذلك.

أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَءَاتُوا ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ ﴾ [النساء: ١ - ٥].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ [النساء: 1] أي: عقابه بطاعته ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني: آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني: حواء - بالمد - من ضلعه الأيسر ﴿وَبَثَّ﴾ نشر وفرق ﴿مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ قرأ الكوفيون: «تسألون به» بالتخفيف والباقون بالتشديد، وهل المعنى: تعاطفون أو تعاهدون أو تخلفون أو تتناشدون به؟ أقوال متقاربة ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ قرأ حمزة بالخفض؛ أي: وبالأرحام، والباقون بالنصب؛ أي: واتقوا الأرحام أن تقطعوها، وكانوا يتناشدون بالرحم ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ حافظًا لأعمالكم فيجازيكم؛ أي: لم يزل متصفًا بذلك، ونزل في يتيم طلب من وليه ماله فمنعه.

﴿وَآتُوا الْيَتَامَى﴾ [النساء: 2] الصغار الذين لا أب لهم ﴿أَمْوَالَهُمْ﴾ إذا بلغوا ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ أي: لا تأخذوا الحرام الذي هو الخبيث وتدفعوا مكانه الحلال الذي هو طيب ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ أي: مع أموالكم ﴿إِنَّهُ﴾ أي: المذكور في الآية من التبدل والضم ﴿كَانَ حُوبًا﴾ إثمًا ﴿كَبِيرًا﴾[1] عظيمًا، فتخرجوا من

---

(1) قال القرطبي في تفسيره: قال الله ﷻ: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً﴾ فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾ وأراد باليتامى الذين كانوا أيتامًا، كقوله: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ ولا سحر مع السجود، فكذلك لا يتم مع البلوغ، وكان يقال للنبي ﷺ: «يتيم أبي طالب» استصحابًا لما كان. ﴿وَآتُوا﴾ أي: أعطوا، والإيتاء الإعطاء، ولفلان أتو، أي: عطاء، أبو زيد: أتوت الرجل آتوه إتاوة، وهي الرشوة، واليتيم من لم يبلغ الحلم، وقد تقدم في البقرة مستوفى، وهذه الآية خطاب للأولياء والأوصياء، نزلت في قول مقاتل والكلبي في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم، فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه، فنزلت، فقال العم: نعوذ بالله من الحوب الكبير! ورد المال، فقال النبي ﷺ: «من يوق شح نفسه ورجع به هكذا فإنه يحل داره» يعني جنته، فلما قبض الفتى المال أنفقه في سبيل الله، فقال ﷺ: «ثبت الأجر وبقي الوزر»، فقيل: كيف يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «ثبت الأجر للغلام وبقي الوزر على والده» لأنه كان مشركًا.

الثانية: وإيتاء اليتامى أموالهم يكون بوجهين: أحدهما: إجراء الطعام والكسوة ما دامت الولاية؛

=

=

إذ لا يمكن إلا ذلك لمن لا يستحق الأخذ الكلي والاستبداد كالصغير والسفيه الكبير، **الثاني**: الايتاء بالتمكن وإسلام المال إليه، وذلك عند الابتلاء والإرشاد، وتكون تسميته مجازًا، المعنى: الذي كان يتيمًا، وهو استصحاب الاسم، كقوله تعالى: ﴿**وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ**﴾ أي: الذين كانوا سحرة، وكان يقال للنبي ﷺ: «يتيم أبي طالب»، فإذا تحقق الولي رشده حرم عليه إمساك ماله عنه وكان عاصيًا، وقال أبو حنيفة: إذا بلغ خمسًا وعشرين سنة أعطي ماله كله على كل حال؛ لأنه يصير جدًا، قلت: لما لم يذكر الله تعالى في هذه الآية إيناس الرشد وذكره في قوله تعالى: ﴿**وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ**﴾ قال أبو بكر الرازي الحنفي في أحكام القرآن: لما لم يقيد الرشد في موضع وقيد في موضع وجب استعمالهما، فأقول: إذا بلغ خمسًا وعشرين سنة وهو سفيه لم يؤنس منه الرشد، وجب دفع المال إليه، وإن كان دون ذلك لم يجب، عملاً بالآيتين، وقال أبو حنيفة: لما بلغ رشده صار يصلح أن يكون جدًا فإذا صار يصلح أن يكون جدًا فكيف يصح إعطاؤه المال بعلة اليتم وباسم اليتيم؟ ! وهل ذلك إلا في غاية البعد؟، قال ابن العربي: وهذا باطل لا وجه له، لا سيما على أصله الذي يرى المقدرات لا تثبت قياسًا وإنما تؤخذ من جهة النص، وليس في هذه المسألة، وسيأتي ما للعلماء في الحجر إن شاء الله تعالى.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ**﴾ أي: لا تتبدلو الشاة السمينة من مال اليتيم بالهزيلة، ولا الدرهم **الطيب** بالزيف، وكانوا في الجاهلية لعدم الدين لا يتحرجون عن أموال اليتامى، فكانوا يأخذون **الطيب** والجيد من أموال اليتامى ويبدلونه بالرديء من أموالهم، ويقولون: اسم باسم ورأس برأس، فنهاهم الله عن ذلك، هذا قول سعيد بن المسيب والزهري والسدي والضحاك وهو ظاهر الآية، وقيل: المعنى لا تأكلوا أموال اليتامى وهي محرمة خبيثة وتدعوا **الطيب** وهو مالكم، وقال مجاهد وأبو صالح وباذان: لا تتعجلوا أكل **الخبيث** من أموالهم وتدعو انتظارًا الرزق الحلال من عند الله، وقال ابن زيد: كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والصبيان ويأخذ الأكبر الميراث، عطاء: لا تربح يتيمك الذي عندك وهو غر صغير، وهذان القولان خارجان عن ظاهر الآية، فإنه يقال: تبدل الشيء بالشيء أي أخذه مكانه، ومنه البدل.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ**﴾ قال مجاهد: وهذه الآية ناهية عن الخلط في الإنفاق، فإن العرب كانت تخلط نفقتها بنفقة أيتامها فنهوا عن ذلك، ثم نسخ بقوله: ﴿**وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ**﴾ وقال ابن فورك عن الحسن: تأول الناس في هذه الآية النهى عن الخلط فاجتنبوه من قبل أنفسهم فخفف عنهم في آية البقرة، وقالت طائفة من المتأخرين: إن «إلى» بمعنى مع، كقوله تعالى: ﴿**مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ**﴾ وقال الحذاق: «إلى» على بابها وهي تتضمن الإضافة؛ أي: لا تضيفوا أموالهم وتضموها إلى أموالكم في الأكل، فنهوا أن يعتقدوا أموال اليتامى كأموالهم فيتسلطوا عليها بالأكل والانتفاع.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً**﴾ ﴿**إِنَّهُ**﴾ أي: الأكل ﴿**كَانَ حُوباً كَبِيراً**﴾ أي: إثمًا كبيرًا، عن ابن عباس والحسن وغيرهما، يقال: حاب الرجل يحوب حوبًا إذا أثم، وأصله الزجر

=

ولاية اليتامى عند نزولها.

وكان فيهم من تحته العَشر أو الثمان من الأزواج فلا يعدل بينهن فنزل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا﴾ [النساء: 3] تعدلوا ﴿فِي الْيَتَامَى﴾ إذا نكحتموهن ﴿فَانْكِحُوا﴾ تزوجوا ﴿مَا﴾ بمعنى: مَن ﴿طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ أي: اثنين اثنين، وثلاثًا ثلاثًا إلى آخره؛ والمعنى: إما مثنى وإما ثلاث وإما رباع ولا زيادة على أربعة، وانعقد الإجماع على ذلك.

نزلت؛ لأن اليتيمة ربما كانت عند الرجل لها مال وجمال فيحب أن يتزوجها، ولا يعدل في مالها فنهوا عن زواجها إلا أن يعدلوا معها في المال والعشرة، وأمروا إذا خافوا من عدم العدل بنكاح سواها، وبين عددهن خشية الإلباس، واستفيد من اقتران ذكر اليتامى بنكاح النساء الأمر بالعدل؛ لأن الرجل كان تحته العشر أو الثمان من الأزواج فلا يعدل بينهن؛ فكأن المعنى: وإن خفتم في اليتامى فتحرجتم من أمورهم فخافوا أيضًا ألَّا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن، وفيه تسوية ما بين الحقين في لزوم العدل لضعف كل من المرأة واليتيم.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ إذا تزوجتم أكثر من واحدة بينهن بالنفقة والقسم ﴿فَوَاحِدَةً﴾ بالنصب لكل القراء؛ أي: فانكحوا واحدة، إلا أبو جعفر فقرأ بالرفع على معنى: فواحدةٌ تكفي ﴿أَوْ﴾ اقتصروا على ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من الإماء فهن وإن كثرن أوفق من امرأتين﴿ذَلِكَ﴾ أي: نكاح الأربعة فقط أو الواحدة أو التسري ﴿أَدْنَى﴾ أوب أن ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾ تميلوا عن الحق أو تجوروا غالبًا.

=

للإبل، فسمي الإثم حوبًا؛ لأنه يزجر عنه وبه، ويقال في الدعاء: اللهم اغفر حوبتي، أي: إثمي، والحوبة أيضًا الحاجة، ومنه في الدعاء: إليك أرفع حوبتي، أي: حاجتي، والحوب الوحشة، ومنه قوله ﷺ لأبي أيوب: «إن طلاق أم أيوب لحوب»، وفيه ثلاث لغات «حوبا» بضم الحاء وهي قراءة العامة ولغة أهل الحجاز، وقرأ الحسن «حوبا» بفتح الحاء، وقال الأخفش: وهي لغة تميم، مقاتل: لغة الحبش، والحوب المصدر، وكذلك الحيابة، والحوب الاسم، وقرأ أبي بن كعب «حابا» على المصدر مثل القال، ويجوز أن يكون اسمًا مثل الزاد، والحوأب بهمزة بعد الواو: المكان الواسع، والحوأب ماء أيضًا، ويقال: ألحق الله به الحوبة أي المسكنة والحاجة، ومنه قولهم: بات بحيبة سوء، وأصل الياء الواو، وتحوب فلان أي تعبد وألقى الحوب عن نفسه، والتحوب أيضًا التحزن، وهو أيضًا الصياح الشديد، كالزجر، وفلان يتحوب من كذا أي يتوجع.

﴿وَآتُوا﴾ [النساء: 4] أعطوا ﴿النِّسَاءَ﴾ الخطاب للأزواج، وقيل: للأولياء، نهوا أن يقتطعوا لأنفسهم شيئًا من صداق النساء إذا زوجوهن، وهو صحيح أيضًا ﴿صَدُقَاتِهِنَّ﴾ جمع: صداق أو صداقة؛ والمراد: مهورهن ﴿نِحْلَةً﴾ عطية عن طيب نفس ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ﴾ أي: من الذي أتيتموه لهن ﴿نَفْسًا﴾ أي: فإن طابت نفوسهن لكم عن شيء من الصداق فوهبنه لكم ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا﴾ سائغًا طيبًا ﴿مَرِيئًا﴾ محمود العاقبة، لا ضرر عليكم فيه في الآخرة، ونزلت الآية ردًا على من كره ذلك.

﴿وَلَا تُؤْتُوا﴾ [النساء: 5] أيها الأولياء ﴿السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ أي: أموالهم التي في أيديكم، ويصح أن يراد أموالكم التي لكم؛ والمراد: كل من بلغ غير صالح لدينه ولا دنياه ﴿الَّتِي جَعَلَ الله لَكُمْ قِيَامًا﴾ أي: يقوم لمعاشكم؛ لأنهم يضعونها في غير وجهها، قرأ ابن عامر «قيمًا» بلا ألف، وفي المائدة: «قيماً لِّلنَّاسِ» كذلك، وافقه نافع هنا، والباقون بالألف ﴿وَارْزُقُوهُمْ﴾ أي: أطعموهم ﴿فِيهَا﴾ منها ﴿وَاكْسُوهُمْ﴾ هذا غير واجب؛ لأن المال لاحقَّ فيه سوى الزكاة والمنذور كما علم في السنة ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ هو العدة الجميلة بالصدقة عليهم، وعِدُوهم بإعطاء أموالهم إذا رشدوا.

﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٦﴾ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٨﴾ ﴾ [النساء: ٦ - ٨].

﴿وَابْتَلُوا﴾ [النساء: 6] اختبروا ﴿الْيَتَامَى﴾ قبل البلوغ في دينهم وتصرفهم في أموالهم ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ أي: وقت النكاح؛ والمراد: الإنزال أو استكمال خمس عشرة سنة عندنا ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ﴾ عرفتم أو أبصرتم ﴿رُشْدًا﴾ صلاحًا في الدين والمال ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ أي: اليتامى ﴿أَمْوَالَهُمْ﴾ أمر وجوب، وهذا دليل قوي؛ لأن الآية في اليتامى ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا﴾ أيها الأولياء ﴿إِسْرَافًا﴾ أي: بغير حق ﴿وَبِدَارًا﴾

أي: مبادرة إليها ﴿أَنْ يَكْبَرُوا﴾ ويبلغوا؛ أي: لا تبادروا كبرهم ورشدهم حذرًا أن يكبروا فيأتي لزوم التسليم إليهم، ﴿وَمَنْ كَانَ﴾ من الأولياء ﴿غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ فلا يجوز له أن يأكل من مال اليتيم، ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ﴾ منه ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر الحاجة.

فيجب على الولي حفظ مال الطفل، وصونه عن أسباب التلف واستنماؤه؛ لئلا يفنى من الزكاة والنفقة، وذلك بشراء ما يرجى فيه ربح من غير ركوب خطر، وإذا تضجر بحفظه رفع الأمر إلى القاضي؛ لينصب قيمًا بأجرة إن لم يجد متبرعًا، وله أن ينصب نفسه قيمًا بأجرة بشرط ألا يجد متبرعًا أيضًا، فإن كان فقيرًا وانقطع عن كسبه بسبب مال الطفل فله أن يأكل منه بالمعروف؛ وهو الأقل من كفايته وأجرة مثل عمله ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: اليتامى ﴿أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ أنهم تسلموها، وقد برئتم لئلا يقع اختلاف فيرجع للبينة وهو ندب، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ محاسبًا مجازيًا.

﴿لِلرِّجَالِ﴾ [النساء: 7] الأولاد الأقرباء ﴿نَصِيبٌ﴾ حظ ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ المتوفون ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ نزلت هذه الآية؛ لأنهم كانوا في الجاهلية يورثون الذكور دون الإناث فقررت إرثهما معًا قل المال أو كثر﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾ أي: من المتروك ﴿أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾[1] مقطوعًا بتسليمه لهم.

---

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾ فيه خمس مسائل:

الأولى: لما ذكر الله تعالى أمر اليتامى وصله بذكر المواريث، ونزلت الآية في أوس بن ثابت الأنصاري، توفي وترك امرأة يقال لها: أم كجة وثلاث بنات له منها، فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه يقال لهما: سويد وعرفجة، فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته وبناته شيئًا، وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وإن كان ذكرًا، ويقولون: لا يعطى إلا من قاتل على ظهور الخيل، وطاعن بالرمح، وضارب بالسيف، وحاز الغنيمة، فذكرت أم كجة ذلك لرسول الله ﷺ فدعاهما، فقالا: يا رسول الله، ولدها لا يركب فرسًا، ولا يحمل كلا ولا ينكأ عدوًا، فقال ﷺ: «**انصرفا حتى أنظر ما يحدث الله لي فيهن**»، فأنزل الله هذه الآية ردًا عليهم، وإبطالاً لقولهم وتصرفهم بجهلهم، فإن الورثة الصغار كان ينبغي أن يكونوا أحق بالمال من الكبار؛ لعدم تصرفهم والنظر في مصالحهم، فعكسوا الحكم، وأبطلوا الحكمة فضلوا بأهوائهم، وأخطئوا في آرائهم وتصرفاتهم.

الثانية: قال علماؤنا: في هذه الآية فوائد ثلاث: **إحداها**: بيان علة الميراث وهي القرابة، **الثانية**: عموم القرابة كيفما تصرفت من قريب أو بعيد، **الثالثة**: إجمال النصيب المفروض، وذلك مبين في آية المواريث، فكان في هذه الآية توطئة للحكم، وإبطال لذلك الرأي الفاسد حتى وقع البيان الشافي.

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ [النساء: 8] أي: قسمة التركات ﴿أُولُو الْقُرْبَى﴾ أصحاب القرابات ممن لا يرث ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ أي: ادفعوا لهم من المتروك في التركة شيئًا قبل القسمة، ﴿وَقُولُوا﴾ أيها الأولياء ﴿لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ أي:

الثالثة: ثبت أن أبا طلحة لما تصدق بماله - بئر حاء - وذكر ذلك للنبي ﷺ قال له: «**اجعلها في فقراء أقاربك**» فجعلها لحسان وأُبي، قال أنس: وكانا أقرب إليه مني، قال أبو داود: بلغني عن محمد بن عبد الله الأنصاري أنه قال: أبو طلحة الأنصاري زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، وحسان بن ثابت بن المنذر بن حرام يجتمعان في الأب الثالث وهو حرام، وأبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، قال الأنصاري: بين أبى طلحة وأبي ستة آباء، قال: وعمرو بن مالك يجمع حسان وأبي بن كعب وأبا طلحة، قال أبو عمر: في هذا ما يقضي على القرابة أنها ما كانت في هذا القعدد ونحوه، وما كان دونه فهو أحرى أن يلحقه اسم القرابة.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾ أثبت الله تعالى للبنات نصيبًا في الميراث ولم يبين كم هو، فأرسل النبي ﷺ إلى سويد وعرفجة ألا يفرقا من مال أوس شيئًا، فإن الله جعل لبناته نصيبًا ولم يبين كم هو حتى أنظر ما ينزل ربنا، فنزلت ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ﴾ إلى قوله تعالى ﴿الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ فأرسل إليهما «**أن أعطيا أم كجة الثمن مما ترك أوس، ولبناته الثلثين، ولكما بقية المال**».

الخامسة: استدل علماؤنا بهذه الآية في قسمة المتروك على الفرائض إذا كان فيه تغيير عن حاله، كالحمام والبيت وبيدر الزيتون والدار التي تبطل منافعها بإقرار أهل السهام فيها، فقال مالك: يقسم ذلك وإن لم يكن في نصيب أحدهم ما ينتفع به، لقوله تعالى: ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾ وهو قول ابن كنانة، وبه قال الشافعي، ونحوه قول أبي حنيفة، قال أبو حنيفة: في الدار الصغيرة بين اثنين فطلب أحدهما القسمة وأبى صاحبه قسمت له، وقال ابن أبي ليلى: إن كان فيهم من لا ينتفع بما يقسم له فلا يقسم، وكل قسم يدخل فيه الضرر على أحدهما دون الآخر فإنه لا يقسم، وهو قول أبي ثور، قال ابن المنذر: وهو أصح القولين، ورواه ابن القاسم عن مالك فيما ذكر ابن العربي، قال ابن القاسم: وأنا أرى أن كل ما لا ينقسم من الدور والمنازل والحمامات، وفي قسمته الضرر ولا ينتفع به إذا قسم، أن يباع ولا شفعة فيه، لقوله ﷺ: «**الشفعة في كل ما لا يقسم فإذا وقعت الحدود فلا شفعة**»، فجعل ﷺ الشفعة في كل ما يتأتى فيه إيقاع الحدود، وعلق الشفعة فيما لم يقسم مما يمكن إيقاع الحدود فيه، هذا دليل الحديث، قلت: ومن الحجة لهذا القول ما خرجه الدارقطني من حديث ابن جريج أخبرني صديق بن موسى عن محمد بن أبي بكر عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تعضية على أهل الميراث الا ما حمل القسم**»، قال أبو عبيد: هو أن يموت الرجل ويدع شيئًا إن قسم بين ورثته كان في ذلك ضرر على جميعهم أو على بعضهم، يقول: فلا يقسم، وذلك مثل الجوهرة والحمام والطيلسان وما أشبه ذلك، والتعضية التفريق، يقال: عضيت الشيء إذا فرقته.

عدوهم عدة جميلة إن كان الورثة صغارًا؛ كقولكم: هذه لصغار ولا نملكه، وقيل الضمير في ﴿ارْزُقُوهُمْ﴾ عائد على ذوي القربى، وفي ﴿وَقُولُوا لَهُمْ﴾ عائد على اليتامى والمساكين، والأمر بإيتاء من لاحق له في التركة منسوخ بقوله: ﴿يُوصِيكُمُ الله فِي أَوْلادِكُمْ﴾ [النساء: 11].

﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ﴾ [النساء: ٩ - ١١].

﴿وَلْيَخْشَ﴾ [النساء: 9] أي: ليخف على اليتامى ﴿الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا﴾ أي: قاربوا أن يتركوا ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من بعد موتهم ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَافًا﴾ أولادًا صغارًا ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ الضياع ﴿فَلْيَتَّقُوا الله﴾ في أمر اليتامى ﴿وَلْيَقُولُوا﴾ للميت، أو المراد ما هو أعم ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ صدقًا أو صوابًا، نزلت في الحض على الوصية للفقراء قبل نزول آية المواريث ثم نسخت بها، وقيل: نزلت في القيام بأموال اليتامى وفي نهي ولاة أموالهم عن تضييعها، بل يفعلون معهم ما يحبون أن يفعل في أموال أولادهم بعدهم، وهو الأقرب.

ويدل له قوله بعده: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ [النساء: 10] تعديًا ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ لأنه يصير إلى النار ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ يدخلون ويلزمون نارًا شديدة تحرقهم، قرأ ابن عامر وأبو بكر بضم الياء والباقون بفتحها.

﴿يُوصِيكُمُ﴾ [النساء: 11] يأمركم ﴿الله فِي﴾ شأن ﴿أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ﴾ نصيب ﴿الْأُنْثَيَيْنِ﴾ إذا اجتمعتا معه فله نصف المال ولهما نصف، فإن كان معه واحدة فلها الثلث وله الثلثان، وإن انفرد حاز المال ﴿فَإِنْ كُنَّ﴾ أي: الأولاد ﴿نِسَاءً﴾ فقط ليس

معهن ذكر ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ وكذا الابنتان كالأختين بل أولى، وقيل: ﴿فَوْقَ﴾ صلة، أو تدفع توهم زيادة النصيبين بزيادة العدد؛ لأنه لما فهم استحقاق الثنتين للثلثين، وجعل الثلث للواحدة مع الذكر خشي من توهم ذلك.

﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ المولودة ﴿وَاحِدَةً﴾ قرأ المدنيان برفع «واحدةٌ» والباقون بالنصب ﴿فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ﴾ أي: الميت ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ ذكرًا أو أنثى كما دلت عليه السنة، وألحق بالولد ولد الابن وبالأب الجد ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ﴾ أي: واحد منهما ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾ فقط أو مع زوج ﴿فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ أي: ثلث المال، أو ثلث ما يبقى بعد الزوج والباقي للأب، قرأ حمزة والكسائي: «فلأمه الثلث» «فلأمه السدس» «في أمها رسولا» في القصص، «في أم الكتاب» في الزخرف بكسر الهمزة في الأربعة اتباعًا لحركة الميم المدغم فيها، ولذلك لا يكسر أنها في الأخيرين إلا وصلاً فلو ابتداء ضماها، وقرأ حمزة بكسر الميم والهمزة وصلاً في «النحل» «في بطون أمهاتكم» و«الزمر» و«النجم» وقوله تعالى: «أو بيوت أمهاتكم» في النور، وكسر الكسائي الهمزة وحدها وصلاً، فإن ابتداء فبالضم، والباقون كذلك في الكلم الست.

﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ من أبوين أو أب وأم، وإن لم يرثا مع الأب كما دلت عليه السنة والأخوان كالإخوة حملاً لأقل الجمع على اثنين ﴿فَلِأُمِّهِ﴾ معهم ﴿السُّدُسُ﴾ والباقي للأب ولا شيء للإخوة، وإرث من ذكر ما ذكر ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ تنفيذ ﴿وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ﴾ قضاء ﴿دَيْنٍ﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر: «يوصى بها» في الموضعين بفتح الصاد، ووافقهم حفص في الأخير والباقون بكسر الصاد فيهما.

﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ أي: الوارثون آباؤكم وأبنائكم ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ في الدنيا والآخرة، فقد يظن واحد أن ابنه أنفع له فيعطيه الميراث فيكون الأب أنفع وبالعكس، وإنما العالِم بذلك الله سبحانه ففرض لكم المواريث ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفًا بذلك.

﴿ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ

فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النساء: ١٢].

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ [النساء: 12] ذكر أو أنثى منكم أو من غيركم ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ وألحق بالولد في ذلك ولد الابن إجماعًا ﴿وَلَهُنَّ﴾ أي: الزوجات تعددن أم لا ﴿الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ﴾ منهن أو من غيرهن ﴿فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ وولد الابن كالولد في ذلك إجماعًا.

﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ﴾ أي: أو امرأة تورث كلالة نزلت في ميراث الإخوة للأم، وفي آخر السورة فيمن سواهم من الإخوة، ولذلك قرأ ابن مسعود هنا: «وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمٍّ» والقراءة الشاذة كخبر الآحاد ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ﴾ مما ترك ﴿فَإِنْ كَانُوا﴾ أي: الإخوة والأخوات من الأم ﴿أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ من أخ وأخت ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ ذكرهم وأنثاهم سواء ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا﴾ الميت ﴿أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ أي: لا يضار الميت في وصيته الورثة بأن يوصي بأكثر من الثلث ﴿وَصِيَّةً مِنَ اللهِ واللهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ وخصت السنة توريث من ذكر ممن ليس فيه مانع من قتل أو اختلاف دين أو رق.

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى

ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾ [النساء: ١٣ - ١٦].

﴿تِلْكَ﴾ [النساء: 13] الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللهِ﴾ شرائعه التي حدها لعباده ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيما حكم به ﴿يُدْخِلْهُ﴾ قرأ المدنيان وابن عامر «ندخله جنات» و«ندخله نارًا» هنا، و«نعذبه» في الفتح، و«تكفر عنه» و«ندخله» في الطلاق بالنون، والباقون بالياء ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ﴾ الظفر ﴿الْعَظِيمُ﴾.

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: 14] له.

﴿وَاللَّاتِي﴾ [النساء: 15] هو اسم لجمع النسوة ﴿يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ﴾ الزنا ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾ أي: من المسلمين ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾ عليهن بها ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾ وامنعوهن من الخروج ومخالطة الناس ﴿حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾ أي: ملائكته ﴿أَوْ﴾ إلى أن ﴿يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ طريقًا إلى الخروج، قال النبي ﷺ: «**قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ سَنَةٍ وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ الرَّجْمُ**»[1] وكان في صدر الإسلام يحبس من زنا إلى أن يموت ثم نسخ بما ذكر.

﴿وَاللَّذَانِ﴾ [النساء: 16] قرأ ابن كثير: «اللذان» و«هذان» و«هاتين» و«فذانك» و«اللذين أضلانا» بتشديد النون في الخمسة، وافقه أبو عمرو ورويس في «فذانك» والباقون بالتخفيف فيهن ﴿يَأْتِيَانِهَا﴾ أي: الفاحشة؛ الزنا واللواط ﴿مِنْكُمْ﴾ أي: من الرجال ﴿فَآذُوهُمَا﴾ بالشتم والضرب كالتعزيز ﴿فَإِنْ تَابَا﴾ منها ﴿وَأَصْلَحَا﴾ العمل ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ اتركوا أذاهما ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ ونسخ ذلك كله إلى بدل أثقل، وهو الحد السابق رعاية لمصلحة الناس، وإلا فسدت نساؤهم وأبناؤهم، وإن أريد بالآية اللواط فكذا عند الشافعي، لكن المفعول به لا يرجم وإن أحصن بل يجلد ويغرب.

---

(1) رواه مسلم (305/11).

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًاۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [النساء: ١٧ - ٢٠].

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى الله﴾ [النساء: 17] أي: عنده ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ﴾ المعصية ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ باختيار اللذة الفانية على الطاعة ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ﴾ زمن ﴿قَرِيبٍ﴾ قبل الغرغرة ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ الله عَلَيْهِمْ﴾ يقبل توبتهم ﴿وَكَانَ الله عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [النساء: 18] الذنوب ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ بأن أخذ في النزع ووجدت الغرغرة ﴿قَالَ﴾ عند مشاهدة ما هو فيه: ﴿إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ فلا ينفعه ذلك ولا يقبل منه ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ فلا توبة لهم ولو تابوا عند معاينة عذاب الآخرة لم يقبل منهم؛ لأنهم مخلدون في النار ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين ماتوا على الكفر أو تابوا وقت الغرغرة ﴿أَعْتَدْنَا﴾ هيأنا وأعددنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وما اقتضت الآية من أن من مات ولم يتب يقطع له بالعذاب، نسخ بقوله: ﴿إِنَّ الله لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: 48].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ﴾ [النساء: 19] أي: ذاتهن فتتصرفوا فيهن بما أردتم ﴿كَرْهًا﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف: «كُرهًا» هنا وفي التوبة والأحقاف بضم الكاف، وافقهم في الأحقاف عاصم ويعقوب وابن ذكوان وهشام بخلاف عنه، والباقون بالفتح في الثلاثة، نزلت؛ لأن الرجل كان إذا مات في الجاهلية عن زوجة وابن من غيرها أو قريب من العصبة أتى الابن أو القريب، ويلقي ثوبه على

تلك المرأة أو على خبائها فيصير أحق بها، ويتخير القريب فإن شاء نكحها بما نكحها به الميت وإن شاء عضلها [1]، وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها حتى تفتدي بما ورثته، أو تموت فيرثها، فلما توفي أبو قيس الأنصاري خلف زوجته بنت معن فجاء ولده من غيرها ففعل ذلك، فشكت إلى رسول الله ﷺ فأمرها بالإقامة في بيتها حتى يأتي أمر الله، فنزلت.

﴿وَلَا﴾ أن ﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾ خطاب للأزواج ﴿لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهر فهو نهي عن إساءة الرجل صحبة زوجته لتفتدي منه ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ ظاهرة معلومة لكم؛ وهي: الزنا أو النشوز، وعليه للزوج أن يقول لها: إما أن ترضي بحالي أو تفتدي بشيء.

قرأ ابن كثير وأبو بكر: «مبينة» و«مبينات» حيث وقعا بفتح الياء وافقهما في «مبينات» المدنيان والبصريان، والباقون بالكسر ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالإجمال في القول والمبيت والنفقة ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ فاصبروا ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ولعله يجعل ذلك فيهن بأن يرزقكم منهن ولدًا صالحًا.

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ﴾ [النساء: 20] أي: امرأة بدل أخرى بأن طلقتموها، والزوج يستعمل في الذكر والأنثى ﴿وَ﴾ قد ﴿آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ﴾ أي: الزوجات ﴿قِنْطَارًا﴾ صداقًا ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ﴾ أي: الشيء ﴿بُهْتَانًا﴾ باطلاً وظلمًا ﴿وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ ظاهرًا بيّنًا.

﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى

(1) أي: حبسها.

دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [النساء: ٢١ - ٢٣].

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ [النساء: 21] أي: بأي وجه ﴿وَقَدْ أَفْضَى﴾ وصل ﴿بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ بالمجامعة المقدرة للمهر ﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا﴾ عهدًا ﴿غَلِيظًا﴾ شديدًا؛ وهي كلمة النكاح التي استحل بها الفرج، أو ميثاقًا بالمعاشرة بالمعروف أو التسريح بإحسان.

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا﴾ [النساء: 22] بمعنى من ﴿نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا﴾ لكن ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في الجاهلية من فعلكم ذلك فهو معفو عنه ﴿إِنَّهُ﴾ أي: نكاح ما نكحه الآباء ﴿كَانَ فَاحِشَةً﴾ والفاحشة أقبح الذنب ﴿وَمَقْتًا﴾ هو أشد البغض من الله ومن الناس ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ وبئس طريقًا ذلك.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ [النساء: 23] أي: نكاح أمهاتكم؛ وهي كل أنثى ولدتك أو ولدت من ولدك، فيشمل الجدات من قِبل الأب والأم ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ وهي كل أنثى ولدتها أولدت من ولدتها؛ كبنت بنت وبنت ابن وإن سفل كل من ذكر، ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ من قِبل الأب والأم ومن قبل أحدهما ﴿وَعَمَّاتُكُمْ﴾ أخوات آبائكم وأجدادكم ﴿وَخَالَاتُكُمْ﴾ أخوات أمهاتكم وجداتكم ﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ﴾ يدخل فيهن بنات أولاد الأخ وإن سفلن ﴿وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ يدخل فيهن بنات أولاد الأخت وإن سفلن هذا ما يحرم من النكاح ويحرم من الرضاع ما ذكره بقوله: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ﴾ بشرط أن يكون الرضاع قبل الحولين وإن توجد خمس رضعات، وصح في السنة: «**يَحْرُمُ مِنْ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنْ النَّسَبِ**»[1] فيلحق بذلك البنات من الرضاعة والعمَّات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت منها، وتفصيله في الفروع.

ويحرم من المصاهرة ما ذكره بقوله: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾ فتحرم أم الزوجة بمجرد العقد على بنتها ﴿وَرَبَائِبُكُمُ﴾ جمع: ربيبة؛ وهي: بنت الزوجة من غيره ﴿اللَّاتِي

---

(1) رواه البخاري (9/433).

﴿فِي حُجُورِكُمْ﴾ أي: في تربيتكم، وهذا القيد خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له عند الشافعي وغالب العلماء ﴿مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ فإذا لم يدخل بأم امرأة بأن عقد عليها وطلقها قبل الدخول حلّت بنتها، والفرق بينها وبين الأم أن البنت لا تسمح بالزوج لأمها بخلاف الأم ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: لا حرج في نكاح بناتهن إذ فارقتموهن ﴿وَحَلَائِلُ﴾ أزواج ﴿أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ وإن سفلوا؛ كابن الابن من ابن أو بنت، وقيده بالأصلاب إشارة إلى من تبنى ابن لا تحرم عليه زوجته، وتحرم حليلة الأب بنفس العقد، كما أن حليلة الولد تحرم على الأب بنفس العقد وإن علا كل واحد منهما.

والزنا لا يثبت به حرمة عند الشافعي والجمهور ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ من نسب أو رضاع بالنكاح؛ فيحرم ذلك ولو بالوطء بملك اليمين، فلا يجوز أن يطأهما معًا فيه، ويلحق بالأختين بالسنة الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ لكن ما قد مضى في الجاهلية من نكاحكم بعض من ذكر فهو معفو عنه ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[1].

---

(1) قال القاضي أبو بكر بن العربي: فيها مسائل: **المسألة الأولى**: اعلم أن التحريم أو التحليل لا يتعلق بالأعيان، وإنما يتعلق بأفعال المكلفين من حركة وسكون؛ غير أن الأعيان لما كانت محلاً للأفعال، تعلق ذلك بهما على سبيل المجاز. قال ابن عباس: حرم الله تعالى في هذه الآية سبعاً من النسب، وسبعاً من الصهر، فقال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾. وثبت أن رسول الله ﷺ قال: «يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة». وثبت أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحرم المصة ولا المصتان، ولا الإملاجة ولا الإملاجتان». وقالت عائشة كان فيما قيل من القرآن: عشر رضعات محرمات، نسخ ذلك خمس رضعات، فتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأن من القرآن، فقال به الشافعي.

وأخذ مالك وأبو حنيفة بمطلق القرآن وقالا: إن المصة تحرم، ولأنه أحوط للفروج، وأخذ بعموم الرضاع. وقد اعترض الجويني من الشافعية هذا العموم وقال: إنما يستدل باللفظ العام، إذا سيق قصداً للعموم، أما إذا سيق لبيان الشيء فقط، فلا يستدل به على التعميم؛ ألا ترى أن الآية إنما سيقت لتبين وجه التحريم في المحرمات، ولم يقصد أن جميع ما ورد في الآية إنما ورد للعموم؛ وإلا لزم أن قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾، لا يتناول الجدات، وهو باطل.

المسألة الثانية: قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾، يقتضي تحريم الرضاع في أي وقت وقع، فيتناول رضاع الكبير؛ وبه تمسكت عائشة، واستدلت بأن سهلة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، كنا نرى سالماً ولداً، وكان يأوي معي ومع أبي حذيفة في بيت واحد، وقد =

=

أنزل الله ما علمت؛ فقال لها ﷺ: «أرضعيه خمس رضعات تحرمي عليه». فأرضعته فكان لها ولداً.
وجوابه: أن ذلك رخصة منه ﷺ لسهلة، وأيضا فإن الله تعالى قد بين وقت الرضاع فقال: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾، فبين زمانه الكامل، فتعين أن ما زاد على ذلك لا يعتبر. وأيضًا ففي الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء». وأما لبن الفحل، فإن يحرم لقوله ﷺ لعائشة في عمها من الرضاعة أفلح «إنه عمك فليسلم عليك». وبذلك قال الجمهور؛ وقال ابن المسيب والنخعي: لبن الفحل لا يحرم، لأن الله تعالى قال: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾، والفحل ليس بأم.
المسألة الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾، روي عن علي وجابر أن العقد على البنت لا يحرم الأم حتى يدخل بها، كما العكس. وقال الجمهور: العقد على البنت يحرم الأم، ولا تحرم البنت حتى يدخل بالأم.
تنبيه: قوله تعالى: ﴿اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾، قال الكوفيون: هذا الوصف يرجع إلى نسائكم في قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾.
قوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾، فعلى هذا لا تحرم البنت لمجرد العقد على الأم، ولا العكس، بل لا تحرم واحدة إلا بوطء الأخرى؛ وبذلك قال علي كما تقدم، وقال البصريون: هذا الوصف لا يعود إلا إلى أقرب مذكور، وهو قوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾، فبقي العقد على البنت محرماً للأم، لأن المرأة تسمى من النساء بمجرد العقد أيضاً؛ ولا تحرم البنت إلا بوطء الأم، لأن الله تعالى قرن الوصف في ذلك بالمرأة، وبه قال الجمهور؛ وتمسك البصريون بأن قالوا: رجوع الوصف إلى الموصوفين المختلفي العامل ممنوع، كالعطف على عاملين؛ وأجاز ذلك الكوفيون، ورأوا أن عامل الإضافة ليس كعامل الخفض؛ فإن عامل الإضافة اللام، وعامل الخفض هنا ((من)) فافترقا؛ وأيضاً فكلاهما عامل الخفض، وإنما يمتنع عندهم لو اختلف العاملان، فكان أحدهما عامل نصب والآخر عامل خفض؛ واعلم أن للخلاف هنا سبباً آخر، وهو أنه إذا تعارض التحليل والتحريم في الفروج، غلب التحريم؛ لكن لما انعقد الإجماع على أن تحريم البنت مشروط بوطء الأم، فرق الجمهور بين الأم والبنت.
المسألة الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ﴾ واحدة ربيبة فعيلة بمعنى مفعولة.
مأخوذة من ربها يربها، إذا تولى أمرها؛ وذكر الحجر ليس شرطاً، فإنه خرج مخرج الغالب.
وقوله: ﴿اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾، الدخول هنا الجماع، قاله الطبري والشافعي، وقال مالك وأبو حنيفة: المراد به مبادئ الوطء: من لمس وتقبيل، وقال عطاء وعبد الملك بن مروان: هو النظر بلذة، وقد اتفقت الأمة على أن الفروج إذا تعارض فيها تحليل وتحريم، فإنه يغلب التحريم؛ واختلف في الأموال أيهما يغلب فيها؟ والحليلة فعيلة بمعنى محلة. قالوا: والأبناء ثلاثة: ابن صلب، وابن رضاع، وابن تبن؛ وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قال: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»، وقد نسخ ابن التبني، بقوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ﴾، ولهذا قال تعالى: ﴿أَبْنَائِكُمُ
=

﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النساء: ٢٤ - ٢٥].

﴿وَ﴾ [النساء: 24] حرمت عليكم ﴿الْمُحْصَنَاتُ﴾ المزوجات ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ لا يحل لكم أن تتزوجوهن ما دمن في عصم أزواجهن حرائر مسلمات كن أو لا؛ أي: وبعد الطلاق إلى انقضاء العدة كما فهم من «البقرة» قرأ الكسائي: «والمحصنات» و«محصنات» حيث وقع بكسر الصاد سوى الأول من هذه؛ وهو: المحصنات من النساء والباقون بالفتح ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ بسبي في دار الحرب، فيجوز وطأهن بعد الاستبراء وإن كان لهن أزواج في دار الحرب؛ لأنه لا حرمة لذلك ونزلت لتجرح

الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ﴾.

المسألة الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ﴾، تعلق أبو حنيفة بهذا فقال: لا يجوز نكاح الأخت في عدة أختها، ولا نكاح خامسة في عدة رابعة، فإن ذلك جمع في أسباب الزوجية؛ ألا ترى أن العدة من أسبابها، فكأنها في حكم الزوجة، فيكون جامعاً بينهما في السبب، وإن لم يقع الجماع في الحل.

وجوابه: أن العدة براءة الرحم لسبب من أسباب الزوجية، وقوله: ﴿إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾، عند الجاهلية في نكاح أزواج الآباء؛ أما نكاح الأختين، فقد كان شرعاً لمن قبلنا ثم نسخ عندنا.

الصحابة في وطء السبايا ﴿كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي: الزموا كتاب الله.

﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ﴾ أي: تتزوجوا من النساء ﴿مَا وَرَاءَ﴾ ما عدا ﴿ذَلِكُمْ﴾ المذكورات، وقرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي وخلف وحفص: «وأُحِل» بضم الهمزة وكسر الحاء، والباقون بفتحها ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ تتطلبوا النساء ﴿بِأَمْوَالِكُمْ﴾ بصداق أو ثمن ﴿مُحْصِنِينَ﴾ متزوجين ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ زانين ﴿فَمَا﴾ تقديره: فمن ﴿اسْتَمْتَعْتُمْ﴾ تمتعتم ﴿بِهِ مِنْهُنَّ﴾ ممن تزوجتم بالوطء ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن التي فرضتم لهن، وهل المراد بالآية نكاح المتعة؟ كان حلالاً في الجاهلية فحرم ثم أُحل ثم حرم واستمر التحريم، أو المراد النكاح الصحيح؟ قولان ﴿فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ فلا إثم على المرأة والرجل إذا تراضيا على الإبراء من الصداق أو من جزء منه، أو على الاعتياض عنه، ومن يقول: إن الآية في نكاح المتعة؛ يقول: المراد أنه إذا نكحها - أي: الرجل - جاز له الزيادة في الأجل والمال إذا توافقا عليه ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا﴾ [النساء: 25] مهر حرة ﴿أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ الحرائر ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ جرى على الغالب فلا مفهوم له ﴿فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي: إمائكم المؤمنات، ولا يجوز نكاح أمة كتابية عندنا، ويجوز وطئها بملك اليمين ﴿والله أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ فلا تتعرضوا للباطن وخذوا بالظاهر، وكلوا السرائر إليه، فإنه العالم بتفاصيلها، ورُبَّ أمة تفضل الحرة فيه، وفي هذا تأنيس بنكاح الإماء ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ في الإيمان والنصرة.

وأنتم من نفس واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الإماء ﴿فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ أوليائهن ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ من غير ضرر ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾ زانيات جهرًا ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ جمع: خدن؛ وهو المتخذ للزنا سرًا ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾ تزوجن على قراءة من قرأه بفتح الهمزة والصاد وهو حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر، والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد؛ أي: زوجن ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾ زنا ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾ الحرائر الأبكار إذا زنين ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ الحد فيغربن نصف عام ويجلدن خمسين جلدة؛ والمقصود بالآية أن الرقيق لا يرجم وإن أُحصن ﴿ذَلِكَ﴾ أي: نكاح الإماء بشرطه ﴿لِمَنْ خَشِيَ﴾ خاف ﴿الْعَنَتَ﴾ الزنا وأصله للمشقة، سمي به الزنا؛ لأنه سببها بالحد في الدنيا والعقوبة في الآخرة ﴿مِنْكُمْ﴾ بخلاف من لا يخافه من الأحرار، فلا يحل له نكاحها وإن عدم، وكذا من استطاع طول

حرة ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾ عن نكاح الإماء ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ صونًا لأولادكم عن الرق ﴿والله غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النساء: ٢٦ - ٢٩].

﴿يُرِيدُ الله لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [النساء: 26] شرائع دينكم ومصالح أمركم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ﴾ طريق ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من الأنبياء في التحليل والتحريم فتتبعوهم ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ من اتّباع الشهوات وما كنتم تفعلونه في الجاهلية ﴿والله عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿والله يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: 27] بأن لا يأخذكم إذا تبتم بالذنوب؛ لأنكم على الإسلام وكرره ليبني عليه قوله: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ اليهود أو النصارى أو المجوس أو الزناة أو كل من اتبع الباطل؟ أقوال؛ أقربها الأخير ﴿أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ بارتكابكم المحرمات والخروج عن الدين فيكونوا مثلهم.

﴿يُرِيدُ الله أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ [النساء: 28] يسهل عليكم في شرعه لكم، وقد سهل بوضع الأخبار وغير ذلك ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ من ماء مهين، وتستميله شهوته وهواه ولا يصبر عن النساء والشهوات.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: 29] كالقمار والربا والغصب والسرقة والنهب والعقود الفاسدة ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً﴾ قرأ الكوفيون بنصب «تجارة»، والباقون بالرفع ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ وطيب نفس فلكم أن تأكلوها ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ باتّباع الباطل أو هو على بابه وكلاهما منهي عنه ﴿إِنَّ الله كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ

﴿ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾ [النساء: ٣٠ - ٣٣].

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ [النساء: 30] المشار إليه من المعاصي ﴿عُدْوَانًا﴾ مجاوزة للحد ﴿وَظُلْمًا﴾ وضعًا للشيء في غير موضعه، وهو تأكيد ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾ ندخله ﴿نَارًا﴾ يحترق فيها ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ الإدخال ﴿عَلَى الله يَسِيرًا﴾ سهلاً هينًا.

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء: 31] الكبيرة: كل معصية آذنت بقلة اكتراث مرتكبها بالدين؛ كالزنا والسرقة والربا والسعاية ﴿نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ الصغائر؛ كالجلوس عند الفساق إيناسًا لهم بالطاعات ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا﴾ أي: إدخالاً أو موضعًا، قرأ المدنيان: «مدخلاً» هنا وفي الحج بفتح الميم، والباقون بضمها ﴿كَرِيمًا﴾ هو: الجنة.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ الله بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: 32] من جهة الدنيا أو الدين؛ لئلا يؤدي للتباغض والتحاسد، لكن تمنى الشخص لحوقه من فوقه دنيا أو دينًا لا على الجهة المذكورة مطلوب في الأول جائز في الثاني، ونزلت؛ لتمني النساء منهن أم سليم الغزو واللحوق بالرجال في الإرث ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ ثواب وحظ ﴿مِمَّا اكْتَسَبُوا﴾ من الجهاد وغيره ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ من حفظ الفروج وطاعة الأزواج والأجر ﴿وَاسْأَلُوا الله مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: من رزقه وتوفيقه، ولم يأمر بالسؤال إلا ليعطي.

وقرأ ابن كثير والكسائي وأبان وخلف في اختياره: «وسلوا» «فسئل» «وسل» إذا كان قبل السين واو أو فاء بغير همز ونقل حركة الهمز على السين، والباقون بسكون السين والهمز ﴿إِنَّ الله كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ مما طلب منه ومما لم يطلب ومنه محل

الفضل وسؤالكم.

﴿وَلِكُلٍّ﴾ [النساء: 33] من الرجال والنساء ﴿جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ عصبة يعطون ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ لهم من المال، ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ﴾ قرأ الكوفيون: «عقدت» بغير ألف والباقون بالألف، ومعنى الأول عقدت لهم ﴿أَيْمَانُكُمْ﴾ وهم الحلفاء كانوا في الجاهلية يتعاقدون فيقول كل للآخر: دمي دمك ترثني وأرثك فإذا مات واحد ورث منه الآخر السدس ﴿فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ حظهم من الإرث وهو السدس، وكان ذلك في ابتداء الإسلام أيضًا فنسخ بقوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: 75] ﴿إِنَّ الله كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾.

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [النساء: ٣٤ - ٣٥].

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ﴾ [النساء: 34] مسلطون ﴿عَلَى النِّسَاءِ﴾ يؤدبونهن ويأخذون على أيديهن، نزلت لأن رجلاً زوج ابنته لآخر فلطمها، فرفع إلى النبي ﷺ فأمر بالقصاص فنزلت، فقال ﷺ: «**أردنا أمرًا وأراد الله أمرًا والذي أراد الله خير**»[1] ورفع القصاص ﴿بِمَا فَضَّلَ الله بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ من الولاية والشهادة والجهاد والجمعة والجماعة والإرث والدية والنبوة، وإن الطلاق بيده، وله نكاح أربع وغير ذلك ﴿وَ﴾ قوامون ﴿بِمَا أَنْفَقُوا﴾ بسبب الذي أنفقوه ﴿مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ عليهن من مهر ونفقة ﴿فَالصَّالِحَاتُ﴾ المطيعات الطيبات لله منهن ﴿قَانِتَاتٌ﴾ مطيعات لأزواجهن ﴿حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ﴾ وهو الفرج وغيره؛ لحق الزوج في غيبته أو لسرهم ﴿بِمَا حَفِظَ الله﴾ قرأ أبو جعفر بنصب الجلالة؛ أي: بحفظهن الله؛ أي: دينه وأمره فـ«ما» صلة، والباقون بالرفع؛

---

(1) رواه البغوي في «تفسيره» (207/2).

أي: بالذي حفظ الله ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ عصيانهن بأن ظهرت لكم أماراته ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ خوفوهن الله أولاً بنحو: «لي عليك حق فاتق الله فيه» ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ﴾ اتركوهن ﴿فِي الْمَضَاجِعِ﴾ منفردات بأن تنتقلوا إلى فراش آخر إن لم ينزجرن بالقول، وأظهرن النشوز واتركوا مع ذلك الجماع.

وقيل: المراد بالهجر هنا ترك الجماع فقط ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ ضربًا غير مبرح إذا أصررن على ذلك بعد الهجر، وهذا الترتيب من تفسير ابن عباس، وتابعه جماعة من العلماء رضي الله عنهم.

﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ فيما يراد منهن ﴿فَلَا تَبْغُوا﴾ تطلبوا ﴿عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ طريقًا إلى ضربهن ظلمًا بأن تجنُوا عليهن الذنوبَ أو تكلفوهن محبتكم بالقلب فإن ذلك بيد الله ﴿إِنَّ الله كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتموهن.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ [النساء: 35] علمتم ﴿شِقَاقَ﴾ خلاف ﴿بَيْنِهِمَا﴾ بين الزوجين ﴿فَابْعَثُوا﴾ إليهما ﴿حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ﴾ أقارب الزوج ﴿وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ أي: الزوجة وبعث الحكمين من عند القاضي، فإن قدرا على التوفيق فعلاه، ويوكل الزوج حكمه في طلاق وقبول عوض عليه، وتوكل هي حكمها في الاختلاع، فيجتهدان ويأمران الظالم بالرجوع أو يفرقان إن رأياه، فإن لم يوكلا في ذلك رجعا وأعلما القاضي، ولا يجوز بعثهما إلا برضاء الزوجين، وشرطهما: ذكورة وحرية وعدالة ﴿إِنْ يُرِيدَا﴾ أي: الحكمان أو الزوجان ﴿إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ الله بَيْنَهُمَا﴾ بين الزوجين بأن يقدرهما على ما هو الطاعة ﴿إِنَّ الله كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ بأحوالكم[1].

---

(1) قوله تعالى: ﴿إن يُرِيدَا إِصْلاحاً﴾ قال ابن عباس: أي الحكمان إذا أرادا الإصلاح، ووفق الله بين الزوجين؛ والأولى أن يكون الحكمان من الأهل كما قال تعالى، فإن فقد ذلك، اختار الإمام حكمين مولين من المسلمين، ويستحب أن يكونا رجلين؛ فإن حكما بالفراق، فهو بائن، لأن كل طلاق ينفذه حاكم فهو بائن، ولأن علته الشقاق؛ فلو كان رجعياً، لما زال الشقاق ببقاء العصمة فإن أوقعا أكثر من واحدة، نفذ عند ابن القاسم، لأن الحكم يجب إنفاذه. وقال مطرف: تقع واحدة، لأن الحاكم لا يقصد إلا واحدة؛ فيكون الحكمان كذلك، وقياساً على خيار الأمة تعتق تحت عبد؛ فلو حكم أحدهما بواحدة والآخر بثلاث، لنفذت واحدة وسقط الزائد قاله عبد الملك. وقال ابن حبيب: لا ينفذ شيء، لأنهما اختلفا؛ ولو أوقع أحدهما طلقة، والآخر اثنتين، للزمت طلقتان عند ابن القاسم كما سبق وسقط ذلك الزائد على الواحدة عند عبد الملك؛ لأن ذلك كالشاهدين يختلفان في العدد، فإنه ينفذ الأقل؛ فلو شهد أحدهما ببيع والآخر بهبة، فإنه لا =

﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [النساء: ٣٦ - ٣٩].

﴿وَاعْبُدُوا اللهَ﴾ [النساء: 36] وحده ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ وأحسنوا ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ برًا ولين جانب ﴿وَبِذِي الْقُرْبَى﴾ صاحب القرابة ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ القريب منك جوارًا ونسبًا ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ أي: البعيد الذي لا قرابة له، أو له قرابة بعيدة ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ الرفيق في السفر أو الصناعة، ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ الضيف أو المحتار المنقطع من سفره ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أي: وأحسنوا لما ملكت إيمانكم من الأرقاء بإطعام وكسوة على قدر الحاجة من غير ضرب ولا تكليفهم ما يغلبهم ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ﴾ لا يثيب ولا يرضى ﴿مَنْ كَانَ مُخْتَالًا﴾ منكم متكبرًا ﴿فَخُورًا﴾ على الناس بما أوتي.

= ينفذ اتفاقاً للتعارض؛ فلو علم الإمام شقاق الزوجين، لبعث إليهما الحكمين وإن لم يطلبا ذلك منه، لأن ذلك من حقوق الله تعالى؛ قالوا: ويجزئ إرسال الحكم الواحد، لأن الله تعالى حكم في الزنا بأربعة شهداء، ثم أرسل رسول الله ﷺ إلى المرأة الزانية أنيساً وقال له: «إن اعترفت فارجمها».

فلو أرسل الزوجان حكمين لنفذ حكمها، إذ التحكيم عندنا جائز؛ هذا إذا كانا عدلين، فإن لم يكونا عدلين، لنقض الحكم قال عبد الملك. قال القاضي أبو بكر: والصحيح نفوذه، لأنه إن كان توكيلاً، ففعل الوكيل نافذ؛ وإن كان تحكيماً، فقد قدماهما على أنفسهما. [الأحكام الصغرى ص156].

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ [النساء: 37] يمنعون من أداء الواجبات ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ به قرأ حمزة والكسائي وخلف هنا، وفي الحديد بفتح الباء والخاء والباقون بضم الباء وإسكان الخاء ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من العلم والمال، وخبر المبتدأ محذوف تقديره لهم وعيد شديد كما دل عليه قوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ بذلك وبغيره ﴿عَذَابًا مُهِينًا﴾ ذا إهانة.

﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ [النساء: 38] مرائين لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ كالمنافقين وأهل مكة ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا﴾ صاحبًا وخليلاً يعمل بأمره كهؤلاء ﴿فَسَاءَ﴾ فبئس ﴿قَرِينًا﴾ هو.

﴿وَمَاذَا﴾ [النساء: 39] ما الذي ﴿عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ﴾ أي ضرر عليهم في ذلك؛ أي: لا ضرر فيه، وإنما الضرر فيما هم عليه ﴿وَكَانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النساء: ٤٠ - ٤٤].

﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ﴾ [النساء: 40] أحد ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ وزن ذرة غلة صغيرة أو المراد: أصغر ما يكون من التراب بأن ينقصها من حسناته أو يزيدها في سيئاته ﴿وَإِنْ تَكُ﴾ الذرة ﴿حَسَنَةً﴾ من مؤمن، قرأ المدنيان وابن كثير «حسنة» بالرفع والباقون بالنصب ﴿يُضَاعِفْهَا﴾ يجعلها أضعافًا كثيرة من عشر إلى أكثر من سبعمائة ﴿وَيُؤْتِ مِنْ

﴿لَدُنْهُ﴾ من عنده مع المضاعفة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ لا يستطيع أحد أن يقدر قدره.

﴿فَكَيْفَ﴾[1] [النساء: 41] حال الكفار ﴿إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ يشهد عليها بعملها وهو نبيها ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ المكذبين أممهم ﴿شَهِيدًا﴾ ولا ينافي هذا ما في سورة البقرة من شهادة هذه الأمة على الأمم؛ لأن المراد: أنها تشهد، والنبي ﷺ يشهد بعدالتهم ويشهد على المكذبين منهم، وأما الأنبياء فيشهدون على أممهم بما عملوا وهذه الأمة تشهد بتصديق الأنبياء.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ [النساء: 42] أي: يوم المجيء ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ﴾ أي: أن ﴿تَسَوَّى﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف بفتح التاء وتخفيف السين، وقرأ المدنيان وابن عامر بفتح التاء وتشديد السين على معنى تسوى، والباقون بضم التاء وتخفيف السين؛ أي: لو سويت ﴿بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ وصاروا معها شيئًا واحدًا أو انخرقت بهم أو لم يبعثوا لعظم الهول ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا﴾ أي: فما عملوه يظهر عليهم أو هو متعلق بما سبق على معنى: ودوا لو تسوى، وإنهم لا يكتمون من أمر محمد ﷺ شيئًا وهذا في وقت، ووقت آخر يكتمون.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ [النساء: 43] أي: لا تصلوا ﴿وَأَنْتُمْ

---

(1) «كيف» في موضع رفع إن كان المحذوف مبتدأ التقدير: فكيف حال هؤلاء السابق ذكرهم، أو كيف صنعهم، وهذا المبتدأ هو العامل في «إذا»، أو في موضع نصب إن كان المحذوف فعلاً أي: فكيف يصنعون، أو كيف يكونون، والفعل أيضًا هو العامل في إذا، ونقل ابن عطية عن مكيّ: أن العامل في «كيف» جئنا، قال: وهو خطأ، والاستفهام هنا للتوبيخ، والتقريع، والإشارة بهؤلاء إلى أمة الرسول، وقال مقاتل: إلى الكفار، وقيل: إلى اليهود والنصارى، وقيل: إلى كفار قريش، وقيل: إلى المكذبين وشهادته بالتبليغ لأمته قاله: ابن مسعود، وابن جريج، والسدي، ومقاتل، أو بإيمانهم قاله أبو العالية، أو بأعمالهم قاله: مجاهد وقتادة، والظاهر أن الشهادة تكون على المشهود عليهم، وقيل: «على» بمعنى اللام؛ أي: وجئنا بك لهؤلاء، وهذا فيه بعد، وقال الزجاجي: يشهد لهم وعليهم، وحذف المشهود عليهم في قوله: ﴿إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ لجريان ذكره في الجار والمجرور فاختصر، والتقدير: من كل أمة بشهيد على أمته، وظاهر المقابلة يقتضي أن تكون الشهادة عليهم لا لهم، ولا يكون عليهم إلا والمشهود عليهم كانوا منكرين مكذبين بما شهد عليهم به، وروي أن رسول الله ﷺ: كان إذا قرأ هذه الآية فاضت عيناه، وكذلك حين قرأ عليه ابن مسعود ذرفت عيناه وبكاؤه والله أعلم هو إشفاق على أمته ورحمة لهم من هول ذلك اليوم، وظاهر قوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ أنه معطوف على قوله: ﴿جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ﴾ وقيل: حال على تقدير قد؛ أي: وقد جئنا.

﴿سُكَارَى﴾ من الخمر، وقيل: من غلبة النوم، والأول أقرب؛ لأنها نزلت بسبب صلاة جماعة حال سكرهم، فدلت على اجتناب السكر أوقات الصلاة، وهذا قبل تحريم الخمر ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ بأن تصحوا ﴿وَلَا جُنُبًا بإنزال﴾ أو إيلاج، وألحق بذلك الحائض والنفساء إن أمن التلويث ﴿إِلَّا عَابِرِي﴾ مجتازي ﴿سَبِيلٍ﴾ طريق؛ أي: مسافرين فلكم التيمم والصلاة مع الجنابة، أو المراد: لا تقربوا مواضع الصلاة وأنتم كذلك؛ لأن الجنب يجوز له دخول المسجد مجتازًا بالدخول من باب والخروج من آخر﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ غاية للنهي، فإذا اغتسل صلى أو دخل المسجد على الخلاف في الآية، وعلى الأول استثني المسافر؛ لأن له حكمًا آخر كما يأتي.

ولو خشيت الحائض أو النفساء التلويث حرم عليها العبور أيضًا ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ مرضًا يضر معه إمساس الماء ولم ينطو البرء ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي: مسافرين، والمراد: في محل يغلب فيه فقد الماء وأنتم جنب أو محدثون ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ أصله للمكان المطمئن من الأرض ثم نقل لقضاء الحاجة، والمعنى: أحدث.

﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف: «لمستم» هنا، وفي المائدة بلا ألف، والباقون بالألف، وهل المراد الجماع أو اللمس وهو التقاء بشرتي الرجل والمرأة؟ قولان: الثاني للشافعي ﷺ ومالك على تفاصيل ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ تطهرون به للصلاة، وفهم منه وجوب الطلب؛ أي: في غير نحو المريض؛ إذ لا يقال لمن لم يطلب لم يجد ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ اقصدوا بعد دخول الوقت ﴿صَعِيدًا﴾ ترابًا، وقيل: كل ما صعد على وجه الأرض من جنسهما ﴿طَيِّبًا﴾ طاهرًا، فلا يجوز التيمم بنجس ولا بمستعمل على قول الشافعي ﷺ ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ إلى المرفقين، وذهب بعضهم إلى الاكتفاء بمسح الكفين إلى الكوعين فقط، وله شواهد صحيحة، ويجب ذلك بضربتين وبعدم مسح الوجه، وينوي عند النفل ومسح شيء من الوجه ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾ [النساء: 44] حظًا ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ وهو التوراة نزلت في يهود المدينة، منهم رفاعة بن زيد وحيي بن أخطب وغيرهما ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ أي: يستبدلونها بالهدى ﴿وَيُرِيدُونَ﴾ يحبون ﴿أَنْ تَضِلُّوا﴾ أي: ضلالكم ﴿السَّبِيلَ﴾ أي: عنه؛ أي: تخطئوا طريق الحق لتكونوا مثلهم.

﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ

هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ٤٥ - ٤٨].

﴿والله أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ [النساء: 45] منكم فيخبركم بالأعداء لأجل اجتنابكم لهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ حافظًا ومعينًا ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ مانعًا لكم من كيدهم.

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ [النساء: 46] قيل: هو متصل بما قبله؛ أي: ﴿أُوتُوا نَصِيبًا﴾ ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ وقيل: هو ابتداء كلام آخر؛ أي: بينهم قوم ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ يغيرون ﴿الْكَلِمَ﴾ الذي أنزل الله في التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضع عليها.

وقيل: المعنى ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا * مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: ينصرنا منهم ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للنبي عندما يأمرهم بشيء ﴿سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ أي: اسمع منا ولا نسمع منك؛ أي: نقبل،أو المعنى: الدعاء؛ أي: اسمع لا سمعت، ويقولون له ﴿وَرَاعِنَا﴾ يريدون به الرعونة وقد سبق ﴿لَيًّا﴾ تحريفًا ﴿بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ عن معنى المراعاة ﴿وَطَعْنًا﴾ قدحًا ﴿فِي الدِّينِ﴾ الإسلام ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ بدل وعصينا ﴿وَاسْمَعْ﴾ فقط ﴿وَانْظُرْنَا﴾ انظر إلينا بدل ﴿راعنا﴾ كما يقوله المؤمنون ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ عند الله مما قالوه ﴿وَأَقْوَمَ﴾ أعدل وأصوب منه ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللهُ﴾ أي: أبعدهم عن الرحمة ﴿بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ممن أسلم معه منهم، وقيل المعنى: إلا إيمانًا قليلاً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [النساء: 47] خطاب لليهود ﴿آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾ نمحو ما فيها من عين وأنف وحاجب أو نجعلها منابت للشعر كوجوه القردة ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾ بأن

نجعلها كالأقفاء لوحًا واحدًا ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ نمسخهم قردة ﴿كَمَا لَعَنَّا﴾ مسخنا ﴿أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ منهم ﴿وَكَانَ أَمْرُ الله مَفْعُولًا﴾ أي: موجودًا، ولما نزلت أسلم عبد الله بن سلام، فقيل: كان وعيدًا بشرط، فلما أسلم بعضهم رفع، وقيل: يكون طمس ومسخ قبل قيام الساعة.

﴿إِنَّ الله لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: 48] أي: الإشراك به ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ﴾ ما سوى ﴿ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ المغفرة له بأن يدخله الجنة بلا عذاب ومن شاء عذبه من المؤمنين بذنبه ثم يدخله الجنة ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى﴾ اختلق ﴿إِثْمًا﴾ ذنبًا ﴿عَظِيمًا﴾ كبيرًا.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [النساء: ٤٩ - ٥٤].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [النساء: 49] اليهود والنصارى قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، أو يزكي بعضهم بعضًا قالوا: ﴿ لَن يَدْخُلَ الجَنَّةَ إلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصارَى﴾ [البقرة: 111] أي: ليس الأمر بتزكيتهم أنفسهم ﴿بَلِ الله يُزَكِّي﴾ يطهر بالإيمان ﴿مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ ينقصون من أعمالهم ﴿فَتِيلًا﴾ هو الشيء الذي يكون في شق النواة.

﴿انْظُرْ﴾ [النساء: 50] يا محمد ﷺ متعجبًا ﴿كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى الله الْكَذِبَ﴾ بذلك ﴿وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾.

ونزل في كعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود لما قدموا مكة وشاهدوا قتلى بدر، وحرضوا المشركين على الأخذ بثأرهم ومحاربة النبي ﷺ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ﴾ [النساء: 51] هل هو السحر أو الشيطان؟ أو أصله الجبس بالسين المهملة وهو الذي لا خير فيه فأبدلت سينه تاء؟ أقوال متقاربة ﴿وَالطَّاغُوتِ﴾ كل معبود من دون الله ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أبي سفيان وأصحابه حين قالوا لهم: «أنحن أهدى سبيلاً ونحن ولاة البيت نسقي الحاج، ونقري الضيف، ونفك العاني ونفعل، أم محمد وقد خالف دين آبائه، وقطع الرحم، وفارق الحرم؟ ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أي: أنتم ﴿أَهْدَى﴾ أرشد ﴿مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ طريقًا؟

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ الله وَمَنْ يَلْعَنِ الله فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء: 52] من أهل الحق أو مانعًا من عذاب الله؟

﴿أَمْ﴾ [النساء: 53] بل ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ﴾ حظ ﴿مِنَ الْمُلْكِ﴾ أي: ليس لهم نصيب منه لعدم استحقاقهم بل لاستحقاقهم عدمه ﴿فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ هو ما في النقرة في ظهر النواة لفرط بخلهم.

﴿أَمْ﴾ [النساء: 54] بل ﴿يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ النبي ﴿عَلَى مَا آتَاهُمُ الله مِنْ فَضْلِهِ﴾ من النبوة والحكمة وكثرة النساء، ويقولون: لو كان نبيًا لاشتغل عن النساء أو المراد: أنهم حسدوا العرب على وجود النبوة فيهم ببعث نبينا محمد ﷺ ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ إسماعيل وإسحاق وأولادهما، أو المراد بهم: داود وسليمان وموسى صلى الله عليهم وعلى نبينا محمد وسلم ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ النبوة ﴿وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ كملك سليمان، وكان لداود تسع وتسعون امرأة ولسليمان ألف مائتين حرة وسرية، والمعنى: لا تحسدوا على ما ليس لكم فقد أتينا آل إبراهيم ما ذكر وهذا شأننا في الأنبياء.

﴿ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ

إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء: ٥٥ - ٥٩].

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ [النساء: 55] الضمير عائد على النبي ﷺ، والمراد بمن آمن به: عبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ﴾ أعرض ﴿عَنْهُ﴾ فلم يؤمن به ﴿وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ وقودًا وعذابًا لمن لم يؤمن.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ﴾ [النساء: 56] ندخلهم ﴿نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ﴾ احترقت ﴿جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ غير الجلود المحترقة، والمراد بالغيرية أنه على غير الصفة الأولى، وإلا فهو الجلد الأول بعينه، قاله المفسرون دفعًا لمن قال: كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا ﴿لِيَذُوقُوا﴾ أسوأ ﴿الْعَذَابَ﴾ أي: شدته ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: 57] لا بنسخة الشمس فهو دائم غزير كثيف لا يؤذيهم معه برد ولا حر؛ لأنه ظل الجنة.

﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ﴾ [النساء: 58] جمع أمانة وهي كل شيء أمنك غيرك عليه ﴿إِلَى أَهْلِهَا﴾ نزلت أصحابها لما أخذ علي مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة الحجبي سادنها قهرًا؛ لما قدم رسول الله ﷺ مكة عام الفتح، ومنه قال: لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فأمر ﷺ برده وقال: هاك خالدة تالدة، فعجب من ذلك، فقرأ له عليّ ﷺ الآية فأسلم وأعطاه عند موته لابنه شيبة فبقي في ولده.

والآية وإن وردت على سبب، والعبرة بعموم اللفظ ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ﴾ يأمركم ﴿أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ القسط ﴿إِنَّ اللهَ﴾ العظيم لأمره ﴿نِعِمَّا﴾ أي: نعم شيئًا ﴿يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ تأدية الأمانة والحكم بالعدل ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي﴾ [النساء: 59] أصحاب ﴿الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ

﴿إِلَى اللهِ﴾ أي: كتابه ﴿وَالرَّسُولِ﴾ مدة حياته إن كان، وإلا فإلى سنته؛ أي: اكشفوا عليه إن تأهلتم لذلك، وإلا فارجعوا إلى العلماء ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ حقًا ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الرد إليها ﴿خَيْرٌ﴾ لكم من التنازع والقول بالرأي ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مآلاً وعاقبة ونزلت لما اختصم يهودي ومنافق فدعي المنافق إلى كعب بن الأشرف ليحكم بينهما ودعي اليهودي إلى النبي ﷺ فأتياه، فقضا لليهودي فلم يرضى المنافق، وأتيا عمر فذكر اليهودي ذلك، فقال للمنافق كذلك: قال: نعم فقتله، وهل المنافق معتب بن قشير أو رافع بن يزيد أو الجلاس بن الصامت؟ أقوال.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٠ - ٦٥].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: 60] الكثير الطغيان وهو كعب بن الأشرف ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ ولا يوالوه ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن طريق الحق.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ [النساء: 61] أي: قال لهم المسلمون ﴿تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾

في كتابه من الأحكام ﴿وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ ليحكم بينكم ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون ﴿عَنْكَ﴾ أي: غيرك ﴿صُدُودًا﴾ إعراضًا.

﴿فَكَيْفَ﴾ [النساء: 62] يصفون ﴿إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ في عذاب في الدنيا أو في الآخرة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الإعراض؛ أي: أيقدرون على الإعراض والفرار منها؟ لا وهنا تم الكلام، وهو إعراض بين أول القصة وآخرها ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ﴾ ما ﴿ أَرَدْنَا﴾ بالمحاكمة إلى غيرك ﴿إِلَّا إِحْسَانًا﴾ صلحًا ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ تأليفًا بين الخصمين بالتقريب في الحكم لا حملاً على أمر الحق.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [النساء: 63] من النفاق فكذبهم في عذرهم ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: عن عقوبتهم لئلا يتحدث الناس أن النبي ﷺ يقتل أصحابه ﴿وَعِظْهُمْ﴾ باللسان ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي﴾ شأن ﴿أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ وهو التخويف بالقتل وبالله أو أن يقول لهم: إن ظهر النفاق عليكم قتلتكم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ [النساء: 64] فيما يأمر به ويحكم ﴿بِإِذْنِ اللهِ﴾ بعلمه وإرادته؛ أي: أرسلناه لذلك لا ليعصى ويخالف ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالتحاكم إلى الطاغوت ﴿جَاءُوكَ﴾ تائبين ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ دعا لهم بالمغفرة ﷺ ﴿لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: 65] اختلط والتبس من أمورهم﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ شكًا، وقيل: ضيقًا ﴿مِمَّا قَضَيْتَ﴾ به لهم، أو عليهم به، ونفي الشك والضيق واجب في حكم الرسول ﷺ ﴿ وَيُسَلِّمُوا﴾ لأمرك ﴿ تَسْلِيمًا﴾ أي: ينقادوا إليه انقيادًا تامًا.

والآية نزلت في الزبير بن العوام وحاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنهما اختصما في ماء فقضى النبي ﷺ للزبير فهو تطيب لقلب حاطب بأن يعلم حقيقة العلم أنه لا اعتراض على الرسول في حكم؛ إذ هو الحق فيجب الرضا به.

﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا

﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٧٤﴾﴾ [النساء: ٦٦ - ٧٤].

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ [النساء: 66] كما أمرنا بالأول بني إسرائيل في قبول توبتهم وأمرناهم بالثاني في الخروج من مصر ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: المكتوب عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ قال رسول الله ﷺ وأشار إلى عبد الله بن رواحة: «**لو أن الله كتب ذلك لكان هذا من أولئك القليل**»[1] قرأ ابن عامر: «إلا قليلاً» بالنصب والباقون بالرفع، والمعنى: إنه ما كتب عليهم ذلك وإنما كتب عليهم طاعة الرسول ﷺ والرضا بحكمه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من طاعة الرسول ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ تحقيقًا وتصديقًا لإيمانهم.

﴿وَإِذًا﴾ [النساء: 67] أي: ثبتوا ﴿لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا﴾ من عندنا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ثوابًا وافرًا في الجنة ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء: 68] أي: الصراط المستقيم والتنوين للتعظيم ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾ [النساء: 69] جمع صديق وهو من قوي وكثر تصديقه ويقينه ولما لم يكن في هذه الأمة بعد الأنبياء أفضل من جدنا أبي بكر بالإجماع ولا أعظم إيمانًا

(1) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (353/2).

وتصديقًا ويقينًا منه غلب عليه هذا الاسم فهو الصديق الكامل في هذه الأمة ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ جمع شهيد، وهو من قتل في سبيل الله ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ غير من ذكر ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ رفقاء في الجنة، والمراد بالمعية أنه يراهم ويجالسهم لا أنه يكون في مرتبتهم، نزلت لما قال ثوبان للنبي ﷺ: أنت يرفعك الله في الآخرة فمن أين لنا أن نراك؟ فقال: «**المرء مع من أحب**»[1].

﴿ذَلِكَ﴾ [النساء: 70] كونهم معهم ﴿الْفَضْلُ مِنَ اللهِ﴾ تفضل به عليهم؛ لأنهم نالوه بطاعتهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ بثواب الآخرة وغيره فثقوا بما أخبركم به، وقيل: المراد بالصديق في الآية: أبو بكر كرم الله وجهه، وبالشهداء عمر وعثمان وعلي، وبالصالحين بقية الصحابة ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: 71] من أعدائكم بالاحتراز والتيقظ أو عدتكم والتام من السلاح ﴿فَانْفِرُوا﴾ انقضوا لقتاله ﴿ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾ متفرقين في السرايا سرية بعد أخرى ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ ليتأخرن عن القتال ويأمر الناس بذلك، نزلت في المنافقين وهم عبد الله بن أبي، وقال: منكم باعتبار ظاهره وإن لم يكن في الباطن منهم.

﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ [النساء: 72] كقتل أو هزيمة ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ حاضرا فأصاب.

﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ﴾ [النساء: 73] كفتح وغنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ نادمًا ﴿كَأَنْ﴾ أي: كأنه ﴿لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ معرفة وصداقة، وهذا راجع لقوله: ﴿ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ﴾ قرأ ابن كثير وحفص ورويس: «تكن» بالتاء من فوق والباقون بالياء من تحت ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ بالغنيمة.

قال تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ [النساء: 74] يختارون ويستبدلون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ﴾ أي: يستشهد ﴿أَوْ

---

(1) رواه البخاري (2283/5، رقم 5819)، ومسلم (2032/4، رقم 2639)، وأبو داود (333/4، رقم 5127)، والترمذي (595/4، رقم 2385) وقال: صحيح. وعبد بن حميد (ص 377، رقم 1265)، وأبو يعلى (270/5، رقم 2888)، وابن حبان (308/1، رقم 105)، والطبراني في «الأوسط» (267/7، رقم 7465)، وفي «الصغير» (109/1، رقم 154).

يَغْلِبْ﴾ فتحصل له السلامة من القتل ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ في الآخرة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ثوابًا جزيلاً.

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [النساء: ٧٥ - ٧٩].

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ﴾ [النساء: 75] أي: لا مانع لكم من القتال ﴿فِي سَبِيلِ الله وَ﴾ في تخليص ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ بمكة وهم قوم أسلموا، عذروا عن الخروج ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالوِلْدَانِ﴾ الذين حبسهم الكفار عن الهجرة فآذوهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كنت أنا وأمي منهم» ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ داعين يا ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ مكة ﴿الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ بالشرك ﴿واجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ حافظًا منهم ومن أذاهم الكثير، بلى أمرنا ﴿واجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ ينصرنا، فاستجاب الله لهم فتيسر لبعضهم الخروج وبقي بعضهم إلى يوم فتح مكة، وولى ﷺ عتاب بن أسيد فأنصف مظلومهم من ظالمهم.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾

[النساء: 76] الشيطان ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ وهم الكفار تغلبوهم؛ لقوتكم بالله تعالى ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ﴾ مكروه، وخداعه ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ واهنًا دائمًا لا يقاوم كيد الله بالكفار، ومن وهنه أنه يوم بدر لما رأى الملائكة خاف من قبضهم له فهرب[1].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ [النساء: 77] عن قتال الكفار وهم جماعة من المؤمنين، منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الأسود وسعد بن أبي وقاص وقدامة بن مظعون، وجماعة كانوا بمكة يلقون أذى كثيرًا من المشركين، فيلقونه ﷺ فيقولون: لو أذنت لنا في القتال، فيقول لهم: كفوا أيديكم، فلما نزلت الآية بعد الهجرة وأمروا بقتال المشركين كرهوا ذلك، والذي كره إما مؤمن وتاب أو منافق لم يتب ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ﴾ يخافون ﴿النَّاسَ﴾ الكفار؛ أي: عذابهم بالقتل ﴿كَخَشْيَةِ اللهِ﴾ كالخوف من عذاب الله ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ من خشيتهم له ﴿وَقَالُوا﴾ جزعًا من الموت ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ﴾ الجهاد ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أي: حتى نموت بلا قتال ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَتَاعُ﴾ منفعة واستمتاع ﴿الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ لفنائه ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ الجنة ﴿خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ الله ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ تنقصون من أعمالكم، وقرأ ابن كثير وأبو جعفر وحمزة والكسائي وخلف بالغيب، والباقون بتاء الخطاب ﴿فَتِيلًا﴾ قدر قشرة النواة فجاهدوا.

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ﴾ [النساء: 78] نزلت في المنافقين الذين قالوا: لو كانوا عندنا ما ماتوا ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ﴾ قلاع وحصون ﴿مُشَيَّدَةٍ﴾ طويلة أو محصنة أو مجصصة؛ والمعنى: فلا تخشوا القتال خوف الموت ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ نحو خصب ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ نحو جدب ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ يا محمد ﷺ نزلت لأن اليهود قالوا: ما زلنا نعرف نقص ثمارنا وزروعنا منذ قدم هذا الرجل ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿كُلٌّ﴾ من الأمرين ﴿مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ بقوة قهره ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ﴾ بمعنى: المنافقين أو اليهود ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾ يفهمون ﴿حَدِيثًا﴾ قولاً يأتي

---

(1) قال ابن عادل: فكيف وصف كيد المرأة بالعظيم، وأيضاً: فكيدُ الرّجال قد يزيدُ على كيد النِّساءِ؟
فالجواب عن الأوَّل: أن خلقة الإنسان بالنِّسبة إلى خلقة الملائكة، والسموات، والكواكب خلقة ضعيفة، وكيد النسوان بالنسبة إلى كيد البشر عظيمٌ؛ ولا منافاة بين القولين، وأيضاً: فالنِّساءُ لهُنَّ من هذا الباب من المكرِ، والحِيل، ما لا يكون للرجال؛ لأنَّ كيدهنَّ في هذا الباب، يورث من العار ما لا يورثه كيدُ الرِّجال. [تفسير اللباب لابن عادل (9 /253)].

إليهم، وما: استفهام تعجبي.

﴿مَا أَصَابَكَ﴾ [النساء: 79] أيها الإنسان ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ خير ﴿فَمِنَ اللهِ﴾ فضلاً ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ بلية ﴿فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ بسبب ذنبك ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ على رسالتك.

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾ [النساء: ٨٠ - ٨٤].

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ [النساء: 80] لأنه أمر بطاعته وجعل محبته في اتباع السنة ﴿وَمَنْ تَوَلَّى﴾ أعرض عن طاعته فلا يهمنك ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ رقيبًا حافظًا لأعمالهم بل كل أمورهم إلى الله، نزلت عند قولهم لما قال ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله**»[1] ما يريد محمد إلا أن نتخذه ربًا ثم نسخت بالأمر بالقتال.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ [النساء: 81] أي: المنافقون إذا جاءوك أمرنا ﴿طَاعَةٌ﴾ لك ﴿فَإِذَا بَرَزُوا﴾ أخرجوا ﴿مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ﴾ أضمرت ﴿طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ لك، فهم يبدلون ويغيرون ﴿والله يَكْتُبُ﴾ يأمر، يكتب ﴿مَا يُبَيِّتُونَ﴾ في صحائفهم ليجازيهم عليه

---

(1) رواه البخاري (1080/3، رقم 2797)، ومسلم (1466/3، رقم 1835)، والنسائي (154/7، رقم 4193)، وابن أبي شيبة (418/6، رقم 32529)، وأحمد (252/2، رقم 7428)، وابن ماجه (2/ 954، رقم 2859).

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى الله وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ناصرًا وحافظًا ووليًا ومفوضًا إليه.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ [النساء: 82] يتفهمون ويتأملون ﴿الْقُرْآنَ﴾ وما فيه من المعاني البديعة ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ الله لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ تفاوتًا وتناقضًا.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ [النساء: 83] أشاعوه وأفشوه، نزلت في المنافقين كانوا يستخبرون عن السرايا فإذا وقع لهم نحو هزيمة أشاعوه لإضعاف قلوب المؤمنين﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ أي: تركوا أمر الخبر ﴿إِلَى الرَّسُولِ﴾ ﷺ حتى يخبر به ﴿وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ أي: ذوي الرأي من الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي حتى تخبروا به ﴿لَعَلِمَهُ﴾ هل هو مما ينبغي أن يذاع أو لا ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ يستخرجونه ويطلبون علمه، وهم المذيعون ﴿مِنْهُمْ﴾ من الرسول وأولي الأمر ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ لكم بالقرآن ﴿لَاتَّبَعْتُمُ﴾ جميعكم ﴿الشَّيْطَانَ﴾ فيما يأمركم به من الفواحش ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ من الناس لم يتبعه.

﴿فَقَاتِلْ﴾ [النساء: 84] يا محمد ﴿فِي سَبِيلِ الله﴾ التاء متعلقة بقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله﴾ [النساء: 75] أو بقوله: ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ الله﴾ [النساء: 74] ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ فلا تهتم باختلافهم عنك، نزلت لمواعدة رسول الله ﷺ أبا سفيان غزوة بدر الصغرى، فكرهه قوم ﴿وَحَرِّضِ﴾ حث ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ على القتال ورغبهم في ثوابه ﴿عَسَى الله أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ﴾ قتال ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وكذلك بفضله وقع، فلم يقاتلوا وذلك لأن رسول الله ﷺ خرج لهم في سبعين راكبًا، فكفاهم الله القتال، بإلقاء الرعب في قلوب الكفار ومنع أبي سفيان من الخروج ﴿والله أَشَدُّ بَأْسًا﴾ صولة ﴿وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ عقوبة منهم، فقال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي**»[1] فخرج وكفى القتال كما سبق.

﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ

(1) ذكره البغوي في «تفسيره» (137/2).

لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾﴾ [النساء: ٨٥ - ٨٩].

﴿مَنْ يَشْفَعْ﴾ بين الناس﴿ شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ [النساء: 85] موافقة للشرع ﴿يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ﴾ حظ من الأجر ﴿مِنْهَا﴾ بسببها ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً﴾ مخالفة له ﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ﴾ نصيب من الوزر ﴿مِنْهَا﴾ بسببها ﴿وَكَانَ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾ مقتدرًا مجازيًا، قاله ابن عباس.

﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ﴾ [النساء: 86] أصل التحية الدعاء بطول العمر، ثم خص بالسلام؛ فالمعنى: إذا قيل لكم سلام عليكم ﴿فَحَيُّوا﴾ المحيي ﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ كأن يقول له: عليك السلام ورحمة الله وبركاته ﴿أَوْ رُدُّوهَا﴾ بأن تقول كما قال، من حيث السلام؛ أي: الواجب أحدهما، والأول أفضل ﴿إِنَّ الله كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ مكافئًا ومجازيًا، ومنه رد السلام، وخصت السنة الكافر والمبتدع والمسلم على قاضي الحاجة، ومن في الحمام والأكل ونحوهم، فلا يجب الرد عليهم بل يكره في غير الأخير، ويقال للكافر: وعليك.

﴿الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ [النساء: 87] من قبوركم ﴿إِلَى﴾ في﴿يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ سميت بذلك لقيام الناس من قبورهم إليها وقيامهم للحساب ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَصْدَقُ مِنَ الله﴾ منه ﴿حَدِيثًا﴾ قولاً ووعدًا، قرأ حمزة والكسائي وخلف: أصدق، وفي كل صاد ساكنة بعدها دال، نحو أصدع باستتمام الصاد الزاي، ووافقهم رويس في ﴿يَصْدُر﴾ في القصص والزلزلة، واختلف عنه، والباقون بالصاد الخالصة على الأصل.

﴿فَمَا لَكُمْ﴾ [النساء: 88] أي: ما شأنكم صرتم ﴿فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ فرقتين نزلت لأن الصحابة اختلفوا فيمن تخلف عن أحد من المنافقين، فمن قائل يقول:

اقتلهم، ومن قائل يقول: اعف عنهم، وقيل: هم قوم أسلموا ولم يهاجروا وقصدوا مظاهرة المشركين، وقيل: هم قوم أسلموا وجاءوا المدينة ثم بدا لهم فخرجوا متنزهين حيلة ثم توجهوا للشام ﴿والله أَرْكَسَهُمْ﴾ لكسبهم، وبددهم ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ بسبب أعمالهم القبيحة ﴿أَتُرِيدُونَ﴾ استفهام إنكاري كالذي قبله ﴿أَنْ تَهْدُوا﴾ ترشدوا ﴿مَنْ أَضَلَّ الله﴾ أي: تعدوهم من جملة المهتدين ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ الله فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ طريقًا إلى الحق.

﴿وَدُّوا﴾ [النساء: 89] الضمير لمن ذكر من المنافقين ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ﴾ أنتم وهم ﴿سَوَاءً﴾ في الكفر ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ أنصارًا وأعوانًا وأصحابًا وإن أظهروا الإيمان ﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ الله﴾ هجرة صحيحة تحقق إيمانهم، وهذه هجرة المنافقين التي يقبل بها توبتهم، وهجرة غيرهم الخروج من مكة، وهجرة كل مسلم ترك ما نهى الله ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وأقاموا على ما هم عليه ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ أسارى ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ في الحل أو الحرم ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا﴾ صاحبًا ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ معينًا.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا

حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ [النساء: ٩٠ - ٩٢].

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ [النساء: 90] استثناء من القتل لا من الموالاة؛ إذ لا تجوز موالاة الكافر بحال؛ والمعنى: اقتلوهم إلا الذين يلجئون ﴿إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ هدنة وعهد بالأمان لهم ولمن وصل إليهم، هل هم الأسلميون ومنهم هلال بن عويمر الأسلمي، أو بنو بكر بن زيد أو خزاعة؟ أقوال، أولها لابن عباس ﴿أَوْ﴾ الذين يصلون إلى قوم ﴿جَاءُوكُمْ﴾ وقد ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾[1] قرأ يعقوب بفتح الحاء وكسر الصاد وفتح الراء ونصب التاء منونة - أي: ضيقة - أي: ويقف بالهاء والباقون بإسكان التاء؛ أي: ضاقت، وهم بنو مدلج لما عاهدوا المسلمين والمشركين على ترك القتال بين الفريقين ﴿أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ المعنى: عن قتالكم مع قومهم ﴿أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ معكم؛ والمعنى: لا يقاتلونكم ولا يقاتلون قومهم فقلوبهم ضيقة لذلك فلا تتعرضوا لهم بأخذ ولا قتل، وهذا وما بعده منسوخ بآية السيف ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ تسليطهم عليكم ﴿لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بأن تقوى قلوبكم ﴿فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ ولكنه لم يشأ فأرعب قلوبهم ﴿فَإِنِ

---

(1) هذا استثناء من قوله: ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ﴾ والوصول هنا: البلوغ إلى قوم، وقيل: معناه ينتسبون قاله أبو عبيدة، وقال النحاس: هذا غلط عظيم؛ لأنه ذهب إلى أنه تعالى حظر أن يقاتلَ أحدُ بينه وبين المسلمين نسب والمشركون قد كان بينهم وبين المسلمين السابقين أنساب؛ يعني: وقد قاتل الرسول ومن معه من انتسب إليهم بالنسب الحقيقي، فضلاً عن الانتساب، قال النحاس: وأشد من هذا الجهل قول من قال: إنه كان ثم نسخ؛ لأن أهل التأويل مجمعون على أنّ الناسخ له براءة، وإنما نزلت بعد الفتح، وبعد أن انقطعت الحروب، ووافقه على ذلك الطبري، وقال القرطبي: حمل بعض أهل العلم معنى ينتسبون على الأمان، أو أن ينتسب إلى أهل الأمان، لا على معنى النسب الذي هو القرابة انتهى، قال عكرمة: إلى قوم هم قوم هلال بن عويمر الأسلمي، وادع الرسول على أن لا يعينه ولا يعين عليه، ومن لجأ إليهم فله مثل ما لهلال، وروي عن ابن عباس: أنهم بنو بكر بن زيد مناة، والجمهور على أنّهم خزاعة وذو خزاعة، وقال مقاتل: خزاعة وبنو مدلج، وقال ابن عطية: كان هذا الحكم في أول الإسلام قبل أن يستحكم أمر الطاعة من الناس، فكان رسول الله ﷺ قد هادن من العرب قبائل كرهط هلال بن عويمر الأسلمي، وسراقة بن مالك بن جعشم، وخزيمة بن عامر بن عبد مناف، فقضت هذه الآية أنه من وصل من المشركين الذين لا عهد بينهم وبين النبي ﷺ إلى هؤلاء أهل العهد، ودخل في عدادهم، وفعل فعلهم من الموادعة، وفعل فعلهم من الموادعة، فلا سبيل عليه، قال عكرمة والسدي وابن زيد: ثمّ لما تقوى الإسلام وكثر ناصره نسخت هذه الآية والتي بعدها بما في سورة براءة انتهى، وقيل: هم خزاعة وخزيمة بن عبد مناف، والذين حصرت صدورهم هم، بنو مدلج اتصلوا بقريش.

اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ مع قومهم ولا منفردين ﴿وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ أي: انقادوا لكم بالصلح ﴿فَمَا جَعَلَ الله لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ طريقًا إلى قتلهم وقتالهم لأجل الهدنة.

﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ﴾ [النساء: 91] هم غطفان عند الأكثر ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ﴾ حتى لا يقاتلونهم ﴿وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ حتى لا يقاتلونهم، وكانوا إذا لقوا الكفار قالوا: نحن على دينكم، وإذا لقوا المؤمنين قالوا: آمنا؛ لأجل قصدهم الأمان من الطائفتين ﴿كُلَّمَا رُدُّوا﴾ ودعوا ﴿إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ الشرك ﴿أُرْكِسُوا﴾ أرجعوا ﴿فِيهَا﴾ وقعوا في الكفر أشد وقوع ﴿فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾ بترك القتال ﴿وَ﴾ لم ﴿يُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ الصلح ﴿وَ﴾ لم ﴿يَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ﴾ عن قتالكم ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ أسرًا ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ وجدتموهم ﴿وَأُولَئِكُمْ﴾ الموصوفون بهذه الصفة ﴿جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ برهانًا ظاهرًا بالقتل والقتال لقدرهم.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: 92] أي: ما ينبغي أن يصدر منه قتل له، نزلت في عياش آمن وذهب إلى المدينة ثم رجع بسبب أمه ثم آمن بعد وهاجر، وكان الحارث بن زيد كلمه كلمة أغضبته، فحلف في قتله، وكان قبل إيمان كل منهما فأسلم الحارث، فلقيه عياش فقتله من غير علم بإسلامه فجاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره لما قيل له أنه أسلم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿خَطَأً﴾ أي: مخطئًا في قتله بلا قصد ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً﴾ بأن قصد رمي نحو صيد فأصابه أو ضربه بما لا يقتل غالبًا، أو صعد شجرة فنزل فسقط عليه فقتله ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ مسلمة ﴿مُؤْمِنَةٍ﴾ أي: إعتاقها عليها ﴿وَدِيَةٌ﴾ مؤجلة في ثلاث سنين كل سنة ثلث، وتكون مخمسة عشرون بنت مخاض، ومثلها من بنات اللبون والحقاق والجذاع وابن اللبون الذكور، فهي مائة على عاقلة القاتل، وهم عصبته إلا الأصل والفرع، وعلى الغني ما يعدل من الإبل نصف دينار، وعلى المتوسط ما يعدل منها ربع دينار كل سنة، فإن لم يفوا فمن بيت المال، فإن تعذر فعلى الجاني ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ مؤداة ﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾ الوارثين منه يوم مات توزع عليهم بحسب الإرث ﴿إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾ يتصدقوا عليه بالعفو عن الدية فلا شيء ﴿فَإِنْ كَانَ﴾ المقتول ﴿مِنْ﴾ في ﴿قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ على قاتله كفارة، ولا تجب الدية ﴿وَإِنْ كَانَ﴾ المقتول ﴿مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ عهد ﴿فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ وهي ثلث دية مسلم، وإن كان يهوديًا أو نصرانيًا وثلثا عشرها إن كان مجوسيًا، والمرأة على النصف من الرجل ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ على قاتله مع ذلك كفارة ﴿فَمَنْ لَمْ

يَجِدْ﴾ الرقبة أو لم يجد ما يشتريها به ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ عليه كفارة، فإذا أفطر يومًا عمدًا ألزمه الاستئناف، ولم يذكر تعالى الانتقال للطعام كالظهار، وبه أخذ الشافعي في أظهر قوليه ﴿تَوْبَةً مِنَ الله وَكَانَ الله عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [النساء: ٩٣ - ٩٥].

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ [النساء: 93] بأن يقصد قتله بما يقتل غالبًا عالمًا بإيمانه ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ دائمًا إن قتله مستحلاً؛ لأن الآية نزلت في ذلك، وإذا وجد معنى في محل النص يصلح أن يناط به الحكم لم يجز العدول عنه ﴿وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ طرده وأبعده ﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ بالخلود في النار، وبينت البقرة أن قاتل العمد يقتل به وأن عليه الدية إن عفا عنه، وبينت السنة أن بين الخطأ والعمد قتلاً يسمى شبه العمد، وهو أن يقتله بما لا يقتل غالبًا فلا قصاص فيه بل دية كالعمد في الصفة والخطأ في التأجيل، وهو والعمد أولى بالكفارة من الخطأ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ [النساء: 94] سافرتم للجهاد ﴿فِي سَبِيلِ الله فَتَبَيَّنُوا﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف: فتثبتوا بالثاء المثلثة ثم الباء الموحدة ثم التاء المثناة من فوق في الحرفين هنا، وفي الأحزاب من التثبت، والباقون بالباء الموحدة ثم الياء التحتية ثم النون من البيان ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ قرأ المدنيان وابن عامر وحمزة وخلف بغير ألف بعد اللام، والباقون بألف بعدها؛ المراد: الانقياد بقول

كلمة الشهادة التي هي أمارة إسلامه ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ قرأ أبو جعفر بخلاف عنه: مؤمَنًا بفتح الميم الثانية؛ أي: أمنًا منا بل نقتلك، وقرأ الباقون بكسرها؛ أي: ليست من المؤمنين وإنما قلت: هذا تقية لنفسك ومالك، نزلت لأن النبي ﷺ أرسل جيشًا فيه أسامة بن زيد فلقي رجلاً من أهل فدك من بني سليم يقال له مرداس بن نهيك أمن وهرب إلى الجبل لظنه أن الجيش ليس من المسلمين، فلما سمع التكبير نزل يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ السلام عليك يقول لأسامة، فقتله لما أنه ظن أن ذلك لا ينفعه واستاق غنمه، واشتد غضب رسول الله ﷺ في ذلك ثم استغفر لأسامة ثلاث مرات وأمره بإعتاق رقبة ﴿تَبْتَغُونَ﴾ تطلبون بذلك ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ متاعها من الغنيمة ﴿فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ تغنيكم عن قتل مسلم لماله ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ تعصم دماؤكم وأموالكم بمجرد قولكم الشهادة ﴿فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاشتهار بالإيمان ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ أن يقتلوا مؤمنًا وافعلوا بالداخل في الإسلام كما فعل بكم، فعلى الغزاة إذا رأوا في محل شعار الإسلام أن يكفوا عن أهله حتى يتبين الحال لهم ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: 94 - 95] من المؤمنين عن الجهاد غير أولي الضرر من زمانة أو عمى ونحوه نزلت؛ لأن ابن أم مكتوم لمّا سمع أول الآية قال: يا رسول الله لو أستطيع جهاد لجاهدت فيزل ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ وقرأ المدنيان وابن عامر والكسائي وخلف «غير أولي» بفتح الراء والباقون بالرفع، ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ للضرر ﴿دَرَجَةً﴾ أي: فضيلة لاستوائهما في النية وزيادة المجاهدين بالمباشرة ﴿وَكُلًّا﴾ من الفريقين المجاهد والقاعد من أولي الضرر ﴿وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى﴾ هي الجنة ﴿وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ من غير ضرر ولا عذر ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا (٩٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا (٩٨) فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا (٩٩) ۞ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي

سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾ [النساء: ٩٦ - ١٠١].

﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ﴾ [النساء: 96] منازل بعضها فوق بعض من الكرامة ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ونزل في قوم أسلموا ولم يهاجروا فقتلوا يوم بدر مع الكفار.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: 97] بترك الهجرة، ومنهم: علي بن أمية بن خلف والحارث بن زمعة وقيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه وأبو العاص بن منبه بن الحجاج ﴿قَالُوا﴾ لهم ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ سؤال توبيخ من الملائكة؛ أي: في أي شيء كنتم من أمور دنياكم؟ أو كنتم من أصحاب محمد ﷺ أم من المشركين؟ ﴿قَالُوا﴾ معتذرين ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة؛ أي: عن الجهاد وإقامة الدين ﴿قَالُوا﴾ أي: الملائكة لهم توبيخًا ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ من أرض الكفر لبلد آخر، قال تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ هي.

ثم استثنى المستضعفين بقوله: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ [النساء: 98] قال ابن عباس: كنت أنا وأمي ممن عذر الله، الذين ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ لا يقدرون على ما ينفقونه ويخرجون به ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ طريقًا إلى الخروج.

﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: 99] لهم، فإن قيل: كيف جعل ذلك ذنبًا وأدخل فيه الولدان؟ فالجواب: إن المراد بعض من ذكر ممن هو أهل للتكليف أو ذكره على سبيل تأكيد أمر الهجرة؛ أي: إن هؤلاء لو كتب عليهم ذنب لعوملوا بذلك.

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ [النساء: 100] يخرج إلى المدينة من مكة أو يخرج عن محل الكفر لمحل الإسلام ﴿يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا﴾ متحولاً ومتزحزحًا عن المكروه ﴿كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ في الرزق، وليس لأحد المقام بأرض يسب بها السلف ويعمل

فيها بغير الحق إلا لعذر ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ﴾ قبل بلوغه؛ أي: المحل الذي هاجر إليه كما وقع لجندع بن ضمرة الليثي ﴿فَقَدْ وَقَعَ﴾ ثبت ﴿أَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ فلا بدّ من وصوله إليه فضلاً، وقيل: نزلت في حمزة بن جندب ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ [النساء: 101] سافرتم ﴿فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ إثم في ﴿أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ فتردوا الأربع إلى ركعتين ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ﴾ أي: ينالكم بمكروه ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ وضح في السنة بقاء الرخصة في حال الأمن أيضًا، وشرط السفر الذي تقصر فيه الصلاة أن يكون مباحًا مرتبطًا بقصد معلوم بلغ ذهابًا ثمانية وأربعين ميلاً هاشمية، وهو مرحلتان يسير الأثقال، وتؤخذ من قوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ إنه رخصة لا واجب، وعليه الشافعي.

﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [النساء: ١٠٢ - ١٠٥].

﴿وَإِذَا كُنْتَ﴾ [النساء: 102] يا محمد حاضرًا ﴿فِيهِمْ﴾ في أصحابك ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ في الخوف من العدو، وهذا جرى على عادة القرآن في الخطاب فلا

مفهوم له ﴿فَلْتَقُمْ﴾ تثبت ﴿طَائِفَةٌ﴾ فرقة ﴿مِنْهُمْ مَعَكَ﴾ وتتأخر طائفة ﴿وَلْيَأْخُذُوا﴾ أي: من لم يصل أو من صلوا ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾ فإن كان المراد الأول فليأخذوا من السلاح ما أمكن، وإن كان الثاني فيأخذوا ما لا يشغل عن الصلاة وتصح معه ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ أي: السجدتين ﴿فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ﴾ أي: يتموا الصلاة لأنفسهم ويذهبوا إلى جهة العدو وهو الخلف؛ لأن الآية نزلت فيما إذا كان العدو في غير جهة القبلة ﴿وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا﴾ وهم الذين وقفوا في جهة العدو إلى انقضاء صلاة الأولين ﴿فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾ بأن يصلي معهم الركعة الثانية، ثم يثبت جالسًا في التشهد حتى يتموا ويجلسوا للتشهد فيسلم بهم ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم إلى أن يقضوا الصلاة، وهذه صلاة رسول الله ﷺ بـ «بطن نخل».

﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: أحبوا ﴿لَوْ تَغْفُلُونَ﴾ إذا قمتم إلى الصلاة ﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾ جمع متاع، وهو ما معكم ﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ يقصدونكم حاملين عليكم حملة واحدة فيأخذوكم، وهذا علة الأمر بأخذ السلاح ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ لا إثم عليكم ﴿إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى﴾ أي: ما يؤذيكم ﴿مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ في الصلاة وخارجها فلا تحملوها، وهذا مفيد إيجاب حملها عند عدم العذر، وهو محمول على ما إذا خشي من تركه ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ من العدو؛ أي: احترزوا منه ما استطعتم ﴿إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ذا إهانة.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: 103] فرغتم منها ﴿فَاذْكُرُوا اللهَ﴾ بالتهليل والتسبيح ﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ مضطجعين؛ أي: في كل حال ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ﴾ سكنتم وأمنتم ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ على حكم الحضر من التمام ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا﴾ فرضًا ﴿مَوْقُوتًا﴾ مؤقتًا بوقت لا تقدم عنه النية وكذا لا تؤخر عنه جوازًا إلا لعذر فصل في الفروع.

﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ [النساء: 104] لا تضعفوا ﴿فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ الكفار لتقاتلوهم، نزلت لأن أبا سفيان يوم أحد رجع بأصحابه فبعث رسول الله ﷺ في أثره قومًا ما فشكوا ألم الجراحات ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾ تجدون ألم الجراحات ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ أي: مثلكم ولا يجبنوا عن قتالكم ﴿وَتَرْجُونَ﴾ أنتم ﴿مِنَ اللهِ﴾ من النصر والثواب ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ هم، فأنتم تريدون عليهم بذلك فينبغي أن تكونوا أرغب منهم فيه ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [النساء: 105] القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ﴾ علمك ﴿الله﴾ فيه ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ﴾ طعمة ﴿خَصِيمًا﴾ مدافعًا لأجلهم.

﴿ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾ [النساء: ١٠٦ - ١١٢].

﴿وَاسْتَغْفِرِ اللهَ﴾ [النساء: 106] مما هممت به من جدالك عن الخائن ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [النساء: 107] يظلمونها بالخيانة والسرقة؛ لأن وبال ذلك عليهم ﴿إِنَّ الله لَا يُحِبُّ﴾ لا يثيب ﴿مَنْ كَانَ خَوَّانًا﴾[1] كثير الخيانة ﴿أَثِيمًا﴾ برميه من لم يفعل بما فعل، وكان سبب نزولها: إن طعمة بن أبيرق ممن أسلم سرق درعًا أودعها اليهودي قيل: اسمه زيد، لبيد بن سهل، فوجدت عند اليهودي فرماه طعمة بها، وحلف أنه ما سرقها، فسأل قومه النبي ﷺ أن يجادل عنه

---

(1) أتى بصيغة المبالغة في الخيانة والإثم؛ ليخرج منه من وقع منه المرة، ومن صدرت منه الخيانة على سبيل الغفلة وعدم القصد، وفي صفتي المبالغة دليل على إفراط طعمة في الخيانة وارتكاب المآثم، وقيل: إذا عثرت من رجل سيئة فاعلم أنّ لها أخوات، وعن عمر أنه أمر بقطع يد سارق، فجاءت أمه تبكي وقالت: هذه أوّل سرقة سرقها فاعف عنه فقال: كذبت إنّ الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة.

ويبديه، وقيل: بل همَّ رسول الله ﷺ بقطع يد اليهودي والجدال عن السارق؛ لأنه لم يظهر له سرقته خصوصًا، وقد حلف طعمة أنه ما سرقها.

﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ [النساء: 108] أي: طعمة وقومه حيًا ﴿مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ الله وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ حاضر بعلمه ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ يضمرون ﴿مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ عزمهم على الحلف على نفي السرقة ورمي اليهودي بها ﴿وَكَانَ الله بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾.

ثم خاطب قوم السارق بقوله: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ﴾ [النساء: 109] خاصمتم ﴿عَنْهُمْ﴾ عن طعمة وذويه ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ الله عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ أي: يتوكل عنهم، ويذب عذاب الله إذا عذبهم؛ أي: لا أحد يفعل ذلك.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ [النساء: 110] ذنبًا يسوء به غيره كرمي طعمة اليهودي ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ بعمل ذنب قاصر عليه ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ الله﴾ منه؛ أي: يتب ﴿يَجِدِ الله غَفُورًا﴾ له ﴿رَحِيمًا﴾ به.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ﴾ [النساء: 111] يفعل ﴿إِثْمًا﴾ ذنبًا ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ﴾ يفعله ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾ لأنه يضرها به فقط ﴿وَكَانَ الله عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ [النساء: 112] صغيرة ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ كبيرة ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾ منه ﴿فَقَدِ احْتَمَلَ﴾ تحمل ﴿بُهْتَانًا﴾ برميه ﴿وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ ظاهرًا يكسبه.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ

وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ ﴾ [النساء: ١١٣ - ١١٧].

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ الله عَلَيْكَ﴾ [النساء: 113] يا محمد ﷺ ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ بالعصمة ﴿لَهَمَّتْ﴾ أضمرت ﴿طَائِفَةٌ﴾ فرقة ﴿مِنْهُمْ﴾ أي: قوم طعمة ﴿أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ عن القضاء بالحق لتلبيسهم عليك ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ لأن وبال ذلك يرجع عليهم ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾ لأنك لا تأثم بعصمتك، فلا نفع في محذور ﴿وَأَنْزَلَ الله عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ القضاء بالوحي، وعلم ما كان وما يكون ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ من علم الأحكام وعلم الغيب ﴿وَكَانَ فَضْلُ الله عَلَيْكَ﴾ بذلك وغيره ﴿عَظِيمًا﴾.

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾ [النساء: 114] أي: الناس فيما بينهم، وهو الحديث السر بين القوم ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ أي: إلا في نجوى من أمر بصدقة ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ هو كل طاعة ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ خصصه وإن كان داخلاً في الأول؛ للاعتناء به لما فيه من تسكين الفتن ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاةِ الله﴾ لا غيره ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ الله ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قرأ أبو عمرو وحمزة بالياء من تحت، والباقون بالنون.

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ [النساء: 115] ﷺ، نزلت في طعمة؛ لأنه هرب بمكة وارتد لظهور السرقة عليه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾ ظهر له ﴿وَيَتَّبِعْ﴾ طريقًا ﴿غَيْرَ سَبِيلِ﴾ طريق ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ التي أجمعوا عليها ففيه دليل على أن الإجماع حجة ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ أي: نكله إليه في الدنيا ﴿وَنُصْلِهِ﴾ ندخله في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ مرجعًا هي.

﴿إِنَّ الله لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ [النساء: 116] أي: الذنب الذي هو أصغر من الشرك ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فلا يجب عليه شيء ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِالله فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن طريق الحق، ونزلت في طعمة؛ لأنه عبد صنمًا حتى مات، أو سرق في الذي ذهب إليه ومات كافرًا.

﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَدْعُونَ﴾ [النساء: 117] يعبد المشركون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الله؛ أي:

غيره ﴿إِلَّا إِنَاثًا﴾ أصنامًا، مؤنثة كاللات والعزى ومنات، وكان في كل واحد منهن شيطان فلذلك قال ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبدون بعبادتها ﴿إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ ماردًا خارجًا عن الطاعة وهو إبليس.

﴿ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١١٨) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (١١٩) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (١٢٠) أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا (١٢١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (١٢٢) لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣) ﴾ [النساء: ١١٨ - ١٢٣].

﴿لَعَنَهُ اللهُ﴾ [النساء: 118] طرده عن رحمته ﴿وَقَالَ﴾ إبليس ﴿لَأَتَّخِذَنَّ﴾ لأجعلن ﴿مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا﴾ حظًا ﴿مَفْرُوضًا﴾ معلومًا أدعوهم لطاعتي.

﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ [النساء: 119] عن الحق بالوسوسة ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ هو ما ألقاه في نفوسهم من الأكاذيب كقول بعضهم: لا جنة ولا نار، وقول بعضهم بالبدع المعروفة، وقيل: المعنى: أمنينهم بإدراك الجنة مع ركوب المعاصي ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾ يقطعن ﴿آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾ فيشقونها، وهي البحيرة وستأتي ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ﴾ دينه بالكفر وغيره ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا﴾ ربًا يطيعه ﴿مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ بخلوده في النار.

﴿يَعِدُهُمْ﴾ [النساء: 120] طول العمر ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ نيل الدنيا والخوف من الفقر إن أنفقوا وألّا بعث ولا جزاء ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ بذلك ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلاً.

﴿أُولَئِكَ﴾ [النساء: 121] الموعودون ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا﴾ [النساء: 122] أي: وعدهم ذلك وحقه حقًّا ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا﴾ أي: لا أحد أصدق منه، ونزل لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب.

﴿لَيْسَ﴾ [النساء: 123] الأمر منوطًا ﴿بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ أيها المسلمون، أو الخطاب لمشركي العرب ﴿وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى، بل بالعمل الصالح ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ فالمؤمنون يجزون بذلك في الدنيا؛ كالمرض والحزن والنصب والجزع والحر والبرد، والكافر والمنافق يؤخر ذلك له في الدار الآخرة، وكذا بعض أرباب الكبائر ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلِيًّا﴾ يحفظه منه ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يمنعه من عذابه.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾ [النساء: ١٢٤ - ١٢٨].

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ﴾ [النساء: 124] شيئًا ﴿مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ قدر نقرة النواة، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر وأبو بكر وروح «يدخلون» بضم الياء وفتح الخاء هنا، وفي مريم، والأولى من

غافر، وافقهم رويس في مريم وأول غافر، وقرأ ابن كثير وأبو جعفر ورويس الثاني من غافر وهو «سيدخلون جهنم» بالضم، واختلف عن أبي بكر وقرأ أبو عمرو «ويدخلونها» في فاطر لذلك، والباقون بفتح الياء وضم الخاء في المواضع الخمسة.

﴿وَمَنْ﴾ [النساء: 125] أي: لا أحد ﴿أَحْسَنُ دِينًا﴾ أي: أحكم دينًا وأقوى طريقًا ﴿مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ انقاد بكليته وأخلص عمله ﴿لله وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ دينه الموافق لدين الإسلام ﴿حَنِيفًا﴾ مسلمًا مخلصًا، ومن دين إبراهيم: الصلاة للكعبة والطواف وجميع مناسك الحج، وخصه بالذكر لما ذكر؛ لأن تقبله بأسرها، أو لأن محمدًا بعث بملته وزيد أشياء ﷺ وعلى سائر الأنبياء ﴿وَاتَّخَذَ الله إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ صفيًا صفت محبته ووده والنبي ﷺ اتخذه الله خليلاً، وزاد على ذلك بالمحبة.

﴿وَلِله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [النساء: 126] خلقًا وملكًا ﴿وَكَانَ الله﴾ أي: لم يزل ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا * وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ [النساء: 126 - 127] يطلبون منك الفتوى ﴿فِي﴾ شأن ﴿النِّسَاءِ﴾ وميراثهن ﴿قُلِ الله يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن من آية الميراث يفتيكم أيضًا ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾ أي: اليتامى منهن ﴿اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ من الميراث ﴿وَتَرْغَبُونَ﴾ أيها الأولياء عن ﴿أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ لزمانهن وتعضولهن أن يتزوجن طمعًا في ميراثهن؛ أي: نفتيكم ألَّا تفعلوا.

﴿وَ﴾ في ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ اليتامى أن تعطوهم حقوقهم ﴿وَ﴾ يأمركم ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل في الميراث والمهر ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ الله كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ فيجازيكم.

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ﴾ [النساء: 128] توقعت ﴿مِنْ بَعْلِهَا﴾ زوجها ﴿نُشُوزًا﴾ ترفعًا عليها بترك مضاجعة وتقصير في حقها لبغضه لها، وتعلقه بأجمل منها ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ عنها بوجه ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ لا إثم ﴿عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ بأن تترك له جزءًا من الإنفاق، أو حقها في القسم، أو نحو ذلك؛ طلبًا لبقاء الصحبة، فإن رضيت بذلك وإلا فعلى الزوج أن يوفيها حقها أو يفارقها.

وقرأ الكوفيون «يصلحا» بضم الياء وإسكان الصاد وكسر اللام، والباقون بفتح الياء والصاد مشددة بعدها ألف، ثم لام مفتوحة، والآية نزلت في رجل كبرت زوجته فتزوج عليها وأراد طلاقها فرضيت بترك القسم، ثم شرع لبقية الناس ذلك ﴿وَالصُّلْحُ

﴿خَيْرٌ﴾ من النشوز والإعراض والفراق.

قال في بيان ما جبل عليه الإنسان: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾[1] أي: نفس كل واحد من الزوجين وغيرهما الشح بنصيبه عن الآخر؛ أي: جبلت عليه، فكأنها حاضرته لا تغيب عنه ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا﴾ بالصلح ﴿وَتَتَّقُوا﴾ في العشرة ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾ [النساء: ١٢٩ - ١٣٤].

﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا﴾ [النساء: 129] سواء ﴿بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على إرادة ذلك ﴿فَلَا تَمِيلُوا﴾ إلى من تحبونها ﴿كُلَّ الْمَيْلِ﴾ في القسم والنفقة، فلا

---

(1) هذا من باب المبالغة جعل الشح كأنه شيء معدّ في مكان، وأحضرت الأنفس وسيقت إليه، ولم يأت، وأحضر الشح الأنفس فيكون مسوقًا إلى الأنفس، بل الأنفس سيقت إليه لكون الشح مجبولاً عليه الإنسان، ومركوزًا في طبيعته، وخص المفسرون هذه اللفظة هنا، فقال ابن عباس وابن جبير: هو شح المرأة بنصيبها من زوجها ومالها، وقال الحسن وابن زيد: هو شح كل واحد منهما بحقه، وقال الماتريدي: ويحتمل أن يراد بالشح الحرص، وهو أن يحرص كل على حقه يقال: هو شحيح بمودّتك؛ أي: حريص على بقائها، ولا يقال في هذا بخيل، فكان الشح والحرص واحد في المعنى، وإن كان في أصل الوضع الشح للمنع والحرص للمطلب، فأطلق على الحرص الشح؛ لأن كل واحد منهما سبب لكون الآخر، ولأنّ البخل يحمل على الحرص، والحرص يحمل على البخل. انتهى.

تدفعوا للمُمال عليها ما وجب عليكم ﴿فَتَذَرُوهَا﴾ تتركوا الممال عنها ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ لا هي أيم ولا ذات زوج ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا﴾ في العشرة ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجوز ﴿فَإِنَّ الله كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا﴾ [النساء: 130] أي: الزوج والمرأة بالطلاق ﴿يُغْنِ الله كُلًّا﴾ عن صاحبه ﴿مِنْ سَعَتِهِ﴾ أي: فضله، المرأة بزوج آخر والرجل بامرأة أخرى ﴿وَكَانَ الله وَاسِعًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَلله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [النساء: 131] الكتب ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ يا أهل القرآن ﴿أَنِ﴾ بأن ﴿اتَّقُوا الله﴾ وقلنا لهم: ﴿وَ﴾ لكم ﴿إِنْ تَكْفُرُوا﴾ بما وصيتم به ﴿فَإِنَّ لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقًا وملكًا، فلا تضره معصية ولا تنفعه طاعة ﴿وَكَانَ الله غَنِيًّا﴾ عن العالمين ﴿حَمِيدًا﴾ محمود في أفعاله.

﴿وَلله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِالله وَكِيلًا﴾ [النساء: 132] ناصرًا وحافظًا وشهيدًا بأن ما فيهما له.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ [النساء: 134] بعمله ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ ما فيها من المال ﴿فَعِنْدَ الله ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ لمن أراد عند غيره ﴿وَكَانَ الله سَمِيعًا﴾ لأقوالكم ﴿بَصِيرًا﴾.

﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى

ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ [النساء: ١٣٥ - ١٤٠].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ [النساء: 135] قائمين ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿شُهَدَاءَ﴾ بالحق ﴿لله وَلَوْ﴾ كانت الشهادة ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾، واشهدوا عليها بالإقرار ﴿أَوِ﴾ على ﴿الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ﴾ المشهود عليه ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَالله أَوْلَى بِهِمَا﴾ منكم؛ أي: إنفاذ أمره وحكمه أولى بهما من عدم شهادتكم عليهما، فالمعنى: لا تحابوا غنيًا لغناه ولا تهملوا فقيرًا لفقره أو تدعوه بترك الشهادة عليه ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى﴾ في شهادتكم ﴿أَنْ تَعْدِلُوا﴾ أي: لئلا تعدلوا: تميلوا عن الحق ﴿وَإِنْ تَلْوُوا﴾ تحرفوا الشهادة لتطلبوا الحق، قرأ ابن عامر وحمزة «تلوا» بفتح التاء وضم اللازم وواو ساكنة بعدها؛ أي: تلوا إقامة الشهادة فتؤدوها ﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾ عنها... إلى آخر، وقرأ الباقون بإسكان اللام وبعدها واوان الأولى مضمومة والثانية ساكنة ﴿فَإِنَّ الله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ [النساء: 136] داوموا على الإيمان ﴿بِالله وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ محمد ﷺ وهو القرآن ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ على الرسل، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر «نزل» بضم النون، «والكتاب الذي أنزل» بضم الهمزة وكسر الزاي، والباقون بفتح الهمزة والنون فيهما، ونزلت هذه الآية في عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق، ولما نزلت هذه الآية آمنوا بالله وبرسله وقالوا: لا نفرق بين أحد ﷺ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [النساء: 137] بموسى وهم اليهود ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعبادة العجل ﴿ثُمَّ آمَنُوا﴾ بعيسى بعده ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعيسى ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ بمحمد ﷺ ﴿لَمْ يَكُنِ الله لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ما أقاموا عليه ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً﴾، وإذا أسلم الكافر غفر له كفره السابق فإذا كفر بعد ذلك، ثم أسلم ثم كفر ومات عاد وبال كفره كله عليه فلا يغفر له منه شيء.

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: 138] مؤلمًا في النار.

﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ [النساء: 139] أهل مودة وأصحابًا وأنصارًا ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لما يتوقعون فيهم من القوة ﴿أَيَبْتَغُونَ﴾ يطلبون ﴿عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ المعونة والظهور على محمد ﷺ استفهام إنكار؛ أي: لا يجدونها عندهم؛ أي: القوة والغلبة والقدرة ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ﴾ أي: القوة والغلبة والقدرة ﴿لله جَمِيعًا﴾ في الدنيا والآخرة ولا ينالها إلا أوليائه.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ﴾ [النساء: 140] قرأ عاصم ويعقوب بفتح النون والزاي، والباقون بضم النون وكسر الزاي ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن في سورة «الأنعام» في قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ [الأنعام: 68] ﴿أَنْ﴾ أي: آية ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ الله يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ أي: مع الكافرين والمستهزئين ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ أي: يأخذون في حديث غير الاستهزاء بمحمد ﷺ والقرآن، ودخل في ذلك كل متحدث ببدعة أو باطل فينهى، فإن لم ينته زجر، فإن لم يتزجر اجتنب ولا يجلس معه ﴿إِنَّكُمْ إِذًا﴾ إن قعدتم معهم ﴿مِثْلُهُمْ﴾ في الإثم، وفهم من الآية أنه يجوز القعود معهم إذا لم يخوضوا في الاستهزاء المذكور ﴿إِنَّ الله جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء.

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ [النساء: ١٤١ - ١٤٥].

﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ﴾ [النساء: 141] ينتظرون ﴿بِكُمْ﴾ الدوائر، وهي حوادث الدهر ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾ نصر ﴿مِنَ الله قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ على دينكم في الجهاد، فاجعلوا لنا نصيبًا ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ نصر ودولة ﴿قَالُوا﴾ لهم ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ﴾ نستول ﴿عَلَيْكُمْ﴾ والمراد: إنَّا قدرنا على أخذكم وقبلكم، فأبقينا عليكم وأخبرناكم بسير محمد ﷺ ﴿وَ﴾ ألم ﴿نَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: عن الدخول في جملتهم، وقيل معناه: ألم نستول عليكم بالنصر لكم ونمنع عنكم صولة المؤمنين بإرسالنا لكم بأخبارهم وتثبيطهم عن القتال، قالوا ذلك منة على الكافرين، قال تعالى: ﴿فَالله يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ وبينهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأن يدخلكم الجنة ويدخلهم النار ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ الله لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ بالاستئصال.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ الله﴾ [النساء: 142] يعاملونه معاملة المخادع بإظهارهم خلاف ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ أي: يجازيهم على ذلك فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيه على ما أبطنوه، ويعاقبون في الآخرة ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ﴾ مع المؤمنين ﴿قَامُوا كُسَالَى﴾ متثاقلين ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ بصلاتهم ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ الله﴾ يصلون له ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ قللهُ؛ لأنه لم يقبله ولو قبله لكان كثيرًا.

﴿مُذَبْذَبِينَ﴾[1] [النساء: 143] متحيرين ومترددين ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: بين الكفر والإيمان ﴿لَا﴾ منسوبين ﴿إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي: الكفار ﴿وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي: المؤمنين ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ الله فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ طريقًا إلى الحق.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ [النساء: 144] أصحابًا ﴿مِنْ

---

(1) قال الزمخشري: المعنى أنّ الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والإصرار عليه يستبعد منهم أن يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من إيمان صحيح ثابت يرضاه الله؛ لأن قلوب أولئك قلوب قد ضربت بالكفر، ومرنت على الردة، وكان الإيمان أهون شيء عندهم وأدونه حيث يدلونهم فيه كرة بعد أخرى، وليس المعنى أنهم لو أخلصوا الإيمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم تقبل منهم ولم يغفر لهم؛ لأن ذلك مقبول حيث هو بذل الطاقة واستفراغ الوسع، ولكنه استبعاد له واستغراب، وأنه أمر لا يكاد يكون، وهكذا نرى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات، والغالب أنه يموت على شر حال وأقبح صورة.

دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لله عَلَيْكُمْ﴾ بموالاتهم ﴿سُلْطَانًا﴾ حجة وبرهانًا ﴿مُبِينًا﴾ ظاهرًا في عذابكم لفعلكم ما نهى عنه، وهو توبيخ وتحذير لهم من ذلك.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: 145] هل هو توابيت من حديد مقفلة في قعر النار؟ أو بيت مقفل فيها يوقد فيه فوقهم وتحتهم؟ قولان، وقرأ الكوفيون «الدرك» بإسكان الراء والباقون بفتحها ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ مانعًا من عذاب الله، ثم استثنى من تاب.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ ﴾ [النساء: ١٤٦ - ١٥٠].

فقال ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ [النساء: 146] من النفاق وآمنوا ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ أعمالهم ﴿وَاعْتَصَمُوا﴾ وثقوا ﴿بِالله وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ﴾ بقلوبهم ﴿لله﴾ من الرياء ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنهم فعلوا ما فعلوه في الدنيا، فكذلك يصاحبونهم في الآخرة في الجنة ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ الله الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿مَا يَفْعَلُ الله بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ﴾ [النساء: 147] نعمته ﴿وَآمَنْتُمْ﴾ به، والمراد: إنه لا يعذبكم ﴿وَكَانَ الله شَاكِرًا﴾ يقبل القليل ويثيب عليه الكثير ﴿عَلِيمًا﴾.

﴿لَا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء: 148] من أحد بل يعاقب عليه ﴿إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ فيجوز للمظلوم أن يدعو على ظالمه بنحو: اللهم أعني عليه، اللهم خلص حقي منه، أما قوله: اللهم العنه، اللهم أهلكه فلا، وقوله: اللهم ادفعه عني مطلوب؛ لأنه دعاء للنفس بخير وإن تشكي منه عند من يقدر على تخليصه منه، فيقول:

ظلمني فلان وسمى، هذا أسوأ؛ لأن فيه تنقيصًا للظالم، أو هو من المشاكلة، وقيل: إن شتمك جاز لك أن تشتمه بمثله ﴿وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا﴾ يسمع دعاء المظلوم وتشكيه ﴿عَلِيمًا﴾ يعلم ذلك فيجازي الظالم.

﴿إِنْ تُبْدُوا﴾ [النساء: 149] تظهروا ﴿خَيْرًا﴾ حسنًا ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ كأن تنووا فعل حسنة ولم تفعلوها أو تسروا الأفعال الحميدة ﴿أَوْ تَعْفُو عَنْ سُوءٍ﴾ ظلم ونحوه ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ أي: هو أولى بالعفو.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ﴾ [النساء: 150] بأن يؤمنوا بالله فقط، أو تفريقهم ما ذكره بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ من الرسل ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ منهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ بين دين الإسلام ودينهم ﴿سَبِيلًا﴾ طريقًا ومذهبًا يصيرون إليه.

﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَٰلِكَ ۚ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ ﴾ [النساء: ١٥١ - ١٥٥].

﴿أُولَئِكَ﴾ [النساء: 151] الموصوفون بهذه الصفة ﴿هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ في النار، نزلت في اليهود آمنوا بموسى والتوراة وعزير وكفروا بالإنجيل وعيسى ومحمد ﷺ والقرآن.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ [النساء: 152] بأن آمنوا بالكل ﴿أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ﴾ في الدار الآخرة، روى حفص «سوف يؤتيهم» بالياء

على لفظ الغيبة والباقون بالنون ﴿أُجُورَهُمْ﴾ ثوابهم ﴿وَكَانَ الله غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿يَسْأَلُكَ﴾ [النساء: 153] يا محمد ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ ككعب بن الأشرف وفنحاص وأصحابهما ﴿أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ جملة واحدة كما أنزل على موسى تعنتًا فإن استكبرت ذلك ﴿فَقَدْ سَأَلُوا﴾ أي: آباؤهم ﴿مُوسَى أَكْبَرَ﴾ أعظم ﴿مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا الله جَهْرَةً﴾ جهارًا أو معاينة ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ الموت عقابًا لهم ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ حيث تعنتوا في السؤال ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلهًا ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ المعجزات على وحدانية الله تعالى ﴿فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ فضلاً، ولم يستأصلهم ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا﴾ برهانًا ﴿مُبِينًا﴾ بينًا وهي الآيات التسع على نبوته بذلك، أو متسلطًا ظاهرًا عليهم حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبة فأطاعوه.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ [النساء: 154] الجبل ﴿بِمِيثَاقِهِمْ﴾ بسبب أخذ الميثاق عليهم ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ﴾ وهو مظل عليهم ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ﴾ باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سجود انحناء ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ أي: في يومه، قرأ أبو جعفر بتشديد الدال مع إسكان العين وكذا ورش؛ إلا أنه يفتح العين، واختلف عن قالون بين الإسكان والاختلاس، والباقون بإسكان العين والتخفيف، والمعنى: النهي عن اصطياد الحيتان فيه ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ على ذلك فنقضوه.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ﴾ [النساء: 155] أي: لعناهم بسبب نقضهم ﴿مِيثَاقَهُمْ﴾ وهو عدم قبولهم ما في التوراة من وصف محمد ﷺ وغير ذلك ﴿وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ﴾ للنبي ﷺ ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ لا يعي كلامك ﴿بَلْ طَبَعَ﴾ ختم ﴿الله عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا﴾ بقي وعظًا، فلا ﴿يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم عبد الله بن سلام وأصحابه.

﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ

أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾ [النساء: ١٥٦ - ١٦٢].

﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: 156] ثانيًا بعيسى ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ﴾ رضي الله عنها ﴿بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ هو رميها منهم - لعنهم الله - بالزنا.

﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ [النساء: 157] مفتخرين ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ﴾ في زعمهم؛ أي: بمجموع ذلك عذبناهم، قال تعالى تكذيبًا لهم: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ لأن الله ألقى شبهه على شخص قتلوه وصلبوه وظنوه إياه ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: في عيسى ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ هل هو عيسى أم لا؟ لأنهم لمَّا رأوا المقتول وجهه وجه عيسى والجسد ليس بجسده قال بعضهم: ليس به، وقال آخرون: بل هو هو ﴿مَا لَهُمْ بِهِ﴾ بقتله ﴿مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ أي: لكن يتبعونه فيه الظن الذي تحيلوه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ أي: قطعًا بل شكوا هو عيسى أم غيره؟ فالهاء عائدة على عيسى، وقيل الهاء راجعة إلى من ألقى شبهه عليه أي: ما قتلوه يقينًا منهم أنه عيسى.

﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِنْ﴾ [النساء: 158. 159] ما ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أحد ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ أي: بعيسى ﷺ ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ الهاء عائدة على أهل الكتاب؛ أي: كل يؤمن برفعه إلى السماء قبل أن يموت هو حين يعاين ملائكة الموت فلا ينفعه إيمانه، وقيل الهاء عائدة على عيسى؛ وذلك لأنه ينزل في آخر الزمان فيؤمنون به ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ﴾ عيسى ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ بما فعلوه لمَّا بعث إليهم، وبأنه بلغ لهم الرسالة معترفًا بالعبودية.

﴿فَبِظُلْمٍ﴾ [النساء: 160] بسبب ظلم ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ وهي ما سيأتي في سورة «الأنعام» من قوله ﷻ: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: 146]، ﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾ أي: وحرمنا ذلك

بسبب صدهم وما يذكر بعده إلى قوله اعتدنا أيضًا ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: إعراضهم عن الإسلام والإيمان بعيسى صدًا ﴿كَثِيرًا﴾.

﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا﴾ [النساء: 161] أي: المال بسبب المعاملة به ﴿وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ في التوراة[1] ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ وهو أخذهم المال على الرشا وتغيير صفة محمد ﷺ وغير ذلك مما نهوا عنه ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ هيأنا ﴿لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ﴾ وهم الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلمًا.

﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ﴾ [النساء: 162] الثابتون ﴿فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ من هذه الأمة كالمهاجرين والأنصار ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾

---

(1) قوله تعالى: ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾. وفيها مسائل:

المسألة الأولى: لا خلاف في مذهب مالك أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة، لقوله تعالى: ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾. وهذا خطاب لهم بالفروع، والصحيح جواز معاملتهم وإن عملوا بالربا، لقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾. وقد عامل رسول الله ﷺ اليهود ومات ودرعه مرهونة عند يهودي في شعير أخذه لعياله. وقد سئل عمر بن الخطاب عن أخذ ثمن الخمر في الجزية والتجارة، فقال ولوهم بيعها وخذوا منهم عشر أثمانها. اتفقت الأمة على جواز التجارة مع أهل الحرب، وقد سافر رسول الله ﷺ إليهم تاجراً، وذلك من سفره أمر قاطع على جواز السفر إليهم، والتجارة معهم؛ ولا يعتذر بأن ذلك كان قبل نبوته، لأنه ﷺ لم يتدين قبل نبوته بحرام، ولا قطع السفر إليهم أحد من الصحابة والمسلمين لا في حياته ولا بعد مماته؛ فقد كانوا يسافرون في فك الأسارى وذلك واجب، وفي الصلح كما أرسل عثمان؛ أما السفر إليهم لمجرد التجارة فمباح.

المسألة الثانية: إذا قلنا إنهم مخاطبون بفروع الشريعة، فلا تجوز معاملتهم بمحرم عليهم، فنقول: سامح الشرع في معاملتهم، وفي أكل طعامهم رفقاً بنا؛ وخوطبوا تغليظاً عليهم، فإن الله تعالى نفى الحرج عنا، وأثبت الشدائد عليهم، فأجرى الشرع الأحكام عليهم، فيجوز عند مالك أن يؤخذ منهم في الصلح أبناؤهم ونساؤهم إذا كان لعامين أو نحوهما؛ فأما المؤبد أو لمدة طائلة فلا يجوز لنا أخذ نسائهم، لأن لهم من العهد ما لآبائهم.

المسألة الثالثة: فإن تعامل مسلم وذمي بربا، فإن كان في درا الإسلام، لم يجز؛ وإن كان في دار الحرب، فمنعه مالك والشافعي، وأجازه أبو حنيفة وعبد المالك، ورأيا أن ماله حلال، فبأي وجه أخذ جاز؛ ورأى مالك أن التعامل بالربا حرام، وقد توهم قوم أن عبد الملك لما قال: من زنى في دار الحرب بحربية لم يحد، أن ذلك حلال وهو جهل؛ فإن أصول الشريعة تمنع الوطء إلا بنكاح أو ملك يمين، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾. وقد قال أبو حنيفة: إن دار الحرب لا حد فيها، لأن الزنا بهم نكاية، فنزع عبد الملك هذا المنزع، فأما التحريم، فمتفق عليه. [الأحكام الصغرى ص191].

وهو القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ كالتوراة والإنجيل والزبور ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ﴾ قرأ حمزة وخلف بالياء والباقون بالنون ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو الجنة.

﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾ [النساء: ١٦٣ - ١٧٠].

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾[1] [النساء: 163] يامحمد ﷺ ﴿كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ وكما ﴿أَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ ابنيه ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ ابن إسحاق ﴿وَالْأَسْبَاطِ﴾ أولاده ﴿وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا﴾ أعطينا أباه ﴿دَاوُدَ زَبُورًا﴾ قرأ حمزة وخلف بضم الزاي وكذا زبورًا في سبحان والزبور في «الأنبياء»؛ أي: مكتوبًا والباقون بفتحها؛ أي: كتابًا.

(1) قال الزمخشري: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم كتابًا من السماء، واحتجاجهم عليهم بأن شأنه في الوحي إليه كسائر الأنبياء الذين سلفوا، انتهى، وقدم نوحًا وجرده منهم في الذكر؛ لأنه الأب الثاني، وأول الرسل، ودعوته عامّة لجميع من كان إذ ذاك في الأرض، كما أن دعوة محمد ﷺ عامّة لجميع من في الأرض.

﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ﴾ [النساء: 164] أي: أخبارهم ﴿عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ والرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر، والأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا ﴿وَكَلَّمَ اللهُ﴾ بلا واسطة ﴿مُوسَى تَكْلِيمًا﴾.

﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ﴾ [النساء: 165] بالثواب من آمن ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ بالعذاب من كفر أرسلناهم ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ﴾ تقال ﴿بَعْدَ﴾ إرسال ﴿الرُّسُلِ﴾ إليهم فيقولوا: ربنا لولا أرسلت ﴿وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

﴿لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ﴾ [النساء: 166] يبين نبوتك ﴿بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن المعجز ﴿أَنْزَلَهُ﴾ ملتبسًا ﴿بِعِلْمِهِ﴾ أي: عالمًا به أو وفيه علمه ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ ذلك أيضًا ﴿وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ على ذلك، نزلت ردًا على من أنكر رسالته ﷺ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: 167] بالله ﴿وَصَدُّوا﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ﴾ دين ﴿اللهِ﴾ وهو الإسلام، وهم اليهود ﴿قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: 168] بالله ﴿وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ من الطرق إلى الحق.

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ [النساء: 169] أي: الطريق المؤدي إليها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ إذا دخلوها ﴿أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾ هينًا، وهذا في حق من سبق علمه بعدم إيمانه.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ [النساء: 170] أهل مكة ﴿قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ﴾ محمد ﴿بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا﴾ أي: يكن الإيمان خيرًا ﴿لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا وعبيدًا ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا

ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾ [النساء: ١٧١ - ١٧٣].

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [النساء: 171] خطاب للنصارى القائلين بأن عيسى ثالث ثلاثة: الأول: الأب، والثاني: الابن، والثالث: روح القدس، ومنهم فرقة قالت: إنه هو الله، وفرقة قالت: إنه ابنه، فرد على من زعم أنه ثالث ثلاثة؛ لأنه يفهم منه الرد على غيرهم بالأولى ﴿لَا تَغْلُوا﴾ بتجاوز الحد ﴿فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا﴾ القول ﴿الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا﴾ أوصلها ﴿إِلَى مَرْيَمَ﴾ بأن قال له: كن، فكان بلا أب ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ هو كسائر الأرواح؛ أي: وذو روح منه، وإضافة إليه تشريفًا، ومعنى الآية أنه ليس لما زعمتم ابن الله أو إلهًا معه أو ثالث ثلاثة؛ لأن ذو الروح مركب والإله منزه عن التركيب وعن نسبة المتركب إليه كما زعمتم ﴿فَآمِنُوا بِالله وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا﴾ هم ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ الله وعيسى وأمه ﴿انْتَهُوا﴾ عن ذلك يكن الانتهاء ﴿خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا الله إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهًا له عن ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ عبيدًا أو ملكًا، والملكية تنافي النبوة ﴿وَكَفَى بِالله وَكِيلًا﴾ حافظًا لمقالتهم ليجازيهم عليها.

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ﴾ [النساء: 172] لن يأنف ولن يتعظم ﴿الْمَسِيحُ﴾ الذي زعمتم أنه إله عن ﴿أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لله وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ استطراد لمناسبته المقام فليسا بآلهة ولا بنات لله، تعالى الله عن ذلك ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ في الآخرة فيجازيهم على ذلك.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ [النساء: 173] ثواب عملهم الصالح ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من المضاعفة الكثيرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن عبادته ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلمًا في النار ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ الله وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ مانعًا من العذاب.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ١٧٥ يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ١٧٦ ﴾ [النساء: ١٧٤ - ١٧٦].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ﴾ [النساء: 174] حجة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ عليكم، وهو محمد ﷺ ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ ظاهرًا، هو القرآن.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِالله وَاعْتَصَمُوا﴾ [النساء: 175] امتنعوا ﴿بِهِ﴾ من الشيطان ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ﴾ هي الجنة ﴿وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ هو طريق الحق.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ [النساء: 176] في الكلالة، المستفتي جابر بن عبد الله الأنصاري قال لرسول ﷺ لما عاده في مرضه: إنما يرثني كلالة، فنزلت ﴿قُلِ الله يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ﴾[1] مات ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ ولا والد وهو الكلالة ﴿وَلَهُ أُخْتٌ﴾ من أبوين

(1) الكلالة: خلو الميت عن الوالد والوالدة قاله: أبو بكر، وعمر، وعلي، وسليم بن عبيد، وقتادة، والحكم، وابن زيد، والسبيعي، وقالت طائفة: هي الخلوّ من الولد فقط، وروي عن أبي بكر وعمر ثم رجعا عنه إلى القول الأوّل، وروي أيضًا عن ابن عباس، وذلك مستقر من قوله في الإخوة مع الوالدين: إنهم يحطون الأم ويأخذون ما يحطونه، ويلزم على قوله: إذ ورثهم بأن الفريضة كلالة أن يعطيهم الثلث بالنص، وقالت طائفة منهم: الحكم بن عيينة، هي الخلو من الولد، قال ابن عطية: وهذا إن القولان ضعيفان؛ لأن من بقي والده أو ولده فهو موروث بنسب لا بتكلل، وأجمعت الأمة الآن على أنَّ الإخوة لا يرثون مع ابن ولا أب، وعلى هذا مضت الأعصار والأمصار، انتهى، واختلف في اشتقاقها، فقيل: من الكلال وهو الإعياء، فكأنه يصير الميراث إلى الوارث من بعد إعياء، وقال الزمخشري: والكلالة في الأصل مصدر بمعنى الكلال، وهو ذهاب القوة من الإعياء، فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد؛ لأنها بالإضافة إلى قرابتها كالة ضعيفة، انتهى، وقيل: هي مشتقة من تكلله النسب أحاط به، وإذا لم =

أو أب ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ﴾ الأخ كذلك ﴿يَرِثُهَا﴾ جميع ما تركت ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ﴾ كان لها ولد ذكر فلا شيء له، أو أنثى فله ما فضل عن نصيبها، فإن زاد عدد الإناث عن اثنين فلهن الثلثان وله الفاضل، ولو كانت الأخت أو الأخ من أم فلها أو له السدس، فإن ﴿كَانَتَا﴾ الأختان ﴿اثْنَتَيْنِ﴾ فصاعدًا؛ لأنها نزلت في جابر وقد مات عن أخوات ﴿فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ الأخ ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾ أي: الورثة ﴿إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً﴾ ولا ولد له كما يفهم من اسم الكلالة ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ﴾ شرائع دينكم ﴿أَنْ تَضِلُّوا﴾ لئلا تضلوا أو كراهية أن تضلوا ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وهذه آخر آية نزلت في الفرائض.

يترك والدًا ولا ولدًا فقد انقطع طرفاه، وهما عمودا نسبه، وبقي موروثه لمن يتكلله نسبه؛ أي: يحيط به من نواحيه كالإكليل، ومنه روض مكلل بالزهر، قال الأخفش: الكلالة من لا يرثه أب ولا أم، والذي عليه الجمهور أنَّ الكلالة الميت الذي لا ولد له ولا مولود، وهو قول جمهور أهل اللغة صاحب العين، وأبي منصور اللغوي، وابن عرفة، وابن الأنباري، والعتبي، وأبي عبيدة، وغلط أبو عبيدة في ذكر الأخ مع الأب والولد، وقطرب في قوله: الكلالة اسم لمن عدا الأبوين والأخ، وسُمي ما عدا الأب والولد كلالة؛ لأنه بذهاب طرفيه تكلله الورثة وطافوا به من جوانبه، ويرجح هذا القول نزول الآية في جابر ولم يكن له يوم نزولها ابن ولا أب؛ لأن أباه قتل يوم أحد فصارت قصة جابر بيانًا لمراد الآية، وأما الكلالة في الآية فقال عطاء: هو المال، وقالت طائفة: الكلالة الورثة، وهو قول الراغب، قال: الكلالة اسم لكل وارث، وقال عمر وابن عباس: الكلالة الميت الموروث، وقالت طائفة: الورثة بجملتها كلهم كلالة.

سورة المائدة(1)

(1) هذه السورة نزلت لما انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية، ومنها ما نزل في حجة الوداع، ومنها ما نزل عام الفتح، وكل ما نزل بعد الهجرة بالمدينة، أو في سفر، أو بمكة، فهو مدني، وذكروا فضائل هذه السورة وأنها تسمى: المائدة، والعقود، والمنقذة، والمبعثرة، ومناسبة افتتاحها لما قبلها هو أنه تعالى لما ذكر استفتاءهم في الكلالة وأفتاهم فيها، ذكر أنه يبين لهم كراهة الضلال، فبين في هذه السورة أحكامًا كثيرة هي تفصيل لذلك المجمل، قالوا: وقد تضمنت هذه السورة ثمانية عشر فريضة لم يبينها في غيرها، وسنبينها أوّلاً فأوّلاً إن شاء الله تعالى، وذكروا أن الكندي الفيلسوف قال له أصحابه: أيها الحكيم اعمل لنا مثل هذا لقرآن، فقال: نعم، أعمل مثل بعضه، فاحتجب أيامًا كثيرة ثم خرج، فقال: والله ما أقدر، ولا يطيق هذا أحد، إني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة، فنظرت فإذا هو قد نطق بالوفاء، ونهى عن النكث، وحلل تحليلاً عامًا، ثم استثنى استثناء، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين، ولا يقدر أحد أن يأتي بهذا إلا في إجلاد، والظاهر أنّ النداء لأمة الرسول المؤمنين، وقال ابن جريج: هم أهل الكتاب، وأمر تعالى المؤمنين بإيفاء العقود وهي جمع عقد، وهو العهد، قاله: الجمهور، وابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، وقتادة، والضحاك، والسدي، وقال الزجاج: العقود أوكد من العهود، وأصله في الأجرام ثم توسع فأطلق في المعاني، وتبعه الزمخشري فقال: هو العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه، والظاهر عموم المؤمنين في المخلص والمظهر، وعموم العقود في كل ربط يوافق الشرع سواء كان إسلاميًا أم جاهليًا، وقد سأل فرات بن حنان العجلي رسول الله ﷺ عن حلف الجاهلية فقال ﷺ: «لعلك تسأل عن حلف تيم الله» قال: نعم يا نبي الله، قال ﷺ: «لا يزيده الإسلام إلا شدة»، وقال ﷺ في حلف الفضول وكان شهده في دار عبد الله بن جدعان: «ما أحب أنّ لي به حمر النعم ولو ادّعى به في الإسلام لأجبت» وكان هذا الحلف أنّ قريشًا تعاقدوا على أنْ لا يجدوا مظلومًا بمكة من أهلها أو من غير أهلها إلا قاموا معه حتى ترد مظلمته، وسميت ذلك الحلف حلف الفضول، وكان الوليد بن عقبة أميرًا على المدينة، فتحامل على الحسين بن علي في مال فقال: لتنصفني من حقي وإلا أخذت بسيفي، ثم لأقومن في مسجد الرسول ﷺ ثم لأدعون بحلف الفضول، فقال عبد الله بن الزبير: لئن دعاني لآخذن سيفي ثم لأقومن معه حتى ينتصف من خصمه، أو نموت جميعًا، وبلغت المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله التيمي فقالا مثل ذلك، وبلغ ذلك الوليد فأنصفه، ويندرج في هذا العموم كل عقد مع إنسان كأمان، ودية، ونكاح، وبيع، وشركة، وهبة، ورهن، وعتق، وتدبير، وتخيير، وتمليك، ومصالحة، ومزارعة، وطلاق، وشراء، وإجارة، وما عقده مع نفسه لله تعالى من طاعة: كحج، وصوم، واعتكاف، وقيام، ونذر وشبه ذلك، وقال ابن عباس ومجاهد: هي العهود التي أخذها الله على عباده فيما أحل وحرم، وهذا القول بدأ به الزمخشري فقال: هي العهود التي عقدها الله على عباده وألزمها إياهم من واجب التكليف، وأنه كلام قدم مجملاً ثم عقب بالتفصيل، وقال قتادة: =

مدنية وهي مائة وعشرون أو اثنان أو ثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٣ ﴾ [المائدة: ١ - ٣].

هو الحلف الذي كان بينهم في الجاهلية، قال: وروي لنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أوفوا بعقد الجاهلية ولا تحدثوا عقدًا في الإسلام» وقال محمد بن كعب القرظي وابن زيد وغيرهما: هي كل ما ربطه المرء على نفسه من بيع أو نكاح أو غيره، وقال ابن زيد أيضًا، وعبد الله بن عبيدة: العقود خمس: عقدة الإيمان، وعقدة النكاح، وعقدة العهد، وعقدة البيع، وعقدة الحلف، وقيل: هي عقود الأمانات والبياعات ونحوها، وقال ابن جريج: هي التي أخذها الله على أهل الكتاب أن يعملوا بها بما جاءهم به الرسول، وقال ابن شهاب: قرأت الكتاب الذي كتبه الرسول ﷺ لعمرو بن حزم حين بعثه إلى نجران وفي صدره: «هذا بيان من الله ورسوله يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود إلى قوله إن الله سريع الحساب» وقيل: العقود هنا الفرائض.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1] العهود الوثيقة وهي فرائض الدين ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه في: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: 3] أو التحريم لما عرض من الموت ونحوه ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ جمع حرام، وهو المحرم، سمي بذلك؛ لأنه يحرم عليه ما لا يحرم على غيره ﴿إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ﴾ [المائدة: 2] أمور دينه ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بالقتال فيه، أو المراد النَّسِيءُ؛ لأنهم كانوا يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾ وهو كل ما يُهدى للبيت من الأنعام بالتعرض له ﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ جمع قلادة، وهو ما كان يتقلد به من شجر الحرم ليأمن من المشركين فلا يتعرضوا لها ولا لأصحابها.

ولا تحلوا ﴿آمِّينَ﴾ قاصدين ﴿الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ بأن تقاتلوهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾ رزقًا بالتجارة ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ منه بقصده بزعمهم، وهذه الآية إلى هنا منسوخة بقوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ وقوله: ﴿فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ فلا يجوز أن يحج مشرك ولا يأمن بالهدى والقلائد ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ من الإحرام ﴿فَاصْطَادُوا﴾ أمر إباحة ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ لا يكسبنكم ﴿شَنَآنُ﴾ قرأ ابن عامر وأبو بكر وابن وردان وابن جمان بخلاف عنه «شنآن» بإسكان النون في الموضعين والباقون بفتحها، وهو العداوة؛ أي: لا يحملنكم بغض ﴿قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قرأ أبو عمرو وابن كثير بكسر الهمزة والباقون بفتحها، والصد المشار إليه ما وقع من صدهم النبي ﷺ وصحبه عن العمرة عام الحديبية ﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾ أي: لا يحملنكم ذلك على الاعتداء عليهم بالقتل وأخذ الأموال وغير ذلك ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ أي: ليعن بعضكم بعضًا على الخير فقط ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ خافوا عقابه بأن يطيعوه ﴿إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: 3] أي: أكلها ﴿وَالدَّمُ﴾ المسفوح ﴿وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾ بأن ذبح على اسم غيره ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ هي التي تخنق فيموت ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ هي التي ضربت بعصا أو نحوها حتى ماتت ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ وهي التي تتردى من جدار أو بئر مثلاً فتموت ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ هي التي نطحتها غيرها فماتت

﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾[1] بعضه، فيحرم أكل بقيته، ونهوا عن ذلك؛ لأن أهل الجاهلية كانوا

---

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: قوله تعالى: ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ هي التي تموت خنقًا، وهو حبس النفس سواء فعل بها ذلك آدمي أو اتفق لها ذلك في حبل أو بين عودين أو نحوه، وذكر قتادة: أن أهل الجاهلية كانوا يخنقون الشاة وغيرها فإذا ماتت أكلوها، وذكر نحوه ابن عباس، قوله تعالى: ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ الموقوذة هي التي ترمى أو تضرب بحجر أو عصا حتى تموت من غير تذكية، عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك والسدي، يقال منه: وقذه يقذه وقذا وهو وقيذ، والوقذ شدة الضرب، فلان وقيذ أي مثخن ضربًا، قال قتادة: كان أهل الجاهلية يفعلون ذلك ويأكلونه، وقال الضحاك: كانوا يضربون الأنعام بالخشب لآلهتهم حتى يقتلوها فيأكلوها، ومنه المقتولة بقوس البندق، وفي صحيح مسلم عن عدي بن حاتم قال: قلت يا رسول الله فإني أرمي بالمعراض الصيد فأصيب، فقال ﷺ: «**إذا رميت بالمعراض فخزق فكله وإن أصابه بعرضه فلا تأكله**» وفي رواية «**فإنه وقيذ**»، قال أبو عمر: اختلف العلماء قديمًا وحديثًا في الصيد بالبندق والحجر والمعراض، فمن ذهب إلى أنه وقيذ لم يجزه إلا ما أدرك ذكاته، على ما روي عن ابن عمر، وهو قول مالك وأبي حنيفة وأصحابه والثوري والشافعي، وخالفهم الشاميون في ذلك، قال الأوزاعي في المعراض، كله خزق أو لم يخزق، فقد كان أبو الدرداء وفضالة بن عبيد وعبد الله بن عمر ومكحول لا يرون به بأسًا، قال أبو عمر: هكذا ذكر الأوزاعي عن عبد الله بن عمر، والمعروف عن ابن عمر ما ذكره مالك عن نافع عنه، والأصل في هذا الباب والذي عليه العمل وفيه الحجة لمن لجأ إليه حديث عدي بن حاتم وفيه: «**وما أصاب بعرضه فلا تأكله فإنما هو وقيذ**»، قوله تعالى: ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ المتردية هي التي تتردى من العلو إلى السفل فتموت، كان ذلك من جبل أو في بئر ونحوه، وهي متفعلة من الردى وهو الهلاك، وسواء تردت بنفسها أو رداها غيرها، وإذا أصاب السهم الصيد فتردى من جبل إلى الأرض حرم أيضًا؛ لأنه ربما مات بالصدمة والتردي لا بالسهم، ومنه الحديث «**وإن وجدته غريقا في الماء فلا تأكله فإنك لا تدري الماء قتله أو سهمك**» أخرجه مسلم، وكانت الجاهلية تأكل المتردي ولم تكن تعتقد ميتة إلا ما مات بالوجع ونحوه دون سبب يعرف، فأما هذه الأسباب فكانت عندها كالزكاة، فحصر الشرع الزكاة في صفة مخصوصة على ما يأتي بيانها، وبقيت هذه كلها ميتة، وهذا كله من المحكم المتفق عليه، وكذلك النطيحة وأكيلة السبع التي فات نفسها بالنطح والأكل، قوله تعالى: ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ النطيحة فعيلة بمعنى مفعولة، وهي الشاة تنطحها أخرى أو غير ذلك فتموت قبل أن تذكى، وتأول قوم النطيحة بمعنى الناطحة؛ لأن الشاتين قد تتناطحان فتموتان، وقيل: نطيحة ولم يقل نطيح، وحق فعيل لا يذكر فيه الهاء كما يقال: كف خضيب ولحية دهين، لكن ذكر الهاء هاهنا؛ لأن الهاء إنما تحذف من الفعيلة إذا كانت صفة لموصوف منطوق به، يقال: شاة نطيح وامرأة قتيل، فإن لم تذكر الموصوف أثبت الهاء فتقول: رأيت قتيلة بني فلان وهذه نطيحة الغنم؛ لأنك لو لم تذكر الهاء فقلت: رأيت قتيل بني فلان لم يعرف أرجل هو أم امرأة، وقرأ أبو ميسرة «والمنطوحة»، قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ يريد كل ما افترسه ذو ناب وأظفار من الحيوان، كالأسد والنمر والثعلب والذئب والضبع ونحوها، هذه كلها سباع، يقال: سبع فلان فلانًا أي عضه بسنه، وسبعه

=

يأكلون هذه المذكورات ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أي: أدركتم ذكاته من هذه الأشياء، وهي بقطع الحلقوم والمريء، والأول مجرى النفس دخولاً وخروجًا، والثاني مجرى الطعام والشراب.

وحرم عليكم ﴿مَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ جمع واحدها: نصاب، أو مفرد جمعه: أنصاب كعنق وأعناق، وهو ما ذبح على الصنم للتقرب له، وحرم عليكم ﴿أَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ أي: تطلبوا الحكم بها، وهي جمع واحده: زلم - بفتح الزاي وضمها مع فتح اللام -: قدح - بكسر القاف -: سهم صغير لا ريش له ولا نصل، وهي سبعة قداح متساوية عند سادت الكعبة؛ أي: خادمها، وكانوا يجيلونها عندما يحدث لهم، على واحد «لا» وآخر «نعم» وآخر «منكم» وآخر «ملصق» وآخر «من غيركم» وآخر «العقل» وآخر «عقل»، فإن اختلفوا في نسب فظهر «منكم» فهو من خيارهم، وإن طلع «من غيركم» كان حليفًا، وإن ظهر «ملصق» كان على حاله ولا نسب له، وإن ظهر «لا» لم يفعلوا، أو «نعم» فعلوا، أو «العقل» يحمله من يخرج عليه، وإن خرج «العقل» أجابوا حتى يظهر ما يقول عليه فهو عن ذلك ﴿ذَلِكُمْ﴾ المذكور ﴿فِسْقٌ﴾ خروج عن طاعة الله.

﴿الْيَوْمَ﴾ أراد به الزمن الحاضر ﴿يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ فلا طمع لهم في رجوعكم للكفر؛ لأنهم كانوا يأملون ذلك قبل انتشار الإسلام ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ تخافوهم ﴿وَاخْشَوْنِ﴾ خافوني ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ نزلت يوم الجمعة يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع، وعاش النبي ﷺ بعدها إلى ثالث عشر ربيع الأول، والمراد بالإكمال: إكمال فرائضه وسننه وحدوده من حلال وحرام، ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام، ولم يحج بعدها مشرك وآمنوا من العدو ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بإكماله ﴿وَرَضِيتُ﴾ اخترت ﴿لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ من بين سائر الأديان.

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾ مجاعة إلى شيء مما حرم عليها فأكل ﴿غَيْرَ

= أي عابه ووقع فيه، وفي الكلام إضمار؛ أي: وما أكل منه السبع؛ لأن ما أكله السبع فقد فنى، ومن العرب من يوقف اسم السبع على الأسد، وكانت العرب إذا أخذ السبع شاة ثم خلصت منه أكلوها، وكذلك إن أكل بعضها، قاله قتادة وغيره وقرأ الحسن وأبو حيوة «السبع» بسكون الباء، وهي لغة لأهل نجد.

﴿مُتَجَانِفٍ﴾ منحرف أو مائل ﴿لِإِثْمٍ﴾ معصية ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ له ﴿رَحِيمٌ﴾ به بخلاف المائل لإثم؛ أي: المتلبس به كقاطع الطريق والباغي مثلاً؛ فلا يحل له الأكل ما لم يتب وإن أشرف على التلف؛ لأنه متمكن من الأكل بترك الذنب وهو التوبة، وقوله: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ متصل بذكر المحرمات وذلك فسق، وما بعده اعتراض أكد به معنى التحريم.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة: ٤ - ٦].

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ [المائدة: 4] يا محمد، هل نزلت في عدي بن حاتم وزيد الخير سألا رسول الله ﷺ عن حكم الصيد؟ أو نزلت لما أمر النبي ﷺ بقتل الكلاب فنزلت لحل اقتناء ما ينتفع به منها إذ سألوه عنه؟ قولان ﴿مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ من الطعام ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ ﴿أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ المستلذات، وهي: ما لم يستخبثوه في حال يسار ورفاهية، والخطاب للعرب فالعبرة بهم في ذلك إلا أن يرد نص ولو خبر آحاد ﴿وَ﴾ صيد ﴿مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ هل هي الكلاب فقط؟ أو كل ما سير من الجوارح كفهد وصقر ونحو ذلك؟ قولان، الجمهور على الثاني ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ مقربين لها على

الصيد، والمراد: حل أكل مصيد كل جارحة تصيد، وخص الكلاب بالذكر؛ لأنها أكثر وأعم؛ أي: أحل لكم صيدها، فإن استرسل الجارح بنفسه لم يحل ما صاده.

﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ تؤدبونهن ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ﴾ من آداب الصيد ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ بأن لم يأكلن منه وإن قتلنه بخلاف غير المعلمة فلا يحل صيدها، وعلامة المعلمة: أن تسترسل إذا أرسلت وتنزجر إذا زجرت وتمسك الصيد ولا تأكل منه، وأقل ما يعرف به ذلك ثلاث مرات فإن انتقى شيء من ذلك لم يحل أكله، وصيد السهم إذا أرسل ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ﴾ أو لم يذكر عليه اسم غيره كصيد المعلم من الجوارح ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ﴾ أى على الممسك أو عند الإرسال، وكلاهما مستحب ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ فلا تأكلوا مما حرم عليكم ﴿إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿الْيَوْمَ﴾ [المائدة: 5] هو كاليوم السابق ﴿أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ وهو ما سبق مما ذكر اسم الله عليه ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ وهو اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم قبل النسخ والتحريف ﴿حِلٌّ لَكُمْ﴾ أي: ذبائحهم حلال لكم ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ فيحل لكم أن تطعموهم ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ الحرائر ﴿مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وهم اليهود والنصارى حل لكم أن تنكوحهن ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿مُحْصِنِينَ﴾ متزوجين ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ زانين جهرًا ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ أصدقاء للزنا سرًا ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾ بأن ارتد ﴿فَقَدْ حَبِطَ﴾ بطل ﴿عَمَلُهُ﴾ أي: ثوابه إن اتصل به الموت ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الثواب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ﴾ [المائدة: 6] أردتم القيام ﴿إِلَى الصَّلَاةِ﴾ محدثين ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ أمر إيجاب إجماعًا، وهو من منابت شعر الرأس إلى منتهى اللحيتين والذقن ومن الأذن إلى الأذن ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ المراد به: غسل اليدين من رءوس الأصابع إلى أن يشرع في العضد فيدخل المرفقين في الغسل، وكذا الكعبين في غسل الرجلين ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ الباء للإلصاق؛ أي: الصقوا المسح بها بلا إسالة ماء، هو اسم جنس فيكفي ما يقع عليه الاسم عند الشافعي لوجود الإلصاق واحتاط غيره، فأخذ مالك بمسح كلها، وأبو حنيفة لمقدار الناصبة؛ لأن رسول الله ﷺ اقتصر عليها في بعض الأحوال ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ قرأ نافع وابن عامر ويعقوب وحفص والكسائي بنصب اللام والباقون بالجر ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ أي: معهما، وهما العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم وبينت السنة وجوب الترتيب واقتران أوله بالنية كبقية

العبادات ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ اغتسلوا، ويجب على المغتسل تعميم ظاهر جسده، ويعفى عن باطن شعر منعقد في لحية وغيرها، ويجب نقض صفائر لا يصل الماء إلى باطنها إلا بالنقض.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ مرضًا يضر معه الماء ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي: مسافرين ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ أي: أحدث ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ بعد طلبه ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ أقصدوا ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ ترابًا طهورًا ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ مع المرفقين ﴿مِنْهُ﴾ بضربتين، وبينت السنة وجوب استيعاب العضوين بالمسح ﴿مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ﴾ في الدين ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾ ضيق عن الطهارات وغيرها ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ من الحدث والذنوب ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالرخص وبيان شرائع الدين ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ذلك بامتثاله.

﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَـٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ [المائدة: ٧ - ٩].

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: 7] أيها المؤمنون بالإسلام ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾ عهده الذي عاهدكم به ﴿إِذْ قُلْتُمْ﴾ أيها المؤمنون للرسول ﷺ حين بايعتموه ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللهَ﴾ في عهده أن تنقضوه ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ وربما في القلوب فبغيره أولى.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ [المائدة: 8] قائمين ﴿للهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ العدل ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ﴾ بغض ﴿قَوْمٍ﴾ أي: الكفار ﴿عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ فتنالوا منهم بعداوتهم ﴿اعْدِلُوا﴾ في العدو والولي بحقوقه ﴿هُوَ﴾ أي: العدل ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [المائدة: 9] إلى هنا تم الكلام،

والتقدير: وعدًا حسنًا، ثم بينه بقوله ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ هو الجنة.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١) ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٢) فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣) ﴾ [المائدة: ١١ - ١٣].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [المائدة: 10] أي: الملازمون لها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾ [المائدة: 11] أرادوا وهم قريش ﴿أَنْ يَبْسُطُوا﴾ يمدوا ﴿إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتال والقتل ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ بفضله وعصمكم مما أرادوكم به ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ نزلت هذه الآية في قوم من اليهود صنعوا لرسول ﷺ طعامًا فيه سم، وقيل غير ذلك كما في الأصل.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [المائدة: 12] بعهدهم المذكور بعد ﴿وَبَعَثْنَا﴾ أقمنا ﴿مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ وزيرًا على قومهم من كل سبط نقيب يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بالعهد توثقه عليهم ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بالنصر والإعانة نصرتموهم ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾

نصرتموهم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ هل هو الزكاة أو النفقة على الأهل؟ قولان، والأقرب: إنه الإنفاق في وجوه الخير ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الميثاق ﴿مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ﴾ أخطأ ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: طريق الحق المستقيمة.

فنقضوا، فقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ﴾ [المائدة: 13] أي: فنقضهم ﴿مِيثَاقَهُمْ﴾ بقتل الأنبياء وغيره ﴿لَعَنَّاهُمْ﴾ طردناهم وأبعدناهم عن رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ بألف بعد القاف وتخفيف السين مفتوحة لغير حمزة والكسائي، ولهما بتشديد بلا ألف؛ أي: ردية مغشوشة ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ من بعث محمد ﷺ الذي في التوراة وغيره ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه الله عليها أي: يبدلونه ﴿وَنَسُوا﴾ تركوا ﴿حَظًّا﴾ نصيبًا ﴿مِمَّا ذُكِّرُوا﴾ أمروا ﴿بِهِ﴾ في التوراة، هو الإيمان بمحمد ﷺ ﴿وَلَا تَزَالُ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿تَطَّلِعُ﴾ تظهر ﴿عَلَى خَائِنَةٍ﴾ أي: خيانة ﴿مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ لم يخونوا ولم ينقضوا كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ أي: لا تقاتلهم، ونسخ ذلك بأنه السيف ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ﴾ يثيب ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٤ - ١٦].

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ [المائدة: 14] متعلق بقوله: ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ كما أخذنا من بني إسرائيل ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ في الإنجيل من الإيمان وغيره ونقضوا الميثاق ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ أوقعنا ﴿بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ﴾ في أنفسهم فانقسموا إلى فرق، أو

بينهم وبين اليهود ﴿وَالْبَغْضَاءَ﴾ الشحناء والعداوة ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فكل فرقة تكفر الأخرى ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ﴾ يخبرهم الله في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ تنكيلاً لهم بالتوبيخ قبل العذاب.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: 15] خطاب لليهود والنصارى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﷺ ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ﴾ تكتمون ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي: من التوراة والإنجيل مثل آية الرجم وصفة محمد ﷺ ﴿وَيَعْفُو﴾ يعرض ﴿عَنْ كَثِيرٍ﴾ مما أخفيتم، فلا يتعرض لكم فيه ولا يؤاخذكم به ولا يبيّنه؛ إذ لم يكن فيه مصلحة غير فضيحتكم ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ﴾ هو محمد ﷺ ﴿وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ أي: بيّن أو مبين بيّنه الله تعالى وهو القرآن(1).

﴿يَهْدِي بِهِ﴾ [المائدة: 16] أي: بالكتاب ﴿اللهُ﴾ أي: يوصل ﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ بالإيمان ﴿سُبُلَ﴾ طرق ﴿السَّلَامِ﴾ أي: دين الله، والسلام هو الله، أو المراد: طرق السلامة ﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بهدايته وتوفيقه وإرادته ﴿وَيَهْدِيهِمْ﴾ يدلهم ويوصلهم ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ طريق الحق وهو الإسلام.

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ

(1) أراد نور المعرفة بلا واسطةٍ ولا تصنُّع. وأيضًا: نوره الذي يتجلّى به من وجود الأنبياء والأولياء لأبصار الناظرين، وشاهد ذلك النور ما جاء في كتابه من بيان مقامات الصديقين، قد جاء النور منه جمعًا، وجاء الكتاب تفرقةً ظاهرةً في شهادته على مَنْ له من الله نورٌ، والنور والكتاب صفتان من صفات الأذل ظهر لجذب السالكين إلى الله. قيل: كشف عن أسراركم غطاء الوحشة، وألبسكم لباس الأنس.

﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨﴾ [المائدة: ١٧ - ١٨].

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ الله هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: 17] وهي فرقة من النصارى يقال لها: اليعقوبية ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ﴾ أي: يدفع ﴿مِنَ الله﴾ من عذابه ﴿شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ المعنى: إنه لا أحد يملك ذلك، ولو كان المسيح إلهًا لقدر عليه ﴿وَلِله مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ شاءه ﴿قَدِيرٌ﴾.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى﴾ [المائدة: 18] أي: كل منهم ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ الله﴾ أي: كأبنائه في القرب والمنزلة وهو كأبينا في الرحمة والشفقة ﴿وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ إن صدقتم في ذلك، ولا يعذب الأب ولده ولا الحبيب حبيبه وقد عذبكم، فأنتم كاذبون ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ﴾ أي: من جملة من ﴿خَلَقَ﴾ من البشر لكم ما لهم وعليكم ما عليهم ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه لا اعتراض عليه ﴿وَلِله مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ المرجع في القيامة فيجازي كلاً بعمله.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٠ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ٢١ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ٢٢ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة: ١٩ - ٢٣].

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: 19] خطاب لليهود والنصارى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾

محمد ﷺ ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ الدين الحق بشرائعه ﴿عَلَى فَتْرَةٍ﴾ انقطاع ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ إذا لم يكن بينه وبين عيسى رسول، ومدة ذلك خمسمائة وأربعون أو وستون سنة، أو ستمائة أو أربعمائة وعشرون؟ أقوال، أشهرها الثاني ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ لئلا تقولوا؛ أي: يوم القيامة عند مصيركم إلى النار خالدين فيها ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ وهو محمد ﷺ فلا عذر لكم ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَ﴾ [المائدة: 20] اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ﴾ منكم ﴿أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ قال ابن عباس: المراد بالملك هنا: من له امرأة ومسكن وخادم ﴿وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ من المنّ والسلوى وتظليل الغمام وفلق البحر وغير ذلك.

﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ [المائدة: 21] المطهرة، وهي الشام على الأشهر، قال ابن عباس: هي الطور ﴿الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾ أي: أمركم بدخولها ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ﴾ أعتابكم خوف العدو ﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ ترجعوا نادمين في سعيكم.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا﴾ [المائدة: 22] أي: في الأرض المقدسة ﴿قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ طوالاً ذي قوة من بقايا عاد، وهم العمالقة ﴿وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ لها.

﴿قَالَ﴾ [المائدة: 23] لهم ﴿رَجُلَانِ﴾ هما يوشع بن نون وكالب، من النقباء الذين بعثهم موسى لكشف أحوال الجبابرة ﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ من مخالفة أمر الله ﴿أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالعصمة فكتما أحوال ما اطلعا عليه من حالهم إلا عن موسى بخلاف بقية النقباء فأفشوه فجبنوا ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ باب قريتهم، ولا تخشوهم؛ لأنهم أجساد بلا قلوب ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ قالاه إمَّا لغلبة الظن، أو لأن الله أخبر موسى بنصر الله تعالى وإنجاز وعده ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ

ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [المائدة: ٢٤ - ٢٩].

﴿قَالُو يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 24] عن القتال، والمراد بالذهاب: إما الإرادة والقصد أو حقيقته، وقالوه على وجه الاستهانة فلعنوا، ولما قالوا ذلك اشتد ذلك على موسى وهارون صلى الله عليهما وسلم.

و﴿قَالَ﴾ [المائدة: 25] موسى حينئذ ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ أي: لا أملك لنصرة دينك غيرهما ﴿فَافْرُقْ﴾ فافصل ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ بحكمك، أو نجنا منهم.

﴿قَالَ﴾ [المائدة: 26] تعالى ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي: الأرض المقدسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ أن يدخلوها ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يتحيرون فيها ويترددون، وكانت تسعة فراسخ قاله ابن عباس، وقال غيره ستة ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ تحزن ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ روي أنهم كانوا يسيرون في الليل سيرًا قويًا فإذا أصبحوا إذا هم في الموضع الذي ابتدءوا منه، ويسيرون النهار كذلك حتى انقرضوا كلهم إلا ستمائة ممن لم يبلغوا العشرين سنة.

قيل: وكانوا ستمائة ألف، ومات هارون وموسى في التيه، وكان رحمة لهما وعذابًا لأولئك، وسأل موسى ربه عند موته أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر فأدناه، ونبي يوشع بعد الأربعين وأمر بقتال الجبارين، فصار بمن بقي معه وقاتلهم وكان يوم الجمعة ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم، وجاء أن الشمس لم يحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار لبيت المقدس.

﴿وَاتْلُ﴾ [المائدة: 27] يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على قومك ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿ابْنَيْ آدَمَ﴾ هابيل وقابيل ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: تلاوة ملتبسة بالحق ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ إلى الله، هو كبش

لهابيل وزرع لقابيل ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ وهو هابيل، بأن نزلت نار من السماء فأكلت قربانه ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾[1] وهو قابيل، فغضب واضمر الحسد في نفسه إلى أن

---

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ...﴾ الآية وجه اتصال هذه الآية بما قبلها التنبيه من الله تعالى على أن ظلم اليهود، ونقضهم المواثيق والعهود كظلم ابن آدم لأخيه، المعنى: إن هم هؤلاء اليهود بالفتك بك يا محمد فقد قتلوا قبلك الأنبياء، وقتل قابيل هابيل، والشر قديم، أي: ذكرهم هذه القصة فهي قصة صدق، لا كالأحاديث الموضوعة، وفي ذلك تبكيت لمن خالف الإسلام، وتسلية للنبي ﷺ واختلف في ابني آدم، فقال الحسن البصري: ليسا لصلبه، كانا رجلين من بني إسرائيل - ضرب الله بهما المثل في إبانة حسد اليهود - وكان بينهما خصومة، فتقربا بقربانين ولم تكن القرابين إلا في بني إسرائيل، قال ابن عطية: وهذا وهم، وكيف يجهل صورة الدفن أحد من بني إسرائيل حتى يقتدي بالغراب؟ والصحيح أنهما ابناه لصلبه، هذا قول الجمهور من المفسرين وقاله ابن عباس وابن عمر وغيرهما، وهما قابيل وهابيل، وكان قربان قابيل حزمة من سنبل - لأنه كان صاحب زرع - واختارها من أردأ زرعه، ثم إنه وجد فيها سنبلة طيبة ففركها وأكلها، وكان قربان هابيل كبشًا - لأنه كان صاحب غنم - أخذه من أجود غنمه، ﴿فَتُقُبِّلَ﴾ فرفع إلى الجنة، فلم يزل يرعى فيها إلى أن فدي به الذبيح عليه السلام، قاله سعيد بن جبير وغيره، فلما تقبل قربان هابيل لأنه كان مؤمنًا - قال له قابيل حسدًا: أنه كان كافرًا - أتمشي على الأرض يراك الناس أفضل مني! ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ وقيل: سبب هذا القربان أن حواء عليها السلام كانت تلد في كل بطن ذكرًا وأنثى - إلا شيثًا عليه السلام فإنها ولدته منفردًا عوضًا من هابيل على ما يأتي، واسمه هبة الله؛ لأن جبريل عليه السلام قال لحواء لما ولدته: هذا هبة الله لك بدل هابيل، وكان آدم يوم ولد شيث ابن ثلاثين ومائة سنة - وكان يزوج الذكر من هذا البطن الأنثى من البطن الآخر، ولا تحل له أخته توءمته، فولدت مع قابيل أختًا جميلة واسمها إقليمياء، ومع هابيل أختًا ليست كذلك واسمها ليوذا، فلما أراد آدم تزويجهما قال قابيل: أنا أحق بأختي، فأمره آدم فلم يأتمر، وزجره فلم ينزجر، فاتفقوا على التقريب، قال جماعة من المفسرين منهم ابن مسعود، وروي أن آدم حضر ذلك والله أعلم، وقد روي في هذا الباب عن جعفر الصادق: إن آدم لم يكن يزوج ابنته من ابنه، ولو فعل ذلك آدم لما رغب عنه النبي ﷺ ولا كان دين آدم إلا دين النبي ﷺ وأن الله تعالى لما أهبط آدم وحواء إلى الأرض وجمع بينهما ولدت حواء بنتًا فسماها عناقا فبغت، وهي أول من بغى على وجه الأرض، فسلط الله عليها من قتلها، ثم ولدت لآدم قابيل، ثم ولدت له هابيل، فلما أدرك قابيل أظهر الله له جنية من ولد الجن، يقال لها: جمالة في صورة إنسية، وأوحى الله إلى آدم أن زوجها من قابيل فزوجها منه، فلما أدرك هابيل أهبط الله إلى آدم حورية في صفة إنسية وخلق لها رحمًا، وكان اسمها بزلة، فلما نظر إليها هابيل أحبها، فأوحى الله إلى آدم أن زوج بزلة من هابيل ففعل، فقال قابيل: يا أبت ألست أكبر من أخي؟ قال: نعم، قال: فكنت أحق بما فعلت به منه! فقال له آدم: يا بني إن الله قد أمرني بذلك، وإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، فقال: لا والله، ولكنك آثرته علي، فقال آدم:

=

حج آدم ﴿قَالَ﴾ الذي لم يتقبل منه للمتقبل منه ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ﴾ لم لتقبل قربانك دوني قال له ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ الله مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿لَئِنْ بَسَطْتَ﴾ [المائدة: 28] مددت ﴿إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ الله رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ في قتلك.

﴿إِنِّي أُرِيدُ﴾[المائدة: 29] قاله المقتول ﴿أَنْ تَبُوءَ﴾ تتحمل وترجع ﴿بِإِثْمِي﴾ بإثم قتلي ﴿وَإِثْمِكَ﴾ الذي ارتكبته من قبل ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ ولا أريد أن أبوء بإثمك إذا قتلتك فأكون منهم، قال تعالى: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ لأنفسهم.

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾

فقربا قربانا فأيكما يقبل قربانه فهو أحق بالفضل، قلت: هذه القضية عن جعفر ما أظنها تصح، وأن القول ما ذكرناه من أنه كان يزوج غلام هذا البطن لجارية تلك البطن، والدليل على هذا من الكتاب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ وهذا كالنص ثم نسخ ذلك، حسبما تقدم بيانه في سورة البقرة، وكان جميع ما ولدته حواء أربعين من ذكر وأنثى في عشرين بطنًا، أولهم قابيل وتوءمته إقليمياء، وآخرهم عبد المغيث، ثم بارك الله في نسل آدم، قال ابن عباس: لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفًا، وما روي عن جعفر، من قوله: فولدت بنتًا وأنها بغت، فيقال: مع من بغت؟ أمع جني تسول لها! ومثل هذا يحتاج إلى نقل صحيح يقطع العذر، وذلك معدوم، والله أعلم.

الثانية: وفي قول هابيل ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ كلام قبله محذوف؛ لأنه لما قال له قابيل: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ قال له: ولم تقتلني وأنا لم أجن شيئًا؟ ولا ذنب لي في قبول الله قرباني، أما إني أتقيته وكنت على لاحب الحق وإنما يتقبل الله من المتقين، قال ابن عطية: المراد بالتقوى هنا اتقاء الشرك بإجماع أهل السنة، فمن اتقاه وهو موحد فأعماله التي تصدق فيها نيته مقبولة، وأما المتقي الشرك والمعاصي فله الدرجة العليا من القبول والختم بالرحمة، علم ذلك بإخبار الله تعالى لا أن ذلك يجب على الله تعالى عقلاً، وقال عدي بن ثابت وغيره: قربان متقي هذه الأمة الصلاة، قلت: وهذا خاص في نوع من العبادات، وقد روى البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته**».

فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِيۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [المائدة: ٣٠ - ٣٣].

﴿فطَوَّعَتْ﴾ [المائدة: 30] زينت ﴿لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فقتَلَهُ فَأَصْبَحَ﴾ فصار ﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ بقتله، ولم يدر ما يصنع به؛ لأنه أول ميت على وجه الأرض من بني آدم فحمله على ظهره.

﴿فَبَعَثَ الله غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: 31] ينبش التراب بمنقاره ورجليه وسوَّاه على غراب ميت معه حتى واراه ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي﴾ يستر ﴿سَوْأَةَ أَخِيهِ﴾ والمراد هنا: الجسد كاملاً؛ لأن كل أجزاء الميت إذا ظهرت سوءة ﴿قَالَ﴾ قابيل ﴿يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ﴾ عن ﴿أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ على حمله لا على قتله، أو ندم على غضب الله عليه بسبب ذلك لا على نفس القتل، وحفر له وواراه.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ [المائدة: 32] قرأ أبو جعفر بكسر الهمزة ونقل حركتها إلى النون، والباقون بسكون النون وفتح الهمزة ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ﴾ أي: الشأن ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: بغير قتل نفس ﴿أَوْ﴾ بغير ﴿فَسَادٍ﴾ أتاه ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ وهو القتل للشرك أو قطع الطريق أو الزنا ونحو ذلك ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ إذ كل إنسان يدلي به الآخر إلى الله من الكرامة وثبوت الحرمة، فمن قتله فقد أهان ما كرم الله ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ بأن امتنع من قتلها ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ من حيث صون

تلك النفس، وتعظيم ما عظم الله ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلالات الواضحة ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الذي جاء إليهم ﴿فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ متجاوزون الحد بالكفر والقتل وغير ذلك.

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: 33] بمحاربة المسلمين، هم قطاع الطريق ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بقطع السبيل ﴿أَنْ يُقَتَّلُوا﴾ إذا قتلوا ﴿أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ بعد قتلهم ثلاثًا إن قتلوا وأخذوا المال ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ إن أخذوا المال ولم يقتلوا، وكان قدر نصاب بسرقة فتقطع يده اليمنى ورجله اليسرى، فإن عاد فما بقي ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي: يحبسوا إن أخافوا الطريق فقط، لذا فسره ابن عباس وعليه جماعة منهم الشافعي: ويلحق بالحبس ما فيه تنكيل برأي الحاكم ﴿ذَلِكَ﴾ الجزاء المذكور ﴿لَهُمْ خِزْيٌ﴾ ذل وهوان ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو عذاب النار.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المائدة: ٣٤ - ٣٨].

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ [المائدة: 34] من المحاربين والقطاع ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وبه علم أن قاطع الطريق إذا تاب قبل القدرة عليه سقطت عنه العقوبة المتعلقة بالله لتحتم قتل وقطع، ومن ثم قال: فإن الله غفور رحيم دون لا تحدوهم، فإذا قتل وتاب قبل القدرة قتل بلا صلب، والآيات نزلت في العرنيين، وكانوا ثمانية أتوا النبي ﷺ وأظهروا الإسلام وهم كذبة، ثم مرضوا فبعثهم النبي ﷺ إلى إبل الصدقة، فاستمروا حتى صحوا، فارتدوا وقتلوا الراعي واستاقوا الإبل، ثم استمر هذا الحكم في كل محارب وإن كان مسلمًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَابْتَغُوا﴾ [المائدة: 35] اطلبوا ﴿إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ ما يقربكم إليه من طاعته ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ﴾ [المائدة: 36] ثبت ﴿أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ﴾ ليجعلوه فدية ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الدار الآخرة.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [المائدة: 37] دائم.

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: 38] أراد به أيمانهما - وهو كذلك في مصحف ابن مسعود - أي: يمين كل منهما من الكوع، وبينت السنة أن الذي يقطع فيه ربع دينار فما زاد بلا شبهة إن كان من حرز، وإنه إن عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم، ثم اليد اليسرى، ثم الرجل اليمين، ثم بعد ذلك يُعزَّر ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾ من السرقة ﴿نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ (٣٩) أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (٤٠) ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ (٤١) ﴾ [المائدة: ٣٩ - ٤١].

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ [المائدة: 39] بها ﴿وَأَصْلَحَ﴾ أمره برد ما سرقه أو بدوام التوبة ﴿فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ولا يسقط بتوبته حق الآدميين

لكن لو عفا عنه صاحب المال قبل رفعه للإمام سقط القطع.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ [المائدة: 40] الاستفهام فيه للتقرير ﴿أَنَّ الله لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، مما ذكر ومن غيره مما صلحت القدرة له.

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ﴾ [المائدة: 41] يقعون ﴿فِي الْكُفْرِ﴾ سرعة بإظهاره عند وجود فرصة ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بألسنتهم ﴿وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ وهم المنافقون ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ وهم اليهود ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ الذي افترته أحبارهم سماع قبول ﴿سَمَّاعُونَ﴾ منك ﴿لِقَوْمٍ﴾ لأجل قوم ﴿آخَرِينَ﴾ أي: بني قريظة؛ لأنهم يسمعون لأجل أهل خيبر في الرجلين الذين زنيا ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ وهم أهل خيبر، زنا منهم محصنات وكان حكم التوراة الرجم فكرهوا ذلك، فبعثوا قريظة لسؤال النبي عن ذلك ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ الذي في التوراة كآية الرجم ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وصفه الله عليها ﴿يَقُولُونَ﴾ لمن أرسلوهم ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا﴾ الحكم المحرف؛ أي: الجلد؛ أي: إن أفتاكم به محمد ﴿فَخُذُوهُ﴾ فاقبلوه ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ﴾ فإن قال لكم: الرجم ﴿فَاحْذَرُوا﴾ قبول قول محمد ﷺ.

وذمهم الله على ذلك بقوله: ﴿وَمَنْ يُرِدِ الله فِتْنَتَهُ﴾ كفره وإضلاله ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ الله شَيْئًا﴾ أي: لن تقدر على رفع قضائه فيه، ولما نزل على رسول الله ﷺ الأمر بالرجم أخبرهم فأبوا فأحضر ابن صوريا وأقسم عليه، فأخبر بأنه في التوراة ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ الله أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ من خبائث النفاق والشرك ولو أراده لكان ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ بالقتل وغيره ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ

شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ [المائدة: ٤٢ - ٤٤].

هم ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [المائدة: 42] قائلون به ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾[1] هو ما لا يحل كسبه، والمراد به: الرشوة على الحكم ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ﴾ لتحكم بينهم ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ﴾ بما أنزل إليك ﴿أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ نسخ ذلك بقوله: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ﴾ [المائدة: 49] فيجب الحكم بينهم إذا ترافعوا إلينا مع مسلم أو ذمي ﴿وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ﴾ بينهم ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ العدل ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين في الحكم فيثيبهم ثوابًا عظيمًا.

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ﴾ [المائدة: 43] يرضون بحكمك ﴿وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ﴾ وهو الرجم على الزاني المحصن، وهو تعجيب من حالهم وأنهم لم يقصدوا معرفة الحق بل السهل عليهم ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾ يعرضون عن حكمك بالرجم الموافق لكتابهم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ التحكيم ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين لك.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى﴾ [المائدة: 44] رشد ﴿وَنُورٌ﴾ بيان للحق من الباطل ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾ من بني إسرائيل ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ أخلصوا دينهم لله ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ في وقائعهم وإن كان الحكم عليهم في بعضًا، وقيل اللام بمعنى «على» ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ الفقهاء، جمع حبر - بفتح الحاء وكسرها أفصح - وهو العالم المحكم للشيء ﴿بِمَا﴾ بسبب الذي ﴿اسْتُحْفِظُوا﴾ استودعوه؛ أي: استحفظهم الله أو

---

(1) قال الحسن: يسمعون الكلام ممن يكذب عندهم في دعواه فيأتيهم برشوة فيأخذونها، وقال أبو سليمان: هم اليهود ويسمعون الكذب، وهو قول بعضهم لبعض: محمد كاذب ليس بنبي، وليس في التوراة الرجم، وهم يعلمون كذبهم، وقيل: الكذب هنا شهادة الزور انتهى، وهذا الوصف إن كان قوله أوّلاً: سماعون للكذب، وصفًا لبني إسرائيل، وتقدم أن السحت المال الحرام، واختلف في المراد به هنا، فعن ابن مسعود: أنه الرشوة في الحكم، ومهر البغي، وحلوان الكاهن، وثمن الكلب، والنرد، والخمر، والخنزير، والميتة، والدم، وعسب الفحل، وأجرة النائحة والمغنية، والساحر، وأجر مصوّر التماثيل، وهدية الشفاعة، قالوا وسمي سحتًا المال الحرام؛ لأنه يسحت الطاعات أو بركة المال أو الدين أو المروءة وعن ابن مسعود ومسروق: أن المال المأخوذ على الشفاعة سحت، وعن الحسن: أنّ ما أكل الرجل من مال من له عليه دين سحت، وقيل لعبد الله: كنا نرى أنه ما أخذ على الحكم يعنون الرشا، قال: ذلك كفر.

الأنبياء إياه ﴿مِنْ كِتَابِ اللهِ﴾ أن يحرفوه ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ﴾ على الاستحفاظ للكتاب ﴿شُهَدَاءَ﴾ أنه الحق ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ أيها اليهود في إظهار ما عندكم من نعت محمد والرجم وغيرهما ﴿وَاخْشَوْنِ﴾ في كتمانه ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾ تستبدلوا ﴿بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا تأخذونه على كتمانها، وهو الرشوة ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ به، والظالمون لأنفسهم ولغيرهم، والفاسقون بالخروج عن الطاعة وصفهم بما ذكر؛ لتركهم بالنص جحدًا واستهزاء، أما من آمن وترك الحكم به فهو فاسق لا كافر.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٤٥ - ٤٧].

﴿وَكَتَبْنَا﴾ [المائدة: 45] فرضنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على بني إسرائيل ﴿فِيهَا﴾ أي: التوراة ﴿أَنَّ النَّفْسَ﴾ تقتل ﴿بِالنَّفْسِ﴾ إذا قتلتها ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ تفقأ هذه بهذه ﴿وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ﴾ يقطع هذا بهذا ﴿وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ﴾ كذلك ﴿وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾ تقلع هذه بهذه ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ إذا أمكن كيد بيد لا جائفة، وكسر عظم بعظم آخر كما بين في السنة، ففي الجائفة ثلث الدية، وفي نحو كسر العظم والجرح الحكومة، وهذه الآية شرع لمن قبلنا وقد قرره شرعنا، وقرأ الكسائي العين والأنف والأذن والسن والجروح برفع الخمسة، وافقه في الجروح ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر وابن عامر، والباقون بالنصب ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾ أي: بالقصاص ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ الهاء عائدة على القصاص، بمعنى: إنه إذا أمكن الجاني من نفسه كان كفارة لما أتاه، ومنهم من أعاد الضمير على المجني عليه؛ أي: فعفو المجني عليه كفارة للجاني في الدنيا والآخرة، وقال به جمع ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿وَقَفَّيْنَا﴾ [المائدة: 46] تقول: قفيته بكذا مثل عقبته إذا اتبعته به ﴿عَلَى آثَارِهِمْ﴾ أي: النبيين الذين قبل عيسى ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ما سبقه ﴿مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَنُورٌ﴾ بيان الأحكام ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً﴾ ذكرى ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَلْيَحْكُمْ﴾ [المائدة: 47] قرأ حمزة بكسر اللام وفتح الميم والباقون بإسكانها ﴿أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ الله فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة: ٤٨ - ٥٠].

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [المائدة: 48] القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالصدق في كل ما أنزل فيه ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ما سبقه ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي: الكتب السابقة ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ رقيبًا على سائر الكتب المنزلة؛ لأنه شهد لها بالصحة ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أرائهم الفاسدة عادلاً ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿شِرْعَةً﴾ شريعة وهي الطريقة الظاهرة ﴿وَمِنْهَاجًا﴾ طريقًا واضحًا من الدين ﴿وَلَوْ شَاءَ الله لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: على دين وشريعة واحدة، أو المراد: لجمعكم على الحق من اتّباع محمد ﷺ ﴿وَلَكِنْ﴾ أراد اختلاف الشرائع ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾ منها فيتبين النبيين المقتضي للثواب وغيره، هل يعملون بها أم لا؟ ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ ابتدروها ﴿إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ﴾ في الآخرة ﴿جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ﴾ يخبركم ﴿بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الأنبياء وكتبهم.

﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: 49] آرائهم الضالة ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾ أي: لئلا يضلوك ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ به ﴿إِلَيْكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن اتِّباع حكم الله المنزل إليك ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ﴾ في الدنيا ﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ التي أتوها، ومنها: التولي عن قبول حكم الله تعالى ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ لمترددون في الكفر معتدون فيه، وأمر بالحذر؛ لأن ابن صوريا وكعب بن الأشرف وشاس بن قيس من اليهود اجتمعوا وقالوا: نفتنه عن دينه، فأتوه وقالوا: إن آمنا بك اتَّبعك اليهود كلهم؛ لأنا أشرفهم فاحكم لنا عليهم إذا خاصمناهم إليك لنؤمن بك، فأبى عليهم.

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: 50] قرأه ابن عامر بتاء الخطاب، والباقون بالياء على الغيب، والمراد بالمذكورين: قريظة والنضير، طلبوا من النبي ﷺ أن يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل في القتلى، فقال: هم سواء ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي: عندهم.

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة: ٥١ - ٥٤].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: 51] أنصارًا وإخوانًا ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في الكفر والإخوة والعشرة ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ﴾ يعاشرهم ويصاحبهم ﴿مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي: من جملتهم إذا نصرهم، أو أحبهم لدينهم بغضًا

لدين الإسلام، أما مجرد عشرتهم أو حبهم فحرام شديد ﴿إِنَّ الله لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ لا يوصلهم إلى طريق الحق.

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [المائدة: 52] شك ونفاق ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ أي: في معونة اليهود وموالاتهم، نزلت في عبد الله بن أُبي ﴿يَقُولُونَ﴾ معتذرين عنها ﴿نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ دولة لهم بأن يدور الأمر لهم ولا يتم أمر لمحمد وصحبه، فنحتاج لنصرتهم ﴿فَعَسَى الله أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ أي: فتح مكة أو قرى اليهود مثل: خيبر وفدك ﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ تمام أمر محمد ﷺ ﴿فَيُصْبِحُوا﴾ أي: المنافقون ﴿عَلَى مَا أَسَرُّوا﴾ أخفوا ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من موالاة غيرك ﴿نَادِمِينَ﴾.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: 53] لبعضهم إذا هتك سترهم تعجبًا، قرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر «يقول» بغير واو، والباقون «ويقول» بواو، وقرأ البصريان بنصب اللام، والباقون بالرفع ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا﴾ حلفوا ﴿بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أغلظ أيمانهم وأقواها ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ في الدين، فقال الله تعالى: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ الصالحة، بطل ثوابها ﴿فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ في الدنيا بافتضاحهم وفي الآخرة بدوام عذابهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ﴾ [المائدة: 54] قرأ المدنيان وابن عامر «يرتدد» بدالين الأولى مكسورة والثانية ساكنة، والباقون بدال واحدة مشددة مفتوحة ﴿مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ إلى الكفر ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي الله بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ أبو بكر الصديق وأصحابه.

قال الحسن: علم الله ﷻ أن قومًا ما يرتدون عن أديانهم بعد موت نبيهم، فأخبر أنه سيأتي بقوم يحبهم ويحبونه؛ أي: يثيبهم ويطيعونه، وقيل: الأشعريون، وصح في السنة ما يدل له، وقيل: قوم من اليمن وكنده، وقيل: من القادسية ﴿أَذِلَّةٍ﴾ أرقاء ورحماء ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فالمراد: تواضعهم كالولد لوالده والعبد لسيده ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أشداء عليهم كالسبع على فريسته ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ كما يخاف الكفار لوم المنافقين ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من الأوصاف ﴿فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا

ﭐلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [المائدة: ٥٥ - ٥٩].

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ الله وَرَسُولُهُ﴾ [المائدة: 55] محمد ﷺ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: هم إخوانكم وأنصاركم، نزلت؛ لأن عبادة بن الصامت عادى اليهود وتبرأ منهم، ولأن عبد الله بن سلام تبرأت اليهود منه فأخبر به النبي ﷺ وقال: إن قومًا هجرونا ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ مصلون صلاة المسلمين أو خاشعون.

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ الله وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: 56] أي: يعينهم وينصرهم ﴿فَإِنَّ حِزْبَ الله﴾ أتباعه ﴿هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ لا غيرهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا﴾ [المائدة: 57] مهزوءًا به ﴿وَلَعِبًا مِنَ﴾ للبيان ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ﴾ بالجر كما قرأ البصريان والكسائي؛ أي: ومن الكفار، والباقون بالنصب ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أنصارًا وأعوانًا ﴿وَاتَّقُوا الله﴾ بترك موالاتهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ صادقين في إيمانكم.

﴿وَ﴾ [المائدة: 58] الذين ﴿إِذَا نَادَيْتُمْ﴾ دعوتم ﴿إِلَى الصَّلَاةِ﴾ بالأذان ﴿اتَّخَذُوهَا﴾ أي: الصلاة ﴿هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ هم اليهود أو بعض المنافقين كانوا يستهزءون ويضحكون منها بسبب الأذان ويقولون هو شيء لم تقل به الأنبياء ﴿ذَلِكَ﴾ الاستهزاء ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ﴾ [المائدة: 59] تكرهون ﴿مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ وهو القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ لسائر الأنبياء ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ المعنى: لا تنكرون منا إلا إيماننا ومخالفتكم في ذلك، وليس ذلك مما ينكر، نزلت؛ لأن قومًا من اليهود منهم أبو رافع بن أبي رافع أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: ما نؤمن به، فذكر عيسى من جملة الأنبياء فأبوا وذموا دين الإسلام، وقالوا: لا نعلم دينًا شرًا من دينكم.

﴿ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ

وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [المائدة: ٦٠ - ٦٤].

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ [المائدة: 60] أخبركم ﴿بِشَرٍّ مِنْ﴾ أهل ﴿ذَلِكَ﴾ الذي تنقمونه، أو شر من الذي قلتم من ذم دين الإسلام ﴿مَثُوبَةً﴾ ثوابًا وجزاء ﴿عِنْدَ اللهِ﴾ هو ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللهُ﴾ أبعده وطرده ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ وهم اليهود بالإجماع، فالمعنى: إنهم شر مما زعمتم من ذم دين الإسلام ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ المسخان كانا في أصحاب السبت، وقيل: الأول في اليهود، والثاني في النصارى بسبب المائدة ﴿وَ﴾ من ﴿عَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾[1] الشيطان بطاعته له، قرأ حمزة «وعبد» بضم الباء وجرت الطاغوت،

---

(1) بضم الباء وكسر التاء، جعله اسمًا على فعل كعضد فهو بناء للمبالغة والكثرة كيقظ وندس وحذر، وأصله الصفة، ونصبه بـ «جعل»، أي: جعل منهم عبدا للطاغوت، وأضاف عبد إلى الطاغوت فخفضه، وجعل بمعنى خلق، والمعنى: وجعل منهم من يبالغ في عبادة الطاغوت، وقرأ الباقون بفتح الباء والتاء، وجعلوه فعلاً ماضيًا، وعطفوه على فعل ماضي وهو غضب ولعن، والمعنى عندهم من لعنه الله ومن عبد الطاغوت، أو منصوبًا بـ «جعل» أي: جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت، ووحد الضمير في عبد حملا على لفظ «من» دون معناها، وقرأ أبي وابن مسعود «وعبدوا الطاغوت» على المعنى، ابن عباس: «وعبد الطاغوت»، فيجوز أن يكون جمع عبد كما يقال: رهن ورهن، وسقف وسقف، ويجوز أن يكون جمع عباد كما يقال: مثال ومثل، ويجوز أن يكون جمع عبيد كرغيف ورغف، ويجوز أن يكون جمع عابد كبازل وبزل، والمعنى: وخدم الطاغوت، وعن ابن عباس أيضًا «وعبد الطاغوت» جعله جمع عابد كما يقال: شاهد وشهد وغايب وغيب، وعن أبي واقد: وعباد الطاغوت للمبالغة، جمع عابد أيضًا، كعامل وعمال، وضارب وضراب، وذكر محبوب أن البصريين قرءوا: «وعباد الطاغوت» جمع عابد =

والباقون بالفتح والنصب، والمعنى: عبدة الطاغوت ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ لأن مأواهم النار؛ أي: اليهود مكانتهم شر من الذين ذموا به المسلمين ﴿وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ طريق الحق، وأصل السوء الوسط، وذكر شر واصل في مقابلة قولهم: لا نعلم دينًا شر من دينكم.

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ﴾ [المائدة: 61] أي: منافقو اليهود ﴿قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا﴾ إليكم متلبسين ﴿بِالْكُفْرِ﴾ على الحقيقة؛ لأن الباطن هو العمدة ﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا﴾ من عندكم متلبسين ﴿بِهِ﴾ ولم يؤمنوا ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ أي: يكتمونه من النفاق فيعاقبهم على نفاقهم الذي كتموه.

﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ [المائدة: 62] أي: اليهود ﴿يُسَارِعُونَ﴾ يمشون سريعًا ﴿فِي الْإِثْمِ﴾ الكذب ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ الظلم ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ الحرام والرشا ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: يعملونه عملهم هذا.

﴿لَوْلَا﴾ [المائدة: 63] هلا ﴿يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ منهم، وقيل الأولون من النصارى ومن بعدهم من اليهود ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾ الكذب ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ أي: يصنعونه بترك نهيهم.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ [المائدة: 64] لما ضيق عليهم بتكذيبهم النبي بعد أن كانوا أكثر الناس مالاً ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ مقبوضة عن إدرار الرزق علينا، وأرادوا به: البخل، تعالى الله عنه ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ في النار بأن تقبض وتضم إلى أعناقهم وهم بخلاء ممسكون في الدنيا أيضًا، أو المراد: أمسكت عن فعل الخيرات، دعا عليهم ﴿وَلُعِنُوا﴾ طردوا ﴿بِمَا قَالُوا﴾ بسبب ذلك ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ كناية عن كثرة النعم التي لا يحيط أحد بكنهها، وثنى اليد لإفادة الكثرة؛ إذ غاية ما يبذله الشخص من ماله أن يعطي بيديه ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من توسيع وتضييق بلا اعتراض ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ إذ الآية الواحدة يكفر بها وبالتي قبلها والتي تنزل بعدها،

=

أيضًا، كقائم وقيام، ويجوز أن يكون جمع عبد، وقرأ أبو جعفر الرؤاسي «وعبد الطاغوت» على المفعول، والتقدير: وعبد الطاغوت فيهم، وقرأ عون العقيلي وابن بريدة: «وعابد الطاغوت» على التوحيد، وهو يؤدي عن جماعة، وقرأ ابن مسعود أيضًا «وعبد الطاغوت» وعنه أيضًا وأبي «وعبدت الطاغوت» على تأنيث الجماعة.

فمن ثم زاد الكفر.

﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾ هل هو بين اليهود في بعضهم؟ أو بينهم وبين النصارى؟ قولان ﴿الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فكل فرقة منهم تخالف الأخرى ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ﴾ أي: لحربه ﷺ ﴿أَطْفَأَهَا اللهُ﴾ أي: كلما اجتمعوا شتت الله شملهم، وكلما جاء زمن ذلوا فيه فلم يجتمع لهم أمر، وكلما أرادوا سوء أرده الله تعالى إلى يوم القيامة ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ وغير ذلك ﴿وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ بمعنى أنه يعاقبهم.

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦) ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨) ﴾ [المائدة: ٦٥ - ٦٨].

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا﴾ [المائدة: 65] بمحمد ﷺ ﴿وَاتَّقَوْا﴾ الكفر ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [المائدة: 66] عملوا بما فيهما ومنه الإيمان بمحمد ﷺ ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ من الكتب ﴿مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ كناية عن توسيع الرزق، أو الأول للمطر والثاني للنبات ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ﴾ أي: من اليهود جماعة ﴿مُقْتَصِدَةٌ﴾ عادلة لم تقل ولم تقصر كعبد الله بن سلام وصحبه ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ ككعب بن الأشرف وصحبه ﴿سَاءَ﴾ بئس ﴿مَا﴾ تسببا ﴿يَعْمَلُونَ﴾ أي: يعملونه.

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ [المائدة: 67] جميع ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ نزلت؛ إما لأن المنافقين كان يصعب عليهم الجهاد فربما لا يذكره لهم في بعض الأحوال، أو لأنه

ضاق ذرعًا بتكذيب الناس، فأمر بذلك إشارة إلى عدم المبالاة بهم ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ﴾ أي: لم تبلغ الكل ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ إذ كتم البعض ككتم الكل في عدم التبليغ المأمور به، وقرأ المدنيان وابن عامر ويعقوب وأبو بكر «رسالات» بالألف وكسر التاء، والباقون بغير ألف والفتح ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ﴾ يمنعك ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ فلا تقربك، أو المعنى: يخصك بالعصمة، فالنبي ﷺ معصوم دون الأمة، وكان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت، فقال: «**انصرفوا فقد عصمني الله**»[1] ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ منا، فلا تبال بتكذيبهم.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ [المائدة: 68] من الدين يعتد به ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: القرآن بأن تعملوا بما فيه ومنه الإيمان بمحمد ﷺ ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ من القرآن ﴿طُغْيَانًا﴾ مجاوزة في الكفر ﴿وَكُفْرًا﴾ كفرهم به ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ تحزن ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ إن لم يؤمنوا بك؛ أي: تهتم بهم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة: ٦٩ - ٧٢].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة: 69] وهم اليهود ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾ فرقة

(1) رواه الترمذي (292/11).

منهم ﴿وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ﴾ منهم ﴿بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [المائدة: 70] على التوحيد والإيمان بالأنبياء ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ﴾ من الحق؛ أي: كذبوه ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا﴾ منهم ﴿يَقْتُلُونَ﴾ فالذي كذبوا عيسى ومحمدًا، والذي قتلوه يحيى وزكريا صلى الله عليهم وسلم.

﴿وَحَسِبُوا﴾ [المائدة: 71] ظنوا أن ﴿أَلَّا تَكُونَ﴾ قرأ البصريان وحمزة والكسائي وخلف برفع النون، والباقون بفتحها ﴿فِتْنَةٌ﴾ عذاب بهم حل بتكذيب الأنبياء وقتلهم ﴿فَعَمُوا﴾ عن الحق فلم يبصروه ﴿وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ لما تابوا بعد بعثه عيسى ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا﴾ ثانيًا ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ وذلك بالكفر برسالة محمد ﷺ ﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم عليه في الآخرة.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: 72] قال ذلك إعلامًا بأنه عبد وليس بإله ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ منعه عن أن يدخلها ﴿وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ إقامته فيها ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ أعوان يمنعونهم من عذاب الله.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ

إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [المائدة: ٧٣ - ٧٨].

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ الله ثَالِثُ﴾ [المائدة: 73] آلهة ﴿ثَلَاثَةٍ﴾ أي: أحديها؛ لأنهم كانوا يقولون: عيسى إله وأمه إله والله إله، وأما من قال: ثالث ثلاثة ولم يرد أن الآلهة متعددة فلا حرج عليه، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر في الغار: «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»[1] وقال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: 7] ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من إثبات إلهية عيسى وحده، أو قولهم: إنه ابن الله أو أنه ثالث ثلاثة ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ثبتوا على الكفر ﴿مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بالخلود في النار.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى الله وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ [المائدة: 74] يسألونه أن يغفر لهم كفرهم برجوعهم للإيمان، والقصد التوبيخ ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [المائدة: 75] مضت ﴿مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فهو مثلهم وليس بإله كما زعموا وإلا مضى، وهذا رد عليهم من حيث ما يدرك من حاله وحال أمه، ومعنى الحصر عدم انتقاله عن هذه المرتبة لما قالوه ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ مبالغة في الصدق ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ كغيرها من الحيوانات، وما كان كذلك لا يكون إلهًا لتركبه وضعفه وما ينشأ من البول والغائط ﴿انْظُرْ﴾ متعجبًا ﴿كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ نوضح لهم الدلالات على عبوديتهما واحتياجهما ﴿ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى﴾ كيف ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن الحق، فهو تعجيب للنبي ﷺ من شأنهم، ومعنى التراخي بين المتعجبين الإشارة إلى الاعتناء بتأمل كل على حدته تأملاً تامًا.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[المائدة: 76] والاستفهام للإنكار.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: 77] اليهود والنصارى ﴿لَا تَغْلُوا﴾ تجاوزوا الحد ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ غلوًا ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ وغلو الباطل رفعة مقام الشخص فوق رتبته، أو

---

(1) رواه البخاري (279/15)، ومسلم (462/15).

وضعه عن ذلك ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ﴾ آراء ﴿قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ بغلوهم، وهم أسلاف من كان في عصره ﷺ ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ ممن اتبعهم على أهوائهم التي دعتهم إليها نفوسهم ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ عن قصد طريق الحق وطريق الإسلام.

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾ [المائدة: 78] هم كفار أيلة الذين عتوا في السبت بأن دعا عليهم فمسخوا قردة ﴿وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ هم كفار المائدة بأن دعا عليهم فمسخوا خنازير ﴿ذَلِكَ﴾ اللعن ﴿بِمَا عَصَوْا﴾ بسبب عصيانهم ﴿وَ﴾ بسبب ما ﴿كَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ اعتداؤهم، مجاوزتهم الحد.

﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [المائدة: ٧٩ - ٨٣].

ثم ذمهم بقوله: ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ﴾ [المائدة: 79] لا ينهى بعضهم بعضًا ﴿عَنْ﴾ معاودة ﴿مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي: يفعلونه فعلهم هذا.

﴿تَرَى﴾ [المائدة: 80] يا محمد ﴿كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ أي: اليهود ككعب بن الأشرف ﴿يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يخالطونهم ويستنصرون بهم وهم مشركو العرب من أهل مكة، أو المراد: المنافقين، يتولون اليهود ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ من العمل لمعادهم الموجب لهم ﴿أَنْ سَخِطَ﴾ غضب ﴿الله عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ﴾ [المائدة: 81] محمد ﷺ ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ﴾ أي:

القرآن ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أنصارًا وإخوانًا ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ خارجون عن الحق بكفرهم.

﴿لَتَجِدَنَّ﴾ [المائدة: 82] يا محمد ﴿أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ هم مشركو العرب لقوة جهلهم ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ المراد: من آمن منهم كالنجاشي وأصحابه، آمن برسول الله ﷺ وأرسل له من عنده طائفة من أصحاب الصوامع فلما سمعوا القرآن منه ﷺ عند قراءته عليهم سورة «يس» بكوا وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى ﷺ وآمنوا، فهم المراد لا غير، وفي معناهم من آمن ممن كان على دين عيسى مطلقًا ﴿ذَلِكَ﴾ أي: قرب المودة ﴿بِأَنَّ مِنْهُمْ﴾ بسبب أن من النصارى ﴿قِسِّيسِينَ﴾ علماء، والقس والقسيس: العالم ﴿وَرُهْبَانًا﴾ جمع راهب، وهو العابد ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الحق كما تستنكر اليهود بدليل إيمانهم بمحمد ﷺ.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ [المائدة: 83] محمد ﷺ وهو القرآن ﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ﴾ تمتلئ ﴿مِنَ الدَّمْعِ﴾ حتى تفيض، فوضع الفيض موضع الامتلاء إقامة للمسبب مقام السبب ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾ صدقنا نبيك وكتابك ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ المقرين بتصديقه، وهم أمة محمد ﷺ شهداء على الأمم في الآخرة، وقالوا: جوابًا لمن عيرهم من اليهود بإسلامهم.

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٨٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٨٨) لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ

ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المائدة: ٨٤ - ٨٩].

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: 84] القرآن؛ أي: لا مانع لنا من ذلك مع قيام موجبه وهو نبوة محمد ﷺ والقرآن ﴿وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ المؤمنين في الجنة.

﴿فَأَثَابَهُمُ اللهُ بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة: 85] بسبب قولهم ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالإيمان.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: 86 ـ 87] نزلت؛ لأن قومًا من الصحابة منهم عثمان بن مظعون أرادوا السياحة وجب مذاكيرهم ونحو ذلك من ترك الطيبات، فنهوا عنه فعلم أن تعاطي المطاعم اللذيذة والمشارب السنية والملابس الفاخرة غير منهي عنه ولا لوم عليه إذا كان من حل، لكن الأكمل تركه إذا خشي منه ضررًا من عجب ونحوه ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ بمجاوزة الحلال إلى الحرام ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ المجاوزين لحدوده فلا يثيبهم.

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: 88] الطيب هنا ما غذَّى غذاء حسنًا ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ﴾[1] [المائدة: 89] الكائن ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ وهو عند

---

(1) لأنه تعالى لما نهى عن جعل الله معرضًا للأيمان، كان ذلك حتمًا لترك الأيمان وهم يشق عليهم ذلك؛ لأن العادة جرت لهم بالأيمان، فذكر أن ما كان منها لغوًا فهو لا يؤاخذ به؛ لأنه مما لا يقصد به حقيقة اليمين، وإنما هو شيء يجري على اللسان عند المحاورة من غير قصد، وهذا أحسن ما يفسر به اللغو؛ لأنه تعالى جعل مقابلة ما كسبه القلب وهو ما له فيه اعتماد وقصد، واختلفت أقوال المفسرين في تفسير لغو اليمين، فقال أبو هريرة وابن عباس والحسن وعطاء والشعبي وابن جبير ومجاهد وقتادة ومقاتل والسدي عن أشياخه ومالك في أشهر قوليه وأبو حنيفة: هو الحلف على غلبة الظن، فيكشف الغيب خلاف ذلك؛ وقالت عائشة وابن عباس أيضًا وطاووس والشعبي ومجاهد وأبو صالح والشافعي: هو ما يجرى على اللسان في درج الكلام والاستعجال: لا والله، وبلى والله، من غير قصد لليمين؛ وهو أحد قولي مالك وقال سعيد بن جبير، وابن المسيب، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وابنا الزبير عبد الله وعروة: هو الحلف على =

الشافعي وجماعة من أهل العلم قول القائل: لا والله، وبلى والله من غير قصد اليمين ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ عليه، بأن حلفتم عن قصد، قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر «عقدتم» بفتح القاف مخففة بلا مد بعد العين، وابن ذكوان كذلك إلا أنه يمد، والباقون بالتشديد بلا مد وفي الكلام حذف والتقدير ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ﴾ أي: اليمين إذا أحنثتم فيه ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ لكل مسكين مد ﴿مِنْ أَوْسَطِ﴾ أقصد وأغلب ﴿مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ أي: من الوسط لا من العالي ولا من الدون، والمراد به: غالب قوت البلد ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ أي: العشرة بما يسمى كسوة كعمامة وإزار وقميص، ولا يكفي دفع ما ذكر لمسكين واحد ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ وقيده الشافعي ﷺ بالمؤمنة أخذًا من تقييده بها في غير هذا المحل ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ أي: عجز عن كل ذلك ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ ولا يجب تتابعها لصدق اسم الثلاثة مع التفريق ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحنثتم أو أردتم الحنث كما دلت عليه السنة ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ عن الحنث إذا حلفتم ما لم يكن على فعل برا وإصلاح بين الناس كما في البقرة ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل هذا البيان ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: تشكرونه على ذلك بالطاعة.

=

فعل المعصية، إلاَّ أن ابن جبير قال: لا يفعل ويكفر، وباقيهم قالوا: لا يفعل ولا كفارة عليه، وقال ابن عباس أيضًا، وعلي، وطاووس: هو الحلف في حال الغضب، وقال النخعي: هو الحلف على شيء ينساه، وقال ابن عباس أيضًا، والضحاك: هو ما تجب فيه الكفارة إذا كفرت سقطت، ولا يؤاخذ الله بتكفيرها، والرجوع إلى الذي هو خير؛ وقال مكحول، وابن جبير أيضًا، وجماعة: هو أن يحرم على نفسه ما أحل الله، كقوله: مالي عليّ حرام إن فعلت كذا، والحلال علي حرام، وقال بهذا القول مالك إلاَّ في الزوجة، فألزم فيها التحريم إلاَّ أن يخرجها الحالف بقلبه، وقال زيد ابن أسلم وابنه: هو دعاء الرجل على نفسه أعمى الله بصره، أذهب الله ماله، هو يهودي، هو مشرك، هو لغية، إن فعل كذا، وقال مجاهد: هو حلف المتبايعين، يقول أحدهما: والله لا أبيعك بكذا، ويقول الآخر: والله ما أشتريه إلاَّ بكذا، وقال مسروق: هو ما لا يلزمه الوقاية، وروي عنه، وعن الشعبي: أنه الحلف على المعصية؛ وقيل: هو يمين المكره، حكاه ابن عبد البر، وهذه الأقوال يحتملها لفظ اللغو، إلاَّ أن الأظهر هو ما فسرناه أولاً؛ لأنه قابله كسب القلب، وهو تعمده للشيء، فجميع الأقوال غيره ينطبق عليها أنها كسب القلب؛ لأن للقلب قصدًا إليها: ونفي الوحدة يدل على أنه لا إثم ولا كفارة، فيضعف قول من قال: إنها تختص بالإثم، ويفسر اللغو باليمين المكفرة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ ﴾ [المائدة: ٩٠ - ٩٤].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ﴾ [المائدة: 90] المسكر الذي يخامر العقل، ﴿وَالْمَيْسِرُ﴾ القمار ﴿وَالْأَنْصَابُ﴾ الأصنام؛ جمع: نصب بفتح النون وسكون الصاد، وبضم النون والصاد، وإسكانها ﴿وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ﴾ خبيث مستقذر ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ من إغوائه الذي يزينه ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أي: المذكور، واجتنبوا الرجس المعبر به عن هذه الأشياء أن تفعلوه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ بالاجتناب.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [المائدة: 91] إذا أتيتموهما لما فيهما من الشر والفتن؛ إذ السكران ربما قتل صاحبه أو شيخه أو نحو ذلك، والمقامر إذا قامر بأهله وماله بقي حزينًا، وربما خاصم لذلك ﴿وَيَصُدَّكُمْ﴾ بالاشتغال بهما ﴿عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ عن إتيانهما؛ لفظه استفهام ومعناه أمر.

﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ [المائدة: 92] المعاصي ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الطاعة ﴿فَاعْلَمُوا﴾ أيها الناس ﴿أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي: الإبلاغ البين، والجزاء واقع من الله.

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ﴾ [المائدة: 93] إثم ﴿فِيمَا طَعِمُوا﴾ أكلوا من الميسر والخمر قبل التحريم ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ المحرمات ﴿وَآمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾ داوموا على التقوى ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾ العمل ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فيثيبهم، قيل: نزلت في قوم شربوا الخمر وأكلوا من الميسر وماتوا قبل التحريم، فسألت الصحابة عنهم مبينة؛ لأنه لا إثم عليهم ونزل في عام الحديبية لما أحرموا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ﴾ [المائدة: 94] يرسل إليكم ﴿مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ﴾ إلى الصغار ﴿أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ إلى الكبار منه، وكان ذلك بالحديبية وهم محرمون فكانت الطير والوحش تغشاهم في رحالهم ﴿لِيَعْلَمَ اللهُ﴾ العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب ﴿مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ أي: غائبًا لم يرده متجنب الصيد ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ للنهي فاصطاد ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ لمجاوزة الحد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٩٦﴾ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [المائدة: ٩٥ - ٩٩].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: 95] محرمون لحج أو عمرة؛ وهو جمع: حرام ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا﴾ والمخطئ كالمتعمد كما في السنة ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ أي: شبهه في الخلقة، قرأ الكوفيون ويعقوب: «**فجزاء**» بالتنوين مثل بالرفع، والباقون بضم الهمزة والمد بلا تنوين وخفض مثل ﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾ أي: بالمثل رجلان ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ شرطهما: حرية وذكورة وتكليف

وإسلام ومروءة فطنة، غير أن بها أشبه الأشياء به، وقد حكم عمر وعلي وابن عباس في النعامة ببدنة، وبقر الوحش وحماره ببقرة، وابن عمرو وابن عوف بشاة والأول والثالث؛ لأنه شبهها في العب ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ أي: يبلغ به الحرم فيذبح فيه ويفرق لحمه على مساكينه، ولا يجوز أن يذبح حيث كان، فإن لم يكن للصيد مثل من النعم كالعصفور والجراد فعليه قيمته ﴿أَوْ﴾ الواجب عليه ﴿كَفَّارَةٌ﴾ وإن وجد الجزاء هي و﴿طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾ من غالب قوت البلد في غالب السنة بشرط أن يساوي ذلك قيمة الجزاء محل الوجوب لكل مسكين مد.

قرأ المدنيان وابن عامر: «**وكفارة**» بغير تنوين «**طعام**» بالخفض، والباقون بالتنوين ورفع «**طعام**» ﴿أَوْ﴾ الواجب عليه ﴿عَدْلُ﴾ مثل ﴿ذَلِكَ﴾ الطعام ﴿صِيَامًا﴾ العدل بفتح العين: مثل الشيء من غير جنسه، وبالكسر: المثل من الجنس، فعلم أنه مخير بين أن يذبح المثل وبين أن يقوِّمه ويشتري بقيمته طعامًا ويتصدق به على مساكين الحرم، وبين أن يصوم عن كل مد مما بلغه الطعام يومًا، فإن انكسر مد كمل فيه يوم؛ إذ صيام بعضه لا يمكن، وتركه إخلال بالواجب، فلزم براءة الذمة وله أن يصوم حيث شاء ﴿لِيَذُوقَ﴾ وجب عليه ذلك؛ ليذوق ﴿وَبَالَ﴾ ثقل جزاء ﴿أَمْرِهِ﴾ معصيته التي فعلها ﴿عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ تقدم من قتل الصيد قبل التحريم ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى قتل الصيد ﴿فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ [المائدة: 96] ولو محرمين ﴿صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ أي: مصيده أن تأكلوه، وهو كل شيء فيه مما لا يعيش إلا فيه، ولو مات حتف أنفه إلا الضفدع والسلحفاة والتمساح ﴿وَطَعَامُهُ﴾ مما قذفه بلا صيد ﴿مَتَاعًا﴾ لأجله؛ أي: تمتعًا ﴿لَكُمْ﴾ يأكلونه ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ المسافرين فيه أو في غيره يتزودونه ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ﴾ وهو: ما يعيش فيه من الوحش المأكول أن تصيدوه ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ محرمين، فلو صاده حلال فللمحرم أكله ما لم يدل أو يعين عليه ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجازيكم.

﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة: 97] المحرم ﴿قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ من قرأه بالألف بعد الياء جعله بمعنى: أنه يقوم به أمر الدين بالحج، وأمر الدنيا بالأمن النهب والغارة على العادة السالفة، وبأنه يحيي إليه ثمرات كل شيء وفي الآخرة بالثواب، ومن قرأ بلا ألف جعله بمعنى: المصلح ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ ذو الحجة، أو المراد به: الجنس؛ يعني: قيامًا بالأمن فيهما من القتال ﴿وَالْهَدْيَ﴾ هو ما يهدى إلى البيت من النعم

﴿وَالْقَلَائِدَ﴾ المقلدات كالإبل وغيرها من الأنعام التي تهدى للبيت؛ لأمن صاحبها من التعرض له ﴿ذَلِكَ﴾ الجعل المذكور ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ إذ جعل ذلك قبل وقوع ما وقع منكم دليل على علمه بالأشياء قبل كونها.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: 98] لأعدائه ﴿وَأَنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾[1] [المائدة: 99] التبليغ فإن أطعتم: أثبتم وإلا عوقبتم ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ من كل شيء فيجازيكم به.

﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَـٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا

(1) لما تقدم الترغيب والترهيب أخبر تعالى أن كلف رسوله بالتبليغ وهو توصيل الأحكام إلى أمته وهذا فيه تشديد على إيجاب القيام بما أمر به تعالى، وأن الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليه الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط، قال ابن عطية هي إخبار للمؤمنين ولا يتصور أن يقال هي أنه موادعة منسوخة بآيات القتال بل هذه حال من آمن بهذا وشهد شهادة الحق فإنه عصم من الرسول ماله ودمه فليس على الرسول في جهته أكثر من التبليغ، وذكر بعض المفسرين الخلاف فيها أهي محكمة أم منسوخة بآية السيف والرسول هنا محمد ﷺ وقيل يجوز أن يكون اسم جنس والمعنى ما على كل من أرسل إلا البلاغ والبلاغ والبلوغ مصدران لبلغ وإذا كان مصدر البلغ فبلاغ الشرائع مستلزم لتبليغ من أرسل بها فعبر باللازم عن الملزوم ويحتمل أن يكون مصدر البلغ المشدد على حذف الزوائد فمعنى البلاغ التبليغ.

﴿يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [المائدة: ١٠٠ - ١٠٥].

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ﴾ [المائدة: 100] الحرام ﴿وَالطَّيِّبُ﴾ الحلال ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾ سرك أيها الناظر ﴿كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللهَ﴾ في تركه ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ﴾ [المائدة: 101] تظهر ﴿لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ بظهورها لكم، نزلت كما قال أنس ﷺ؛ لأن أناسًا من أصحاب النبي ﷺ سألوه حتى أحفوه المسألة فغضب فصعد المنبر، فقال: «**لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم**» فجعلت أنظر يمينًا وشمالاً فإذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه يبكي، وإذا برجل كان يُدعى إلى غير أبيه، فقال: يا رسول الله من أبي؟ قال: «**حذافة**»، ثم أنشأ عمر، فقال: رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا نعوذ بالله من الفتن[1].

وقيل: نزلت؛ لما كرر رجل على النبي ﷺ السؤال في الحج: هل هو في كل سنة؟ فقال ﷺ: «**وما يؤمنكم أن أقول: نعم والله لو قلت: نعم لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فإنما هلك من قبلكم لكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم**»[2] وعليه معنى ﴿تَسُؤْكُمْ﴾ إنكم إن أمرتم بالعمل بها تشق عليكم ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا﴾ أي: الأشياء ﴿حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ﴾ في زمن النبي؛ المعنى: إن سألتم عنها بزمنه ينزل القرآن ببيانها ومتى وقع ذلك ساءتكم فلا تسألوا عنها ﴿تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللهُ عَنْهَا﴾ أي: عن السالف من مسائلتكم فلا تعودوا ﴿وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ [المائدة: 102] أي: الأشياء ﴿قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أنبيائهم؛ كسؤال قوم صالح الناقة، وقوم عيسى المائدة فأجيبوا ببيان أحكامها ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا﴾ صاروا ﴿بِهَا كَافِرِينَ﴾ بتركهم العمل بها.

---

(1) رواه البخاري (173/21)، ومسلم (404/15).

(2) رواه ابن حبان في «صحيحه» (409/15).

﴿مَا جَعَلَ﴾ [المائدة: 103] شرع أو أنزل ﴿اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ وهي: الناقة كانت إذا ولدت خمسة أبطن بحروا أذنها؛ أي: شقوها وتركوا الحمل عليها وركبوها، ولم يجزوا وبرها، ولم يمنعوها الماء والكلأ ثم نظروا إلى خامس ولدها؛ فإن كان ذكرًا بحروه وأكله الرجال والنساء، وإن كانت أنثى بحروا أذنها؛ أي: شقوها وتركوها، وحرم على النساء منافعها واختصت بالرجال، فإذا ماتت حلت لهما ﴿وَلَا سَائِبَةٍ﴾ هل السائبة أم البحيرة؟ كانت إذا تابعت ثنتي عشرة إناثًا سيبت، ولم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف فما نتجت بحروا أذنه، أو العبد يعتق لا، ولا عليه، ولا عقل، ولا ميراث؟ أو البعير يسيب إن حدث ما به سرور كشفاء مريض؟ أقوال.

﴿وَلَا وَصِيلَةٍ﴾ هي من الغنم، كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن والسابع ذكر ذبح للرجال والنساء، فإن كان أنثى تركوه في الغنم، وإن كان ذكرًا وأنثى استحيوا الذكر من أجل الأنثى، وقالوا: وصلت أخاها فلم يذبح، ولبن الأنثى حرام على النساء، فإذا مات منهما شيء أكله الرجال والنساء ﴿وَلَا حَامٍ﴾ هو: البعير إذا ركب ولد ولده، قالوا: حمي ظهره، ويقال: إذا أنتج من صلبه عشرة أبطن فلا يركب ولا يحمل عليه، ولا يمنع ماء ولا كلأ، فإن مات أكله الرجال والنساء ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ أي: قولهم: إن الله أمر بذلك ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ إن ذلك افتراء؛ لأنهم قلدوا في ذلك آباءهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ [المائدة: 104] أي: إلى حكمه في تحليل الأنعام ونحوه من الأحكام ﴿قَالُوا حَسْبُنَا﴾ يكفينا ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ من الدين الباطل أحسبهم ذلك ﴿أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ من أحكام الله ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى ذلك، والاستفهام للإنكار.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [المائدة: 105] أي: الزموا صلاحها ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ﴾ من المشركين ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ إلى الإيمان؛ فالمعنى: خذوا منه الجزية إذا بدلها، وأتموا له العهد ولا تنقضوه، أو المعنى: وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن يأتي زمن يطاع فيه الشح، ويتبع فيه الهوى، وتؤثر فيه الدنيا، ويعجب فيه كل ذي رأي برأيه، فإذا جاء ذلك سقط هذا الواجب، وفيه أحاديث صحيحة ﴿إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ الضال والمهتدي ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من خير أو شر ويجازيكم على ذلك.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ ۞ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [المائدة: ١٠٦ - ١٠٩].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ [المائدة: 106] والمعنى: ليقم لشهادة بينكم ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: وجدت أسبابه وعلاماته ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾ أي: وقتها ﴿اثْنَانِ﴾ أي: يشهد اثنان ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ أي: من ملتكم ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ غير ملتكم ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتم ﴿فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ وأوصيتم ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾ توقفونهما ﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ أي: صلاة العصر؛ لأنها المعهودة بالتعظيم والحلف بعدها ﴿فَيُقْسِمَانِ﴾ يحلفان ﴿بِاللهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ شككتم فيهما ويقولان: ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ﴾ بالقسم أو بالله ﴿ثَمَنًا﴾ عوضًا نأخذه بدله من الدنيا بأن يحلف أو يشهد به كذبًا لأجله ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المقسم له أو المشهود له ﴿ذَا قُرْبَى﴾ قرابة منا ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ﴾ بفتح التاء مضافًا إلى الجلالة مخفوضة؛ أي: الشهادة التي أمرنا بها بأدائها.

وقرأ يعقوب فيما رواه زيد عنه: «**شهادة**» بالتنوين منصوبًا، و«**الله**» بمد الهمزة وخفض الهاء من اسم الله؛ أي: والله، وعن أبي جعفر كأبي يعقوب إلا أنه لا يمد الألف ذكره البغوي ﴿إِنَّا إِذًا﴾ إن كتمناها ﴿لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾ بالكذب.

﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ [المائدة: 107] اطلع بعد حلفهما ﴿عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ أي:

فعلا ما يوجبه من خيانة أو كذب عن الشهادة بأن وجد عندهما ما أنهما به مثلاً وأدعا أنهما ابتاعاه من الميت أو وصى لهما به ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ في توجه المسمى عليهما ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ﴾ قرأ حفص: «**استحق**» بفتح التاء والحاء وتبتدئ بكسر همزة الوصل، والباقون بضم التاء وكسر الحاء والابتداء لهم بضم الهمزة؛ فالأول معناه: من الذين استحق الإثم ﴿عَلَيْهِمُ ﴾ أي: حقَّ ووجب بسبب كذبهم، والثاني معناه: من الذين استحق؛ أي: أوجب عليهم الإثم من الله لكذبهم عليهم الوصية الورثة ﴿الْأَوْلَيَانِ﴾ بالميت؛ أي: الأقربان إليه، هكذا في غير قراءة يعقوب وحمزة وخلف وأبي بكر، وفي قراءة الأربعة «**الأولين**» جمع الأول ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ﴾ على خيانة الشاهدين، ويقولان: ﴿لَشَهَادَتُنَا﴾ لميتنا ﴿أَحَقُّ﴾ أصدق ﴿مِنْ شَهَادَتِهِمَا﴾ بيمينهما ﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا﴾ في يميننا أو قولنا أولى، وتسمى: اليمين شهادة في اللغة بكثرة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ﴾ [النور: 6].

﴿إِنَّا إِذًا﴾ أي: إذا حلفنا باطلاً ﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ بالحلف الباطل لأنفسنا؛ ومعنى الآية: أن المحتضر يشهد على وصيته اثنين أو يوصي لهما من أهل دينه أو غيرهما إن فقدهم لسفر ونحوه، فإن أرتاب الورثة فيهما فادعوا خيانتهما بأخذ شيء أو دفعه لآخر فزعما أن الميت أوصى له به فليحلفا إلى آخره، فإن اطلع على أمارة تكذبهما فادعيا دافعًا له حلف أقرب الورثة على كذبهما وصدق ما ادعوه، والحكم ثابت في الوصيين منسوخ في الشاهدين وكذا شهادة أهل غير الملة منسوخة.

واعتبار صلاة العصر تغليظًا وتخصيص الحلف في الآية باثنين من أقرب الورثة؛ لخصوص الواقعة التي نزلت لها، وهي أن من بني سهم خرج مع تميم الداري وعدي بن يزيد - أي: وهما نصرانيان - فمات السهمي بأرض ليس فيها مسلم، فلما قدما بتركته فقد جامًا من فضة مموهًا بالذهب فرفعا إلى النبي ﷺ فنزلت، فأحلفهما لما وجد الجام بمكة فقالا: ابتعناه من تميم وعدي فنزلت الآية الثانية، فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا.

وفي رواية: فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا وكانا أقرب إليه.

وفي رواية: فمرض فأوصى إليهما، وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله فلما مات أخذ الجام ورفعا إلى أهله ما بقي.

﴿ذَلِكَ﴾ [المائدة: 108] الحكم المذكور ﴿أَدْنَى﴾ أقرب إلى ﴿أَنْ يَأْتُوا﴾ أي:

الشهود أو الأولياء ﴿بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا﴾ الذي يحملاها عليه من غير تحوير ولا خيانة ﴿أَوْ﴾ أقرب إلى أن ﴿يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ على الورثة المدعيين فيحلفون على خيانتهم وكذبهم، فيفتضحون ويغرمون فلا يكذبوا ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ بترك الخيانة والكذب ﴿وَاسْمَعُوا﴾ لما أمر به سماع قبول ﴿وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن طاعته.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ﴾ [المائدة: 109] هو: يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ﴾ لهم لتوبيخ أممهم: ﴿مَاذَا﴾ أي: الذي ﴿أُجِبْتُمْ﴾ أي: أجابكم الأمم عند الدعاء للتوحيد ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ بذلك هل قالوه من هول ذلك اليوم؟ فلما رجعت إليهم عقولهم شهدوا على أممهم، أو المراد: لا نعلم وجه الحكمة عن سؤالك لنا، أو هو سؤال عن الأمم بعد موت الأنبياء؟ أقربها الأول والأخير وهو أولى ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ تعلم ما غاب عنا.

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [المائدة: ١١٠ - ١١٣].

﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ [المائدة: 110] بالرسالة ﴿وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾ بإظهارك من غير أب، وذكر النعمة شكرها ﴿إِذْ أَيَّدْتُكَ﴾ قويتك

﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ أي: جبريل ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ طفلاً ﴿وَكَهْلًا﴾ ابن ثلاثين سنة، وأرسل على رأسها وأقام ثلاثين شهرًا ثم رفعه الله إليه قاله ابن عباس، وقيل: المراد بكلامه في الكهولة كلامه لهم بعد نزوله من السماء؛ لأنه رفع قبل ذلك ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ هي: العلم والعمل ﴿وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ﴾ تصور ﴿كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ قيل: المراد به الخفاش ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا﴾ أي: في الهيئة التي هي الصورة ﴿فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ بتقديري ﴿وَتُبْرِئُ﴾ تصحح ﴿الْأَكْمَهَ﴾ الذي ولد أعمى ﴿وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ من قبورهم أحياء ﴿بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ﴾ صرفت ومنعت ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ﴾ أي: اليهود حيث هموا بقتلك ﴿إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلالات الواضحة ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ أي: من بني إسرائيل ﴿إِنْ هَذَا﴾ الذي جئت به ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ظاهرًا، قرأ حمزة والكسائي وخلف: «**ساحر**» هنا وأول يونس وفي هود والصف بالألف وكسر الحاء في الأربعة وافقهم ابن كثير وعاصم في يونس، والباقون بكسر السين وإسكان الحاء بلا ألف.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ [المائدة: 111] أي: ألهمتهم أو أمرتهم على لسانه ﴿أَنْ﴾ بأن ﴿آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ عيسى ابن مريم ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ بالله ورسوله ﴿وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ [المائدة: 112] قرأ الكسائي: «**تستطيع**» بتاء الخطاب في أوله «**ربك**» بالنصب، والباقون بالغيب والرفع؛ والأول معناه: هل تستطيع يا عيسى أن تدعو ربك؟ والثاني معناه: هل تفعل أم لا؟ وليس سؤالاً عن قدرة الله؛ لأن ذلك لا شك فيه ﴿أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾[1]

---

(1) سفرة حمراء بين غمامتين، غمامة من تحتها وغمامة من فوقها، وعيسى يبكي ويتضرَّع، ويقول: إلهي اجعلها سلامةً، لا تجعلها عذابًا، حتى استقرَّت بين يديه، والحواريون من حوله، فأقبل هو وأصحابه حتى قعدوا حولها، وإذا عليها منديلٌ مغطًّى، فقال عيسى: أيكم أوثق بنفسه وأقل بلاءً عند ربه فليأخذ هذا المنديل، وليكشف لنا عن هذه الآية، قالوا: يا روح الله أنت أولانا بذلك، فاكشف عنها، فاستأنف وضوءًا جديدًا، وصلى ركعتين، وسأل ربه أن يأذن له بالكشف عنها، ثم قعد إليها، وتناول المنديل، فإذا عليها سمكة مشوية، ليس فيها شوك، وحولها من كل البقل ما خلا الكرَّاث، وعند رأسها الخل، وعند ذنبها الملح، وحولها خمسة أرغفة، على رغيف تمر، وعلى رغيف زيتون، وعلى رغيف خمس رمانات، فقال شمعون رأس الحواريين: يا روح الله أمِن طعام الدنيا هذا، أمِن طعام الجنة؟ فقال عيسى: سبحان الله أما تنتهون! ما أخوفني عليكم،

المائدة: الخوان الذي يكون عليه الطعام ﴿قَالَ﴾ عيسى لهم: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أن تسألوه شيئًا لم يسأله الأمم قبلكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قَالُوا نُرِيدُ﴾ [المائدة: 113] سؤالها من أجل ﴿أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾ للتبرك لا للحاجة فلم نسأل تعنتًا ﴿وَتَطْمَئِنَّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُنَا﴾ بزيادة اليقين فلم نسأل شكًا ﴿وَنَعْلَمَ﴾ نزداد علمًا ﴿أَنْ﴾ أي: إنك ﴿قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في أنك رسول الله ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عند الذي لم يحضروها من بني إسرائيل.

﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ

=

قال شمعون: لا وإله بني إسرائيل ما أردت بهذا سوءًا، قال عيسى: ليس ما ترون عليها من طعام الدنيا، ولا من طعام الجنة، إنما هو شيءٌ ابتدعه الله، فقال له: «كن» فكان أسرع من طرفة عين، فقال الحواريون: يا روح الله إنما نريد أن ترينا في هذه الآية آية، فقال: سبحان الله! ما اكتفيتم بهذه الآية؟! ثم أقبل على السمكة فقال: عودي بإذن الله حيةً طريةً، فعادت تضطرب على المائدة، ثم قال: عودي كما كنت، فعادت مشوية، فقال: يا روح الله كن أنت أول من يأكل منها، فقال: معاذ الله بل يأكل منها مَن سألها، فلما رأوا امتناعه، خافوا أن يكون نزولها عقوبة، فلما رأى عيسى ذلك دعا لها الفقراء والزَّمنى واليتامى، فقال: كلوا من رزق ربكم، ودعوة نبيكم؛ ليكون مهنؤها لكم، وعقوبتها على غيركم، فأكل منها ألف وسبعمائة إنسان، يصدرون عنها شباعًا وهي كهيئتها حين نزلت، فصحَّ كل مريض، واستغنى كل فقير أكل منها، ثم نزلت بعد ذلك عليهم، فازدحموا عليها، فجعلها عيسى نوباً بينهم، فكانت تنزل عليهم أربعين يومًا، تنزل يومًا وتغبُّ يومًا، وكانت تنزل عند ارتفاع الضحى، فيأكلون منها حتى إذا قالوا، ارتفعت إلى السماء وهم ينظرون إلى ظلها في الأرض.

فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة: ١١٤ - ١٢٠].

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: 114] عند ذلك الذي قالوه: ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا﴾ أي: يوم نزولها ﴿عِيدًا﴾ نعظمه ونسر به ﴿لِأَوَّلِنَا﴾ من حضر عيسى ﴿وَآخِرِنَا﴾ من جاء بعده ﴿وَآيَةً﴾ علامة دالة على صدق نبوة عيسى ﴿مِنْكَ وَارْزُقْنَا﴾ إياها ﴿وَأَنْتَ خَيرُ الرَّازِقِينَ﴾.

﴿قَالَ اللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا﴾ [المائدة: 115] قرأ المدنيان وابن عامر وعاصم بالتشديد والآخرون بالتخفيف ﴿عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ﴾ أي: بعد نزولها ﴿مِنْكُمْ﴾ بنبوة عيسى أو يدعي فيه خلاف العبودية ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم، فنزلت الملائكة من السماء بها عليها أحوات سبعة وأرغفة كذلك فأكلوا منها إلى أن شبعوا، وقيل: بل في خبز ولحم فأمروا ألا يخونوا ولا يدخروا لغد، فخافوا ورفعوا وادخروا فمسخوا قردة وخنازير.

﴿وَ﴾ [المائدة: 116] اذكر ﴿إِذْ قَالَ﴾ إذ يقول ﴿اللهُ﴾ يوم القيامة ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ﴾ عيسى وقد أرعد: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزهت عن ذلك ﴿مَا يَكُونُ﴾ ما ينبغي ﴿لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ أي: ما لست أستحقه ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ لأنك ﴿تَعْلَمُ﴾ كل شيء، تعلم ﴿مَا﴾ أخفيه ﴿فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أي: ما تخفيه من معلوماتك، وعبر بالنفس لمشاكلة اللفظ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ ما كان وما يكون.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ [المائدة: 117] وهو: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ رقيبًا أمنعهم مما يقولون ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ مدة إقامتي فيهم ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ أي: قبضتني عنهم فرفعتني إلى السماء ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: المطلع على أقوالهم وأعمالهم ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من قولي لهم

وغير ذلك ﴿شَهِيدٌ﴾ مطلع عالم.

﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ﴾ [المائدة: 118] أي: من أقام على الكفر منهم ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ الذين عرفتهم بالمعصية، وأنت مالك أمرهم تتصرف فيهم كيف شئت ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي: لمن آمن منهم ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

﴿قَالَ اللهُ هَذَا﴾ [المائدة: 119] أي: يوم القيامة ﴿يَوْمُ﴾ قرأ نافع بنصب اليوم، والباقون بالرفع ﴿يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ﴾ في الدنيا كعيسى ﴿صِدْقُهُمْ﴾ لأنه يوم الجزاء ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ باعتبار ما أثابهم من فضله ﴿ذَلِكَ﴾ الرضا المذكور ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ولا ينفع الكاذبين في الدنيا صدقهم فيه كالكفار لما يؤمنون عند رؤية العذاب.

﴿لِله مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [المائدة: 120] خزائن المطر والرزق والنبات وغيرها ﴿وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ ممكن ﴿قَدِيرٌ﴾.

سورة الأنعام

مكية سوى ثلاث آيات نزلت بالمدينة من قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾ [الأنعام: 151] إلى قوله: ﴿تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153] أو من قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ﴾ [الأنعام: 91] ونزل الباقي جملة واحدة بمكة، وعددها في المدني والمكي مائة آية وخمس أو ست أو سبع وستون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ (٢) وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣) وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤) فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٥) أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ (٦) وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧) ﴾ [الأنعام: ١ - ٧].

﴿الْحَمْدُ لِله الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ﴾ [الأنعام: 1] خلق ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ جمعها لكثرة أسبابها ﴿وَالنُّورَ﴾ الجنس ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[1] مع قيام هذا

---

(1) هذه السورة مكية كلها، وقال الكسائي: إلا آيتين نزلتا بالمدينة وهما ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الكِتَابَ﴾ وما يرتبط بها، وقال ابن عباس: نزلت ليلاً بمكة حولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبيح، إلا ست آيات: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ﴾، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى﴾، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ﴾، ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْلَمُونَ﴾، ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ وعنه أيضًا =

الدليل هل هم مشركوا العرب؟ أو عبدة الأوثان؟ أو جميع الكفار؟ أو القائلون بالنور والظلمة؟ أقوال، أقربها الثالث ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يسوون به غيره.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ [الأنعام: 2] أراد آدم ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ هل الأول من الولادة إلى الموت، والثاني من الموت إلى البعث؟ أو الأول أجل الدنيا والثاني أجل الآخرة؟ أو الأول أجل النوم والثاني أجل الموت؟ أقوال متقاربة ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ﴾ أيها الكفار ﴿تَمْتَرُونَ﴾ تشكون في البعث بعد علمكم أنه أنشأكم وإنكم تموتون.

﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 3] بمعنى أنه ﴿يَعْلَمُ﴾ الجميع أو أنه معبود فيهما يعلم ﴿سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ ما تسرونه وتظهرونه بينكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ من الخير والشر.

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ﴾ [الأنعام: 4] أي: كفار مكة ﴿مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ كانشقاق القمر ونحوه ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ تاركين لها ومكذبين بها.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: 5] هل هو القرآن؟ أو محمد ﷺ؟ قولان ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ﴾ أخبار وعواقب بـ ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ في الآخرة فيعلمون عاقبته إذا عذبوا.

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ [الأنعام: 6] في أسفارهم الشام وغيرها ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أمة من الأمم الماضية، والقرن: الجماعة من الناس في العصر الواحد، سمي به

وعن مجاهد والكلبي إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾ إلى قوله: ﴿تَتَّقُونَ﴾ وقال قتادة: إلا ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ﴾، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ﴾، وذكر ابن العربي أن قوله: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ﴾ نزل بمكة يوم عرفة، ومناسبة افتتاح هذه السورة لآخر المائدة أنه تعالى لما ذكر ما قالته النصارى في عيسى وأمه من كونهما إلهين من دون الله، وجرت تلك المحاورة وذكر ثواب ما للصادقين، وأعقب ذلك بأن له ملك السماوات والأرض وما فيهنّ وأنه قادر على كل شيء، ذكر بأن الحمد له المستغرق جميع المحامد فلا يمكن أن يثبت معه شريك في الإلهية فيحمد، ثم نبه على العلة المقتضية لجميع المحامد والمقتضية، كون ملك السماوات والأرض وما فيهنّ له بوصف ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ لأن الموجد للشيء المنفرد باختراعه له الاستيلاء والسلطنة عليه، ولما تقدّم قولهم في عيسى وكفرهم بذلك وذكر الصادقين وجزاءهم أعقب ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ فكان ذلك مناسبًا للكافر والصادق.

لتقاربهم فيه، وهل هو ثمانون سنة؟ أو ستون؟ أو أربعون؟ أو ثلاثون؟ أو مائة؟ أقوال، أشهرها الأخير ﴿مَكَّنَّاهُمْ﴾ أعطيناهم مكانًا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بالقوة والسعة ﴿مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ﴾ المطر ﴿عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾ المراد: تتابع المطر في أوقات الحاجات غزيرًا ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ تحت مساكنهم ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي: فاحذروا أن يقع بكم ما وقع بهم ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا﴾ خلقًا ﴿آخَرِينَ﴾.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾ [الأنعام: 7] مكتوبًا ﴿فِي قِرْطَاسٍ﴾ رق كما اقترحوه ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ تعنتًا وعناد ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ظاهرًا، نزلت؛ لأن نوفل بن خويلد ومن معه قالوا: لن نؤمن حتى يأتينا محمد بكتاب، ومعه من يشهد له بأنه من عند الله.

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٨ - ١٣].

﴿وَقَالُوا﴾ [الأنعام: 8] أي: زمعة بن الأسود والنضر بن الحارث بن كلدة، وعبدة بن عبد يغوث، وأبي بن خلف، والعاصي بن وائل: ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ أي: على محمد ﷺ ﴿مَلَكٌ﴾ يصدقه ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا﴾ كما اقترحوا فلم يؤمنوا ﴿لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي: وجب العذاب بلا مهلة ﴿ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ لا يمهلون لتوبة أو معذرة، وهذه سنة الله أنه يهلك كل أمة عند إيجاد ما اقترحوه إذا لم يؤمنوا.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا﴾ [الأنعام: 9] أي: المرسل إليهم ﴿لَجَعَلْنَاهُ﴾ أي: الملك ﴿رَجُلًا﴾ أي: في صورة آدمي؛ لأن الملائكة لا يستطيع البشر النظر إليهم إلا بطريق خرق العادة ﴿وَ﴾ لو أنزلناه رجلاً ﴿لَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ أي: خلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم ويشتبه الحال فلا يدرون أرجل هو أم ملك.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: 10] فيه تسلية له ﷺ ﴿فَحَاقَ﴾ فنزل وأحاط وحلَّ ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: جزاء استهزائهم من العذاب والنقمة فكذا يحيق بمن استهزئ بك.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا﴾ [الأنعام: 11] بعد سيركم ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ الرسل أي: آخر أمرهم من الهلاك والخزي لتعتبروا.

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ [الأنعام: 12] إن لم يقولوه لا جواب غيره ﴿كَتَبَ﴾ قضى ﴿عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ فضلاً منه، وهو تلطف في الدعاء للإيمان ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أي: فيه ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَهُ﴾ [الأنعام: 13] تعالى ﴿مَا سَكَنَ﴾ عن الحركة ﴿فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤ - ٢٠].

﴿قُلْ﴾ [الأنعام: 14] لهم: ﴿أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ أعبده ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ

﴿وَالْأَرْضِ﴾ خالقهما ومبتدعهما على غير مثال سبق ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾[1] فيرزق الناس ولا يُرزق، والاستفهام إنكاري ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ لله من هذه الأمة وقيل لي: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ به.

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: 15] هو: يوم القيامة.

﴿مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ﴾ [الأنعام: 16] قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب وأبو بكر: «**يصرف**» بفتح الياء وكسر الراء، والباقون بضم الياء وفتح الراء ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ الله بإرادة الخير له ﴿وَذَلِكَ﴾ أي: صرف العذاب ﴿الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ النجاة الظاهرة.

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ﴾ [الأنعام: 17] شدة وبلية ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ لا دافع ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ عافية ونعمة ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: 18] بالعظمة القاهر الغالب مع منع الغير من بلوغ المراد ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾.

﴿قُلْ﴾ [الأنعام: 19] لهم: ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ﴾ إن لم يقولوه لا جواب غيره هو ﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي، نزلت؛ لأن العرب قالوا: من يشهد

---

(1) أي: يرزق ولا يرزق كقوله: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ والمعنى أن المنافع كلها من عند الله، وخص الإطعام من بين أنواع الانتفاعات لمس الحاجة إليه كما خص الربا بالأكل وإن كان المقصود الانتفاع بالربا، وقرأ مجاهد وابن جبير والأعمش وأبو حيوة وعمرو بن عبيد وأبو عمرو وفي رواية عنه «ولا يطعم» بفتح الياء، والمعنى: أنه تعالى منزه عن الأكل ولا يشبه المخلوقين، وقرأ يمان العماني وابن أبي عبلة «ولا يطعم» بضم الياء وكسر العين مثل الأول فالضمير في ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ﴾ عائد على الله وفي ﴿وَلَا يُطْعَمُ﴾ عائد على الولي، وروى ابن المأمون عن يعقوب ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ على بناء الأول للمفعول والثاني للفاعل والضمير لغير الله، وقرأ الأشهب: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ على بنائهما للفاعل وفسر بأن معناه وهو يطعم ولا يستطعم، وحكى الأزهري أطعمت بمعنى استطعمت، قال الزمخشري: ويجوز أن يكون المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم أخرى على حسب المصالح، كقولك هو يعطي ويمنع ويبسط ويقدر ويغني ويفقر، وفي قراءة من قرأ باختلاف الفعلين تجنيس التشكيل وهو أن يكون الشكل فرقًا بين الكلمتين وسماه أسامة بن منقذ في بديعته تجنيس التحريف، وهو بتجنيس التشكيل أولى.

أنك رسول الله؟ واليهود والنصارى قالوا: لا ذكر لك عندنا ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ﴾ أعلمكم مع تخويفكم يا أهل مكة ﴿بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ يعني: ومن بلغه القرآن من العرب والعجم، وسائر الخلق جنًا وإنسًا ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى﴾ استفهام إنكار يدل له ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَا أَشْهَدُ﴾ بذلك ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ معه من الأصنام.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ [الأنعام: 20] هم: اليهود والنصارى ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ أي: محمد ﷺ بنعته وصفته في كتبهم ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ منهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ به.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنعام: ٢١ - ٢٧].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: 21] بنسبة الشريك إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ القرآن؛ أي: لا أحدًا ظلم منه ﴿إِنَّهُ﴾ أي: الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ بذلك.

﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ [الأنعام: 22] عائد على العابدين والمعبودين، قرأ يعقوب: «**يحشرهم**» بالياء وكذا «**ثم يقول**» على الغيبة هنا وفي سبأ، وافقه حفص في سبأ، والباقون بالنون فيهما ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ توبيخًا ﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ إنهم شركاء لله وإنهم يشفعون لكم عنده.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ﴾ [الأنعام: 23] قرأ يعقوب والكسائي وحمزة والعليمي عن أبي

بكر بياء من أسفل، والباقون بتاء من فوق ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ معذرتهم، قرأ ابن كثير وابن عامر وحفص: «**فتنتهم**» بالرفع، والباقون بالنصب ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ أي: قولهم ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ يقولون ذلك يوم القيامة كذبًا، قرأ حمزة والكسائي وخلف: «**والله ربنا**» بفتح الباء، والباقون بالخفض.

﴿انْظُرْ﴾ [الأنعام: 24] تعجيب للنبي ﷺ أو لكل سامع ﴿كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ بهذا اليمين ﴿وَضَلَّ﴾ ذهب وغاب ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ يكذبونه على الله في الدنيا.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [الأنعام: 25] إذا قرأت كأبي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وغيرهما ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾[1] أغطية جمع: كنان ﴿أَنْ﴾ لئلا ﴿يَفْقَهُوهُ﴾ يفهموا القرآن، ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ صممًا وثقلاً يمنعهم من أن يسمعوه سماع قبول ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ﴾ من المعجزات ﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾ يخاصمونك ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا﴾ القرآن ﴿إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أكاذيبهم وقصصهم كالأضاحيك والأعاجيب؛ وهي جمع: أسطورة بالضم، وقائل ذلك النضر ابن الحارث.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾ [الأنعام: 26] الناس ﴿عَنْهُ﴾ أي: عن اتباع القرآن والرسول ﷺ ﴿وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ أي: يعرضون ويتباعدون عنه فلا يؤمنون، وقيل: هو أبو طالب كان ينهي الناس عن أذى محمد ﷺ وينأى عن الإيمان به، ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿يُهْلِكُونَ﴾ بالإعراض ونحوه ﴿إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ لأن ضرره عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ [الأنعام: 27] يا محمد ﴿إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ أي: فيها أو عرضوا عليها لرأيت عجبًا ﴿فَقَالُوا﴾ عند رؤيتها: ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قرأ حمزة ويعقوب وحفص: «**ولا نكذب**»

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: أي فعلنا ذلك بهم مجازاة على كفرهم، وليس المعنى أنهم لا يسمعون ولا يفقهون، ولكن لما كانوا لا ينتفعون بما يسمعون، ولا ينقادون إلى الحق كانوا بمنزلة من لا يسمع ولا يفهم، والأكنة الأغطية جمع كنان مثل الأسنة والسنان، والأعنة والعنان، كننت الشيء في كنه إذا صنته فيه، وأكننت الشيء أخفيته، والكنانة معروفة، والكنة - بفتح الكاف والنون - امرأة أبيك، ويقال: امرأة الابن أو الأخ؛ لأنها في كنه.

«ونكون» بنصب الباء والنون وافقهم ابن عامر في النون، والباقون برفعهما.

﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨) وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٠) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٣١) وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٣٢) قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) ﴾ [الأنعام: ٢٨ - ٣٣].

﴿بَلْ﴾ [الأنعام: 28] للإضراب عن إرادة الإيمان المفهوم من اليمين ﴿بَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ يكتمون بقولهم: والله ربنا ما كنا مشركين بشهادة حوار جهنم فتمنوا ذلك، ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾ إلى الدنيا فرضًا ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ من الشرك ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في قولهم: إن رددنا إلى الدنيا آمنا.

﴿وَقَالُوا﴾ [الأنعام: 29] أي: منكر والبعث ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هِيَ﴾ أي: الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ إخبار عن إنكارهم البعث.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا﴾ [الأنعام: 30] عرضوا ﴿عَلَى رَبِّهِمْ﴾ أي: على حكمه وقضائه لرأيت أمرًا عظيمًا ﴿قَالَ﴾ لهم على لسان الملائكة موبخًا إما في جهنم أو الموقف: ﴿أَلَيْسَ هَذَا﴾ البعث والحساب ﴿بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا﴾ إنه لحق ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ به، وإنكارهم الشرك في موقف، وإقرارهم به في موقف آخر، وللقيامة مواقف قاله ابن عباس.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ﴾ [الأنعام: 31] أنفسهم لإهلاكها بالعذاب ﴿حَتَّى﴾ غاية للتكذيب ﴿إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي: القيامة فجأة ﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا﴾ هي شدة التألم؛ أي: هذا وقتك فاحضري ﴿عَلَى مَا فَرَّطْنَا﴾ قصرنا ﴿فِيهَا﴾ في الدنيا ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾ ذنوبهم ﴿عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ أي: في القيامة بأن تأتهم عند

البعث في أقبح شيء صورة وأنتنه ريحًا فتركتهم ﴿أَلا سَاءَ﴾ بئس ﴿مَا يَزِرُونَ﴾ يحملونه حملهم ذلك.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الأنعام: 32] أي: الاشتغال فيها ﴿إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ باطل وغرور، وأما الطاعات وما يعين عليها من أمور الآخرة ﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ الجنة، قرأ ابن عامر بلام واحدة وتخفيف الدال «**الآخرة**» بالخفض، والباقون بلامين مع تشديد الدال والإدغام ورفع الآخرة ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشرك ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ ذلك فيؤمنون، قرأ المدنيان ويعقوب: «**أفلا يعقلون**» هنا وفي الأعراف ويوسف، وافقهم أبو بكر في يوسف، واختلف عن ابن عامر في يس من روايته فروي عنه الآيتان، والباقون بالغيب في الأربعة.

﴿قَدْ﴾ [الأنعام: 33] للتحقيق ﴿نَعْلَمُ إِنَّهُ﴾ أي: الشأن ﴿لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ لك من الكفر والتكذيب ﴿فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ﴾ قرأ نافع والكسائي: «**لا يكذبونك**» بالتحقيق؛ أي: لا يجدونك كاذبًا، والباقون بالتشديد؛ أي: لا ينسبونك إلى الكذب لعلمهم في السر إنك صادق، نزلت؛ لأن الأخنس بن شريف سأل أبا جهل عن النبي ﷺ فقال له: ليس هنا من يسمع كلامي والله إن محمدًا لصادق وما كذب محمد قط ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ﴾ القرآن ﴿يَجْحَدُونَ﴾ يكذبون.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام: ٣٤ - ٣٩].

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: 34] كذبهم قومهم ﴿فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ بإهلاك من كذبهم فاصبر حتى يأتيك النصر بإهلاك قومك، ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ أخبارهم ما يتسلى به قلبك.

﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ﴾ [الأنعام: 35] عظم ﴿عَلَيْكَ﴾ عندك ﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾ عن الإيمان بك ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾ سربًا فتذهب فيه ﴿أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ﴾ أي: درجًا تصعد فيها السماء ﴿فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾ دالة على نبوتك غير الذي آتيناك مما اقترحوا فافعل، حذف الجواب للعلم به؛ والمعنى: إنك لا تستطيع ذلك فاصبر حتى يحكم الله، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ﴾ هدايتهم ﴿لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ الإسلام، ولكن لم يشأ ذلك فلم يؤمنوا ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بذلك، ونزلت لحرص النبي ﷺ على إيمان قومه.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ [الأنعام: 36] دعائك إلى الإيمان ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ وهم: المؤمنون، والمراد بسماعهم: اتباعهم الحق؛ لأنهم يسمعون بتأمل واعتبار ﴿وَالْمَوْتَى﴾ هم: الكفار شبههم بهم في عدم السماع ﴿يَبْعَثُهُمُ اللهُ﴾ في الآخرة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ بأعمالهم فيجازيهم بها.

﴿وَقَالُوا﴾ [الأنعام: 37] هم رؤساء قريش: ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كالناقة والعصا والمائدة ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً﴾ مما اقترحوا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما عليهم في إنزالها من البلاء؛ لأنهم يهلكون إذا نزلت ولم يؤمنوا.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [الأنعام: 38] تمشي ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ﴾ في الهواء ﴿بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ فالقادر على ذلك قادر على الإتيان بالآيات، وخص ذلك بالذكر؛ لأنه الذي ينظروه ﴿مَا فَرَّطْنَا﴾ تركنا ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن، وقيل: الكتاب: اللوح المحفوظ ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ تحتاج إليه من أمور الدنيا والدين ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ فيقضي بينهم؛ أي: من يعقل ومن لا يعقل من البهائم، وحشر البهائم: موتها، قاله ابن عباس، وقال أبو ذر وأبو هريرة: يحشر في الموقف كل ذي روح البهائم والدواب والطير، ويقتص للجماء من القرناء ثم يقول لهم: كونوا ترابًا.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأنعام: 39] القرآن ﴿صُمٌّ﴾ عن سماع القبول ﴿وَبُكْمٌ﴾

عن النطق بالحق ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي: ظلمات الكفر، وقيل: صم وبكم في الآخرة فهو حقيقة ﴿مَنْ يَشَأِ اللهُ﴾ إضلاله ﴿يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ﴾ هدايته ﴿يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٠ - ٤٦].

﴿قُلْ﴾ [الأنعام: 40] يا محمد لأهل مكة: ﴿أَرَأَيْتَكُمْ﴾ قرأ أهل المدينة: «أرأيتكم» و«أرأيتم» و«أرأيت» بتمكين الهمزة الثانية، والكسائي بحذفها، والباقي ثبتها؛ أي: أخبروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ﴾ أي: في الدنيا ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾ القيامة المشتملة عليه بغتة ﴿أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ﴾ في صرف العذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن الأصنام تسمعكم فادعوها، وكانوا يعبدون الأصنام وفي الشدائد يدعون الله.

﴿بَلْ إِيَّاهُ﴾ [الأنعام: 41] لا غيره ﴿تَدْعُونَ﴾ في الشدائد ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي: تدعون أن يكشفه عنكم ﴿إِنْ شَاءَ﴾ كشفه ﴿وَتَنْسَوْنَ﴾ تتركون ﴿مَا تُشْرِكُونَ﴾ معه من الأصنام فلا تدعونه.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: 42] رسلاً فكذبوهم ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ﴾ الشدة والجوع ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ الضر والمرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ أي: يخضعون فيتوبون، والتضرع: سؤال بتذلل.

﴿فَلَوْلَا﴾ [الأنعام: 43] هلا ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ

﴿قُلُوبُهُمْ﴾ لم تلن للإيمان، واستمرت على الكفر والضلال ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1] من المعاصي فأصروا عليها.

﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ [الأنعام: 44] تركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا﴾وعظوا وخوفوا وأمروا ﴿بِهِ﴾ فلم يتعظوا ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ﴾ قرأ ابن عامر وعيسى بن وردان: «فتحنا» هنا وفي الأعراف والقمر، و«فتحت» في الأنبياء بالتشديد، وافقهما ابن جماز وروح في القمر والأنبياء، ووافقهم رويس في الأنبياء، واختلف عنه في الأحرف الثلاثة فروى النحاس وغيره التشديد، وروى أبو الطيب التحقيق، واختلف عن ابن جماز هنا وفي الأعراف فروى ابن سوار وغيره التشديد، والباقون بالتخفيف في الأربعة ﴿أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من النعم الدنيوية استدراجًا لهم ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ فرح بطر؛ كفرح قارون بالدنيا ﴿أَخَذْنَاهُمْ﴾ بالعذاب ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة أينما كانوا ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ آيسون من كل خير.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنعام: 45] أنفسهم بالشرك؛ أي: أخرهم الذي يدبرهم وهو عبارة عن استئصالهم ﴿وَالْحَمْدُ لِله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ [الأنعام: 46] أخبروني ﴿إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ طبع عليها ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ أي: بما أخذ منكم بزعمكم ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ﴾ نبين ﴿الْآيَاتِ﴾ الدلالات على وحدانيتنا ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ يعرضون بالتكذيب.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا

---

(1) يحتمل أن تكون الجملة داخلة تحت الاستدراك ويحتمل أن تكون استئناف إخبار، والظاهر الأول فيكون الحامل على ترك التضرع قسوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي كان الشيطان سببًا في تحسينها لهم.

تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٧ - ٥٢].

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ بَغْتَةً﴾ [الأنعام: 47] فجأة ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ معاينة ترونه، وقيل: الأول الليل والثاني النهار ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ المشركون به أي: ما يهلك إلا هم.

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ [الأنعام: 48] من آمن بالجنة ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ من كفر بالنار ﴿فَمَنْ آمَنَ﴾ بهم ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ [الأنعام: 49] كفروا ﴿بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ﴾ يصيبهم ﴿الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يكفرون.

﴿قُلْ﴾ [الأنعام: 50] لهم: ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ﴾[1] أي: خزائن رزقه فأعطيكم ﴿وَلَا﴾ أني ﴿أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ أي: فأخبركم عما مضى وما سيكون مما لم يوحَ إليه ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ قال ذلك؛ لأنهم طلبوا أن يكون الرسول من الملائكة؛ لأنه يقدر على ما لا يقدر عليه الآدمي ويشاهد ما لا يشاهده؛ فالمعنى: لا أقول ذلك حتى تكفروا وتجحدوا لأني ادعيت ما ليس لي ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ الكافر والمؤمن أو الضال والمهتدي أو الجاهل والعالم، والكل صحيح والأول أقرب، والاستفهام للإنكار ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فيؤمنوا.

---

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: هذا جواب لقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ فالمعنى ليس عندي خزائن قدرته فأنزل ما اقترحتموه من الآيات، ولا أعلم الغيب فأخبركم به، والخزانة ما يخزن فيه الشيء، ومنه الحديث: «**فإنما تخزن لهم ضروع مواشيهم أطعمناهم أيحب أحدكم أن تؤتى مشربته فتكسر خزانته**»، وخزائن الله مقدوراته؛ أي: لا أملك أن أفعل كل ما أريد مما تقترحون ولا أعلم الغيب أيضًا ولا أقول لكم إني ملك، وكان القوم يتوهمون أن الملائكة أفضل، أي: لست بملك فأشاهد من أمور الله ما لا يشهده البشر، واستدل بهذا القائلون بأن الملائكة أفضل من الأنبياء.

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾ [الأنعام: 51] أي: خوِّف بالقرآن ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا﴾ يبعثوا ويجمعوا ﴿إِلَى رَبِّهِمْ﴾ وهم: المؤمنون العاصون ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلِيٌّ﴾ ناصر يمنعهم ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يشفع لهم إلا بإذنه ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ما نهيتهم عنه بالتوبة.

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ﴾ [الأنعام: 52] الصبح، قرأ ابن عامر هنا وفي الكهف بضم الغين وإسكان الدال وواو بعدها، والباقون بالفتح وألف فيهما، نزلت في نفر، منهم صهيب وبلال وعمَّار وخباب وسعد بن أبي وقاص وابن مسعود وسلمان الفارسي، كان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردهم ليجالسوه، وأراد النبي ﷺ ذلك طمعًا في إسلامهم ﴿وَالْعَشِيِّ﴾ العصر ﴿يُرِيدُونَ﴾ بطاعتهم ﴿وَجْهَهُ﴾ تعالى لأشياء من الدنيا ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ إن كان باطنهم غير مرضي ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جواب لقوله: ما عليك ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ إن فعلته.

﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٣ - ٥٨].

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الأنعام: 53] مثل ما وقع ﴿فَتَنَّا﴾ ابتلينا ﴿بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ الشريف بالوضيع، والغني بالفقير بأن قدمناه بالسبق للإيمان ﴿لِيَقُولُوا﴾ أي: يقول الغني والشريف عند سبق الفقير والوضيع إلى الإيمان كبرًا عن اتباع طريقهم: ﴿أَهَؤُلَاءِ﴾

الفقراء ﴿مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ بالإسلام والإيمان؛ أي: لو كان ما هم عليه هدى ما سبقونا إليه فيأنفون منه قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ له فيهديهم؟ بلى وأنا على ذلك من الشاهدين فهو استفهام تقرير؛ لأنه يعلم ذلك.

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ [الأنعام: 54] هم الذين نهى عن طردهم، والعبرة بعموم اللفظ ﴿فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ﴾ قضى ﴿رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ﴾ أي: الشأن ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ﴾ فلم يعلم أهو حرام أم لا؟ أو المراد: الجهل بما يوجبه الذنب، أو الجهل بتقديم المعصية على الطاعة ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد عمله عنه بأن أقلع وندم وعزم على عدم العود، ورد الظلامة إن كانت ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله بالمستقبل ﴿فَأَنَّهُ﴾ أي: الله ﴿غَفُورٌ﴾ له ﴿رَحِيمٌ﴾ وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب أنه من: «**أنه من عمل**» ومن قوله: «**فأنه غفور**» بفتح الهمزة فيهما وافقهم المدنيان في الأول، والباقون بالكسر فيهما.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الأنعام: 55] أي: مثل ما فصلنا لك في هذه السورة من الدلائل ﴿نُفَصِّلُ﴾ نبين ﴿الْآيَاتِ﴾ القرآن؛ لتظهر الحق فيعمل به ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ تظهر، قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي وخلف بالتذكير، والباقون بتاء آخر الحروف ﴿سَبِيلُ﴾ طريق، قرأ المدنيان بنصب اللام، والباقون برفعها ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: من طبع على قلبه فلا يرجى إيمانه، وإذا بانت طريق المجرم اجتنب.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: 56] آلهة أو تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ آراءكم الفاسدة في عبادة الأوثان أو طرد الفقراء ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ أي: إذا فعلت ذلك ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ إن فعلت ما تقتضيه آراؤكم الفاسدة.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ [الأنعام: 57] بيان وبصيرة ﴿مِنْ رَبِّي وَ﴾ قد ﴿كَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ بربي أو بما جئت به ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ من العذاب أو القيامة ﴿إِنِ الْحُكْمُ﴾ في ذلك وغيره ﴿إِلَّا لِلهِ يَقْضِ﴾ بإسكان القاف والصاد المعجمة: القضاء ﴿الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ القاضين، وقرأ المدنيان وابن كثير وعاصم: «**يقص**» بضم القاف وصاد مهملة مشددة من قص أثره إذا تبعه.

﴿قُلْ﴾ [الأنعام: 58] لهم: ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ من العذاب أو يوم القيامة، والأول قولهم إن كان هذا هو الحق فأمطر الآية ﴿لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: انتهى بإهلاككم بالعذاب؛ لأني أعجله لكم وأستريح لكنه عند الله تعالى ﴿وَاللهُ

﴿أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ متى يعاقبهم على ظلمهم.

﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩ - ٦٤].

﴿وَعِنْدَهُ﴾ [الأنعام: 59] تعالى ﴿مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ أي: خزائنه أو الطرق الموصلة إلى علمه ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ وهي الخمسة التي في قوله: ﴿إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: 34] أو أعم من ذلك ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ من كل شيء ومما على ظاهرهما، وقيل: البر: القفار، والبحر: القرى التي على الأنهار ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ فيعلم ما سقط وما بقي ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ حي أو ميت أو ما نبت وما لم ينبت ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[1] هو: اللوح المحفوظ.

---

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: جاء في الخبر أن هذه الآية لما نزلت نزل معها اثنا عشر ألف ملك، وروى البخاري عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله**»، وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت: من زعم أن رسول الله ﷺ يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله تعالى يقول: «**قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله**» ومفاتح جمع مفتح، هذه اللغة الفصيحة، ويقال: مفتاح ويجمع مفاتيح، وهي قراءة ابن السميفع «مفاتيح»، والمفتح عبارة عن كل ما يحل غلقًا، محسوسًا كان كالقفل على البيت أو معقول كالنظر، وروى ابن ماجه في «سننه» وأبو حاتم =

البستي في «صحيحه» عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «**إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه**»، وهو في الآية استعارة عن التوصل إلى الغيوب كما يتوصل في الشاهد بالمفتاح إلى المغيب عن الإنسان، ولذلك قال بعضهم: هو مأخوذ من قول الناس أفتح علي كذا، أي أعطني أو علمني ما أتوصل إليه به، فالله تعالى عنده علم الغيب، وبيده الطرق الموصلة إليه، لا يملكها إلا هو، فمن شاء اطلاعه عليها أطلعه، ومن شاء حجبه عنها حجبه، ولا يكون ذلك من إفاضته إلا على رسله، بدليل قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ**﴾ وقال: ﴿**عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ**﴾ وقيل: المراد بالمفاتيح خزائن الرزق، عن السدي والحسن، ومقاتل والضحاك: خزائن الأرض، وهذا مجاز، عبر عنها بما يتوصل إليها به، وقيل: غير هذا مما يتضمنه معنى الحديث أي عنده الآجال ووقت انقضائها، وقيل: عواقب الأعمار وخواتم الأعمال، إلى غير هذا من الأقوال، الأول المختار، والله أعلم.

الثانية: قال علماؤنا: أضاف سبحانه علم الغيب إلى نفسه في غير ما آية من كتابه إلا من اصطفى من عباده، فمن قال: إنه ينزل الغيث غدا وجزم فهو كافر، أخبر عنه بأمارة ادعاها أم لا، وكذلك من قال: إنه يعلم ما في الرحم فهو كافر، فإن لم يجزم وقال: إن النوء ينزل الله به الماء عادة، وأنه سبب الماء عادة، وأنه سبب الماء على ما قدره وسبق في علمه لم يكفر، إلا أنه يستحب له ألا يتكلم به، فإن فيه تشبيهًا بكلمة أهل الكفر، وجهلاً بلطيف حكمته؛ لأنه ينزل متى شاء، مرة بنوء كذا، ومرة دون النوء، قال ابن العربي: وكذلك قول الطبيب: إذا كان الثدي الأيمن مسود الحلمة فهو ذكر، وإن كان في الثدي الأيسر فهو أنثى، وإن كانت المرأة تجد الجنب الأيمن أثقل فالولد أنثى، وادعى ذلك عادة لا واجبًا في الخلقة لم يكفر ولم يفسق، وأما من ادعى الكسب في مستقبل العمر فهو كافر، أو أخبر عن الكوائن المجملة أو المفصلة في أن تكون قبل أن تكون فلا ريبة في كفره أيضًا، فأما من أخبر عن كسوف الشمس والقمر فقد قال علماؤنا: يؤدب ولا يسجن، أما عدم تكفيره فلأن جماعة قالوا: إنه أمر يدرك بالحساب وتقدير المنازل حسب ما أخبر الله عنه من قوله: ﴿**وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ**﴾ وأما أدبهم فلأنهم يدخلون الشك على العامة؛ إذ لا يدركون الفرق بين هذا وغيره، فيشوشون عقائدهم ويتركون قواعدهم في اليقين فأدبو حتى يسروا ذالك إذا عرفوه ولا يعلنوا به، قلت: ومن هذا الباب أيضًا ما جاء في صحيح مسلم عن بعض أزواج النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»، والعراف هو الحازر والمنجم الذي يدعي علم الغيب، وهي من العرافة وصاحبها عراف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفتها، وقد يعتضد بعض أهل هذا الفن في ذلك بالزجر والطرق والنجوم، وأسباب معتادة في ذلك، وهذا الفن هو العيافة بالياء، وكها ينطلق عليها اسم الكهانة، قاله القاضي عياض، والكهانة: ادعاء علم الغيب، قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب الكافي: من المكاسب المجتمع على تحريمها الربا ومهور البغايا والسحت والرشا وأخذ الأجرة على النياحة والغناء، وعلى الكهانة وادعاء الغيب وأخبار السماء،

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: 60] يقبض أرواحكم عند نومكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ﴾ كسبتم ﴿بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي: في النهار يرد أرواحكم ﴿لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ أي: أجل أعماركم إلى الممات ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ في الدار الآخرة ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ﴾ يخبركم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ [الأنعام: 61] مستعليًا ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ هم:

وعلى الزمر واللعب والباطل كله، قال علماؤنا: وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان بإتيان المنجمين، والكهان لا سيما بالديار المصرية، فقد شاع في رؤسائهم وأتباعهم وأمرائهم اتخاذ المنجمين، بل ولقد أنخدع كثير من المنتسبين للفقه والدين فجاءوا إلى هؤلاء الكهنة والعرافين فبهرجوا عليهم بالمحال، واستخرجوا منهم الأموال فحصلوا من أقوالهم على السراب والآل، ومن أديانهم على الفساد والضلال، وكل ذلك من الكبائر، لقول ﷺ: «**لم تقبل الصلاة أربعين ليلة**»، فكيف بمن اتخذهم وأنفق عليهم معتمدًا على أقوالهم، روى مسلم - رحمه الله - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سأل رسول الله ﷺ أناس عن الكهان فقال: «**إنهم ليسوا بشيء**» فقالوا: يارسول الله، إنهم يحدثونا أحيانًا بشيء فيكون حقًا! فقال رسول الله ﷺ: «**تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون معها مائة كذبة**»، قال الحميدي: ليس ليحيى بن عروة عن أبيه عن عائشة في الصحيح غير هذا وأخرجه البخاري أيضًا، من حديث أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن عن عروة عن عائشة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوجيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم**».

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ خصهما بالذكر؛ لأنهما أعظم المخلوقات المجاورة للبشر، أي يعلم ما يهلك في البر والبحر، ويقال: يعلم ما في البر من النبات والحب والنوى، وما في البحر من الدواب ورزق ما فيها ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ روى يزيد بن هارون عن نافع عن محمد بن إسحاق عن نافع ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**ما من زرع على الأرض ولا ثمار على الأشجار ولا حبة في ظلمات الأرض إلا عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم رزق فلان بن فلان**» وذلك قوله في محكم كتابه: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ وحكى النقاش عن جعفر بن محمد أن الورقة يراد بها السقط من أولاد بني آدم، والحبة يراد بها الذي ليس بسقط، والرطب يراد به الحي، واليابس يراد به الميت، قال ابن عطية: وهذا قول جار على طريقة الرموز، ولا يصح عن جعفر بن محمد ولا ينبغي أن يلتفت إليه، وقيل: المعنى ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾ أي: من ورقة الشجر إلا يعلم متى تسقط وأين تسقط وكم تدور في الهواء، ولا حبة إلا يعلم متى تنبت وكم تنبت ومن يأكلها، ﴿ظُلُمَاتِ الأَرْضِ﴾ بطونها وهذا أصح، فإنه موافق للحديث وهو مقتضى الآية.

الملائكة الحافظون لعمل ابن آدم ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ أي: قبضته لتسلمه إلى ملك الموت، قرأ حمزة: «**توفاه رسلنا**» و«استهواه» بعد الفاء والواو، والباقون بتاء ساكنة بعدهما ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ يقصرون فيما يؤمرون.

﴿ثُمَّ رُدُّوا﴾ [الأنعام: 62] أي: الخلق أو الملائكة أو المؤمنون ﴿إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ﴾ مالكهم ﴿الْحَقِّ﴾ الثابت العادل؛ ليجازيهم ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾.

﴿قُلْ﴾ [الأنعام: 63] يا محمد لأهل مكة: ﴿مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ شدائدهما وأهوالهما في أسفاركم.

روى روح: «**قل من ينجيكم**» و«**قل الله ينجيكم**» في الموضعين، وفي يونس: «**فاليوم ننجيكم وننجي رسلنا وننجي المؤمنين**»، وفي الحجر: «**إنا لمنجوهم**»، ومريم: «**ننجي المؤمنين**»، وفي العنكبوت: «**لننجينه**» وفيها «**إنا لمنجوك**»، وفي المؤمنين: «**وينجي**»، وفي الصف: «**ينجيكم من عذاب أليم**» الإحدى عشر بالتخفيف ووافقه رويس في الزمر، ووافق الجميع سوى ابن عامر في الصف، ووافق نافع وابن كثير وابن زكوان، وأبو عمرو في الثاني من هذه السورة، وانفرد بذلك بعضهم عن هشام، ووافق الكسائي وحفص على الثالث من يونس، ووافق حمزة والكسائي وخلف في الحجر والأول من العنكبوت، ووافق الكسائي في مريم، ووافق ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر في الثاني من العنكبوت، والباقي بالتشديد.

﴿تَدْعُونَهُ﴾ أي: حين تدعونه ﴿تَضَرُّعًا﴾ تذللاً ﴿وَخُفْيَةً﴾ إسرارًا، قرأ أبو بكر عن عاصم بكسر الخاء وفي الأعراف، والآخرون بضمها؛ لأن تقديره يقولون: لئن أنجيتنا بالألف بعد الجيم في قراءة الكوفيين، والباقون «**أنجيتنا**» بالياء والتاء بلا ألف ﴿مِنْ هَذِهِ﴾ الشدة ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

﴿قُلِ﴾ [الأنعام: 64] لهم: ﴿اللهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ غمّ سواها ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ به.

﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ

وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسُۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنعام: ٦٥ - ٧٠].

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: 65] من السماء كالحجارة والصيحة والريح والطوفان ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كالخسف ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ﴾ يخلطكم ﴿شِيَعًا﴾ فرقًا كأهل الأهواء الضالة والبدع، ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ فتقوم الفتن وتعذب كل طائفة بالأخرى بالقتال، وقد استعاذ النبي ﷺ من كل ذلك فقال: «**من كل أعوذ بوجهك إلا ما وقع من الأهواء أو ما بعده فقال فيه: هذا أهون وأيسر**»[1] ﴿انْظُرْ﴾ تعجيب له ﷺ ﴿كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ نبين الدلالات على قدرتنا ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ يفهمون الحق فيتبعونه.

﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾ [الأنعام: 66] بالقرآن أو العذاب ﴿قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ﴾ لهم: ﴿لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ فأجازيكم هذا قبل الأمر بالقتال.

﴿لِكُلِّ نَبَإٍ﴾ [الأنعام: 67] خبر ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ حقيقة ومنتهى ينتهي إليه ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يبدو لكم ذلك وهو تهديد لهم.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ [الأنعام: 68] القرآن بالاستهزاء ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ اترك مجالستهم ﴿حَتَّى يَخُوضُوا﴾ يأخذوا ﴿فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ ما ذكرت به؛ أي: إن وقع ولم يقع، قرأ ابن عامر بفتح النون بلا

---

(1) في تفسير الجلالين (167/1)، (65).

تشديد ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى﴾ التذكرة ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: إذا نسيت فجلست فقم إذا تذكرت.

وقال المسلمون: إن قمنا كلما قاموا لم نستطع أن نجلس في المسجد وأن نطوف فنزل: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 69] الله ﴿مِنْ حِسَابِهِمْ﴾ أي: الخائضين ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ إن جالسوهم ﴿وَلَكِنْ﴾ عليكم ﴿ذِكْرَى﴾ تذكرة لهم ووعظ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ينتهون عن الخوض.

﴿وَذَرِ﴾ [الأنعام: 70] اترك ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ﴾ الذي كلفوه ﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ هم الكفار في استهزائهم بآيات الله ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ فلا يتعرض لهم، وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿وَذَكِّرْ﴾ عظ ﴿بِهِ﴾ بالقرآن الناس ﴿أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ أي: كراهة أن تبسل أو لئلا تبسل ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت ﴿لَيْسَ لَهَا﴾ أي: النفس ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلِيٌّ﴾ قريب أو ناصر ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يمنعها من العذاب ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ أي: تفدِ كل فداء ﴿لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ ما تفدي به ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا﴾ أهلكوا ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ أي: بسببه ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ وهو: الماء الحار الذي انتهى حره ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ أي: بسببه.

﴿ قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٧١) وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٢) وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ (٧٣) ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٧٤) وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ (٧٥) ﴾ [الأنعام: ٧١ - ٧٥].

﴿قُلْ أَنَدْعُو﴾ [الأنعام: 71] نعبد ﴿مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا﴾ إن عبدناه ﴿وَلَا

﴿يَضُرُّنَا﴾ إن تركناه؛ أراد الأصنام ﴿وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾ نرجع إلى الشرك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ إلى الإسلام ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ﴾[1] أضلته ﴿الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ حائر لا يهتدي إلى المخرج من أمره ﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾ أي: ليهدوه إلى الطريق ﴿ائْتِنَا﴾ أي: يقولون له ذلك فلا يجيبهم فهلك مثل ضربه الله لمن دعاه الرسول ﷺ إلى طريق الهدى أو دعاه الكفار إلى الضلال ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ﴾ الإسلام ﴿هُوَ الْهُدَى﴾ لا غيره ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَأَنْ﴾ [الأنعام: 72] أي: بأن ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ﴾ أي: ربكم ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تجمعون للحساب.

---

(1) في تفسير اللباب لابن عادل (496/6): في هذه الكاف وجهان: أحدهما: أنه نَعْتُ مصدرٍ محذوف؛ أي: نُرَدُّ رَدّاً مثل ردِّ الذين. الثاني: في مَحَلِّ نصب على الحال من مرفوع «نرد»، أي: نرد مُشْبهينَ الذي استهوته الشياطين، فمن جوَّز تعدُّدَ الحالِ جعلها حالاً ثانية، إن جعل «على أعقابنا» حالاً، ومن لم يُجَوِّزْ ذلك جعل هذه الحال بدلاً من الحال الأولى، أو لم يجعل على أعقابنا حالاً، بل معلّقاً بـ «نرد». الجمهور على «اسْتهوتْهُ» بتاء التأنيث، وحمزة «اسْتَهْوَاهُ» وهو على قاعدته من الإمالة، والوجهان معروفان مما تقدم في (تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا) [الأنعام: 61]، وقرأ أبو عبد الرحمن والأعمش: «اسْتَهْوَتْهُ الشَّيطانُ » بتأنيث الفعل، والشيطان مفرداً.

قال الكسائي: «وهي كذلك في مصحف ابن مسعود»، وتوجيه هذه القراءة أنَّا نُؤوِّل المذكربمؤنث كقولهم: «أتته كتابي فاحتقرها»؛ أي: صحيفتي، وتقدَّم له نظائر.

وقرأ الحسن البصري: «الشَّيَاطُون» وجعلوها لَحْناً، ولا تَصِلُ إلى الَّحْنِ، إلا أنها لُغَيَّةٌ رديئة، سُمِع: حول بسان فلان بساتون وله سلاطون، ويُحْكَى أنه لما حيكت قراءة الحسن لَحَّنَهُ بعضهم، فقال الفراء: «أي والله يُلحِّنُون الشيخ، ويستشهدون بقول رؤبة». ولعمري لقد صدق الفراء في إنكار ذلك.

والمراد بـ «الَّذي» الجِنْسُ، ويحتمل أن يراج به الواحد الفَذُّ.

قوله: «في الأرْضِ» فيه أربعة أوجه: أحدها: أنه مُتعلّق بقوله: «اسْتَهْوتْهُ». الثاني: أنه حالٌ من مفعول «اسْتَهْوَتْهُ». الثالث: أنه حالٌ من «حيران». الرابع: أنه حالٌ من الضمير المُسْتَكِنّ في «حيران »، و«حيران» حال إما من «هاء» «استهوته» على أنها بدلٌ من الأولى، وعند من يجيز تعدُّدَهَا، وإما من «الَّذِي»، وإما من الضمير المستكن في الظرف، و«حيران» مؤنثة «حيرى»، فلذلك لم يَنْصَرِفْ، والفعل حَارَ يَحَارُ حَيْرةً وحَيَراناً وحَيْرورةً، و«الحيران» المُتَرَدِّدُ في الأمر لا يهتدي إلى مَخْرَجٍ. وفي اشتقاق «اسْتَهْوَتْهُ» قولان: الأول: أنه مشتق من الهُوِيّ في الأرض، وهو النزول من الموضع العالي إلى الوهدة السافلة العميقة في قعر الأرض فشبه الله تعالى حال هذا الضَّالِّ به، كقوله: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بالله فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السماء﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: 73] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ للشيء ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: يوم أراد إيجاد شيء أوجده، واليوم: الزمن أو هو كناية عن يوم القيامة؛ أي: يوم يبعثهم يبعثون بعد أن يميتهم فيموتون ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ الصدق الواقع لا محالة ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ وهو قرن ينفخ فيه النفخة الثانية إسرافيل لا ملك فيه لغيره ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ ما غاب ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ ما نشاهده ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿الْخَبِيرُ﴾ بكل شيء.

﴿وَ﴾ [الأنعام: 74] اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾[1] بالرفع ليعقوب والباقون

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: تكلم العلماء في هذا، فقال أبو بكر محمد بن محمد بن الحسن الجويني الشافعي الأشعري في «النكت» من التفسير له: وليس بين الناس اختلاف، كأن اسم والد إبراهيم تارح، والذي في القرآن يدل على أن اسمه آزر، وقيل: آزر عندهم ذم في لغتهم، كأنه قال: وإذ قال لأبيه يا مخطئ ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً﴾ وإذا كان كذلك فالاختيار الرفع، وقيل: آزر اسم صنم، وإذا كان كذلك فموضعه نصب على إضمار الفعل، كأنه قال: وإذ قال إبراهيم لأبيه أتتخذ آزر إلهًا، أتتخذ أصناما آلهة، قلت: ما ادعاه من الاتفاق ليس عليه وفاق، فقد قال محمد بن إسحاق والكلبي والضحاك: إن آزر أبو إبراهيم عليه السلام وهو تارح، مثل إسرائيل ويعقوب، قلت: فيكون له اسمان كما تقدم، وقال مقاتل: آزر لقب، وتارح اسم: وحكاه الثعلبي عن ابن إسحاق القشيري، ويجوز أن يكون على العكس، قال الحسن: كان اسم أبيه آزر، وقال سليمان التيمي: هو سب وعيب، ومعناه في كلامهم: المعوج، وروى المعتمر بن سليمان عن أبيه قال: بلغني أنها أعوج، وهي أشد كلمة قالها إبراهيم لأبيه، وقال الضحاك: معنى آزر الشيخ الهم بالفارسية، وقال الفراء: هي صفة ذم بلغتهم، كأن قال يا مخطئ، فيمن رفعه، أو كأنه قال: وإذ قال إبراهيم لأبيه المخطئ، فيمن خفض، ولا ينصرف؛ لأنه على أفعل، قال النحاس، وقال الجوهري: آزر اسم أعجمي، وهو مشتق من آزو فلان فلانًا إذا عاونه، فهو مؤازر قومه على عبادة الأصنام، وقيل: هو مشتق من القوة، والآزر القوة، عن ابن فارس، وقال مجاهد ويمان: آزر اسم صنم،وهو في هذا التأويل في موضع نصب، التقدير: أتتخذ آزر إلهًا، أتتخذ أصنامًا، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، التقدير: أتتخذ آزر أصنامًا، قلت: فعلى هذا آزر اسم جنس، والله أعلم، وقال الثعلبي في كتاب «العرائس»: إن اسم أبي إبراهيم الذي سماه به أبوه تارح، فلما صار مع النمروذ قيما على خزانة آلهته سماه آزر، وقال مجاهد: إن آزر ليس باسم أبيه وإنما هو اسم صنم، وهو إبراهيم بن تارح بن ناخور بن ساروع بن أوغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام. و﴿آزَرَ﴾ فيه قراءات: «أإزرا» بهمزتين، الأولى مفتوحة والثانية مكسورة، عن ابن عباس، وعنه «أأزرا» بهمزتين مفتوحتين، وقرئ بالرفع، وروي ذلك عن ابن عباس، وعلى القراءتين الأوليين عنه «تتخذ» بغير همزة، قال المهدوي: «أإزرا»؟ فقيل: إنه اسم صنم، فهو منصوب على تقدير أتتخذ إزرا، وكذلك «أأزرا»، ويجوز أن يجعل «أإزرا» على أنه
=

بالنصب، وهذا لقبه واسمه تارح ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ تعبدها من دون الله استفهام توبيخ ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ﴾ من وافقك على ذلك ﴿فِي ضَلَالٍ﴾ عن الحق ﴿مُبِينٍ﴾ بين.

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 75] ليستدل بذلك على وحدانيتنا؛ أي: كما أريناه البصيرة في دينه ومخالفة قومه نريه، وهل الملكوت الملك زيدت فيه التاء للمبالغة كالرحموت؟ أو هو خلقهما؟ أو آياتهما كالشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والبحار؟ أقوال متقاربة ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ بها؛ أي: نريه ذلك ليستدل به وليكون.

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٦ - ٨١].

=

مشتق من الأزر وهو الظهر فيكون مفعولاً من أجله، كأنه قال: أللقوة تتخذ أصنامًا، ويجوز أن يكون إزر بمعنى وزر، أبدلت الواو همزة، قال القشيري: ذكر في الاحتجاج على المشركين قصة إبراهيم ووده على أبيه في عبادة الأصنام، وأولى الناس بأتباع إبراهيم العرب، فإنهم ذريته، أي: واذكر إذ قال إبراهيم، أو «وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت» وذكر إذ قال إبراهيم، وقرئ «آزر» أي يا آزر، على النداء المفرد، وهي قراءة أبي ويعقوب وغيرهما، وهو يقوي قول من يقول: إن آزر اسم أب إبراهيم ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً﴾ مفعولان لتتخذ وهو استفهام فيه معنى الإنكار.

﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾ [الأنعام: 76] أظلم ﴿عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾ هو: الزهرة، وقيل: المشترى، قرأ أبو عمرو بفتح الراء وكسر الألف، وكسرها ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر فإن اتصل بكاف أو هاء فتحها ابن عامر نحو: ﴿رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنبياء: 36] ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِراً﴾ [النمل: 40] فإن لقيها ساكن كسر الراء، وفتح الهمزة حمزة وأبو بكر وفتحها الآخرون نحو: ﴿رَأَى الْقَمَرَ﴾ [الأنعام: 77].

﴿قَالَ﴾ لقومه وكانوا نجّامين: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ في زعمكم ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ غاب وذهب ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ أن اتخذهم أربابًا؛ لأن الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال؛ إذ هذا شأن الحادث فلم يفد فيهم ذلك.

﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا﴾ [الأنعام: 77] طالعًا ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ﴾ غاب ﴿قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ يثبتني على الهدى ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ عن الحق، قال ذلك توبيخًا لقومه.

﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ [الأنعام: 78] طالعة ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾ من الكوكب والقمر ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾ غربت وذهبت، وقويت عليهم الحجة ولم يرجعوا ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ بالله من الأصنام والأجرام المحدثة المحتاجة إلى محدث.

فقالوا له: فما تعبد؟ قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ [الأنعام: 79] كلي أو أخلصت عبادتي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ﴾ خلق ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ مائلاً إلى الخير ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ بالله سبحانه.

﴿وَحَاجَّهُ﴾ [الأنعام: 80] خاصمه وجادله ﴿قَوْمُهُ﴾ في دينه، وهددوه بأنه إذا ترك الأصنام يصاب بسوء ﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِّي﴾ تجادلوني ﴿فِي اللَّهِ﴾ وحدانيته، قرأ المدنيان وابن زكوان وهشام بخلاف عنه: «**أتحاجوني**» بتخفيف النون والباقون بتشديدها ﴿وَقَدْ هَدَانِي﴾ تعالى للتوحيد والحق ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ من الأصنام أن تصيبني بسوء؛ لأنها لا تقدر على شيء ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ من المكروه فيكون ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: أحاط علمه بكل شيء ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ بهذه الحجج القاطعة أمر الله وأنه لا إله غيره.

﴿وَكَيْفَ﴾ [الأنعام: 81] تعجب من حالهم ﴿أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ به ﴿وَلَا

تَخافُونَ﴾ أنتم من الله ﴿أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ﴾ بعبادته ﴿عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ حجة وبرهانًا ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ أنا أم أنتم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ من الأحق به؛ أي: وهو حق.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ وَهَدَيْنَـٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢ - ٨٧].

فاتبعوه ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ﴾ [الأنعام: 82] يخلطوه ﴿بِظُلْمٍ﴾ بشرك في حديث الصحيح ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ من العذاب ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا﴾ [الأنعام: 83] التي احتج بها إبراهيم على وحدانية الله ﴿آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ أرشدناه لها حجة ﴿عَلَى قَوْمِهِ﴾ فخصمهم ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ قرأ الكوفيون بتنوين هنا وفي يوسف، وافقهم يعقوب هنا، والباقون بلا تنوين فيهما على الإضافة إلى ما بعده.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ [الأنعام: 84] لإبراهيم ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ابنه ﴿كُلًّا﴾ منهما ﴿هَدَيْنَا﴾ وفقنا ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل إبراهيم ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ أي: نوح بدليل ذكر يونس ولوط ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ ابنه ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ ابن يعقوب ﴿وَمُوسَى وَهَارُونَ﴾ أخوه ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: كما جزينا إبراهيم على إحسانه بالتوحيد ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى﴾ [الأنعام: 85] ابنه ﴿وَعِيسَى﴾ ابن مريم يفيد أن الذرية تتناول أولاد البنت ﴿وَإِلْيَاسَ﴾ هو غير إدريس؛ لأن إدريس من آباء نوح وإلياس من ولده،

وهو ابن أخي هارون أخي موسى ﴿كُلٌّ﴾ منهم ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ [الأنعام: 86] ابن إبراهيم ﴿وَالْيَسَعَ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف: «والّيسع» هنا وفي ص بتشديد اللام وإسكان الياء، والباقون بإسكان اللام مخففة وفتح الياء فيهما ﴿وَيُونُسَ وَلُوطًا﴾ ابن هاران ابن أخي إبراهيم ﴿وَكُلًّا﴾ منهم ﴿فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم بالنبوة.

﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾ [الأنعام: 87] المراد: ذرية بعضهم؛ لأن عيسى لم يكن له ولد، وبعضهم كان بعض ولده كافرًا ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾ اصطفيناهم ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ﴾ وقفناهم ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هو: دين الحق.

﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٨ - ٩٣].

﴿ذَلِكَ﴾ [الأنعام: 88] الدين الذي هدوا إليه ﴿هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ

عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾ أي: هؤلاء الذين سميناهم فرضًا ﴿لَحَبِطَ﴾ بطل وذهب ﴿عَنْهُم مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ [الأنعام: 89] أراد به الكتب ﴿وَالْحُكْمَ﴾ العلم والعمل ﴿وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا﴾ أي: بالأشياء التي أعطيناها للأنبياء ﴿هَؤُلَاءِ﴾ كفار مكة ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا﴾ أرصدنا لها ﴿بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ هل هم الأنصار وأهل المدينة والمهاجرين؟ قولان، ولعل المراد: كل من علم الله إيمانه.

﴿أُولَئِكَ﴾ [الأنعام: 90] أي: الأنبياء المذكورون ﴿الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾ أي: بسنتهم وسيرتهم افعل في التوحيد وأما الشرائع فلكل واحدة، وحذف هاء «اقتده» حمزة والكسائي في الوصل، والباقون بإثباتها وصلاً ووقفًا، وابن عامر قرأ: «اقتدهي» بإشباعها كسرًا ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: القرآن ﴿أَجْرًا﴾ تعطونيه ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرَى﴾ موعظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[1] [الأنعام: 91] أي: ما عبدوه حق عبادته نزلت في اليهود؛ ومنهم: فنحاص ﴿إِذْ قَالُوا﴾ للنبي ﷺ وقد خاصموه في القرآن: ﴿مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ﴾ لهم: ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى

---

(1) وأصل القدر معرفة الكمية يقال: قدر الشيء إذا حزره وسبره وأراد أن يعلم مقدار يقدره بالضم قدرًا وقدرًا ومنه «فإن غم عليكم فاقدروا له» أي: فاطلبوا أن تعرفوه، ثم توسع فيه حتى قيل: لكل من عرف شيئًا هو يقدر قدره ولا يقدر قدره إذا لم يعرفه بصفاته، قال ابن عباس والحسن واختاره الفراء وثعلب والزُّجاج معناه ما عظموا الله حق تعظيمه، وقال أبو عبيدة والأخفش: ما عرفوه حق معرفته، قال الماتريدي: ومن الذي يعظم الله حق عظمته أو يعرفه حق معرفته؟ قالت الملائكة: ما عبدناك حق عبادتك والرسول ﷺ يقول: «**لا أحصي ثناءً عليك**» وينفصل عن هذا أن يكون المعنى: ما عظموه العظمة التي في وسعهم وفي مقدورهم وما عرفوه كذلك، وقال أبو العالية: واختاره الخليل بن أحمد معناه: ما وصفوه حق صفته فيما وجب له واستحال عليه وجاز، وقال ابن عباس أيضًا: ما آمنوا بالله حق إيمانه وعلموا أن الله على كل شيء قدير، وقال أبو عبيدة أيضًا: ما عبدوه حق عبادته، وقيل: ما أجلُّوه حق إجلاله حكاه ابن أبي الفضل في ريّ الظمآن وهو بمعنى التعظيم، وقال ابن عطية: من توفية القدر فهي عامّة يدخل تحتها من لم يعرف ومن لم يعظم وغير ذلك غير أن تعليله بقولهم: ﴿مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ يقضي بأنهم جهلوا ولم يعرفوا الله حق معرفته إذ أحالوا عليه بعثة الرسل، وقال الزمخشري: ما عرفوا الله حق معرفته في الرحمة على عباده واللطف بهم حين أنكروا بعثة الرسل والوحي إليهم، وذلك من أعظم رحمته وأجلّ نعمته.

﴿لِلنَّاسِ﴾ يعني: التوراة ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾ دفاتر ﴿تُبْدُونَهَا﴾ أي: ما تحبون إبداءه منها ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ مما فيها كنعت محمد ﷺ، قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «**يجعلونه**» و«**يبدونها**» و«**يخفون**» بالغيب في الثلاثة، والباقون بالخطاب فيها ﴿وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾ ما خطاب لليهود الموجودين في عصر محمد ﷺ علموا من القرآن، ومن أمر محمد ﷺ ما لم يعلم قبل من التوراة فضيعوه، أو خطاب للمؤمنين ﴿قُلِ اللهُ﴾ أنزله إن لم يقولوه لا جواب غيره ﴿ثُمَّ﴾ بعد ذكرك ﴿ذَرْهُمْ﴾ اتركهم ﴿فِي خَوْضِهِمْ﴾ ضلالهم ﴿يَلْعَبُونَ﴾ ولا تبالِ بهم.

﴿وَهَذَا﴾ [الأنعام: 92] القرآن ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ كثير البركة ﴿مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: ما قبله من الكتب ﴿وَلِتُنْذِرَ﴾ في قراءة الكل إلا أبا بكر عن عاصم فبالياء أي: الكتاب ﴿أُمَّ الْقُرَى﴾ مكة سميت به؛ لأن الأرض دحيت من تحتها، والمراد: إنذار أهلها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ هم: أهل الأرض شرقًا وغربًا وحسن ذلك؛ لأنها وسط الأرض ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي: بالكتاب ﴿وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ أي: على الصلوات الخمس يداومون خوفًا من عقابها.

﴿وَمَنْ﴾ [الأنعام: 93] أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ بإدعاء النبوة ولم ينبأ ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ نزلت في مسيلمة الكذاب ادعى النبوة وتكهن ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ وهم: المستهزئون حيث قالوا: لو نشأ لقلنا مثل هذا، أو قيل: عبد الله ابن أبي سراج قال ذلك ثم أسلم وحسن حاله ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يا محمد ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ﴾ سكرات ﴿الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾ إليهم بالعذاب والضرب؛ أي: يقولون لهم تعنيفًا: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ أرواحكم كرها؛ لأن روح المؤمن تنبسط للقاء ربه، والجواب محذوف تقديره: لرأيت أمرًا عظيمًا ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ الهوان ﴿بِمَا﴾ بسبب ما ﴿كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ دعوى النبوة والإيحاء كذبًا ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ تتكبرون فلا تؤمنون بالقرآن ومحمد ﷺ.

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ

يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٤ - ٩٩].

﴿وَ﴾ [الأنعام: 94] يقال لهم من الملائكة إذا بعثوا: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ لا مال ولا خدم ولا أزواج ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حفاة عراة عزلاً ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ﴾ أعطيناكم ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ خلفاء في الدنيا بغير اختيار منكم ﴿وَ﴾ يقال لهم توبيخًا: ﴿مَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ﴾ الأصنام ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾ أي: في استحقاق عبادتكم ﴿شُرَكَاءُ﴾ الله ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ قرأ المدنيان والكسائي وحفص بنصب النون؛ أي: نقطع الأمر بينكم فذهب ذلك الاتصال، وقرأ الآخرون برفع النون؛ أي: لقد تقطع وصلكم﴿وَضَلَّ﴾ ذهب وغاب ﴿عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ من الكذب كشفًا عنها.

﴿إِنَّ اللهَ فَالِقُ﴾ [الأنعام: 95] شاق ﴿الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ عن السنبل والشجر ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ﴾ الخالق المخرج ﴿اللهُ فَأَنَّى﴾ فكيف ﴿تُؤْفَكُونَ﴾ تصرفون عن الحق مع وضوحه.

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: 96] شاق عمود الفجر عن ظلمة الليل ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ يسكن فيه الخلق عن الحركات، قرأ الكوفيون: «**جعل**» على الماضي «**الليل**» نصب، الباقون «**جاعل**» اسم فاعل «**الليل**» خفض ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ حسابًا للأوقات ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ﴾ [الأنعام: 97] خلق ﴿لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ في الأسفار وغيرها ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ بينًا ﴿الْآيَاتِ﴾ الدلالات على قدرتنا

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فيعلمون من ذلك وحدانية الحق سبحانه.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ [الأنعام: 98] ابتداء خلقكم ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ آدم ﴿فَمُسْتَقِرٌّ﴾ بكسر القاف لابن كثير وأبي عمرو وروح، والباقون بفتحها ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ هل الأول في الرحم إلى الولادة والثاني في القبر إلى البعث؟ أو الأول في البطن والثاني في صلب الأب أو عكسه؟ أو الأول في الرحم والثاني فوق الأرض؟ أو الأول فوقها والثاني في الآخرة؟ أو الأول في القبر والثاني في الدنيا؟ أو الأول الجنة والنار والثاني القبر؟ أقوال متقاربة ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ يفهمون.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ [الأنعام: 99] بالماء ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ينبت ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ أي: النبات شيئًا ﴿خَضِرًا﴾ وهو: الرطب الأخضر كالقمح ونحوه قبل حصاده ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ﴾ من الخضر ﴿حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ يركب بعضه بعضًا كسنابل الحنطة ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا﴾[1] وهو أول ما يخرج منها ﴿قِنْوَانٌ﴾ عراجين جمع: قنو؛ وهو: العرق ﴿دَانِيَةٌ﴾ متدلية ينالها القائم والقاعد، اكتفى به عن ذكر البعيدة؛ لأنه أبلغ في النعمة ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ أي: وأخرجنا به بساتين ﴿مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾ أي: شجرها ﴿مُشْتَبِهًا﴾ في الورق والمنظر ﴿وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ في الطعم والثمر ﴿انْظُرُوا﴾ نظر اعتبارًا ﴿إِلَى ثَمَرِهِ﴾ بضم الثاء والميم لحمزة والكسائي وخلف، وفي يس: «**لتأكلوا من ثمره**»، والباقون بفتحهما ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾ أول ما يبدوا كيف هو ﴿وَيَنْعِهِ﴾ نضجه؛ أي: إدراكه إذا أدرك كيف يعود ﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرة الله تعالى على البعث وغيره ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوا بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بها.

---

(1) في تفسير اللباب لابن عادل (77/7): قيل: المراد كُلّ ما يسمّى نباتاً في اللغة. قال الفراء: «رزق كلِ شيء، أي: ما يصلح أن يكون غِذَاءً لكل شَيءٍ، فيكون مَخْصُوصاً بالمتغذى به». وقال الطَّبري: «هو جميع ما يَنْمُوا من الحيوان والنبات والمعادن؛ لأن كل ذلك يَتَغَذَّى بالماء». ويترتب على ذلك صِنَاعَةٌ إعرابية وذلك أنَّا إذا قُلْنَا بقول غير الفراء كانت الإضافة رَجِعَةٌ في المعنى إلى إضافة شبه الصفة لموصوفها، إذ يصير المعنى على ذلك: فَأَخْرَجْنَا به كُلَّ مُنْبتٍ، فإن النبات بمعنى المُنْبَتِ، وليس مصدراً كهو في ﴿أَنبَتَكُمْ مِّنَ الأرض﴾ [نوح: 17] وإذا قلنا بقول الفراء: كانت الإضافة إضافة بين مُتباينين؛ إذ يصير المعنى غذاء كل شيء أو رزقه، ولم ينقل أبو حيان عن الفراء غير هذا القول والفرَّاء له في هذه الآية القَولانِ المُتقدِّمان، فإن قال: «رزق كل شيء» قال: وكذا جاء في التفسير، وهو وَجْهُ الكلام، وقد يجوز في العربية أن تضيف النبات إلى كُلّ شيء، وأنت تريد بكُلِّ شيء النَّبَات أيضاً، فيكون مثل قوله: «حَقّ اليَقينِ واليقين هو الحق».

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ (100) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (101) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (102) لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (103) قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (104) وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (105) ﴾ [الأنعام: ١٠٠ - ١٠٥].

﴿وَجَعَلُوا﴾ [الأنعام: 100] أي: الكفار ﴿لِله شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ حيث أطاعوهم في عبادة الأوثان، وقالوا: إنهم يخلقون الحيوانات كالعقرب ﴿وَ﴾ قد ﴿خَلَقَهُمْ﴾ فكيف يكونون شركاءه ﴿وَخَرَقُوا لَهُ﴾ بتشديد الراء للمدنيين، والباقون بالتخفيف؛ والمراد: اختلفوا له ﴿بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بغير دليل كقول اليهود: عزير ابن الله، وكفار العرب: الملائكة بنات الله، فنزه نفسه بقوله: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بأن له ولدًا.

هو ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 101] موجدهما لا على مثال سبق ﴿أَنَّى﴾ كيف ﴿يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾ زوجة ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ من شأنه أن يخلق ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ﴾ [الأنعام: 102] لا ما ذكرتم من الملائكة ونحو ذلك ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ لا تعبدوا غيره ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ حفيظ.

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: 103] لا تحيط به أو المراد: لا تراه في الدنيا ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ أي: يحيط بها أو يراها ولا تراه، ولا يجوز في غيره أن يدرك بالبصر ولا يدركه ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ هل هو الرفيق بعباده أو بأوليائه؟ أو الذي ينسي العباد ذنوبهم لئلا يخجلوا؟ أو هو عبارة عن إدراكه الحقيات؟ أقوال كلها ثابت لله

﴿الْخَبِيرُ﴾ بكل أحد[1].

قل لهم يا محمد: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأنعام: 104] أي: حجج تبصرون بها الحق من الباطل ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ بها بأن عرفها وعمل بها ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ عمل ونفعه له ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ فضلَّ فعليها؛ أي: على نفسه عماه وضلاله؛ لأنه يوجب له النار ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها إنما أنا نذير.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الأنعام: 105] أي: مثل هذا البيان ﴿نُصَرِّفُ﴾ نبين ﴿الْآيَاتِ﴾ ليعتبروا ﴿وَلِيَقُولُوا﴾ أي: الكفار في عاقبة الأمر ﴿دَرَسْتَ﴾ قراءة ابن كثير وأبو عمرو بالألف بعد الدال وإسكان السين وفتح التاء؛ أي: ذاكرت أهل الكتاب، وابن عامر ويعقوب بلا ألف وفتح السين وإسكان التاء؛ أي: عفت ومضت كتب الأولين؛ أي: فما جابه محمد ليس بشيء، والباقون بغير ألف وإسكان السين وفتح التاء على أنه خطاب النبي ﷺ؛ أي: درست كتب الأولين وجئت بالقرآن منها ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الضمير عائد على القرآن؛ أي: نفصل الآيات لنبين القرآن إلى آخره.

﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ

(1) قال صاحب «دقائق الإشارات»: ومنها اللطيف، قال تعالى: وَهُوَ﴿ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ ومعناه: الذي يريد لعباده الخير واليسر، ويفيض لهم أسباب الصلاح، وهذا للمؤمن من عند من لا يرى أن ما يعطيه الله تعالى للكفار نعمة، أو أراد للمؤمن خاصة في أسباب الدين، أو أراد المؤمن والكافر عامة في أسباب الدنيا عند من يراها في الجملة. قال أبو سليمان: اللطيف: هو البر بعباده، الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ﴾ [الشورى: 19]، وقيل: هوالذي يوصل إليك إربك في رفق، ويقال: هو الذي لطف عن أن يدرك بالكيفية، انتهى.

يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٦ - ١١٢].

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: 106] وهو القرآن هنا؛ أي: اعمل به ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ فلا تجادلهم ولا تقاتلهم، ونسخ بآية السيف.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [الأنعام: 107] رقيبًا فيجازيهم بأعمالهم ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ حفيظ أو محاسب فتجبرهم على الإيمان، وهذا قبل الأمر بالقتال وهو تسلية له ﷺ ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ هم ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ أي: الأصنام ﴿فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا﴾ اعتداء وظلمًا ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: جهلاً منهم بالله، وقرأ يعقوب بضم العين والدال وتشديد الواو، والباقون بفتح العين وإسكان الدال وفتح الواو، ونزلت؛ لأن أبا جهل وبعض قريش قالوا: إن لم يدع محمد سب آلهتنا لنسبنَّ من يأمره.

﴿كَذَلِكَ﴾ [الأنعام: 108] أي: كما زينا لهؤلاء ما هم عليه ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ الخير منه والشر فآتوه ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1] فيجازيهم به.

---

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ نهي ﴿فَيَسُبُّوا اللهَ﴾ جواب النهي، فنهي سبحانه لمؤمنين أن يسبوا أوثانهم؛ لأنه علم إذا سبوها نفر الكفار وازدادوا كفرًا، قال ابن عباس: قالت كفار قريش لأبي طالب إما أن تنهى محمدًا وأصحابه عن سب آلهتنا والغض منها وإما أن إلهه ونهجوه، فنزلت الآية.

الثانية: قال العلماء: حكمها باق في هذه الأمة على كل حال، فمتى كان الكافر في منعة وخيف أن يسب الإسلام أو النبي ﷺ أو الله ﷻ فلا يحل لمسلم أيسب صلبانهم ولا دينهم ولا كنائسهم، ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك؛ لأنه بمنزلة البعث على المعصية، وعبر عن الأصنام وهي لا تعقل بـ ﴿الذين﴾ على معتقد الكفرة فيها.

=

﴿وَأَقْسَمُوا﴾ [الأنعام: 109] أي: كفار مكة ﴿بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أقواها وأكدَّها وغاية اجتهادهم فيها ﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ معجزة دلت على صدق محمد ﷺ فيما اقترحوه ﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ أي: ليؤمننَّ بمحمد ﷺ بسببها، نزلت؛ لأنهم حلفوا أنهم إن جعل لهم الصفا ذهبًا آمنوا فدعا رسول الله ﷺ ربه في ذلك فنزل جبريل عليه السلام فقال: إن شئت أصبح ذهبًا، ولكن إن لم يؤمنوا عوقبوا وإن شئت صبرت حتى يتوب الله على بعضهم فاختار الثاني، ثم قال له: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ لهم: ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ يدريكم بإيمانهم إذا جاءت؛ أي: أنتم لا تدرون ذلك ﴿أَنَّهَا﴾ بكسر الهمزة لابن كثير، والبصريين وخلف وأبي بكر بخلاف عنه، والباقون بالفتح ﴿إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالخطاب لابن عامر وحمزة، والباقون بلفظ الغيبة.

﴿وَنُقَلِّبُ﴾ [الأنعام: 110] نحول ﴿أَفْئِدَتَهُمْ﴾ قلوبهم عن الحق فلا يفهمونه ﴿وَأَبْصَارَهُمْ﴾ عنه فلا يبصرونه فلا يؤمنون به ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ بالقرآن ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ﴾ نتركهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ ضلالهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون ويتمادون متحيرين.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ [الأنعام: 111] فرأوهم عيانًا ﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾ بنبوتك كما اقترحوا ﴿وَحَشَرْنَا﴾ جمعن ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ بكسر القاف وفتح الباء للمدنيين وابن عامر؛ أي: معاينة، والباقون بضمهما جمع: قبيل، وهو: الكفيل؛ أي: ضمنًا وكفلاً بنبوتك أو فوجًا فوجًا ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ لما سبق في علم

الثالثة: في هذه الآية أيضًا ضرب من الموادعة، ودليل على وجوب الحكم بسد الذرائع، وفيها دليل على أن المحق قد يكف عن حق له إذا أدى إلى ضرر يكون في الدين، ومن هذا المعنى ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: لا تبتوا الحكم بين ذوي القرابات مخافة القطيعة قال ابن العربي: إن كان الحق واجبًا فيأخذه بكل حال وإن كان جائزًا ففيه يكون هذا القول.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿عَدْوًا﴾ أي: جهلاً واعتداء، وروي عن أهل مكة أنهم قرءوا «عدوا» بضم العين والدال وتشديد الواو، وهي قراءة الحسن وأبي رجاء وقتادة، وهي راجعة إلى القراءة الأولى، وهما جميعا بمعنى الظلم، وقرأ أهل مكة أيضًا «عدوا» بفتح العين وضم الدال بمعنى عدو، وهو واحد يؤدي عن جمع، كما قال: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ وهو منصوب على المصدر أو على المفعول من أجله.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ أي: كما زينا لهؤلاء أعمالهم كذلك زينا لكل أمة عملهم، قال ابن عباس، زينا لأهل الطاعة الطاعة، ولأهل الكفر الكفر، وهو كقوله: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ وفي هذا رد على القدرية.

الله ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ إيمانهم فيؤمنون ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ذلك فيرون أن الإيمان بالآيات لا بتوفيق الله.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الأنعام: 112] أي: مثل عداوتهم لك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ أي: أعداء ﴿شَيَاطِينَ﴾ مردة ﴿الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ المراد: إن من الجن شياطين ومن الإنس شياطين، والشيطان العاتي المتمرد ﴿يُوحِي﴾ يوسوس ويلقي ﴿بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ هو: المموه المزين بالباطل ﴿غُرُورًا﴾ باطلاً ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: الإيحاء الباطل المذكور ﴿فَذَرْهُمْ﴾ اتركهم ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ من الكفر وغيره مما زين لهم، وهذا قبل الأمر بالقتال.

﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٣ - ١٢٠].

﴿وَلِتَصْغَى﴾ [الأنعام: 113] عطف على غرور؛ أي: تميل ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى زخرف القول ﴿أَفْئِدَةُ﴾ قلوب ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ﴾ أي: ذلك الباطل ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا﴾ يكتسبوا ﴿مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ كاسبون من الذنوب فيعاقبوا عليه.

﴿أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي﴾ [الأنعام: 114] أطلب ﴿حَكَمًا﴾ حاكمًا قاضيًا ﴿وَهُوَ الَّذِي

أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿مُفَصَّلًا﴾ مبينًا فيه الأمر والنهي، ومنجمًا بحسب الوقائع نزلت؛ لأنهم قالوا له: اجعلوا بيننا وبينكم حكمًا ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ التوراة، وهم: علماء اليهود كعبد الله بن سلام وأصحابه، وقيل: المراد به القرآن فهم أصحابه ﷺ ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين في ذلك؛ والمراد بذلك التقرير للكفار أنه حق.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: 115] قرأ الكوفيون ويعقوب: «**كلمة**» على التوحيد هنا وفي يونس وغافر، والباقون بالجمع ﴿صِدْقًا﴾ في الوعد والوعيد ﴿وَعَدْلًا﴾ في الأمر والنهي أو صدقًا فيما وعد وعدلاً فيما حكم ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ لا رادٍ لقضائه ولا زيادة ولا نقص في القرآن ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فيجازي كلاً بفعله.

﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 116] أي: الكفار ﴿يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ دينه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ مجادلتهم لك في أمر الميتة؛ إذ قالوا: ما فعل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في ذلك.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ [الأنعام: 117] أي: عالم ﴿مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أي: فيجازي كلاً بما يستحقه فضلاً وعدلاً.

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: 118] أي: ذبح على اسمه ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا﴾ أي: وما يمنعكم أن تأكلوا ﴿مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ﴾ من الذبائح.

﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ﴾ [الأنعام: 119] قرأ أهل المدينة وحفص ويعقوب: «**فصل**» و«**حرم**» بالفتح فيهما؛ أي: فصل الله وحرم الله، وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو: «**فصل**» بضم الفاء وكسر الصاد مشددة و«**حرم**» بضم الحاء وكسر الراء مشددة، وقرأ حمزة وأبو بكر: «**فصل**» بالفتح و«**حرم**» بالضم ﴿مَا﴾ الذي ﴿حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾ [المائدة: 3] ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: من هذه المحرمات فإنه حلال؛ المعنى: لا مانع لكم من أكل ما ذكر، وقد بيَّن لكم المحرم أكله وهذا ليس منه ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ﴾ قرأ الكوفيون هنا وفي يونس: «**ليضلون**» بضم الياء، والباقون بالفتح ﴿بِأَهْوَائِهِمْ﴾ آرائهم الفاسدة من تحليل الميتة وغيرها ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ من الله عندهم في ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين الحلال إلى

الحرام فيجازيهم باعتدائهم ﴿وَذَرُوا﴾ اتركوا ﴿ظَاهِرَ الْإِثْمِ﴾ قيل: الزنا، وقيل: كل معصية ﴿وَبَاطِنَهُ﴾ خفيه كالكبر، وقيل: نزلت في تحريم الزنا إعلانًا وهو الظاهر، وسرًا وهو الباطن.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ﴾ [الأنعام: 120] في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ يكسبون.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١) أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (١٢٣) وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ (١٢٤) فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥)﴾ [الأنعام: ١٢١ - ١٢٥].

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: 121] أي: ذُبح لغير الله أو مات أما ما ذبحه مسلم ولم يسم فإنه يحل عند الشافعي ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: أكل ما ذبح لغير الله أو الميتة ﴿لَفِسْقٌ﴾ خروج عن الطاعة ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ﴾ يقولون الكذب، ويوسوسون ﴿إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ الكفار ﴿لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ بطاعتكم لهم، وفي الآية دليل على أن من حللَّ ما حرم الله أو حرَّم ما حلله الله كفر قاله الزَّجاج؛ أي: بشرط أن يكون معلومًا من الدين بالضرورة مجمعًا عليه.

﴿أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: 122] ضالاً فهديناه ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي

بِهِ فِي النَّاسِ﴾ يبصر به الحق من الباطل، وهو: الإسلام أو القرآن؛ لأنه يهدي من الضلالة وينقذ من الجهالة ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ﴾ أي: كمن هو ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي: الكفر ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ المعنى: إنهما لا يتساويان، نزلت في عمر بن الخطاب ﷺ أو عمار بن ياسر أو حمزة، والذي في الظلمات: أبو جهل بالاتفاق ﴿كَذَلِكَ﴾ كما زُيّن للمؤمنين الإيمان ﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والمعصية.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الأنعام: 123] أي: كما جعلنا فساق مكة أكابرها ﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ﴾ جمع: أكبر مثل أفاضل وأفضل ﴿مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾[1] ومكرهم: رميهم النبي ﷺ بالسحر ونحوه كصدهم عن الإيمان ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ إذ وباله لا يعود إلا عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ إنه كذلك.

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ [الأنعام: 124] أي: كفار مكة ﴿آيَةٌ﴾ علامة دالة على صدق محمد ﷺ ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ﴾ به ﴿حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ من النبوة والرسالة لأنَّا أكثر مالاً وأكبر، نزلت؛ لأن الوليد بن المغيرة ادعى أنه أحق بالنبوة، وقيل: المراد الوحي؛ لأن أبا جهل قال: إنه لا يؤمن حتى يوحى إليه ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾

(1) أي: كما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية، وتضمن ذلك فساد حال الكفرة المعاصرين للرسول إذ حالهم حال من تقدمهم من نظرائهم الكفار، وقال عكرمة: نزلت في المستهزئين يعني أن التمثيل لهم، وقيل: هو معطوف على ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ﴾ فتكون الإشارة فيه إلى ما أشير إليه بقوله: ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ﴾ و﴿جَعَلْنَا﴾ بمعنى صيرنا ومفعولها الأول ﴿أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ و﴿فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ المفعول الثاني و﴿أَكَابِرَ﴾ على هذا مضاف إلى ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ وأجاز أبو البقاء أن يكون ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ بدلاً من ﴿أَكَابِرَ﴾ وأجاز ابن عطية أن يكون ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ المفعول الأول و﴿أَكَابِرَ﴾ المفعول الثاني والتقدير مجرميها أكابر، وما أجازه خطأ وذهول عن قاعدة نحوية وهو أن أفعل التفضيل إذا كان بمن ملفوظًا بها أو مقدرة أو مضافة إلى نكرة كان مفردًا مذكرًا دائمًا سواء كان لمذكر أو مؤنث، مفرد أو مثنى أو مجموع، فإذا أنث أو ثنى أو جمع طابق ما هو له في ذلك ولزمه أحد أمرين: إما الألف واللام أو الإضافة إلى معرفة، وإذا تقرر هذا فالقول بأن ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ بدل من ﴿أَكَابِرَ﴾ أو أن ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ مفعول أول خطأ لالتزامه أن يبقى ﴿أَكَابِرَ﴾ مجموعًا وليس فيه ألف ولام ولا هو مضاف إلى معرفة وذلك لا يجوز، وقد تنبه الكرماني لهذه القاعدة فقال: أضاف الأكابر إلى مجرميها؛ لأن أفعل لا يجمع إلا مع الألف واللام أو مع الإضافة، وكان ينبغي أن يقيد فيقول: أو مع الإضافة إلى معرفة وقدر بعضهم المفعول الثاني محذوفًا أي فساقًا ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ وهو ضعيف جدًا لا يجوز أن يحمل القرآن عليه، وقال ابن عطية: ويقال أكابرة كما قالوا أحمر وأحامرة.

وقرأ ابن كثير وحفص: «**رسالته**» بالإفراد، والباقون بالجمع؛ أي: يعلم ما صلح لها من المواضع فيضعها، وهؤلاء ليسوا لها بأهل ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ بقولهم ذلك ﴿صَغَارٌ﴾ ذل وهوان في الدنيا ﴿عِنْدَ اللهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ بسبب مكرهم.

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: 125] أي: يفتح قلبه وينوره حتى يقبل الإسلام، وأمارته الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾ أي: ضلاله ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا﴾ قرأ ابن كثير هنا وفي الفرقان بإسكان الياء مخففة، والباقون بكسرها مشددة؛ والمراد: الضيق عند قبوله ﴿حَرَجًا﴾ قرأ المدنيان وأبو بكر بكسر الراء، والباقون بفتحها؛ والمراد: أشد الضيق حتى لا يتعد فيه الخير، وإذا سمع ذكر الله اشمأز وغيره انبسط ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ إذا كلف الإيمان لشدته عليه، قرأ ابن كثير بإسكان الصاد وتخفيف العين بلا ألف، وأبو بكر بفتح الياء والصاد مشددة وألف بعدها وتخفيف العين؛ أي: يتصاعد، والباقون بتشديدهما بلا ألف؛ أي: يتصعد ﴿كَذَلِكَ﴾ الجعل ﴿يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ﴾ هو: اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة أو المآثم أو الشيطان أو ما لا خير فيه؛ بمعنى أنه يسلط ذلك ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٦ - ١٣١].

﴿وَهَذَا﴾ [الأنعام: 126] أي: الذي بيناه أو الذي أنت عليه يا محمد ﷺ ﴿صِرَاطُ رَبِّكَ﴾ طريقه ودينه الحق ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ لا عوج فيه؛ وهو: الإسلام ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ بيّنا ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون.

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾ [الأنعام: 127] أي: الجنة، والسلام هو الله ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ حافظهم ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: بسببه ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ روى حفص: «**نحشرهم**» هذه و«**يوم نحشرهم**» في يونس بالياء فيهما وافقه روح هنا، والباقون فيهما جميعًا ويقال لهم: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ [الأنعام: 128] أي: من إضلالهم ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ﴾ أي: أولياء الشياطين وإخوانهم الذين أطاعوهم ﴿مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ فالإنس بالجن من حيث أنه كان من مرَّ منهم بوادٍ، قال: أعوذ برب هذا الوادي من جميع ما أحذر، أو لأنهم زينوا لهم الشهوات وعكسه إضلال الجن والإنس واعتقاد الإنس فيهم دفع الضرر عنهم، وهذا السؤال لتوبيخهم على رءوس الأشهاد وفضيحتهم ﴿وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾ القيامة، وهذا تحسر منهم ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم على لسان الملائكة ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾ مقامكم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ من الأوقات التي يخرجوا فيها لشرب الحميم فإنه خارجها، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: 68] وعن ابن عباس أنه فيمن علم الله أنهم يؤمنون فـ«ما» بمعنى «من» أو المراد يعذبون بالنار إلا ما شاء الله من أنواع العذاب أي: غير النار فيعذبهم بغير النار فيها، والمراد من مقدار محشرهم إلى دخولهم، فالاستثناء به منقطع ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الأنعام: 129] كاتباعنا عصاة الإنس والجن بعضهم ببعض ﴿نُوَلِّي﴾ من الولاية ﴿بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ على بعض ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي، أو المراد نولي بعضهم بعضًا في النار فنجمعهم فيها ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ [الأنعام: 130] الرسل من الإنس فقط على الأصح ولكن غلب الإنس لشرفهم، فالمراد المجموع أو رسلاً نحن نذرهم، الذين يسمعون كلام الرسل فيبلغون قومهم ﴿يَقُصُّونَ﴾ يقرأون ﴿عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ كتبي ﴿وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي: يوم القيامة ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ أي: بتبليغ الرسل قال تعالى: ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: ألجأتهم إلى الغرور وهو الباطل، فلم يؤمنوا ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ

كَانُوا كَافِرِينَ * ذَلِكَ﴾ [الأنعام: 130 - 131] أي: إرسال الرسل ﴿أَنْ﴾ أي: لأنه ﴿لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾ منها ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ عن الإنذار باعتبار عدم الرسول أو المراد لا يهلك القرى بشرك، وقيل: المعنى فعل ذلك الرسال بهم؛ لأنه لم يكن إلى آخره وهو بمعنى الأول.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأنعام: ١٣٢ - ١٣٦].

﴿وَلِكُلٍّ﴾ [الأنعام: 132] من الكفار والمسلمين ﴿دَرَجَاتٌ﴾ في الجنة ودركات في النار استغنى عنها بذكر الدرجات ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾ أي: قدر أعمالهم فبعضهم أشد عقابًا وبعضهم أجزل ثوابًا ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ قرأ ابن عامر بتاء الخطاب وكذا قرأ في آخر هود والنمل بالخطاب، وافقه المدنيان وحفص ويعقوب في هود والنمل، والباقون بالغيب ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾ [الأنعام: 133] عن خلقه وعبادتهم ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ بأهل الطاعة ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أي: يهلككم، وعيد لأهل مكة ﴿وَيَسْتَخْلِفْ﴾ ينشأ ﴿مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ خلقًا غيركم أي: أمثل وأطوع ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ أذهبهم لكنه أبقاكم رحمة لكم ﴿إِنَّ مَا توعَدُونَ﴾ [الأنعام: 134] من الساعة وغيرها ﴿لَآتٍ﴾ واقع لا محالة ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين عذابنا فيدرككم حيث كنتم.

﴿قُلْ﴾ [الأنعام: 135] لهم ﴿يَا قَوْمِ﴾ أمر النبي ﷺ أن يقول لهم ﴿اعْمَلُوا عَلَى

مَكَانَتِكُمْ﴾ بالجمع لأبي بكر حيث وقع، والباقون بلا ألف بالإفراد أي: على ما أنتم عليه من الحال ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على حالتي التي أمرني بها ربي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ﴾ بتاء التأنيث لحمزة والكسائي وخلف هنا وفي القصص، والباقون بالياء ﴿لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ يعني: العاقبة المحمودة بالفوز في الآخرة بالجنة نحن أم أنتم ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ﴾ لا يسعد ﴿الظَّالِمُونَ﴾ المشركون فلا يفوزون بها.

﴿وَجَعَلُوا﴾ [الأنعام: 136] أي: كفار مكة ﴿لله مِمَّا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿مِنَ الْحَرْثِ﴾ الزرع ﴿وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ وجعلوا لشركائهم نصيبًا، وكانوا يجعلون شيئًا منه يصرف للضيف والمسكين وشيئًا للأصنام يصرف لقوامها ﴿فَقَالُوا هَذَا لِله بِزَعْمِهِمْ﴾ والزعم القول من غير حقيقة وهو بضم الزاي هنا وفيما يأتي للكسائي، والباقون بالفتح فيهما ﴿وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ أي: الأوثان وكانوا إذا سقط من نصيب الله شيء في نصيبها التقطوه أو في نصيبها شيء من نصيبه تركوه، وقالوا: إن الله غني عن هذا، كما قال سبحانه: ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللهِ وَمَا كَانَ لِله فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ﴾ بئس ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم هذا.

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأنعام: ١٣٧ - ١٤٠].

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الأنعام: 137] كما زين لهم ما ذكر ﴿زَيَّنَ﴾ قرأ الجميع ما عدا ابن عامر بفتح الزاي والياء ﴿لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ﴾ بنصب اللام ﴿أَوْلَادِهِمْ﴾ بخفض

الدال ﴿شُرَكَاؤُهُمْ﴾ برفع الهمزة، وهم كفار كان الشيطان أن ينذران ولد له كذا؛ لذا علاما أن يذبح واحد فيفعل وأضاف الشركاء إليهم؛ لأنهم اتخذوها، وقرأ ابن عامر بضم الزاء وكسر الياء ورفع لام قتل فنصب دال أولادهم، وكسر همز شركائهم ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ ليهلكوهم ﴿وَلِيَلْبِسُوا﴾ يخلطوا ﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ أي: اتركهم فإن الله سيعاقبهم، والهاء في فعلوه عائدة على القتل وما فعلوه في الحرث والزرع وكل ما في القرآن من مسالمة الكفار نسخته آية السيف.

﴿وَقَالُوا﴾ [الأنعام: 138] أي: المشركون ﴿هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾[1] حرام أي: ما جعلوه لله من الحرث والأنعام ولشركائهم كما سبق، أو المراد السائبة وما معها ﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ﴾ من خدمة الأوثان وغيرهم ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ أي: لا حجة لهم فيه ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ هي عن الحوامل كما سبق ﴿وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا﴾ عند ذبحها، وهي ما ذبح للأصنام بل يذكرون اسم أصنامهم وينسبوا ذلك إلى الله تعالى ﴿افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ عليه.

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ﴾ [الأنعام: 139] المحرمة وهي السوائب والبحائر كما سبق ﴿خَالِصَةٌ﴾ حلال ﴿لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾ أي: تأكله الرجال دون النساء ﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً﴾ قرأ أبو جعفر وأبو بكر وابن عامر سوى الدجواني عن هشام «وإن تكن» بالتاء، والباقون بالياء من تحت، وقرأ ابن كثير وأبو جعفر وابن عامر «ميتة» بالرفع، والباقون بالنصب أي: وإن يكن ما في بطون ميتة ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ الذكور والإناث ﴿سَيَجْزِيهِمْ﴾ الله ﴿وَصْفَهُمْ﴾ ذلك بالتحريم والتحليل؛ أي: جزاؤه

---

(1) أعلم الله تعالى بأشياء مما شرعوها وتقسيمات ابتدعوها والتزموها على جهة الفرية والكذب منهم على الله، أفردوا من أنعامهم وزروعهم وثمارهم شيئًا وقالوا: هذا حجر أي حرام ممنوع، وقرأ أبان بن عثمان: «نعم» على الإفراد، وقرأ باقي السبعة بكسر الحاء وسكون الجيم والحجر بمعنى المحجور كالذبح والطحن يستوي في الوصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث؛ لأن حكمه حكم الأسماء غير الصفات قاله الزمخشري، وقرأ الحسن وقتادة والأعرج بضم الحاء وسكون الجيم، وقال القرطبي: قرأ الحسن وقتادة بفتح الحاء وإسكان الجيم، وعن الحسن أيضًا «حجر» بضم الحاء، وقرأ أبان بن عثمان وعيسى بن عمر بضم الحاء والجيم، وقال هارون: كان الحسن يضم الحاء من «حجر» حيث وقع وقع إلا وحجرًا محجورًا فيكسرها وقرأ أبيّ وعبد الله وابن عباس وابن الزبير وعكرمة وعمرو بن دينار والأعمش حرج بكسر الحاء وتقديم الراء على الجيم وسكونها، وخرج على القلب فمعناه معنى «حجر» أو من الحرج وهو التضييق.

﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في عقابهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بكفرهم فيجازيهم عليه ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾ [الأنعام: 140] قرأ ابن كثير وابن عامر بتشديد التاء، وقرأ الآخرون بالتخفيف ﴿أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا﴾ جهلاً ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ منهم ربيعة ومضر كانوا يدفنون البنات أحياء ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَاءً﴾ كذبًا ﴿عَلَى اللهِ﴾ العظيم ﴿قَدْ ضَلُّوا وَما كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ أي: في فعلهم ما خالف دينه.

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤١ - ١٤٤].

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾ [الأنعام: 141] خلق ﴿جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ مرفوعات ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ أي: العروش ما انبسط على الأرض كالقرع وغيره ما قام على ساق كالنخل، وقيل: هما في العنب منه ما يعرش ومنه غيره ﴿وَ﴾ أنشأ ﴿النَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ﴾ طعمه وثمره ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا﴾ منظرهما وورقهما ﴿وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾[1] طعمهما أو أنهما اللذان لونهما واحد وطعمهما مختلف ﴿كُلُوا مِنْ

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: نصب على الحال، وفي هذه أدلة ثلاثة:

﴿ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ قيل التصبح أمر إباحة ﴿وَآتُوا حَقَّهُ﴾ وهو شيء غير الزكاة؛ لأن السورة مكية والزكاة فرضت بالمدينة فهو منسوخ ﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قرأ البصريان وابن عامر وعاصم «حصاده» بفتح الحاء، والباقون بكسرها ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ بمعصية الله ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ العاصين بتجاوز ما حد لهم.

﴿وَ﴾ [الأنعام: 142] أنشأ ﴿مِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً﴾ صالحة للحمل عليها كالإبل الكبار ﴿وَفَرْشًا﴾ لا تصلح للحمل كالإبل الصغار والغنم سميت فرشًا؛ لأنها كالفرش للأرض لدنوها منها ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: لا تسلكوا طرقه لا تتبعوا آثاره في تحريم ما سبق ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ مظهر العداوة أو بان لكم ثم بين الحمولة والفرش فقال: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الأنعام: 143] أصناف ﴿مِنَ الضَّأْنِ﴾ من الضأن زوجين ﴿اثْنَيْنِ﴾ أنثى وذكر كل منهما زوج على انفراده، والضأن النعاج وهي ذوات الصوف من الغنم ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ وهي ذوات الشعر من الغنم، قرأ ابن كثير وابن عامر وأهل البصرة بفتح العين والباقون بكسرها ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ لمن حرم ذكور الأنعام مرة وإناثها أخرى، ونسب قوله لله ﴿آلذَّكَرَيْنِ﴾ من الضأن والمعز ﴿حَرَّمَ﴾ الله عليكم ﴿أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ بعينهما ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ ذكرًا كان أو أنثى ﴿نَبِّئُونِي﴾ أخبروني ﴿بِعِلْمٍ﴾ عن كيفية تحريم ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن الله حرم ذلك، فإن كان من قبل الأنثى فكان ينبغي أنه لا يخص به واحد فتحرم جميع الإناث، وإن كان من قبل الذكور فكذلك والاستفهام للإنكار.

﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ

أحدها: ما تقدم من قيام الدليل على أن المتغيرات لا بد لها من مغير.

الثاني: على المنة منه سبحانه علينا، فلو شاء إذ خلقنا ألا يخلق لنا غذاء، إذ خلقه ألا يكون جميل المنظر طيب الطعم، وإذ خلقه كذلك ألا يكون سهل الجنى، فلم يكن عليه أن يفعل ذلك ابتداء؛ لأنه لا يجب عليه شيء.

الثالث: على القدرة في أن يكون الماء الذي من شأنه الرسوب يصعد بقدرة الله الواحد علام الغيوب من أسافل الشجرة إلى أعاليها، حتى إذا انتهى إلى آخرها نشأ فيها أوراق ليست من جنسها، وثمر خارج من صفته الجرم الوافر، واللون الزاهر، والجنى الجديد، والطعم اللذيذ، فأين الطبائع وأجناسها، وأين الفلاسفة وأناسها، هل في قدرة الطبيعة أن تتقن هذا الإتقان، أو ترتب هذا الترتيب العجيب! كلا! لا يتم ذلك في العقول إلا لحي عالم قدير مريد.

أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [الأنعام: 144] وإن كان من قبل اشتمال البطن عليه، فينبغي تحريم الكل؛ إذ لا بدّ من اشتمال البطن على كل حيوان، وهو إما ذكر أو أنثى فعلم أنهم كاذبون في التحريم وأنهم قالوه بلا علم ﴿أَمْ﴾ بل ﴿كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ حضورًا ﴿إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهَذَا﴾ التحريم فاعتمدتم ذلك لا بل أنتم كاذبون فيه ﴿فَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ بذلك ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٥ - ١٤٨].

﴿قُلْ﴾ [الأنعام: 145] لهم ﴿لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ شيئًا ﴿مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ أكل يأكله ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾ برفع «ميتة»، والباقي «تكون» في قراءة أبي جعفر وابن عامر، والباقون بياء من تحت في «يكون» و«ميتة» بالنصب أي: إلا أن يكون المطعوم ميتة ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ سائلاً لا الكبد والطحال، وما تعلق باللحم من الدم[1] ﴿أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ حرام ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾ أي: ذبح على

---

(1) في تفسير اللباب لابن عادل (213/7): قال ابن عبَّاس - رضي الله عنهما -: يريد بالدّم المَسْفُوح: ما خَرَج من الحيوان وهي أحْيَاء، وما يَخْرُج من الأوْدَاج عن الذَّبح، ولا يَدْخُل فيه الكَبد والطُّحال؛ لأنهما جَامِدَات وقد جاء الشَّرْع بإبَاحَتِهما، وما اخْتلط باللَّحم من الدَّم؛ لأنه =

اسم غيره ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ إلى ما ذكر فأكله ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾ له ما أكل لضرورته ﴿رَحِيمٌ﴾ به حيث أباح له ذلك الحق بما ذكر، والناب من السباع والمخلب من الطير.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ [الأنعام: 146] اليهود ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ وهو ما لم يكن مشقوق الأصابع من البهائم والطير كبعير وبط، وكل ذي مخلب من الطير وحافر من البهائم ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ أي: شحوم الجوف وهي الثروب وشحم الكليتين ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ أي: ما علق بالظهر والجنب من داخل البطن ﴿أَوِ﴾ حملته ﴿الْحَوَايَا﴾ واحدتها «حاوية» و«حوية»، وهي المباعر أي: ما حملته الحوايا من الشحم والمباعر الأمعاء وهي المصارين والكرش ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ منه أي: شحم الآلية فالكل مستثنى من التحريم ﴿ذَلِكَ﴾ التحريم ﴿جَزَيْنَاهُمْ﴾ به ﴿بِبَغْيِهِمْ﴾ قتلهم الأنبياء ونحوه ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ أكد به الأخبار المذكور.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ [الأنعام: 147] فيما جئت به ﴿فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ فأمهلكم لذلك، وفيه تلطف بدعائهم إلى الإيمان ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾ عذابه إذا جاء ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ فلا بدّ من وقوعه في وقته ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [الأنعام: 148] عندما علموا بطلان ما ذهبوا إليه من تحريم السائبة ونحو ذلك مما سبق ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ نحن ﴿وَلَا آبَاؤُنَا﴾ من قبل ﴿وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ من الحرام وغيره مما سبق فإشراكنا بمشيئته وهو راض به قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ كما ﴿كَذَّبَ﴾ هؤلاء كذب ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الرسل فيما جاءوا به ﴿حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ عذابنا ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾ بما قلتم من الاحتجاج بالمشيئة على الرضى ﴿فَتُخْرِجُوهُ﴾ تظهروه ﴿لَنَا﴾ أي: لا علم عندكم ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ تكذبون في دعواكم.

=

غير سَائل.

قال عِمْرَان بن حُدير: «سألْت أبا مجلز عمَّا يَخْتَلِطُ باللَّحْم من الدَّم، وعن القِدْر يُرَى فيها حُمْرَة الدَّم، فقال: لا بَأس به، إنما نُهِي عن الدَّمِ المَسْفُوح». قال إبْرَاهيم: «لا بأس بالدَّم في عِرْق أوْ مُخّ، إلاَّ المَسْفُوح الذي يتعمد ذلك». قال عكرمة: «لوْلا هَذِه الآية لاتَّبع المُسْلِمُون من العُرُوق ما تَتبع اليَهُود».

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٩ - ١٥٣].

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ [الأنعام: 149] التامة على خلقه ﴿فَلَوْ شَاءَ﴾ هدايتكم ﴿لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ * قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ [الأنعام: 149 - 150] الذي حرمتموه ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ لأنهم كاذبون ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ فيقولون له تطير، تعالى عما يقولون علوا كبيرًا ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ [الأنعام: 151] أقبلوا ﴿أَتْلُ﴾ اقرأ ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أن ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ ونزل ذلك؛ لأنهم سألوه ﷺ عما حرم الله تعالى ﴿وَ﴾ أحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ بالواد ﴿مِنْ﴾ أجل ﴿إِمْلَاقٍ﴾ فقر يخافونه ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ وكانوا يقتلون البنات خشية كثرة العيلة فنهوا عنه والرزق على الله ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ الكبائر كالزنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ ما كانوا علانية ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ هو السر وهو شامل لكل معصية ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وهو ما يبيح قتلها من حرابة أو قصاص أو رده ونحو ﴿ذَلِكُمْ﴾ المذكور

﴿وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ هذه الأمور فتكفوا عنها أو تتدبروا.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ [الأنعام: 152] هو نهي عن تضييعه بغير وجه شرعي، عبر عنه بذلك نهاية في التغير عنه ﴿إِلَّا بِالَّتِي﴾ أي: بالخصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كتجارة خشية أن تأكله الزكاة ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ هو الاحتلام مع الرشد وهو صلاح الدين والمال ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها فيما ذكر فلا يأخذ أحد أزيد من حقه ولا يعطي أنقص مما عليه بل يعطي ما يسعه بلا حرج من الجانبين، فإن أخطأ في الكيل والوزن، والله يعلم صحة نيته فلا مؤاخذة عليه ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ في حكم أو غيره ﴿فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ﴾ المقول له أو عليه ﴿ذَا قُرْبَى﴾ قرابة ﴿وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا﴾ وهو جميع ما أمر به فيفعل وجميع ما نهي فيترك ﴿ذَلِكُمْ﴾ المذكور ﴿وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون، قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص «تذكرون» بتخفيف الذال حيث وقع إذا كان بالخطاب، والباقون بالتشديد.

﴿وَأَنَّ هَذَا﴾ [الأنعام: 153] الذي وصيتم به ﴿صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف بكسر الهمزة، والباقون بفتحها وخلف وابن عامر ويعقوب بتخفيف النون، والباقون بتشديدها ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ المختلفة من الطرق الضالة ﴿فَتَفَرَّقَ﴾ تميل ﴿بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دينه ﴿ذَلِكُمْ﴾ المذكور ﴿وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ أمركم أمرًا أكيدًا ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ تتقون هذه المنهيات وتفعلون هذه المأمورات.

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ

ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٥٨)﴾ [الأنعام: ١٥٤ - ١٥٨].

﴿ثُمَّ﴾ [الأنعام: 154] لترتيب الأخبار ﴿آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿تَمَامًا﴾ للنعمة ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ بالقيام به من قومه، أو إتمامًا لفضيلة موسى على كل محسن من أنبياء بني إسرائيل، أو تمامًا على الذي أحسن وهو موسى أي: اتممنا فضلنا عليه بذلك لإحسانه في الطاعة ﴿وَتَفْصِيلًا﴾ بيانًا ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ احتاجوا إليه من الشرائع ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ وصفان ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لكي يصدقوا بالبعث.

﴿وَهَذَا﴾ [الأنعام: 155] القرآن ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ يا أهل مكة بالعمل بما فيه ﴿وَاتَّقُوا﴾ الكفر ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * أَنْ تَقُولُوا﴾ [الأنعام: 155 - 156]، التقدير أنزلناه؛ لئلا تقولوا أو كراهية أن تقولوا ﴿إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ﴾ اليهود والنصارى ﴿مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ﴾ أي: إنا ﴿كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾ قرأتهم ﴿لَغَافِلِينَ﴾ لعدم معرفتنا لها إذ ليست بلغتنا ونحن لا نعرف لغتهم ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ [الأنعام: 157] لصحة أذهاننا وجودتها فقال تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ بيان ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ حجة واضحة بلغتكم بإنزال الكتاب ﴿وَهُدًى﴾ رشد ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ لمن اتبعه أو لكل أحد بتأخير المسخ والعذاب ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾ شدته ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ بسبب إعراضهم.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ [الأنعام: 158] ما ينظر المكذبون ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ﴾ قرأ حمزة والكسائي هنا وفي النحل بالياء من أسفل، والباقون بالتاء من فوق ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أي: أمره بمعنى عذابه ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ أي: علاماته الدالة على الساعة ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ وهو طلوع الشمس من مغربها ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ﴾ نفسًا لم تكن ﴿كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ طاعة أي: لا تقبل توبة فاسق بعد طلوعها؛ إذ باب التوبة يسد عند طلوعها ﴿قُلِ﴾ يا أهل مكة ﴿انْتَظِرُوا﴾ أحد هذه الأشياء ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ ذلك.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ

ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٩ - ١٦٥].

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ [الأنعام: 159] بالألف بعد الفاء أي: خرجوا منه في قراءة الكسائي وحمزة هنا وفي الروم ووافقهما خلف، والباقون بالتشديد بلا ألف أي: جعلوه فرقًا وهم أهل الأهواء والبدع واليهود والنصارى الذين فرقوا دين إبراهيم الحنفية إلى شرك وضلال ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ أي: فرقًا مختلفة في ذلك ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي: لست من قتالهم في شيء فلا تتعرض لهم إن حمل على اليهود والنصارى ونسختها آية السيف، وإن حمل على أهل الأهواء والبدع فالمعنى أنت منهم بريء وهم منك براء ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ﴾ أي: جزاؤهم ومكافأتهم ثم سبيلهم ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ﴾ يخبرهم يوم القيامة ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ﴾ [الأنعام: 159 - 160] بالتنوين والرفع ﴿أَمْثَالِهَا﴾ بضم اللام في قراءة يعقوب، والباقون بضم «عشر» بلا تنوين وجر اللام ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ أي: جزاؤه بلا زيادة ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بزيادة سيئة ولا نقص حسنة أو لا ينقصون من جزائهم شيئًا، قال ابن عمر - رضي الله عنهما ـ: هذا في غير الصدقة أما هي فتضاعف بسبعمائة ضعف، وورد أن درهم الحج والغزو والنكاح بسبعمائة أيضًا.

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا﴾ [الأنعام: 161] قرأ ابن عامر والكوفيون بكسر القاف وفتح الياء مخففة، والباقون بفتح القاف وتشديد الياء مكسورة أي: مستقيمًا ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ أي: شريعته في التوحيد ﴿وَمَا كَانَ مِنَ

﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام: 162] هل هو الذبيحة في الحج والعمرة أو الدين أو العبادة؟ أقوال متقاربة ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ حياتي ومماتي أي: موتي ﴿لِله رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ﴾ [الأنعام: 163] أي: التوحيد ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة.

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي﴾ [الأنعام: 164] أطلب ﴿رَبًّا﴾ إلهًا ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مالكه ومصلحه استفهام إنكاري؛ أي: لا يكون ذلك، ونزلت لأن كفار قريش قالوا لرسول الله ﷺ: ارجع إلى ديننا فرد عليهم بذلك ﴿وَلَا تَكْسِبُ﴾ تجني ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ ذنبًا ﴿إِلَّا عَلَيْهَا﴾ إلا ما كان إثمه عليها ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ تحمل ﴿وَازِرَةٌ﴾ حاملة ﴿وِزْرَ أُخْرَى﴾ ذنبها الذي علمته أي: لا يؤاخذ أحد بذنب غيره ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾ في القيامة ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾[1] [الأنعام: 164 - 165] أي: خلقًا فيها بعد القرون الماضية بأن عمرها بكم ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ في المطعم والملبس والثواب والعقاب والقوة والضعف والفضل والفقر والغنى ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾ أعطاكم فابتلى الغني بالفقر والحر بالعبد ونحوه؛ ليظهر ما يتعلق به الثواب والعقاب ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بهم.

---

(1) أذكرهم تعالى بنعمته عليهم إذ كان النبي ﷺ المبعث وهو محمد ﷺ خاتم النبيين فأمّته خلفت سائر الأمم ولا يجيء بعدها أمّة تخلفها إذ عليهم تقوم الساعة، وقال الحسن: إن النبيّ ﷺ قال: «**توفون سبعين أمّة أنتم خيرها وأكرمها على الله**»، وروى «**أنتم آخرها وأكرمها على الله**» ورفع الدّرجات هو بالشرف في المراتب الدنيوية والعلم وسعة الرزق «وليبلوكم» متعلق بقوله «ورفع» فيما آتاكم من ذلك جاهًا ومالاً وعلمًا وكيف تكونون في ذلك، وقيل: الخطاب لبني آدم خلفوا في الأرض عن الجن أو عن الملائكة، وقيل: يخلف بعضهم بعضًا، وقيل: خلفاء الأرض تملكونها وتتصرفون فيها، ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لما كان الابتلاء يظهر به المسيء والمحسن والطائع والعاصي ذكر هذين الوصفين وختم بهما ولما كان الغالب على فواصل الآي قبلها هو التهديد بدأ بقوله سريع العقاب يعني لمن كفر ما أعطاه الله تعالى وسرعة عقابه إن كان في الدّنيا فالسّرعة ظاهرة، وإن كان في الآخرة فوصف بالسّرعة لتحققه إذ كل ما هو آت آت ولما كانت جهة الرحمة أرجى أكد ذلك بدخول اللام في الخبر ويكون الوصفين بنيا بناءً مبالغة ولم يأتِ في جهة العقاب بوصفه بذلك فلم يأتِ إنّ ربك معاقب وسريع العقاب من باب الصفة المشبهة.

سورة الأعراف(1)

مكية وعددها مائتا آية وخمس أو ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ

---

(1) هذه السورة مكية كلها قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد والضحاك وغيرهم، وقال مقاتل إلا قوله: ﴿وَاسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ إلى قوله: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فإن ذلك مدني وروي هذا أيضًا عن ابن عباس، وقيل إلى قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا﴾ واعتلاق هذه السورة بما قبلها هو أنه لما ذكر تعالى قوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ واستطرد منه لما بعده وإلى قوله آخر السورة ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ﴾ وذكر ابتلاءهم فيما آتاهم وذلك لا يكون إلا بالتكاليف الشرعيّة ذكر ما يكون به التكاليف وهو الكتاب الإلهي وذكر الأمر باتباعه كما أمر في قوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ وتقدّم الكلام على هذه الحروف المقطّعة أوائل السورة في أول البقرة، وذكر ما حدثه الناس فيها ولم يقم دليل على شيء من تفسيرهم يعين ما قالوا وزادوا هنا لأجل الصاد أنّ معناه أنا الله أعلم وأفصّل رواه أبو الضحى عن ابن عباس أو المصور قاله السدي: أو الله الملك النصير قاله بعضهم أو أنا الله المصير إليّ، حكاه الماوردي أو المصير كتاب فحذف الياء والراء ترخيمًا وعبّر عن المصير بالمص قاله التبريزي، وقيل عنه: أنا الله الصادق، وقيل معناه ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ قاله الكرماني قال: واكتفى ببعض الكلام، وهذه الأقوال في الحروف المقطعة لولا أن المفسرين شحنوا بها كتبهم خلفًا عن سلف لضربنا عن ذكرها صفحًا فإن ذكرها يدل على ما لا ينبغي ذكره من تأويلات الباطنية وأصحاب الألغاز والرموز، ونهيه تعالى أن يكون في صدره حرج منه أيّ من سببه لما تضمنه من أعباء الرسالة وتبليغها لمن لم يؤمن بكتاب ولا اعتقد صحة رسالة وتكليف الناس أحكامها وهذه أمور صعبة ومعانيها يشق عليه ذلك وأسند النهي إلى الحرج ومعناه نهي المخاطب عن التعرض للحرج، وكان أبلغ من نهي المخاطب لما فيه من أنّ الحرج لو كان مما ينهى لنهيناه عنك فانتهِ أنت عنه بعدم التعرّض له، ولأن فيه تنزيه نبيه ﷺ بأن ينهاه فيأتي التركيب فلا تخرج منه؛ لأن ما أنزله الله تعالى إليه يناسب أن يسرّ به وينشرح لما فيه من تخصيصه بذلك وتشريفه حيث أهّله لإنزال كتابه عليه وجعله سفيرًا بينه وبين خلقه فلهذه الفوائد عدل عن أن ينهاه ونهي الحرج، وفسر الحرج هنا بالشك وهو تفسير قلق وسمّى الشكّ حرجًا؛ لأن الشاكّ ضيّق الصدر كما أنّ المتيقن منشرح الصدر وإن صحّ هذا عن ابن عباس فيكون مما توجه فيه الخطاب إليه لفظًا وهو لأمته معنى أي فلا يشكّوا أنه من عند الله.

﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝٤ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف: ١ - ٩].

﴿المص﴾ [الأعراف: 1] الصاد من صادق والباقي مر.

﴿كِتَابٌ﴾ [الأعراف: 2] أي: هذا كتاب وهو القرآن ﴿أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ ضيق ﴿مِنْهُ﴾ أن تبلغه مخافة التكذيب، وقيل شك ﴿لِتُنْذِرَ﴾ أي: أنزلناه لينذر ﴿بِهِ﴾ كل من صلح إنذاره ﴿وَذِكْرَى﴾ تذكرة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قل لهم ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 3] وهو القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أصحاب وأودّاء أتطيعونهم في معصيته قليلاً ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ «ما» زائدة لتأكيد العلة، وقرأ ابن عامر «تذكرون» بياء على الغيب قبل الياء وخفف الذال، والباقون بتاء واحدة خطابًا وخفف الذال حمزة والكسائي وخلف وحفص.

﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ [الأعراف: 4] أراد أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَاتًا﴾ ليلاً ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ من القيلولة وهي استراحة نصف النهار، وإن لم يكن معها نوم أي: جاء أهلها العذاب مرة وهم نائمون ليلاً ومرة وهم قائلون نهار، أو ترتيب البأس بألف على الهلاك إما لأنه أراد بالهلاك الحكم عنده تعالى بمجيء العذاب، أو هي بمعنى الواو فلم يلزم ترتيب، أو المراد أهلكناها بإرسال الملائكة فجاءها بأسنا.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ [الأعراف: 5] قولهم ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ فاعترفوا ولم يقدروا على رده ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ﴾ [الأعراف: 6] سؤال توبيخ ﴿الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ وهم الأمم عن إجابة الرسل والعمل بما جاءوا به ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ عن الإبلاغ وهو توبيخ للأمم بشهادة الرسل عليهم إنهم بلغوهم وأنهم ضيعوا

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ﴾ [الأعراف: 7] أي: لنخبرنهم عن علم أو ننطق عليهم كتاب أعمالهم ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ عن الرسل إذا بلغوا وعن الأمم إذا أجابوا، وهذا إجمال للرسل والأمم وسيأتي تفصيله في قصص الأنبياء صلى الله عليهم وسلم.

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ [الأعراف: 8] أصل الوزن مقابلة أحد الشيئين بالآخر؛ ليظهر رجحانه وللميزان لسان وكفتان الحسنات في واحدة والسيئات في أخرى والموزون إما صحائف الأعمال أو هي وإن كانت إعراضًا بأن يحدث الله في جانب السيئات خفة وجانب ثقلاً أو عكسه وإن كان ذلك ليظهر لهم أعمالهم لا ليعلم قدرها، ومن قال الوزن في الآخرة العدل من غير ميزان فهو مبتدع ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ الحسنات ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [الأعراف: 8 - 9] أي: خفت حسناته وثقلت سيئاته ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾، بمصيرها إلى النار ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ يجحدون، وأخرج أحمد بسند حسن عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة ويوضع ما أحصى عليه فيتمايل الميزان فيبعث به إلى النار فإذا أدبرته إذ صائح يصيح من عند الرحمن لا تعجلوا لا تعجلوا فإنه قد بقي له؛ فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كفه حتى تميل به الميزان**»[1] وأخرج الديلمي من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء**»[2].

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝١٠ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝١١ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝١٢ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ۝١٣ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ

---

(1) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (293/15).

(2) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (276/24).

﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٠ - ١٧].

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ﴾ [الأعراف: 10] يا بني آدم أي: مكنا لكم أو ثبتناكم على جهة التمكن ﴿فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ مكاسب وتجارات تعيشون بها جمع معيشة ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ على ذلك ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: 11] أي: آباكم آدم ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ في أرحام أمهاتكم أو خلقناكم في الرحم ثم صورناكم بعد التخلق أو خلقناكم في أصلاب الرجال ثم صورناكم في الأرحام ﴿ثُمَّ﴾ إما بمعنى الواو أو لترتيب الأخبار ﴿قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ﴾ [الأعراف: 11 - 12] تعالى: يا إبليس ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ أن ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ المعنى أن تسجد ﴿إِذْ﴾ حين ﴿أَمَرْتُكَ * قَالَ﴾ [الأعراف: 12 - 13] إبليس مجيبًا ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي﴾ أي: لأنك خلقتني ﴿مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ والنار خير وأنور منه هذا ظن الخبيث، والطين أفضل للرزانة والحلم والصبر والتواضع والاستكانة وبه حياة الأشياء؛ إذ الزرع وغيره إنما يشأ منه والنار لها خفة وطيش وعلو وحدة ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ من الجنة أو من السماء ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾ أي: يجوز وينبغي لك ﴿أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ لأن الجنة والسماء محل المتواضعين بالامتثال ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ الأذلاء.

﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ [الأعراف: 14] أخرني ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: الناس فلا تمتني إلى النفخة الأولى فيعش لها ثم يموت ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ [الأعراف: 15] وفي آية أخرى: ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: 38] أي: وقت النفخة الأولى ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الأعراف: 16] أضللتني قيل الباء للقسم وجوابه ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ أي: لبني آدم ﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: على الطريق الموصلة إليك ومعنى ذلك قعوده على طريق الحق من الإسلام وشرائع الدين يصد عن ذلك، أو قاله استفهامًا أي: بأي شيء أغويتني كأنه يستحقر ذلك، ثم ابتداء فقال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾.

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف: 17]، من قبل الآخرة فأشككهم فيها ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾، من قتل الدنيا فأزينها لهم ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾، من قبل الحسنات

فامنعهم منها ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾، من قبل السيئات بتزينها أو لآتينهم من حيث يحيطون ومن حيث لا يحيطون أي: بإغوائك لي، قال ابن عباس: ولا يقال عن الإتيان من فوق لئلا يمنع الرحمة ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[1] قاله ظنًا فأصاب كما قال تعالى:

---

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: فيه ثلاث مسائل: **الأولى**: قوله تعالى: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ الإغواء إيقاع الغي في القلب، أي: فبما أوقعت في قلبي من الغي والعناد والاستكبار، وهذا لأن كفر إبليس ليس كفر جهل، بل هو كفر عناد واستكبار، وقد تقدم في البقره، قيل: معنى الكلام القسم، أي فبإغوائك إياي لأقعدن لهم على صراطك، أو في صراطك، فحذف، دليل على هذا القول قوله في ص: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ كأن إبليس أعظم قدر إغواء الله إياه لما فيه من التسليط على العباد، فأقسم به إعظامًا لقدره عنده، وقيل: الباء بمعنى اللام، كأنه قال: فلإغوائك إياي، وقيل: هي بمعنى مع، والمعنى فمع إغوائك إياي، وقيل: هو استفهام، كأنه سأل بأي شيء أغواه؟ وكان ينبغي على هذا أن يكون: فبم أغويتني؟ وقيل: المعنى فبما أهلكتني بلعنك إياي، والإغواء الإهلاك، قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَياً﴾ أي: هلاكًا، وقيل: فبما أضللتني، والإغواء: الإضلال والإبعاد، قال ابن عباس، وقيل: خيبتني من رحمتك أي: من يخب، وقال ابن الأعرابي: يقال غوى الرجل يغوي غيًا إذا فسد عليه أمره، أو فسد هو في نفسه، وهو أحد معاني قول تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ أي: فسد عيشه في الجنة، ويقال: غوي الفصيل إذا لم يدر لبن أمه.

الثانية: مذهب أهل السنة أي أن الله تعالى أضله وخلق فيه الكفر، ولذلك نسب الإغواء في هذا إلى الله تعالى وهو الحقيقة، فلا شيء في الوجود إلا وهو مخلوق له، صادر عن إرادته تعالى، وخالف الإمامية والقدرية وغيرهما شيخهم إبليس الذي طاوعوه في كل ما زينه لهم، ولم يطاوعوه في هذه المسألة ويقولون: أخطأ إبليس، وهو أهل للخطأ حيث نسب الغواية إلى ربه، تعالى الله عن ذلك، فيقال لهم: وإبليس وإن كان أهلاً للخطأ فما تصنعون في نبي مكرم معصوم، وهو ونوح عليه السلام حيث قال لقومه: ﴿وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وقد روي أن طاوسًا جاءه رجل في المسجد الحرام، وكان متهمًا بالقدر، وكان من الفقهاء الكبار، فجلس إليه فقال له طاوس: تقوم أو تقام؟ فقيل لطاوس: تقول هذا لرجل فقيه فقال: إبليس أفقه منه، يقول إبليس: رب بما أغويتني، ويقول هذا: أنا أغوي نفسي.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: بالصد عنه، وتزيين الباطل حتى يهلكوا كما هلك، أو يضلوا كما ضل، أو يخيبوا كما خيب، حسب ما تقدم من المعاني الثلاثة ف ﴿أَغْوَيْتَنِي﴾ والصراط المستقيم هو الطريق الموصل إلى الجنة، و«صراطك» منصوب على حذف «على» أو «في» من قوله: ﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ كما حكى سيبويه «ضرب زيد الظهر والبطن ومن أحسن ما قيل في تأويل ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾ أي: لأصدنهم عن الحق، وأرغبنهم في الدنيا، وأشككهم في الآخرة، وهذا غاية في الضلالة، كما قال: ﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ﴾ حسب ما تقدم، وروى سفيان عن منصور عن الحكم بن =

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ [سبأ: 20].

﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨ - ٢٣].

﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ [الأعراف: 18] بالهمز معيبًا بأشد العيب بالمقت واللعن واللوم ﴿مَدْحُورًا﴾ مطرودًا مبعدًا منفيًا من الجنة ومن كل خير ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ من بني آدم ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: من إبليس ومن ذريته ومن ذرية آدم.

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَوَسْوَسَ﴾ [الأعراف: 19 - 20] ألقى ﴿لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ في قلوبهما هو إبليس ﴿لِيُبْدِيَ﴾ ليظهر ﴿لَهُمَا مَا وُورِيَ﴾ ستر ﴿عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾

= عتيبة: ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ من دنياهم، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من آخرتهم، ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ يعني حسناتهم، ﴿وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾ يعني سيئاتهم، قال النحاس: وهذا قول حسن وشرحه: أن معنى ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ من دنياهم، حتى يكذبوا بما فيها من الآيات وأخبار الأمم السالفة ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من آخرتهم حتى يكذبوا بها، ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ من حسناتهم وأمور دينهم، ﴿وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾ يعني سيئاتهم، أي: يتبعون الشهوات؛ لأنه يزينها لهم، ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ أي: موحدين طائعين مظهرين الشكر.

عوراتهما، واللام للعاقبة؛ إذ لم يوسوس لذلك ﴿وَقَالَ﴾ إبليس لهما ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ أي: لئلا أو كراهية أن تكونا ملكين ﴿أَوْ تَكُونَا﴾ كراهية أن تكونا ﴿مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ الباقين بلا موت، وذلك لازم عن الأكل منها كما في آية أخرى ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ [طه: 120].

﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ [الأعراف: 21] أي: حلف لهما بالله كذبًا، فهي مفاعلة من واحد فظن آدم أن أحدًا لا يحلف بالله كذبًا ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ في ذلك ﴿فَدَلَّاهُمَا﴾ [الأعراف: 22]، أنزلهما وحطهما عن منزلها من الطاعة إلى المعصية ومن الجنة إلى غيرها ﴿بِغُرُورٍ﴾ باطل ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ﴾ ظهرت ﴿لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ أي: ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره فحصل عندها الحياء ﴿وَطَفِقَا﴾ أقبلا وجعلا ﴿يَخْصِفَانِ﴾ يرقعان ويلصقان ﴿عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ فيجعلان ورقة على ورقة كهيئة الثوب، ولم يكن آدم رأى عورته قبل ذلك ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾ مالكهما وسيدهما ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ أي: الأكل منها ﴿وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ بيّن العداوة؛ فاعترفا بذنوبهما، و﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ [الأعراف: 23] ضررناها بوضع المعصية في غير محلها منها؛ لأنها محل التكريم ﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الهالكين.

﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا

﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف: ٢٤ - ٣٠].

﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ [الأعراف: 24] في الدنيا قبل الموت، وفي بطنها إلى البعث ﴿وَمَتَاعٌ﴾ استمتاع ﴿إِلَى حِينٍ﴾ أي: انقضاء آجالكم ﴿قَالَ فِيهَا﴾ [الأعراف: 25] في الأرض ﴿تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ بالبعث، قرأ حمزة والكسائي وخلف «يخرجون» هنا وفي الروم، وكذلك «تخرجون»، ومثله في الزخرف والجاثية ﴿فَالْيَوْمَ لاَ يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ [الجاثية: 35] بفتح حرف المضارعة وضم الراء، وافقهم يعقوب وابن ذكوان هنا، ووافقهم ابن ذكوان في الزخرف، واختلف عنه في الروم، والباقون بالضم وفتح الراء.

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾ [الأعراف: 26] خلقنا لكم ﴿لِبَاسًا﴾ عبر عنه بالإنزال؛ لأن نبات اللباس في الأرض إنما هو بواسطة قطر السماء ﴿يُوَارِي﴾ يستر ﴿سَوْآتِكُمْ﴾ عوراتكم ﴿وَرِيشًا﴾ مالاً، يقال: تريش إذا تمول، وقيل: هو الجمال أي لأنه يجمل صاحبه كما أن الريش يجمل الطير ﴿وَلِبَاسُ﴾ بنصب السين لابن عامر والمكيين والمدنين، والباقون بالرفع ﴿التَّقْوَى﴾ هل هو الإيمان، أو الحياء من الله حتى لا يعصى، أو الصوف الخشن ولباس أهل الورع، أو آلات الجهاد في سبيل الله، أو غير ذلك مما في الأصل؟ أقوال، أقربها الثاني ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ﴾ الواقع أو الذي أمرتم به ﴿مِنْ آيَاتِ اللهِ﴾ أي: دلالته الواضحة على حسن هذا الدين من الحث على المروءات ومكارم الأخلاق لستر العورة ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون فيفعلون ما أمروا به، ونزلت الآية لمنع الناس من الطواف بالبيت عراة؛ لأن العرب كانت تفعله.

﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ﴾ [الأعراف: 27] يضلنكم ﴿الشَّيْطَانُ﴾ أي: لا تتبعوه فتفتنوا به ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ بفتنته ﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ﴾ أي: الشيطان ﴿يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ جنوده وولده الجن والشياطين ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ للطافة أجسادهم وعدم ألوانهم، وفيه دليل على أن الجن لا يرون وثبت في رؤيتهم أخبار؛ فالآية محمولة على الغالب ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ أعوانًا وقرناء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أو المراد سلطانهم عليهم فيزيدوهم غيًا.

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ [الأعراف: 28]، هي الطواف بالبيت عراة قائلين: لا

نطوف في ثياب عصينا الله فيها، أو الشرك، أو كل قبيح نهي عنه؟ الأقرب الأخير وفيه أخبار أي: وإذا فعلوا فنهوا عنها ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾ فاقتدينا بهم ﴿وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ أيضًا قالوا لما سئلوا: من أين أخذها آباؤكم ﴿قُلْ﴾ أمر للنبي ﷺ أن يقول لهم ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إنه قال توبيخ لهم ﴿قُلْ﴾ [الأعراف: 29] لهم ﴿أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾[1] هل هو لا إله إلا الله، أو العدل، أو التوحيد؟ أقوال ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾ لله ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ هل المراد صلوا إلى الكعبة في كل مسجد، أو صلوا في المسجد الذي تحضركم فيه الصلاة، أو اجعلوا سجودكم لله خالصًا؟ أقوال، أقربها الأول ﴿وَادْعُوهُ﴾ واعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ الطاعة والعبادة ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ خلقكم ولم تكونوا شيئًا، أو ابتداء خلقكم على السعادة أو الشقاوة ﴿تَعُودُونَ﴾ على ما كنتم عليه عند موتكم.

﴿فَرِيقًا﴾ [الأعراف: 30] منكم ﴿هَدَى﴾ الله؛ أي: أوصله إلى الحق ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ أي: وأضل فريقًا ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ أي: غيره ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ أي: يظنون ذلك.

﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ

(1) القِسط العدل، ويقع ذلك في حق الله تعالى، وفي حق الخلْق، وفي حق نفسك؛ فالعدلُ في حقِّ الله الوقوفُ على حدِّ الأمر من غير تقصير في المأمور بِهِ أو إقدامٍ على المنهيِّ عنه، ثم ألا تدخِّر عنه شيئاً مما خوَّلك، ثم لا تُؤثِرَ عليه شيئاً فيما أحلَّ لك، وأمَّا العدل مع الخلْق - فعلى لسان العلم - بذلُ الإنصاف، وعلى موجِب الفتوة ترك الانتصاف. وأمَّا العدل في حق نَفْسك فإدخال العتق عليها، وسدُّ أبواب الراحة بكل وجه عليها، والنهوض بخلافها على عموم الأحوال في كل نَفَس.

﴿٣٤﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأعراف: ٣١ - ٣٨].

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ [الأعراف: 31] هو ستر العورة ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ في الصلاة والطواف، والمراد: ما يسترها بحيث يمتنع إدراك لون البشرة، ويجب في غير المساجد إجماعًا ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ ما شئتم، أمر إباحة ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ بمعصية الله ﴿إِنَّهُ﴾ أي: الله ﴿لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[1] لا يثيبهم.

---

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ فيه سبع مسائل:
الأولى: قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ هو خطاب لجميع العالم، وإن كان المقصود بها من كان يطوف من العرب بالبيت عريانًا، فإنه عام في كل مسجد للصلاة؛ لأن العبرة للعموم لا للسبب، ومن العلماء من أنكر أن يكون المراد به الطواف؛ لأن الطواف لا يكون إلا في مسجد واحد، والذي يعم كل مسجد هو الصلاة، وهذا قول من خفي عليه مقاصد الشريعة، وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة وتقول: من يعيرني تطوافًا؟ تجعله على فرجها، فنزلت هذه الآية: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ التطواف بكسر التاء، وهذه المرأة هي ضباعة بنت عامر بن قرط، قاله القاضي عياض، وفي صحيح مسلم أيضًا عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كانت العرب تطوف بالبيت عراة إلا الحمس، والحمس قريش وما ولدت، كانوا يطوفون بالبيت عراة إلا أن تعطيهم الحمس ثيابًا فيعطي الرجال الرجال والنساء النساء، وكانت الحمس لا يخرجون من المزدلفة، وكان الناس كلهم يقفون بعرفات، في غير مسلم: ويقولون نحن أهل الحرم، فلا ينبغي لأحد من العرب أن يطوف إلا في ثيابنا، ولا يأكل
=

إذا دخل أرضنا إلا من طعامنا، فمن لم يكن له من العرب صديق بمكة يعيره ثوبًا ولا يسار يستأجره به كان بين أحد أمرين: إما أن يطوف بالبيت عريانًا، وإما أن يطوف في ثيابه، فإذا فرغ من طوافه ألقى ثوبه عنه فلم يمسه أحد، وكان ذلك الثوب يسمى اللقى، فكانوا على تلك الجهالة والبدعة والضلالة حتى بعث الله نبيه محمدًا ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾ وأذن مؤذن رسول الله ﷺ: ألا لا يطوف بالبيت عريان، قلت: ومن قال بأن المراد الصلاة فزينتها النعال، لما رواه كرز بن وبرة عن عطاء عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال ذات يوم: «**خذوا زينة الصلاة**» قيل: وما زينة الصلاة؟ قال ﷺ: «**البسوا نعالكم فصلوا فيها**».

الثانية: دلت الآية على وجوب ستر العورة كما تقدم، وذهب جمهور أهل العلم إلى أنها فرض من فروض الصلاة، وقال الأبهري هي فرض في الجملة، وعلى الإنسان أن يسترها عن أعين الناس في الصلاة وغيرها، وهو الصحيح، لقوله ﷺ للمسور بن مخرمة: «**ارجع إلى ثوبك فخذه ولا تمشوا عراة**» أخرجه مسلم، وذهب إسماعيل القاضي إلى أن ستر العورة من سنن الصلاة، واحتج بأنه لو كان فرضًا في الصلاة لكان العريان لا يجوز له أن يصلي؛ لأن كل شيء من فروض الصلاة يجب الإتيان به مع القدرة عليه، أو بدله مع عدمه، أو تسقط الصلاة جملة، وليس كذلك، قال ابن العربي: وإذا قلنا إن ستر العورة فرض في الصلاة فسقط ثوب إمام فانكشف دبره وهو راكع فرفع رأسه فغطاه أجزأه، قاله ابن القاسم، وقال سحنون: وكل من نظر إليه من المأمومين أعاد، وروي عن سحنون أيضًا: أنه يعيد ويعيدون؛ لأن ستر العورة شرط من شروط الصلاة، فإذا ظهرت بطلت الصلاة، أصله الطهارة، قال القاضي ابن العربي: أما من قال، إن صلاتهم لا تبطل فإنهم لم يفقدوا شرطًا، وأما من قال إن أخذه مكانه صحت صلاته وتبطل صلاة من نظر إليه فصحيفة يجب محوها ولا يجوز الاشتغال بها، وفي البخاري والنسائي عن عمرو بن سلمة قال: لما رجع قومي من عند النبي ﷺ قالوا قال: «ليؤمكم أكثركم قراءة للقرآن»، قال: فدعوني فعلموني الركوع والسجود، فكنت أصلي بهم وكانت علي بردة مفتوقة، وكانوا يقولون لأبي: ألا تغطي عنا است ابنك، لفظ النسائي، وثبت عن سهل بن سعد قال: لقد كانت الرجال عاقدي أزرهم في أعناقهم من ضيق الأزر خلف رسول الله ﷺ في الصلاة كأمثال الصبيان، فقال قائل: يا معشر النساء، لا ترفعن رءوسكن حتى ترفع الرجال، أخرجه البخاري والنسائي وأبو داود.

الثالثة: واختلفوا إذا رأى عورة نفسه، فقال الشافعي: إذا كان الثوب ضيقًا يزره أو يخلله بشيء لئلا يتجافى القميص فترى من الجيب العورة، فإن لم يفعل ورأى عورة نفسه أعاد الصلاة، وهو قول أحمد، ورخص مالك في الصلاة في القميص محلول الأزرار، ليس عليه سراويل، وهو قول أبي حنيفة وأبي ثور، وكان سالم يصلي محلول الأزرار، وقال داود الطائي: إذا كان عظيم اللحية فلا بأس به، وحكى معناه الأثرم عن أحمد، فإن كان إمامًا فلا يصلي إلا بردائه؛ لأنه من الزينة، وقيل: من الزينة الصلاة في النعلين، رواه أنس عن النبي ﷺ ولم يصح، وقيل: زينة الصلاة رفع الأيدي في الركوع وفي الرفع منه، قال أبو عمر: لكل شيء زينة وزينة الصلاة التكبير ورفع الأيدي، وقال عمر رضي الله عنه: إذا وسع الله عليكم فأوسعوا على أنفسكم، جمع رجل عليه ثيابه، صلى

في إزار ورداء، في إزار وقميص، في إزار وقباء، في سراويل ورداء، في سراويل وقميص، في سراويل وقباء وأحسبه قال: في تبان وقميص في تبان ورداء، في تبان وقباء، رواه البخاري والدارقطني.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ قال ابن عباس: أحل الله في هذه الآية الأكل والشرب ما لم يكن سرفًا أو مخيلة، فأما ما تدعو الحاجة إليه، وهو ما سد الجوعة وسكن الظمأ، فمندوب إليه عقلاً وشرعًا، لما فيه من حفظ النفس وحراسة الحواس، ولذلك ورد الشرع بالنهي عن الوصال؛ لأنه يضعف الجسد ويميت النفس، ويضعف عن العبادة، وذلك يمنع منه الشرع وتدفعه العقل، وليس لمن منع نفسه قدر الحاجة حظ من بر ولا نصيب من زهد؛ لأن ما حرمها من فعل الطاعة بالعجز والضعف أكثر ثوابًا وأعظم أجرًا، وقد اختلف في الزائد على قدر الحاجة على قولين: فقيل حرام، وقيل مكروه، قال ابن العربي: وهو الصحيح، فإن قدر الشبع يختلف باختلاف البلدان والأزمان تفسير القرطبي والأسنان والطعمان، ثم قيل: في قلة الأكل منافع كثيرة، منها أن يكون الرجل أصح جسمًا وأجود حفظًا وأزكى فهمًا وأقل نومًا وأخف نفسًا، وفي كثرة الأكل كظ المعدة ونتن التخمة، ويتولد منه الأمراض المختلفة، فيحتاج من العلاج أكثر مما يحتاج إليه القليل الأكل، وقال بعض الحكماء: أكبر الدواء تقدير الغذاء، وقد بين النبي ﷺ هذا المعنى بيانًا شافيًا يغني عن كلام الأطباء فقال: «**ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه**»، خرجه الترمذي من حديث المقدام بن معدي كرب، قال علماؤنا: لو سمع بقراط هذه القسمة لعجب من هذه الحكمة، ويذكر أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم علمان: علم الأديان وعلم الأبدان، فقال له علي: قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابنا، فقال له: ما هي ؟ قال قوله ﷻ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ فقال النصراني: ولا يؤثر عن رسولكم شيء من الطب، فقال علي: جمع رسول الله ﷺ الطب في ألفاظ يسيرة، قال: ما هي؟ قال: «**المعدة بيت الأدواء والحمية رأس كل دواء وأعط كل جسد ما عودته**»، فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبًا، قلت: ويقال إن معالجة المريض نصفان: نصف دواء ونصف حمية: فإن اجتمعا فكأنك بالمريض قد برأ وصح، وإلا فالحمية به أولى، إذ ينفع دواء مع ترك الحمية، ولقد تنفع الحمية مع ترك الدواء، ولقد قال رسول الله ﷺ: «**أصل كل دواء الحمية**»، والمعني بها والله أعلم، أنها تغني عن كل دواء، ولذلك يقال: إن الهند جل معالجتهم الجمية، يمتنع المريض عن الأكل والشراب والكلام عدة أيام فيبرأ ويصح.

الخامسة: روى مسلم عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن يأكل في معى واحد**»، وهذا منه ﷺ حض على التقليل من الدنيا والزهد فيها والقناعة بالبلغة، وقد كانت العرب تمتدح بقلة الأكل وتذم بكثرته، وقالت أم زرع في ابن أبي زرع: ويشبعه ذراع الجفرة، وقال حاتم الطائي يذم بكثرة الأكل: وقال الخطاب: معنى قوله ﷺ: «**المؤمن يأكل في معى واحد**» أنه يتناول دون شبعه، ويؤثر على نفسه ويبقي من زاده لغيره،

=

فيقنعه ما أكل، والتأويل الأول أولى والله أعلم، وقيل في قوله ﷺ: «**والكافر يأكل في سبعة أمعاء**» ليس على عمومه؛ لأن المشاهدة تدفعه، فإنه قد يوجد كافر أقل أكلا من مؤمن، ويسلم الكافر فلا يقل أكله ولا يزيد، وقيل: هو إشارة إلى معين، ضاف النبي ﷺ ضيف كافر يقال: إنه الجهجاه الغفاري، وقيل: ثمامة بن أثال، وقيل: نضلة بن عمرو الغفاري، وقيل: بصرة بن أبي بصرة الغفاري، فشرب حلاب سبع شياه، ثم إنه أصبح فأسلم فشرب حلاب شاة فلم يستتمه، فقال النبي ﷺ ذلك، فكأنه قال: هذا الكافر، والله أعلم، وقيل: إن القلب لما تنور بنور التوحيد نظر إلى الطعام بعين التقوى على الطاعة، فأخذ منه قدر الحاجة، وحين كان مظلمًا بالكفر كان أكله كالبهيمة ترتع حتى تثلط، واختلف في هذه الأمعاء، هل هي حقيقة أم لا؟ فقيل حقيقة، ولها أسماء معروفة عند أهل العلم بالطب والتشريح، وقيل: هي كنايات عن أسباب سبعة يأكل بها النهم: يأكل للحاجة والخبر والشم والنظر واللمس والذوق ويزيد استغنامًا، وقيل: المعنى أن يأكل أكل من له سبعة أمعاء، والمؤمن بخفة أكله يأكل أكل من ليس له إلا معى واحد، فيشارك الكافر بجزء من أجزاء أكله، ويزيد الكافر عليه بسبعة أمثال، والمعى في هذا الحديث هو المعدة.

السادسة: وإذا تقرر هذا فاعلم أنه يستحب للإنسان غسل اليد قبل الطعام وبعده، لقوله ﷺ: «**الوضوء قبل الطعام وبعده بركة**»، وكذا في التوراة، رواه زاذان عن سلمان، وكان مالك يكره غسل اليد النظيفة، والاقتداء بالحديث أولى، ولا يأكل طعامًا حتى يعرف أحارًا هو أم باردًا؟ فإنه إن كان حارًا فقد يتأذى، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أبردوا بالطعام فإن الحار غير ذي بركة**» حديث صحيح، وقد تقدم في البقرة ولا يشمه فإن ذلك من عمل البهائم، بل إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه، ويصغر اللقمة ويكثر مضغها لئلا يعد شرها، ويسمي الله تعالى في أوله ويحمده في آخره، ولا ينبغي أن يرفع صوته بالحمد إلا أن يكون جلساؤه قد فرغوا من الأكل؛ لأن في رفع الصوت منعًا لهم من الأكل، وآداب الأكل كثيرة، هذه جملة منها، وسيأتي بعضها في سورة هود إن شاء الله تعالى، وللشراب أيضًا آداب معروفة، تركنا ذكرها لشهرتها، وفي صحيح مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وإذا شرب فليشرب بيمينه فإن الشيطان يأكل بشمال ويشرب بشماله**».

السابعة: قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ أي: في كثرة الأكل، وعنه يكون كثرة الشرب، وذلك يثقل المعدة، ويثبط الإنسان عن خدمة ربه، والأخذ بحظه من نوافل الخير، فإن تعدى ذلك إلى ما فوقه مما يمنعه القيام الواجب عليه حرم عليه، وكان قد أسرف في مطعمه ومشربه، روى أسد بن موسى من حديث عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: أكلت ثريدًا بلحم سمين، فأتيت النبي ﷺ وأنا أتجشى، فقال: «**اكفف عليك من جشائك أبا جحيفة فإن أكثر الناس شبعا في الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة**»، فما أكل أبو جحيفة بملء بطنه حتى فارق الدنيا، وكان إذا تغدى لا يتعشى، وإذا تعشى لا يتغدى، قلت: وقد يكون هذا معنى قوله ﷺ: «**المؤمن يأكل في معى واحد**» أي التام الإيمان؛ لأن من حسن إسلامه وكمل إيمانه كأبي جحيفة تفكر فيما يصير إليه من أمر الموت وما بعده، فيمنعه الخوف والإشفاق من تلك الأهوال من استيفاء شهواته، والله أعلم،

=

﴿قُلْ﴾ [الأعراف: 32] إنكارًا عليهم ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ من اللباس في الطواف ﴿وَالطَّيِّبَاتِ﴾ المستلذات ﴿مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالاستحقاق وإن شاركهم فيها غيرهم ﴿خَالِصَةً﴾ خاصة، بالرفع لنافع والباقون بالنصب للمؤمنين ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ في الآية دليل على أن الدنيا خلقت للمؤمنين ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ نبينها مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ إنها الحق من ربهم فيتبعون ذلك.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ﴾ [الأعراف: 33] هي كل معصية كالزنا، ومنها طواف رجال العرب بالبيت عراة نهارًا، أو الزنا؟ قولان، أقربها الأول ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي: جهرها وسرها ﴿وَالْإِثْمَ﴾ كل ذنب، وقيل: المراد به الخمر ﴿وَالْبَغْيَ﴾ على الخلق ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ هو الظلم ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ﴾ بإنزاله ﴿سُلْطَانًا﴾ حجة ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، من تحليل شيء وتحريم آخر بالرأي ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ [الأعراف: 34] وقت لنزول العذاب وانتهاء رزقهم ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ عليه.

﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ [الأعراف: 35] هل هم جميع الرسل لأنهم من البشر، أو المراد ببني آدم العرب وبالرسل محمد ﷺ جمعه؛ لأنه أعظم الرسل؟ قولان، أقربها الأول ﴿يَقُصُّونَ﴾ يتلون ﴿عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ فرائضي وأحكام ديني ﴿فَمَنِ اتَّقَى﴾ الشرك ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ [الأعراف: 36] تكبروا وطلبوا الكبر لامتناعهم من الحق فلم يرضوا بها ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * فَمَنْ﴾ [الأعراف: 36 - 37] أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ بالشرك والولد ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ بالقرآن ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ﴾ يصل إليهم حظهم ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ من اللوح المحفوظ من العذاب والرزق والأجل وأعمالهم التي كتبت وغير ذلك

=

وقال ابن زيد: معنى ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ لا تأكلوا حرامًا، وقيل: «من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت»، رواه أنس بن مالك عن النبي ﷺ خرجه ابن ماجه في «سننه»، وقيل: من الإسراف الأكل بعد الشبع، وكل ذلك محظور.

﴿حَتَّى إِذَا﴾ اقتربت آجالهم ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ أعوان ملك الموت ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ يقبضون أرواحهم ﴿قَالُوا﴾ لهم تبكيتًا ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا﴾ ذهبوا أي: غابوا ﴿عَنَّا﴾ فلم نرهم ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ عند الموت ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ * قَالَ﴾ [الأعراف: 38] تعالى لهم يوم القيامة ﴿ادْخُلُوا فِي﴾ جملة ﴿أُمَمٍ﴾ أو مع أمم ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾ وهم كفار الأمم الخالية ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ النار ﴿لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ في الدين التي قبلها؛ لأنها ضلت بها ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا﴾ تداركوا وتلاحقوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا﴾ أي: في النار ﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ﴾ أي: آخر من يدخل النار لأول من يدخلها، أو آخر كل أمة لأولها، أو قال الأتباع للمتبوعين ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾ باتّباعنا لهم ﴿فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ مضعفًا ﴿مِنَ النَّارِ﴾ و﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿لِكُلٍّ﴾ منكم ومنهم ﴿ضِعْفٌ﴾ عذاب مضعف ﴿وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ما لهم من العذاب، بالخطاب لكل القراء إلا أبا بكر فبالياء.

﴿ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٩ - ٤٤].

﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ﴾ [الأعراف: 39] القادة ﴿لِأُخْرَاهُمْ﴾ الأتباع ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ لاستوائنا في الكفر فنتساوى إذًا في العذاب، قال تعالى لهم: ﴿فَذُوقُوا

﴿الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ [الأعراف: 39 - 40]، تكبروا ﴿عَنْهَا﴾ أي: الإيمان بها ﴿لَا تُفَتَّحُ﴾ بضم التاء من فوق وإسكان الفاء وتخفيف التاء الثانية مفتوحة لأبي عمرو، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بالباء من تحت في أوله والتخفيف، والباقون بالتاء من فوق والتشديد ﴿لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ أي: لأدعيتهم وأعمالهم وأرواحهم إذا ماتوا بل يذهب بها إلى سجين، بخلاف المؤمن فتفتح لها وله ويُصعد بروحه إلى السماء السابعة ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ﴾ يدخل ﴿الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ وهو ثقب الإبرة، والمراد: أنهم لا يدخلون أبدًا كقولك: لا أفعله حتى يشيب الغراب ويبيض القار، فإنك إذا عُلقت بمستحيل دل على الاستحالة المتعلق به، ويستحيل دخول الجمل على كبره في ثقب الإبرة مع صغره ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ بالكفر.

﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ [الأعراف: 41] فراش ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ جمع غاشية، يريد ما غشاهم وغطاهم به من العذاب ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل هذا الجزاء ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأعراف: 41 - 42] طاقتها، وما لا حرج عليها فيه ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَنَزَعْنَا﴾ [الأعراف: 43] أخرجنا ﴿مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ غش وحقد وعداوة كانت في الدنيا ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ﴾ تحت قصورهم ﴿الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ العمل هذا جزاؤه، أو لطرق منازلنا في الجنة ويعرفونها أعظم مما يعرفون طرق منازلهم في الدنيا ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ بإثبات «الواو» قبل «ما» لكل القراء إلا ابن عامر ووافق ذلك مصحفه ﴿لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾، بالصدق ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهل هذا النداء عند دخولها، أو عند رؤيتها من بعيد؟ قولان، الأقرب الثاني.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ [الأعراف: 44] توبيخًا ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ من الثواب ﴿حَقًّا﴾ صدقًا ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ من العذاب ﴿حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ بفتح العين لكل القراء إلا الكسائي فبكسرها حيث كان ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ نادى منادٍ بينهم أي: الفريقين أسمعهم ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين، قرأ نافع والبصري وعاصم وقنبل بخلاف عنه «أن» بإسكان النون مخففة ورفع «لعنة»، والباقون بتشديد «أن» ونصب «لعنة».

﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأعراف: ٤٥ - ٥١].

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ [الأعراف: 45] يصرفون الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ طاعته ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ أي: يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة فيطلبون طريق الله حائدين عن الحق، فيصلون لغير الله ويعظمون غيره ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ * وَبَيْنَهُمَا﴾ [الأعراف: 46] أي: الجنة والنار ﴿حِجَابٌ﴾ حاجز، قيل: هو سور الأعراف ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾ وهو سور الجنة سُمي بالأعراف؛ لأن أهله يعرفون الفريقين أهل السعادة والشقاوة، وهو جمع عرف يقال للمرتفع ومنه عرف الديك ﴿رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾ من أصحاب الجنة والنار ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ بياض وجوه أهل الجنة وسواد وجوه أهل النار ﴿وَنَادَوْا﴾ أي أصحاب الأعراف ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ قال تعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ أي: أصحاب الأعراف الجنة ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾، أي: في دخولها، قال الحسن: الذي أطمعهم يوصلهم وآخر أمرهم دخول الجنة كما ثبت في السنة، وفي الحديث: «**بينما هم كذلك؛ إذ طلع عليهم ربك فقال: قوموا ادخلوا الجنة فقد غفرت لكم**»[1] وهل

(1) ذكره الخطيب الشربيني في «السراج المنير» (1039/1)، وفي تفسير الجلالين معزو للحاكم عن حذيفة (499/2).

هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، أو هم قوم خرجوا في الغزو بغير إذن آبائهم فاستشهدوا، أو قوم ماتوا في الفترة، أو أطفال المشركين، أو هم قوم من أهل الجنة، أو قوم رضي عنهم أحد الأبوين دون الآخر فيحبهم الله حتى يرضى الآخر ثم يدخلهم الجنة على منهما يعرفون ويطالعون أحوال الفريقين؟ أقوال؟ أبعدها الأخير وأصحها الأول.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ﴾ [الأعراف: 47] حولت أو وجهت ﴿أَبْصَارُهُمْ﴾ أي: أبصار أهل الأعراف ﴿تِلْقَاءَ﴾ قبال أو جهة ﴿أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا﴾ في النار ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ [الأعراف: 48] من أصحاب النار ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ بإشاراتهم التي كانوا بها في الدنيا ﴿قَالُوا مَا أَغْنَى﴾ دفع ﴿عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ في الدنيا المال أو كثرتكم ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: واستكباركم عن الإيمان، ويقول أهل الأعراف لأهل النار مشيرين لضعفاء المسلمين الذين في الجنة ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ﴾ [الأعراف: 49] قد قيل لهم ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ وقيل: المعنى أن أصحاب الأعراف لما يوبخون أهل النار يقولون لهم: وأنتم لم تدخلوا الجنة ويقسمون على ذلك، فتقول الملائكة لهم على طريق التوبيخ: أهؤلاء إلى آخره، ثم يأمرون أصحاب الأعراف يدخلون الجنة.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾ [الأعراف: 50]، من الطعام، فإذا سمعوا ذلك ﴿قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا﴾ منعهما ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ﴾ [الأعراف: 50 - 51] في الدنيا من تحريم ما لم يأذن لهم في تحريمه وتحليل أشياء كذلك ﴿لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ﴾ نتركهم في الحساب ﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ بتركهم العمل به ﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (52) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا

نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٢ - ٥٦].

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ﴾ [الأعراف: 52] أي: أهل مكة ﴿بِكِتَابٍ﴾ هو القرآن ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾ بيّناه بالأخبار والوعد والوعيد ﴿عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ [الأعراف: 53] ما ينظرون أي: الكفار ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ أي: وقوع ما فيه من العذاب والخزي لهم ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ وهو يوم القيامة ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ﴾ تركوا الإيمان به ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ صدقوا حيث لا ينفعهم ذلك ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ في هذا اليوم ﴿أَوْ﴾ هل ﴿نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ نوحد الله ونترك الشرك، فقال لهم: لا، قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ فصاروا هلكى بالعذاب ﴿وَضَلَّ﴾ ذهب ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من دعوى وشرك.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: 54] أي: مقدارها إذ اليوم من طلوع الشمس إلى الغروب ولم يكن ثم شمس، ولو شاء خلقهن في لمحة وحكمة العدول عنه ليعلم خلقه التثبت ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[1] هو في

(1) لما ذكر تعالى أشياء من مبدأ خلق الإنسان وأمر نبيّه وانقسام إلى مؤمن وكافر وذكر معادهم وحشرهم إلى جنة ونار ذكر مبدأ العالم واختراعه والتنبيه على الدلائل الدالّة على التوحيد وكمال القدرة والعلم والقضاء ثم بعد إلى النبوة والرسالة إذ مدار القرآن على تقدير المسائل الأربع التوحيد والقدرة والمعاد والنبوة، وربّكم خطاب عام للمؤمن والكافر، وروى بكار ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهَ﴾ بنصب الهاء عطف بيان والظاهر أنه ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ وعلى هذا الظاهر فسّر معظم الناس وبدأ بالخلق يوم الأحد، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: أخذ بيدي رسول الله ﷺ فقال: «خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الأحد وخلق =

اللغة سرير الملك، وفي الشرع الخلق العظيم المذكور في السنة المحيط بكل مخلوق الذي هو سقف الجنة والاستواء معلوم والكيف مجهول ﴿يُغْشِي﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر ويعقوب بضم الياء وفتح العين وتشديد السين مكسورة هنا وفي الرعد، والباقون بإسكان العين وكسر السين مخففة ﴿اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ أي: يأتي الليل على النهار فيغطيه ويأتي بالنهار على الليل فيذهب الظلمة ﴿يَطْلُبُهُ﴾ أي: الليل النهار والنهار الليل ﴿حَثِيثًا﴾ سريعًا إذ كل واحد عقب الآخر بلا مهلة ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ﴾ بالرفع لابن عامر، والباقون بالنصب وكذا في النحل ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ مذللات ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بقدرته ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾ جميعًا ﴿وَالْأَمْرُ﴾ يتصرف في خلقه كيف يشاء والأمر هنا غير

الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بعد العصر إلى الليل»، وقال عدي بن زيد العبادي: قضى لستة أيام خليقته، وكان آخر يوم صوّر الرّجال، وهو اختيار محمد بن إسحاق، قال ابن الأنباري هذا إجماع أهل العلم، وقال عبد الله بن سلام وكعب والضحّاك ومجاهد واختاره الطبري بدأ بالخلق يوم الأحد وبه يقول أهل التوراة، وقيل يوم الاثنين وبه يقول أهل الإنجيل، قال ابن عباس وكعب ومجاهد والضحّاك مقدار كل يوم من تلك الأيام ألف سنة ولا فرق بين خلقه تعالى ذلك في لحظة واحدة أو في مدد متوالية بالنسبة إلى قدرته تعالى وإبداء معان لذلك كما زعمه بعض المفسرين قول بلا برهان فلا نسوّد كتابنا بذكره وهو تعالى المنفرد بعلم ذلك، وذهب بعض المفسرين إلى أنّ التقدير في قوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ في مقدار ستة أيام فليست ستة الأيام أنفسها وقع فيها الخلق وهذا كقوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِياً﴾ والمراد مقدار البكرة والعشي في الدنيا؛ لأنه لا ليل في الجنة ولا نهار وإنما ذهب الذاهب إلى هذا؛ لأنه إنما يمتاز اليوم عن الليلة بطلوع الشمس وغروبها قبل خلق الشمس والقمر كيف يعقل خلق الأيام والذي أقول: إنه متى أمكن حمل الشيء على ظاهره أو على قريب من ظاهره كان أولى من حمله على ما لا يشمله العقل أو على ما يخالف الظاهر جملة وذلك بأن يجعل قوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ظرفًا لخلق الأرض لا ظرفًا لخلق السماوات والأرض فيكون ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ مدة لخلق الأرض بتربتها وجبالها وشجرها ومكروهها ونورها ودوابها وآدم ﷺ وهذا يطابق الحديث الثابت في الصحيح، وتبقى ستة أيام على ظاهرها من العددية ومن كونها أيامًا باعتبار امتياز اليوم عن الليلة بطلوع الشمس وغروبها وأما استواؤه على العرش فحمله على ظاهره من الاستقرار بذاته على العرش قوم والجمهور من السّلف السفيانان ومالك والأوزاعي والليث وابن المبارك وغيرهم في أحاديث الصفات على الإيمان بها وإمرارها على ما أراد الله تعالى من غير تعيين مراد وقوم تأوّلوا ذلك على عدّة تأويلات.

الخلق؛ إذ هو تصرف في الخلق ﴿تَبَارَكَ﴾ تعظم وثبت ودام ﴿اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ولا يقال مبارك ولا متبارك لعدم التوفيق.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ [الأعراف: 55] تذللاً واستكانة ﴿وَخُفْيَةً﴾ سرًا وهو أفضل من الجهر ورفع الصوت إلا لعذر ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ في الدعاء بالتشدق أو هم من سأل منازل الأنبياء، أو دعا بإثم أو قطيعة رحم، أو أراد بالدعاء الرياء والسمعة ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 56] بالشرك والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بالرسل أو بالقطر؛ إذ المعاصي ترفع الخصب والخير ﴿وَادْعُوهُ﴾ أي: ربكم ﴿خَوْفًا﴾ من عذابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ﴾ أي: ثوابه وفضله ﴿قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٧ - ٦١].

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾ [الأعراف: 57] قرأ عاصم هنا وفي الفرقان والنمل بالباء الموحدة وضمها وإسكان الشين؛ أي: مبشرة بالخير والمطر، وحمزة والكسائي وخلف بالنون وفتحها والإسكان وهي الريح الطيبة اللينة، ومنه: ﴿النَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ [المرسلات: 3] والباقون بالنون وضمها، وضم الشين؛ أي: متفرقة جمع نشور مثل رسول ورسل، وهي الرياح التي تهب في كل ناحية ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ قدام المطر ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ﴾ حملت الرياح ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ بالمطر ﴿سُقْنَاهُ﴾ أي: السحاب ﴿لِبَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ محتاج إلى الماء ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ﴾ أي: بالسحاب أو البلد ﴿الْمَاءَ﴾ المطر ﴿فَأَخْرَجْنَا

به﴾ الماء ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ﴾ أي: مثل إخراج الثمرات ﴿نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ من قبورهم بالإحياء ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تؤمنون، وورد أن السماء تمطر ماء الحياة بعد النفخة الأولى فينبت الناس كالزرع حتى إذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح.

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ [الأعراف: 58] العذب التراب ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ﴾ حسنًا ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ كذلك المؤمن يؤمن بسهولة ﴿وَالَّذِي خَبُثَ﴾ أي: الأرض الخبيثة النبات ﴿لَا يَخْرُجُ﴾ نباته ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ بفتح الكاف لأبي جعفر وكسرها لمن بقى أي: عسرًا بعناء ومشقة ﴿كَذَلِكَ﴾ الكافر لا ينفعه عمله؛ إذ لا يخرج منه إلا بعناء ومشقة، وليس معه إيمان كذلك كما بينا ما ذكر ﴿نُصَرِّفُ﴾ نبين ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ الله فيؤمنون به.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ [الأعراف: 59] سُمي به لكثرة نوحه على نفسه ﴿إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ بالرفع إلا الكسائي فبالجر ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ [الأعراف: 60] الأكابر والأشراف ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾ سموا بذلك؛ لأنهم يميلون الصدور لعظمة شأنهم أي بعظمتهم في المحافل ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ﴾ إما من الرأي أو من رؤية البصر ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بيِّن.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ [الأعراف: 61] نفاها؛ لأنها أعم من الضلال ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ولم يرد عليهم بقوله: بل أنتم ضالون ونحوه؛ تلطفًا وذلك من محاسن الأنبياء.

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ

نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٦٢ - ٦٩].

﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ [الأعراف: 62] لأبي عمرو بتخفيف اللام في الموضعين هنا وفي الأحقاف، والباقون بالتشديد في الثلاثة ﴿رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ يقال: نصحته ونصحت له، والنصح أن تريد لغيرك من الخير ما تريد نفسك ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * أَوَ عَجِبْتُمْ﴾ [الأعراف: 62 - 63] استفهام توبيخ ﴿أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾ أي: معكم أو بمعنى منزل على رجل منكم ﴿لِيُنْذِرَكُمْ﴾ العذاب إن لم تؤمنوا ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾ الله ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بذلك.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ﴾ [الأعراف: 64] من الغرق ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ السفينة ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالطوفان ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ عن الهدى.

﴿وَ﴾ [الأعراف: 65] أرسلنا ﴿إِلَى عَادٍ﴾ الأولى ﴿أَخَاهُمْ هُودًا﴾ سُمي أخًا؛ لأنه من عشيرتهم، أو لأنه بشر من ولد آدم وكان بينه وبين نوح سبعة آباء، وعاد ثلاث عشرة قبيلة وكانت أموالهم كثيرة وبلادهم بلاد خصب أزيد من غيرها؛ فسلط الله عليهم من آبائهم بعبادتهم الأصنام فصارت مفاوز وكانت بنواحي حضرموت إلى اليمن ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عقابه أو تخافونه فتؤمنون.

﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ [الأعراف: 66] قرأ ابن عامر بواو العطف قبل «قال»، والباقون بغير واو ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ جهالة ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ في رسالتك ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: 67 - 68] مأمون على الرسالة ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 69] شرف بالرسالة إليكم وتذكير ﴿عَلَى﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ في الأرض ﴿مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ قوة وطولاً فكان طول أقصرهم ستين ذراعًا وأطولهم مائة، وزيادتهم أما على خلق آبائهم أو على خلق نوح ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ﴾

نعمه العظمى عليكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون.

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۗ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٧٠ - ٧٤].

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ﴾ [الأعراف: 70] إنكارًا منهم لذلك ﴿وَنَذَرَ﴾ نترك ﴿مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في أنك نبي مرسل ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ [الأعراف: 71] وجب ﴿عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ﴾ عذاب ﴿وَغَضَبٌ﴾ بالهلاك والخلود في النار ﴿أَتُجَادِلُونَنِي﴾ تخاصمونني ﴿فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ أي: سميتم بها ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ أصنامًا تعبدونها ﴿مَا نَزَّلَ اللهُ بِهَا﴾ أي: بعبادتها ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾ حجة ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ ذلك بتكذيبكم فأرسلت عليهم الريح العقيم قال تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾ [الأعراف: 72] أي: هودًا ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ من المؤمنين ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ فلحق بمكة بهم ولم يزالوا بها حتى ماتوا ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ استأصلناهم ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَ﴾ [الأعراف: 73] أرسلنا ﴿إِلَى ثَمُودَ﴾ كانت مساكنهم الحجاز والشام إلى

وادي القرى ﴿أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ معجزة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ على صدقي ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ﴾ وكانوا سألوه آية؛ فأخرج لهم ناقة من هضبة من الأرض ﴿لَكُمْ آيَةً﴾ دلالة على صدقي فيما ادعيت ﴿فَذَرُوهَا﴾ اتركوها ﴿تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ كعقر ونحوه ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ [الأعراف: 73 - 74] في الأرض ﴿مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ﴾ مكنكم وسكنكم ﴿فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ أماكن عالية تسكنونها من الصيف ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ تسكنونها في الشتاء، وكانوا يفعلون ذلك لطول أعمالهم ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ﴾[1] نعمه العظمى، واحدها «آلي» بمد الهمزة المفتوحة ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾

(1) قال القرطبي في «تفسيره»: فيه ثلاث مسائل: **الأولى**: قوله تعالى: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ فيه محذوف، أي: بوأكم في الأرض منازل ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً﴾ أي: تبنون القصور بكل موضع، ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ اتخذوا البيوت في الجبال لطول أعمارهم، فإن السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم، وقرأ الحسن بفتح الحاء، وهي لغة، وفيه حرف من حروف الحلق فلذلك جاء على فعل يفعل. **الثانية**: استدل بهذه الآية من أجاز البناء الرفيع كالقصور ونحوها، وبقوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ ذكر أن ابنا لمحمد بن سيرين بنى دارا وأنفق فيها مالاً كثيرًا فذكر ذلك لمحمد بن سيرين فقال: ما أرى بأسًا أن يبني الرجل بناء ينفعه، وروي أنه ﷺ قال: «**إذا أنعم الله على عبد أحب أن يرى أثر النعمة عليه**»، ومن آثار النعمة البناء الحسن، والثياب الحسنة، ألا ترى أنه إذا اشترى جارية جميلة بمال عظيم فإنه يجوز وقد يكفيه دون ذلك، فكذلك البناء، وكره ذلك آخرون، منهم الحسن البصري وغيره، واحتجوا بقوله ﷺ: «**إذا أراد الله بعبد شرا أهلك ماله في الطين واللبن**»، وفي خبر آخر عنه أنه ﷺ قال: «**من بنى فوق ما يكفيه جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه**»، قلت: بهذا أقول، لقول ﷺ: «**وما أنفق المؤمن من نفقة فإن خلفها على الله عز وجل إلا ما كان في بنيان أو معصية**»، رواه جابر بن عبد الله وخرجه الدارقطني، وقوله ﷺ: «**ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يواري عورته وجلف الخبز والماء**» أخرجه الترمذي.
الثالثة: قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ﴾ أي: نعمه، وهذا يدل على أن الكفار منعم عليهم.

فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأعراف: ٧٥ - ٨١].

﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ [الأعراف: 75] تكبروا ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾ عن الإيمان به ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ أي: من قومه ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا﴾ نعم ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: 75 - 76] وكان للناقة يوم تشرب فيه الماء كله ولهم يوم فملوا ذلك.

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ [الأعراف: 77] العقر قطع عرقوب البعير، ثم جعل النحر عقرًا توسعًا أو لأن تأخر البعير بعقره ثم ينحره ﴿وَعَتَوْا﴾ عاندوا واستكبروا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ وعاقر الناقة يقال قدار وقتلها بالسيف، وكان معه ثمانية نفس هم الذين قيل فيهم وكان في المدينة تسعة رهط، وأقرهم من بقى ﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ به من العذاب على قتلها ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [الأعراف: 78] الزلزلة الشديدة من الأرض، والصيحة من السماء وكان فيها صوت كل صاعقة تقطعت منها قلوبهم ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ باركين على ركبهم موتى أو كالرمل المجتمع؛ لأن الصاعقة أحرقتهم.

﴿فَتَوَلَّى﴾ [الأعراف: 79] أعرض صالح ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ فلذلك حل بكم ذلك وخاطبهم بعد موتهم كما خاطب النبي ﷺ أصحاب القليب ﴿وَلُوطًا﴾ [الأعراف: 80] كان ابن أخي إبراهيم عليه السلام بعثه الله تعالى إلى أهل سدوم، وكانوا ينكحون بعضهم، وقيل: لم ينكحوا إلا الغرباء ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ اللواط ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ

﴿الْعَالَمِينَ﴾ فأول ما ظهر ذلك فيهم، وقيل: إن إبليس هو الذي علمهم ففعلوا به أولاً ثم استمروا.

﴿إِنَّكُمْ﴾ [الأعراف: 81]، قرأ المدنيان وحفص إنكم بكسر الألف، وقرأ الآخرون بالاستفهام ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ متجاوزون الحلال إلى الحرام.

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٢ - ٨٦].

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ [الأعراف: 82] بعضهم لبعض ﴿أَخْرِجُوهُمْ﴾ أي: لوطًا وأتباعه ﴿مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ بلدكم ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ يتنزهون عن أدبار الرجال.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ [الأعراف: 83] قومه المؤمنين ومنهم ابنتاه ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الباقين في العذاب ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ [الأعراف: 84] بعد أن أسرى لوطًا بأهله ثم بعد إسرائه أمر الله جبريل عليه السلام فأدخل جناحيه تحت مدائنهم فاقتلعها ورفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصراخ الديكة، ثم جعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل وهو الكبريت والنار، وأدرك امرأة

لوط حجر فقتلها وكانت معه وعدة قومه أربعمائة ألف في خمس قرى، أو أربع فهلكوا أجمعين ﴿فَانْظُرْ﴾ تعجيب للسامع من حالهم ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: آخر أمرهم من الهلاك.

﴿وَ﴾ [الأعراف: 85] أرسلنا ﴿إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ وكان من ولد إبراهيم، وقيل: من ولد بعض من آمن به ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ معجزة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ على صدقي ﴿فَأَوْفُوا﴾ أتموا ﴿الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا﴾ تنقصوا ﴿النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بالرسل ﴿ذَلِكُمْ﴾ المذكور ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من الإفساد ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مريدين الإيمان فبادروا إليه ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ أي: على كل طريق ﴿تُوعِدُونَ﴾ من آمن بالأذى أو هو نهي عن قطع الطريق والمكس.

﴿وَتَصُدُّونَ﴾ [الأعراف: 86] تصرفون ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ تطلبون السبيل دينه ﴿مَنْ آمَنَ بِهِ﴾، بتوعدكم إياه بالقتل ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾ تطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾[1] بالميل عن الحق وكانوا يقولون لمن يرونه إن شيعتنا كذاب فلا تؤمن به ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا﴾ من العدد ﴿فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ قبلكم بتكذيبهم رسلهم ومنهم قوم لوط.

﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ

(1) لمّا أنكر عليهم كفرهم في أنفسهم وضلالهم، ولم يكتفوا حتى سعوا في إضلال مَنْ آمن، أنكر عليهم تعالى ذلك، فجمعوا بين الضلال والإضلال «من سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عملها» وصدّ: لازم ومتعد، يقال: صد عن كذا، وصد غيره عن كذا، وقراءة الجمهور: يصدون ثلاثيًا، وهو متعد ومفعوله مَنْ آمن، وقرأ الحسن: تصدُّون من أصدّ، عدى صدّ اللازم بالهمز، وهما لغتان.

وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (٨٩) وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ (٩٠) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢)﴾ [الأعراف: ٨٧ - ٩٢].

﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ [الأعراف: 87] به، أي: إن افترقتم فصرتم فرقتين كما ذكر ﴿فَاصْبِرُوا﴾ انتظروا ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا﴾ وبينكم بإهلاك المكذبين وإنجاء غيرهم ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعدلهم.

﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ [الأعراف: 88] عن الإيمان ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ ترجعن ﴿فِي مِلَّتِنَا﴾ ديننا الذي كنا عليه، خاطبوا لأن شعيبًا لم يكن على كفرهم قط وعلى نحوه أجاب ﴿قَالَ أَ﴾ نعود فيها ﴿وَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ لها باستفهام إنكار ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ﴾ [الأعراف: 89] ينبغي ﴿لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾ ذلك فيخذلنا ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وسع كل شيء علمه، ومنه حالي وحالم ﴿عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا﴾ فيما توعدونا به ثم لما يئس شعيب دعا عليهم فقال: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ﴾ احكم أو اقضي ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ الحاكمين أو القاضين.

﴿وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ [الأعراف: 90] أي: قال بعضهم لبعض ﴿لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ مغبونون ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [الأعراف: 91]، الزلزلة الشديدة، وقيل: باب فتح عليهم من جهنم ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ * الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ﴾ [الأعراف: 91 - 92] كأنهم ﴿لَمْ يَغْنَوْا﴾ يقيموا، والمغاني المنازل واحدها «مغني» ﴿فِيهَا﴾ في ديارهم ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ فانحسر الخسار فيهم فلم تبعد للمؤمنين من قومه.

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ

فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٣ - ٩٩].

﴿فتَوَلَّى﴾ [الأعراف: 93] شعيب أعرض ﴿عَنْهُمْ﴾ ذاهبًا من بين أظهرهم حتى آتاهم العذاب ﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ فلم تؤمنوا ﴿فَكَيْفَ آسَى﴾ أحزن ويطلق على الصبر أيضًا لكن ليس مراد هنا ﴿عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ استفهام بمعنى النفي ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ﴾ [الأعراف: 94] فكذبوه ﴿إِلَّا أَخَذْنَا﴾ عاقبنا ﴿أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ﴾ شدة الفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ المرض وسوء الحال ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ يتذللون فيؤمنون.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا﴾ [الأعراف: 95] أي: آتيناهم ﴿مَكَانَ السَّيِّئَةِ﴾ الضيق والجذب والمرض ﴿الْحَسَنَةَ﴾ الوسع والخصب والصحة ﴿حَتَّى عَفَوْا﴾ أي: كثروا وزادت أموالهم يقال عفا الشعر إذا كبر ﴿وَقَالُوا﴾ كفروا للنعمة ﴿قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ﴾ أي: ما ضرهم ﴿وَالسَّرَّاءُ﴾ أي: ما يسرهم، قالوا: ذلك إشارة منهم إلي أن هذا من عادة الدهر وليس من عقاب الله؛ ليدوموا على ما هم عليه قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ فجأة من ما كانوا ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بما نزل عليهم من العذاب ولا بوقت مجيئه قبله ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى﴾ [الأعراف: 96] المكذبين ﴿آمَنُوا﴾ بالله ورسلهم ﴿وَاتَّقَوْا﴾ معاصيه ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ بالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا﴾ الرسل ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ عقبناهم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يعملون من الخبائث.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى﴾ [الأعراف: 97] الذين كذبوا وكفروا وأراد مكة وما حولها

﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَاتًا﴾ ليلاً ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ لا يشعرون به ﴿أَوَ أَمِنَ﴾ [الأعراف: 98] بسكون الواو عند المدنين وابن عامر وابن كثير، والباقون بفتحها ﴿أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى﴾ نهارًا والأشهر استعماله في صدر النهار، وهو وقت انبساط الشمس ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ ساهون لاهون ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ﴾ [الأعراف: 99] أي: جزاؤهم بمكرهم، ومكره استدراجه لهم بالنعم حتى إذا آمنوا أخذهم بغتة ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٠٠ - ١٠٥].

﴿أَوَ لَمْ يَهْدِ﴾ [الأعراف: 100] بالنون ليعقوب كما رواه زيد عنه هنا، وفي طه والسجدة حكاه في «المستنير»، والباقون بالياء من أسفل أي: أو لم يتبين ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ﴾ أي: يأتون فيها ﴿مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا﴾ الذين مضوا عنها ﴿أَنْ﴾ أنه ﴿لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ﴾ بالعذاب ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ كما أصبنا من سبقهم ﴿وَ﴾ نحن ﴿نَطْبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فلا تقبل خيرًا ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الإيمان ولا يتبعونه والاستفهام للتوبيخ ﴿تِلْكَ الْقُرَى﴾ [الأعراف: 101] التي سبق ذكرها من قرى ثمود وعاد ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْ أَنْبَائِهَا﴾ أخبار أهلها للاعتبار ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلالات الواضحة ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عند مجيئهم ﴿بِمَا كَذَّبُوا﴾ كفروا به ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ مجيئهم بل استمروا على الكفر ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما طبعنا على قلوب الأمم الخالية ﴿يَطْبَعُ اللهُ

عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: ممن أرسل لهم محمد ﷺ وهم الذين كتب عليهم في علمه أن لا يؤمنون ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ﴾ [الأعراف: 102] أي: أكثر الناس ﴿مِنْ عَهْدٍ﴾ أي: وفاء بما أقروا به والتزموه يوم الميثاق الأول عند الخروج من صلب آدم ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ أي: ما وجدنا أكثرهم إلا فاسقين ناقضين العهد.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الأعراف: 103] أي: الرسل المذكورين ﴿مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ التسع ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ قومه ﴿فَظَلَمُوا﴾ جحدوا ﴿بِهَا﴾ فوضعوا الكفر موضع الإيمان ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ بالكفر من إهلاكهم ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ [الأعراف: 104] لما دخل على فرعون ﴿يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إليك؛ فكذب به فرعون موسى في قوله، فقال له: ﴿حَقِيقٌ﴾ [الأعراف: 105] جدير أو حريص ﴿عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ﴾ آية ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ هي العصا ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: أطلقهم ليرجعوا إلى الأرض المقدسة، وكان فرعون استخدمهم في أعمال شاقة.

﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٠٦ - ١٢٠].

﴿قَالَ﴾ [الأعراف: 106] فرعون لموسى لما قال له ذلك ﴿إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ﴾ على دعواك ﴿فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيها ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ﴾ [الأعراف: 107] هو الذكر العظيم من الحيات ﴿مُبِينٌ﴾ ظاهر ووضعها في غير هذا الموضع بقوله: ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ [النمل: 10] وهو الحية الصغيرة إشارة إلى خفتها وسرعة حركتها، فما هنا في الحية وذلك في سرعة الحركة، ولما وقع ذلك هاب فرعون وقال له: هل معك آية آخرى قال: نعم ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ [الأعراف: 108] أخرجها من تحت جيبه بعد أن أدخلها ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ﴾ مشرقة لها شعاع ﴿لِلنَّاظِرِينَ﴾ مع أنه كان شديد السمرة.

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 109] أي: فائق في علم السحر فيأخذ بالأعين ويرى الجماد حيوانًا والأسمر أبيض، وفي الشعراء أنه من قول فرعون ولا تناف هذا؛ لأن تقديرهم عليه منه كقوله أو لعلهم اشتوروا ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ﴾ [الأعراف: 110] يا معشر القبط ﴿مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ مصر ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ تشيرون في أمره ﴿قَالُوا أَرْجِهْ﴾ [الأعراف: 111] قرأ ابن كثير والبصريان وابن عامر بالهمز وضم الهاء، وقرأ الآخرون بلا همز والمعنى آخره ﴿وَأَخَاهُ﴾ هارون فأشاروا بتأخير أمرهما وترك قتلهما ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ﴾ التي في صعيد مصر ﴿حَاشِرِينَ﴾، يجمعون لك الناس.

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [الأعراف: 112]، بفضل موسى في علم السحر، قرأ حمزة والكسائي وخلف «ساحر» بوزن فاعل، فقيل: معناها واحد، وقيل: الساحر الذي يعلم السحر ولا يعلمه، والسحار الذي يعلم ويعلم، وقيل: الثاني من يديمه والأول من يكون سحره في وقت دون آخر ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ [الأعراف: 113] وكانوا اثنا عشر ألفًا، أو بضعًا وثلاثين ألفًا، أو اثنين وسبعين؟ أقوال، ﴿قَالُوا﴾ لفرعون ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ قرأ حفص وأهل الحجاز «إن» على الخبر، والباقون على الاستفهام ولا خلاف بينهم أنه مستفهم في الشعراء أي: جعلاً ومالاً ﴿إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ﴾ [الأعراف: 113 - 114] فرعون لهم ﴿نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ في المنزلة العالية عندي مع المال ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ﴾ [الأعراف: 115] عصاك ﴿وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ لعصينا وحبالنا.

﴿قَالَ﴾ [الأعراف: 116] موسى ﴿أَلْقُوا﴾ أنتم أولاً، وكان ذلك للتوسل به إلى إظهار الحق ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ ما معهم ﴿سَحَرُوا﴾ صرفوا ﴿أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ عن حقيقة إدراكها ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ خوفوهم إذ خيلوها حيات تسعى ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ عند من رآه من الناس؛ إذ صارت من أعظم الحيات مع كثرتها ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [الأعراف: 117] فألقاها فصارت حية عظيمة سدت الأفق، ويقال: كان الاجتماع بالإسكندرية فبلغ ذنبها وراء البحيرة، ثم فتحت فاها ثمانين ذراعًا ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ تبتلع، رواها حفص بتخفيف القاف ساكنة اللام هنا وطه والشعراء، والباقون بتشديدها وفتح اللام ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ يلعبون بالتحاييل ويزورون ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾ [الأعراف: 118] ظهر وثبت ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا﴾ أي: السحرة ﴿يَعْمَلُونَ﴾ في السحر وظهر لهم صدقه بأن عصيهم وحبالهم فقدت، فقالوا: لو كان كاذبًا لبقيت ﴿فَغُلِبُوا﴾ [الأعراف: 119] أي: فرعون وقومه ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: عند ظهور الحق ﴿وَانْقَلَبُوا﴾ ولوا ﴿صَاغِرِينَ﴾ أذلاء مقهورين ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ [الأعراف: 120] لله تعالى باختيارهم لكن كان بسرعة فكأنهم ألقوا.

﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢١ - ١٢٨].

﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف: 121 - 122] إنما

قالوه؛ لأن فرعون ظنهم كنوا برب العالمين عنه؛ فلما آمنوا ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ﴾ [الأعراف: 123] قرأ حفص على اختيار هنا وفي طه والشعراء، وقرأ الباقون بالاستفهام ﴿بِهِ﴾ بموسى ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ أي: صدقتموه قبل أمري لكم ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي صنعتموه أنتم وموسى ﴿لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ في مصر بأن اتفقتم على ذلك قبل مجيئكم ﴿لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما ينالكم مني فهددهم بما ذكره بعد من قوله.

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾[1] [الأعراف: 124] أي: من كل شق طرفًا ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا﴾ [الأعراف: 124 - 125] السحرة لفرعون ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا﴾ بأي وجه كان بعد موتنا ﴿مُنْقَلِبُونَ﴾ راجعون في الآخرة ﴿وَمَا تَنْقِمُ﴾ [الأعراف: 126] ما تكره أو تنكر ﴿مِنَّا﴾ أو ما لنا ذنب عندك ﴿إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾ التي ظهرت على يد موسى ﴿لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾ أنزل ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ عند فعل ما

(1) قال أنس بن مالك، وجرير بن عبد الله، وعبد الله بن عمر، وابن جبير، وعروة: نزلت في عكل وعرينة وحديثه مشهور، وقال ابن عباس فيما رواه عكرمة عنه: نزلت في المشركين، وبه قال: الحسن وعطاء، وقال ابن عباس في رواية والضحاك: نزلت في قوم من أهل الكتاب كان بينهم وبين الرسول عهد فنقضوه، وأفسدوا في الدّين، وقيل: نزلت في قوم أبي بردة هلال بن عامر قتلوا قومًا مرّوا بهم من بني كنانة يريدون الإسلام، وأخذوا أموالهم، وكان بين الرسول ﷺ وبين أبي بردة موادعة أن لا يعين عليه، ولا يهيج من أتاه مسلمًا ففعل ذلك قومه ولم يكن حاضرًا، والجمهور على أنّ هذه الآية ليست ناسخة ولا منسوخة، وقيل: نسخت ما فعل النبي ﷺ بالعرنيين من المثلة، ووقف الحكم على هذه الحدود، ومناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة، لما ذكر في الآية قبلها تغليظ الإثم في قتل النفس بغير نفس ولا فساد في الأرض، أتبعه ببيان الفساد في الأرض الذي يوجب القتل ما هو، فإن بعض ما يكون فساداً في الأرض لا يوجب القتل، ولا خلاف بين أهل العلم أنّ حكم هذه الآية مترتب في المحاربين من أهل الإسلام، ومذهب مالك وجماعة: أن المحارب هو من حمل السلاح على الناس في مصر أو برية، فكادهم عن أنفسهم وأموالهم دون ثائرة، ولا دخل ولا عداوة، ومذهب أبي حنيفة وجماعة: أن المحاربين هم قطاع الطريق خارج المصر، وأمّا في المصر فيلزمه حدّ ما اجترح من قتل أو سرقة أو غصب ونحو ذلك، وأدنى الحرابة إخافة الطريق ثم أخذ المال مع الإخافة، ثم الجمع بين الإخافة وأخذ المال والقتل ومحاربة الله تعالى غير ممكنة، فيحمل على حذف مضاف أي: محاربون أولياء الله ورسوله، وإلا لزم أن يكون محاربة الله ورسوله جمعًا بين الحقيقة والمجاز، فإذا جعل ذلك على حذف مضاف، أو حملاً على قدر مشترك اندفع ذلك، وقول ابن عباس: المحاربة هنا الشرك، وقول عروة: الارتداد، غير صحيح عند الجمهور، وقد أورد ما يبطل قولهما.

توعدنا به لئلا نرجع كفارًا ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ * وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ [الأعراف: 126 - 127] له ﴿أَتَذَرُ﴾ تترك ﴿مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر بالدعاء لمخالفتك ﴿وَيَذَرَكَ﴾ يتركك ﴿وَآلِهَتَكَ﴾ فلا يعبدك ولا يعبدها، وهل كانت آلهة فرعون صنم أو صليب أو بقرة أو الشمس أو أصنام صغار صنعها لهم يعبدونها، وقال: أنا ربكم وربها؛ ولذا قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ [النازعات: 24] ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ﴾ بضم النون وفتح القاف وتشديد التاء لكل القراء، إلا المدنيان وابن كثير فبفتح النون وإسكان القاف وضم التاء ﴿أَبْنَاءَهُمْ﴾ أي: أبناء بني إسرائيل المولودين ﴿وَنَسْتَحْيِي﴾ نستبقي ﴿نِسَاءَهُمْ﴾ نتركهم بلا قتل كفعلنا بهم من قبل ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ غالبون أو قادرون، ففعل بهم ذلك فشكا بنوا إسرائيل.

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ [الأعراف: 128] عند ذلك ﴿اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا﴾ على آذائهم ﴿إِنَّ الْأَرْضَ﴾ أي: أرض مصر أو المراد العموم ﴿لله يُورِثُهَا﴾ يعطيها ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ﴾ النصر والظفر أو العاقبة المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الله[1].

﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ

---

(1) انظر في هذه الآية إلى جميل أدب سيدنا موسى عليه السلام كيف علّم قومه معاملة طريق الله أمرهم بالالتجاء إليه والاستعاذة به والاستغاثة به في تحمل مشقة الصبر ووجدان حسن الرضا في البلاء، وأخبرهم أن مَنْ كان بالله صبر يكون مظفرًا على جميع المراد ويكون خليفة الله في أرضه.

قال أبو عثمان: مَنْ استعان بالله في أموره، وصبر على ما يلحقه في مسالك الاستعانة، أتاه الفرج من الله، قال الله استعينوا بالله واصبروا.

﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف: ١٢٩ - ١٣٣].

﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾ [الأعراف: 129] وذلك لأن فرعون في العام الذي قبل ولادة موسى فيه كان يقتل أبناءهم ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ بوعد فرعون لنا بالقتل ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ فرعون وقومه ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فيها وكان كذلك، وأهلك الله فرعون وقومه وملك مصر لبني إسرائيل فأسرفوا وكفروا بعبادة العجل.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ [الأعراف: 130] قومه ﴿بِالسِّنِينَ﴾ القحط والجدب ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ الغلال بالآفات والعاهات الأول لأهل البوادي والثاني لأهل الأمصار ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون فيؤمنون ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ [الأعراف: 131] الخصب والعافية ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ أي: نحن مستحقوها على عادتنا القديمة أو لم ينسبوها فضل الله تعالى ولم يشكروه ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ جدب وبلاء ﴿يَطَّيَّرُوا﴾ يتشاءموا ﴿بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ ممن آمن من قومه أي: يقولوا ما أصابنا البلاء إلا منذ رأيناهم ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ﴾ شؤمهم ﴿عِنْدَ اللهِ﴾ منه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إن الذي أصابهم من الله.

﴿وَقَالُوا﴾ [الأعراف: 132] يعني: القبط لموسى ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ﴾ علامة ومعجزة ﴿لِتَسْحَرَنَا﴾ لتقلبنا عن ديننا ﴿بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ مصدقين فدعا عليهم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ [الأعراف: 133] هل هو ماء حتى ماتوا فيه، أو دخل إلى بيوتهم ودخل إلى حلوق الجالسين سبعة آيام، أو الموت أو أمر طاف بهم من الله، أو مطر عظيم؟ أقوال، الثالث منها لابن عباس ﴿وَالْجَرَادَ﴾ فأكل زرعهم وثمارهم وثيابهم ومسامير أبوابهم وكل شيء ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ هل هو المعروف أو سوس الحنطة أو البراغيث أو القراد أو دواب صغار سود؟ أقوال، فتتبع ما أكل الجراد ﴿وَالضَّفَادِعَ﴾ فملأت فروشهم وأوعيتهم وطعامهم ﴿وَالدَّمَ﴾ فانقلبت مياههم دمًا حتى كانت الإسرائيلية تدخل الماء في فمها ثم تدخله في فم القبطية فيخرج إلى فمها دمًا بعد إن كان في فم الإسرائيلية على حاله وكذا لو شربا من إناء واحد ﴿آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ﴾ مبينات يتبع بعضها بعضًا وكان كل عذاب يمتد إسبوعًا وبينه وبين الآخر شهر، وقيل: ثمانية آيام ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ كثيرين الذنوب.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأعراف: ١٣٤ - ١٤٠].

﴿وَلَمَّا وَقعَ﴾ [الأعراف: 134] أنزل ﴿عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ العذاب السابق كالدم وما سبقه، وقيل: الطاعون وهو السادس بعد الآيات الخمس فمات به في يوم سبعون ألفًا ﴿قَالُوا﴾ أي: القبط ﴿يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ هل معناه بما أوصاك أو نبأك أو وعدك من إجابة الدعوة بكشف العذاب إن آمنا؟ أقوال ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ [الأعراف: 135] بدعاء المؤمنين ﴿عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ﴾ وهو الغرق في اليم ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ ينقضون ما عهدوه على صنعهم يصرون على كفرهم ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ [الأعراف: 136] وهو البحر المالح ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ معرضين لا يتدبرونها أو كانوا عن النعمة قبل دخولها ساهين.

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ [الأعراف: 137] يتذلون بالاستعباد وهم بنو إسرائيل ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ وأراد به أرضًا خاصة بدليل قوله: ﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بكثرة الأشجار والأنهار، وهل هي الشام أو هي ومصر معها؟ قولان،

أصحهما الثاني ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى﴾ وهي قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا.....﴾ إلى آخره [القصص: 5] ﴿عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ بسبب صبرهم على إذاء عدوهم ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ أهلكنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ في أرض مصر من العمارات ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ يبنون أو يغرسون من الثمار والأعناب، وقرأ ابن عامر وأبو بكر بضم الراء هنا وفي النحل، والباقون بكسرها ﴿وَجَاوَزْنَا﴾ [الأعراف: 138] عبرنا ﴿بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ أي: بعد غرق فرعون وقومه، وذلك في يوم عاشوراء ﴿فَأَتَوْا﴾ مروا ﴿عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ﴾ بكسر الكاف لحمزة والكسائي وخلف بخلاف عنه ﴿عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ قيل: كانوا من الكنعانيين الذي أُمر موسى بقتالهم وكانت بصورة بقر ﴿قَالُوا﴾ أي: بني إسرائيل ﴿يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ منها نعبده ﴿كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ ولم يريدوا عبادته على الحقيقة ولا شكوا في الدين، وإنما أرادوا أشياء يعظم يتقرب بتعظيمه إلى الله، وظنوا أن ذلك لا يضر في الدين لشدة جهلهم فلذلك ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ قابلتم نعمة الله عليكم بما ذكرتم.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ﴾ [الأعراف: 139] هالك ﴿مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * قَالَ﴾ [الأعراف: 139 - 140] موسى ﴿أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ﴾ أطلب لكم أو أمركم بطلبه ﴿إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانكم.

﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ

مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤١ - ١٤٥].

﴿وَ﴾ [الأعراف: 141] اذكروا ﴿إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ﴾ على الخطاب، وقرأ ابن عامر «نجاكم» على أنه موسى، قال لهم: «واذكروا إذ نجاكم الله» وهو كذلك في مصحف الشام ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ ويذيقونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أشده وهو ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ بالتشديد لكل القراء إلا نافعًا فبالتخفيف ﴿أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ﴾ الإنجاء أو العذاب ﴿بَلَاءٌ﴾ أنعام أو ابتلاء ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ المالك لأمركم أو المصلح لكم ﴿عَظِيمٌ﴾ أفلا تتعظون فتنتهون عن قولكم.

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: 142] نكلمه عند مضيها بأن يصومها وهي ذو العقدة فصامها، فلما أتمها أنكر خلوف فمه فاستاك، فأمره الله تعالى بعشرة ليكلمه بخلوف فيه، كما قال تعالى: ﴿وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ من ذي الحجة ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾ أي: وقت وعده بكلامه إياه ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى﴾ عند انطلاقه إلى الجبل للمناجاة ﴿لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي﴾ كن خليفتي ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ في خلافتك أمرهم بتحمل آذاهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي: لا تطع من عصا الله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ الذي وعدناه ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ بلا واسطة كلامًا يسمعه من كل جهة بلا صوت ولا حرف فحصل له شوق لرؤيته تعالى فعنده ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي﴾ نفسك فيه دليل على جواز رؤية الله تعالى في الدنيا ولولا ذلك لم يسألها موسى ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ في الدنيا وإن أمكن ذلك ولا تطيق ذلك ﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ جبل الطور الذي هو أقوى منك ﴿فَإِنِ اسْتَقَرَّ﴾ ثبت ﴿مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ أي: تثبت لرؤيتي وإلا فلا طاقة لك، وتعليق الرؤية باستقرار الجبل يدل على جوازها؛ لأنه ممكن والمعلق بالممكن ممكن ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ﴾ أي: ظهر من نوره قدر نصف أنملة الخنصر ﴿لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ بالمد والهمز للكسائي وخلف وحمزة هنا وفي الكهف وافقهم عاصم في الكهف أي: «أرضًا دكًا»، والباقون بالتنوين من غير مد ولا همز فيهما أي: مستويًا بالأرض.

﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف: 143] مغشيًا عليه على الأرض، وقيل: ميتًا ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ من صعقته ﴿قَالَ﴾ منزهًا للحق ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من سؤال ما لم

أمر به ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في زماني أو من بني إسرائيل ﴿قَالَ﴾ [الأعراف: 144]، تعالى له: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ أهل زمانك ﴿بِرِسَالَاتِي﴾ الجمع؛ إذ كل أمر وحكم هو رسول فيه، وقرأ المدنيان وابن كثير وروح برسالتي ﴿وَبِكَلَامِي﴾ أي: تكليمي إياك ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ أعطيتك من الفضل ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لإنعامي بالعمل بذلك.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ﴾[1] [الأعراف: 145] التي كتبت فيها التوراة ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿مَوْعِظَةً﴾ هي التذكير والتحذير مما تخاف عاقبته ﴿وَتَفْصِيلًا﴾ تبيينًا ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا﴾ أي: قلنا خذها ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد وعزم القلب المصمم على العمل بها ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ هل الأحسن ما وجب وما نفى غيره، أو الأحسن الفرائض والنوافل، أو هو أن يحلوا حلالها ويحرموا حرامها

---

(1) قيل: إنّ موسى ﷺ صعق يوم الجمعة يوم عرفة وأفاق فيه وأعطى التوراة يوم النحر وظاهر قوله: ﴿وَكَتَبْنَا﴾ نسبة الكتابة إليه، فقيل كتب بيده وأهل السماء يسمعون صرير القلم في اللوح، وقيل: أظهرها وخلقها في الألواح، وقيل: أمر القلم أن يخطَّ لموسى في الألواح، وقيل: كتبها جبريل ﷺ بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر النّور ففي هذين القولين أسند ذلك إلى نفسه تشريف إذ ذاك صادر عن أمره، وقيل: معنى ﴿وَكَتَبْنَا﴾ فرضنا كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ والضمير في ﴿لَهُ﴾ عائد على موسى ﴿الْأَلْوَاحِ﴾ جمع قلة و«أل» فيها لتعريف الماهيّة فإن كان هو الذي قطعها وشققها فتكون «أل» فيها للعهد، وقال ابن عطية: عوض من الضمير الذي يقدر وصلة بين الألواح وموسى ﷺ تقديره في ألواحه وهذا كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ أي: مأواه، وكون أل عوضًا من الضمير ليس مذهب البصريين ولا يتعين أن يكون عوضًا من الضمير وليس ذلك كقوله: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ لأنّ الجملة خبر عن من فاحتاجت الجملة إلى رابط، فقال الكوفيون: «أل» عوض من الضمير كأنه قيل مأواه، وقال البصريون: الرابط محذوف أي هي المأوى له وظاهر الألواح الجمع، فقيل كانت سبعة وروى ذلك عن ابن عباس، وقيل ثمانية ذكره الكرماني، وقيل: تسعة قاله مقاتل: وقيل: عشرة قاله وهب بن منبه، وقيل اثنان وروي عن ابن عباس أيضًا واختاره الفرّاء، وهذا ضعيف؛ لأنّ الدلالة بالجمع على اثنين قياسًا له شرط مذكور في النحو هو مفقود هنا، وقال الربيع بن أنس: نزلت التوراة وهي وقر سبعين بعيرًا يقرأ الجزء منها في سنة ولم يقرأها سوى أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى، وقد اختلفوا من أي شيء هي فعن ابن عباس وأبي العالية زبرجد، وعن ابن جبير من ياقوت أحمر، وعن ابن عباس أيضًا ومجاهد من زمرد أخضر، وعن أبي العالية أيضًا من برد، وعن مقاتل من زمرد وياقوت، وعن الحسن من خشب طولها عشرة أذرع، وعن وهب من صخرة صماء أمر بقطعها ولانت له فقطعها بيده وشققها بأصابعه، وقيل: من نور حكاه الكرماني، والمعنى من كل شيء محتاج إليه في شريعتهم.

ويتدبروا أمثالها ويقفوا عند متشابهها، أو المراد بحسنها وكملها حسن، أو المراد أنهم إذا خيروا بين شيئين إحدهما أحسن يأخذوا به؟ أقوال، أقربها هذا الأخير، وهل كانت الألواح سبعة أو عشرة؟ قولان، وهل كانت خضرًا من زبرجد أو من ياقوتة حمراء أو من خشب أو من سدر الجنة؟ أقوال ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ فرعون وأتباعه، وهي مصر، قال قتادة وغيره: وقيل المراد مصارع الكفار، وقيل: أراد أنه يدخلهم الشام فيريهم آثار القرون الماضية للاعتبار.

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ (١٤٦) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٤٧) وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ (١٤٨) وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (١٤٩) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٥٠) ﴾ [الأعراف: ١٤٦ - ١٥٠].

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾ [الأعراف: 146] هل هي القرآن، أو التفكر في المصنوعات الموصل للقدر؟ قولان، أصحهما الثاني ﴿الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بأن أخذلهم فلا يتفكرون فيها فلا يؤمنون؛ لأني لم أقدر لهم بقول الحق ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ﴾ طريق ﴿الرُّشْدِ﴾ الذي جاء من عند الله بفتح الراء والشين لحمزة والكسائي وخلف، وبضم الراء وإسكان الشين للباقي ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ

سَبِيلًا﴾ ليسلكوه ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ﴾ الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ﴾ أي: اتخاذهم ما ذكر دون الأول ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ [الأعراف: 146 - 147] البعث وغيره ﴿حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ ما يعملوه في الدنيا من خير كصلة رحم أو صدقة فلا ثواب لهم لانتفاء شرطه ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة ﴿إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من التكذيب والمعاصي أي: لا يجزون إلا ذلك.

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ﴾ [الأعراف: 148] أي: من بعد ذهابه لميقات ربه ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ الذي استعاروه من قوم فرعون بعلة عرس فبقي عندهم، قرأ يعقوب بإسكان اللام وتخفيف الياء، والباقون بكسر اللام وتشديد الياء، وفتح يعقوب الحاء وكسرها حمزة والكسائي وضمها الباقون ﴿عِجْلًا﴾ صاغه لهم السامري ﴿جَسَدًا﴾ أو صار لحمًا ودمًا ﴿لَهُ خُوَارٌ﴾ صوت يسمع كصوت البقر قلب ذلك بوضع تراب حافر فرس، فرس جبريل في فم العجل إذا أثره حياة ما يوضع فيه أو المعنى اتخذوه إلهًا ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ يبين لهم طريقًا فكيف يُجعل إلهًا ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ أي: العجل إلهًا ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ كافرين باتخاذه.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف: 149] أي: ندموا على عبادته ﴿وَرَأَوْا﴾ علموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ بها أي: ذهبوا عن طريق الحق بعبادته ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف «ترحمنا» بتاء الخطاب و«ربنا» نصب، والباقون بالياء من أسفل ورفع «ربنا» والمراد يرحمهم بالتوبة عليهم ويغفر لهم عبادة العجل ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وهذا الندم كان بعد رجوع موسى إليهم فقبل ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ﴾ [الأعراف: 150] من جهتهم ﴿أَسِفًا﴾ حزينًا حزنًا شديدًا ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿بِئْسَمَا﴾ أي: بئس خلافة ﴿خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ أي: بعد ذهابي خلافتكم هذه، حيث كفرتم بإشراككم، يقال: خلفه بخير أو شر إذا فعل بأهله بعده أحدهما ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ يقال: عجل عن الأمر إذا تركه تامًا غير ناقص والأمر انتظار موسى مع حفظ عهده وما وصاهم به مدة الأربعين ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾ التي فيها التوراة كان حاملاً لها فألقاها على الأرض غضبًا لربه فتكسرت ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ﴾ بذوآبته بيمينه وبلحيته بشماله ﴿أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ وكان ذلك من شدة غضبه وظن أن هارون فرط ﴿قَالَ﴾ أي: هارون ﴿ابْنَ أُمَّ﴾ قرأ الكسائي وخلف وأبو بكر وابن عامر هنا

وفي طه بكسر الميم يريد: «ابن أمي»، وقرأ الباقون بالفتح وخصها مع كونه شقيقًا للتعطف والترحم ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي﴾ أي: عبدة العجل ﴿وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ أي: هموا بذلك وقاربوه ﴿فَلَا تُشْمِتْ﴾ تفرح ﴿بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾ بفعلك ما هو مناهم من استهانة بي ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ بعبادة العجل في المؤاخذة.

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ (١٥١) إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ (١٥٢) وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٥٣) وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (١٥٤) وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ (١٥٥) ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) ﴾ [الأعراف: ١٥١ - ١٥٦].

فلما اعتذر له ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ﴾ [الأعراف: 151] ما صنعت ﴿لِي وَلِأَخِي﴾ فأرضى أخاه وأظهر للأعداء رضاه عنه دفعًا للشماتة ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ [الأعراف: 152] إلهًا ﴿سَيَنَالُهُمْ﴾ يصل إليهم ﴿غَضَبٌ﴾ عذاب ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فعذبوا بالأمر بقتل أنفسهم وضربت عليهم الذلة إلى يوم القيامة، وأخرجوا من ديارهم غرباء أذلاء ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ على الله بالإشراك وغيره.

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا﴾ [الأعراف: 153] رجعوا عنها ﴿مِنْ بَعْدِهَا

وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي: بعد التوبة أو السيئات والتوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ﴾ [الأعراف: 154] التي كان ألقاها قبل وكان ذهب ستة أسباعها وبقى سبع فيه الأحكام ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ أي: ما نسخ فيها أي: كتب ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ يخافون ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ [الأعراف: 155] أي: من قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ ممن لم يعبدوا العجل بأمره تعالى ﴿لِمِيقَاتِنَا﴾ للوقت الذي وعدنا بإتيانهم فيه ليعتذروا من عبادة أصحابهم العجل وقيل كلهم عبدوا فاختارهم؛ ليعتذروا عن أنفسهم وعن غيرهم فخرج ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الصيحة أو الزلزلة الشديدة، قال ابن عباس: لأنهم لم يزايلوا قومهم حين عبدوا العجل ﴿قَالَ﴾ وهم غير الذين سألوا الرؤية وأخذتهم الصاعقة، وقيل هم: السائلون فيها وسببه سؤالهم رؤية الله جهرة قال: ﴿رَبِّ﴾ مالك أمري ومصلحه ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل عبادة العجل، أو قبل خروجي بهم ليعاين بنو إسرائيل ذلك ولا يتهموني وهو أنسب ﴿وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ استفهام استعطاف ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي: الفتنة التي وقع فيها السفهاء ﴿إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ ابتلاؤك واختبارك ﴿تُضِلُّ بِهَا﴾ بالفتنة ﴿مَنْ تَشَاءُ﴾ إضلاله فيقع فيها ﴿وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ هدايته فيتجنبها ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾ ناصرنا على عدونا وحافظنا ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ * وَاكْتُبْ﴾ [الأعراف: 155 - 156] أوجب ﴿لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ﴾ حسنة ﴿إِنَّا هُدْنَا﴾ تحركنا أو جئنا أو آتينا أو رجعنا ﴿إِلَيْكَ قَالَ﴾ تعالى ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ﴾ عمَّت ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ البر والفاجر في الدنيا وتختص في الآخرة بالمؤمنين ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ أي: أجعلها في الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الكفر ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ ولما نزلت ظنوا أنها لهم فخصص الله ذلك بهذه الأمة.

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ

مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٧ - ١٥٩].

فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: 157] الذي لا يحسن الخط ولا الكتاب محمد ﷺ ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ باسمه وصفته ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وهو الإيمان وكل خير ﴿وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وهو الشرك وكل شر ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ مما حرم في شرعهم أو مما حرموه على أنفسهم في الجاهلية من الحام ونحوه ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ كالميتة ونحوها ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ بالإفراد إلا ابن عامر فبالجمع أي: أثقالهم ﴿وَالْأَغْلَالَ﴾ الأثقال أو الشدائد ﴿الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على بني إسرائيل كقتل النفس في التوراة وقطع أثر النجاسة ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ منهم ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ وقروه ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ في الحروب ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ وهو القرآن ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * قُلْ﴾ [الأعراف: 157 - 158] خطاب للنبي ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ وهذه من خصائصه إذا كان النبي يبعث لقومه خاصة ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ وهي ما نزل عليه وعلى من سبقه من الرسل ﴿وَاتَّبِعُوهُ﴾ أي: الرسول ﷺ ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ترشدون.

﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾ [الأعراف: 159] جماعة ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس إلى الله ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بكلمته ﴿وَبِهِ﴾ أي: بالحق ﴿يَعْدِلُونَ﴾ في أمورهم وأحكامهم.

﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ

وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٠ - ١٦٢].

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ﴾ [الأعراف: 160] فرقناهم بني إسرائيل ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا﴾ أي: قبائل ﴿أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾ في التيه ﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ فضربه ﴿فَانْبَجَسَتْ﴾ انفجرت ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ لكل سبط عين ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ سبط منهم ﴿مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ في التيه ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا﴾ أي: وقلنا لهم: كلوا ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ حلالات ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يرجعون وبال ذلك إليهم.

﴿وَ﴾ [الأعراف: 161] اذكر ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا﴾ أمرنا ﴿حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ أي: باب القرية ﴿سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ﴾ بجمع تكسير لأبي عمرو ولابن عامر «خطيتكم» بالإفراد ورفع الباء، والباقون «خطياتكم» بجمع السلامة والمدنيان ويعقوب برفع الياء والباقون بكسرها ﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: على ما ذكر من الخيرات بالطاعة ثوابًا ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.

﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ

يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٣ - ١٦٧].

﴿وَاسْأَلْهُمْ﴾ [الأعراف: 163] سؤال توبيخ ﴿عَنِ﴾ أهل ﴿الْقَرْيَةِ﴾ هل هي طبرية الشام أو إيلة بين مدين والطور أو مدين؟ أقوال، أقربها الثاني ﴿الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ قريبة منه راكبة لشاطئه وهو بحر القلزم أي: ما وقع بأهلها ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ يعتدون ﴿فِي السَّبْتِ﴾ بصيد السمك المأمورين بتركه ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾ سمكهم ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ ظاهرة على الماء متتابعة ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ لا يعظمون سبتهم أي: بقية أيامهم ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ ابتلاء من الله ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل هذا البلاء ﴿نَبْلُوهُمْ﴾ نختبرهم ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ أي: بسبب فسقهم؛ ولما صادوا السمك افترقت القرية أثلاثًا: ثلث صادوا معهم، وثلث نهوهم، وثلث أمسكوا عن الصيد والنهي.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ﴾ [الأعراف: 164] جماعة ﴿مِنْهُمْ﴾ أي: من أهل القرية لم تصدوا لم تنه لمن نهي ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا﴾ موعظتنا أو قولنا ذلك ﴿مَعْذِرَةً﴾ نعتذر بها ﴿إِلَى رَبِّكُمْ﴾ أي: الأمر بالمعروف واجب علينا فعلينا موعظتهم عذرًا إلى الله؛ لئلا تنسب إلى التقصير في ترك النهي، وقرأ حفص بالنصب ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: فعلناه للقدر وللطمع في تقواهم ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ [الأعراف: 165] أي: لما ترك أهل القرية ﴿مَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا ﴿بِهِ﴾ من الفرقة الصالحة فلم يرجعوا ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالاعتداء ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ شديد، قرأ ابن عامر إلا الدجواني عن هشام بكسر الباء وهمزة ساكنة بعدها والمدنيان والمذكور عن هشام مثله إلا أنهم أبدلوا الهمزة ياء، وروى الجمهور عن أبي بكر عن يحيى بن آدم عنه بفتح الباء ثم بإسكانه ثم همزة مفتوحة على وزن فيعل، وروى غيرهم عنه بفتح الباء وكسر الهمزة وياء بعدها على وزن فعيل ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْا﴾ [الأعراف: 165 - 166] تكبروا ﴿عَنْ﴾ ترك ﴿مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا

لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ صاغرين فكانوا كذلك، وهذا تفصيل لما مرَّ قبله، وأما الفرقة الساكتة فلم تهلك؛ لأنها كرهت ما فعلوه، وقالت: ﴿لِمَ تَعِظُونَ...﴾ إلى آخره قاله ابن عباس وعكرمة.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ [الأعراف: 167] تفعل من الإيذان وهو الإعلام ﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾ أي: ليسلطن ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: اليهود ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ﴾ يكلفهم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أشده بالذل وأخذ الجزية فبعث عليهم سليمان وبعده بختنصر فقتلهم وسباهم وضرب عليهم الجزية فكانوا إلى المجوس حتى جاء الإسلام فضربها ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بهم.

﴿ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٨ - ١٧٣].

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ﴾ [الأعراف: 168] رزقناهم وفرقناهم ﴿فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ فرقًا ﴿مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ﴾ وهم المؤمنون ﴿وَمِنْهُمْ﴾ من أدرك رسول الله ﷺ وآمن به ومنهم ناس ﴿دُونَ ذَلِكَ﴾ وهم من بقى على الكفر ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ﴾ اختبرناهم ﴿بِالْحَسَنَاتِ﴾ الخصب والعافية ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾ ضدها ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن فسقهم ﴿فَخَلَفَ مِنْ

﴿بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [الأعراف: 169] وهم من كان في زمنه ﷺ ولم يؤمن به، والخلف القرن بعد القرن ﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ التوراة أي: انتقل إليهم عن آبائهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ﴾ متاع أو حطام ﴿هَذَا الْأَدْنَى﴾ أي: هذا الشيء الذي من الرشا في الدنيا من حلال وحرام وهو تحقير لما أخذوه، وهو إما من الدنو بمعنى القرب؛ لأنه عاجل، أو من الدناءة ﴿وَ﴾ مع ذلك ﴿يَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ما فعلناه ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ لشدة حرصهم على الدنيا الفانية، وليس في كتابهم أن المغفرة للمُصر ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا﴾ قرأوا ﴿مَا فِيهِ﴾ أي: ما في الكتاب فلا عذر لهم في الكذب ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الحرام ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنها خير فيؤثرونها على الدنيا استفهام توبيخ وإنكار لأن يكون لهم عقل كامل مع ذلك.

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾ [الأعراف: 170] بكسر السين مخففة بعد ميم ساكنة قبلها ياء مفتوحة لأبي بكر، والباقون بضم وفتح الميم وكسر السين مشدة ﴿بِالْكِتَابِ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ خصت تشريفًا لها؛ لأنها أفضل عبادات البدن ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ * وَ﴾ [الأعراف: 170 - 171] اذكر ﴿إِذْ نَتَقْنَا﴾ قلعنا أو رفعنا أو علقنا؟ أقوال متقاربة ﴿الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ وهو كل شيء أظل من سقف ونحوه ﴿وَظَنُّوا﴾ علموا ﴿أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ ساقط عليهم بوعد الله إياهم وقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة كما مرَّ وقلنا لهم ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ أي: اعملوا به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * وَ﴾ [الأعراف: 171 - 172] اذكر ﴿إِذْ﴾ حين ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بالجمع،وقرأ ابن كثير والكوفيون «ذريتهم» هنا والثاني في الطور وفي يس بلا ألف وفتح التاء وافقهم أبو عمرو في يس، والباقون بألف وكسر التاء في الثلاثة والمعنى أنه أخرجهم من أصلاب آبائهم بعضهم من بعض الأبناء من الآباء على الترتيب كالذر بنعمان يوم عرفة ونصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلاً ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: بإقرارهم بمقتضى قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ فأقروا بذلك ﴿شَهِدْنَا﴾ بذلك أما من كلام الله أي: شهدنا عليهم بذلك أو من كلامه إخبارًا عنهم بأنهم قالوه أو أنه من كلام الملائكة يعني أنهم لما أقروا أشهد الملائكة، فقالوا: شهدنا ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ أي: أشهدهم على أنفسهم لئلا يقولوا أو كراهية أن يقولوا ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا﴾ التوحيد أو

الميثاق ﴿غَافِلِينَ﴾ لا نعرفه، وعدم الذكر للميثاق لا يقتضي إسقاط الحجة؛ لأن الصادق إذا أخبر لزم اعتقاد صدقه ولكنه تعالى فعل ذلك لتأكيد إقامة الحجة وكان ذلك قائم مقام ذكره في النفوس.

﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ [الأعراف: 173] من قبلنا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ فاقتدينا بهم ﴿أَفَتُهْلِكُنَا﴾ تعذبنا ﴿بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ من آبائنا من الشرك، والمعنى أنهم لا يمكنهم الاحتجاج بذلك مع إشهادهم السابق.

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٤ - ١٨٠].

﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ [الأعراف: 174] نبينها مثل ما بينا الميثاق يتدبرونها ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ من الكفر إلى التوحيد ﴿وَاتْلُ﴾ [الأعراف: 175] يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: على اليهود ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ أي: من الآيات بأن خرج عنها كما تخرج الحية من جلدها، وهل هو بلعم بن باعوراء من علماء بني إسرائيل سُئل أن يدعو على موسى وأهدى إليه شيء فدعى فانقلب عليه واندلع لسانه على صدره، أو أمية ابن الصلت الشقي، أو راهب بن مسجد الشقاق أو فرعون،

والآيات آيات موسى؟ أقوال، أصحها الأول ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: لحقه وأدركه وصار قرينًا له أو أتبعه خطواته ﴿فَكَانَ﴾ صار ﴿مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الضالين.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾ [الأعراف: 176] أي: أعليناه إلى منازل الأبرار الصالحين ﴿بِهَا﴾ بأن نوفقه للعمل ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ﴾ مال وسكن ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي: الشهوات الدنية الفانية ومال إليها ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ رأيه الفاسد في دعائه إليها فوصفناه ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾[1] بالطرد والزجر ﴿يَلْهَثْ﴾ يدلع لسانه ﴿أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ وليس غيره من الحيوانات كذلك فشابه هذا الكافر الكلب في حالتيه لاهثًا ذليلاً بكل حال، والمراد الشبيه في الصفة والخسة بقرينه قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ المثل ﴿مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ﴾ أي: هذا وغيره على اليهود ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَاءَ﴾ [الأعراف: 176 - 177] بئس ﴿مَثَلًا الْقَوْمُ﴾ أي: مثل القول ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ بالتكذيب ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ [الأعراف: 178 - 179] خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ وهم الذين حقت عليهم كلمة العذاب فصلوا فلا يؤمنون ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ أي: لا يعلمون بها خيرًا ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ طريق الهدى ودلائل القدرة بصر اعتبار ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ مواعظ القرآن سماع

---

(1) الحكمة لم يحملها وإن تركته لم يحملها كصفة الكلب إن كان مطرودًا لهث وإن كان رابضًا لهث قاله ابن عباس، وقيل: شبه المتهالك على الدنيا في قلقه واضطرابه على تحصيلها ولزومه ذلك بالكلب في حالته هذه التي هي ملازمة له حالة تهييجه وتركه وهي كونه لا يزال لا هنا وهي أخس أحواله وأرذلها كما أن المتهالك على الدنيا لا يزال تعبًا قلقًا في تحصيلها قال الحسن هو مثل المنافق لا ينيب إلى الحق دعي أو لم يدع أعطي أو لم يعط كالكلب يلهث طردًا وتركًا، وفي كتاب «الحيوان» دلت الآية على أن الكلب أخس الحيوان وأذله لضرب الخسة في المثل به في أخسّ أحواله ولو كان في جنس الحيوان ما هو أخس من الكلب ما ضرب المثل إلا به، قال ابن عطية: وقال الجمهور إنما شبه في أنه كان ضالاً قبل أن يؤتى الآيات ثم أوتيها أيضًا ضالاً لم تنفعه فهو كالكلب في أنه لا يفارق اللهث في حال حمل المشقة عليه أو تركه دون حمل عليه، وقال السدّي وغيره هذا الرجل خرج لسانه على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب، وقال الزمخشري: وكان حق الكلام أن يقال: «ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض» فحططناه ووضعنا منزلته فوقع قوله: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ موقع فحططناه أبلغ حط؛ لأن تمثيله بالكلب في أخسّ أحواله وأرذلها في معنى ذلك.

تدبر واتعاظ ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾[1] في عدم الفقه والبصر والاستماع ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ من الأنعام؛ لأن الأنعام لا تقدم على الضار بل يطلب النافع وتهرب من الضار لما خلق الله لها من التمييز وهؤلاء يقدمون على الضار ويتركون النافع ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ عن الحق وعن صلاح أنفسهم وعن آيات الله تعالى.

﴿وَلِله الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: 180] التسعة والتسعون وهي تأنيث الأحسن كالكبرى والصغرى ﴿فَادْعُوهُ﴾ سموه ﴿بِهَا﴾ أو سلوه ﴿وَذَرُوا﴾ اتركوا ﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ يميلون، قرأه بفتح الياء والحاء حمزة هنا وفي النحل وفصلت وافقه الكسائي وخلف في النحل، والباقون بضم الياء وكسر الحاء في الثلاثة ﴿فِي أَسْمَائِهِ﴾ بأن يسمعون غيره بها أو يقترحون له أسماء لا يليق به كأبي المسيح ونحوه، أو يشتقون منها أسماء لآلهتهم كاللات من الله، والعزة من العزيز، ومناة من المنان ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهذا قبل الأمر بالقتال.

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ

(1) في عدم الفقه والإبصار للاعتبار والاستماع للتدبر أو في أن مشاعرهم وقواهم متوجهة إلى أسباب لتعيش مقصورة عليها. والأنعام جمع نعم بالتحريك وقد يسكن عينه وهي الإبل والشاة أو خاص بالإبل كذا في القاموس ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ بل للإضراب وليس إبطالا بل هو انتقال من حكم وهو التشبيه بالأنعام إلى حكم وهو كونهم أضل من الأنعام طريقا فإنها تدرك ما يمكن لها أن تدرك من المنافع والمضار وتجهد في جلبها ودعها غاية جهدها وهو ليسوا كذلك وهي بمعزل من الخلود وهم يتركون النعيم المقيم ويقدمون على العذاب الخالد وقيل لأنها لا تعرف صاحبها وتذكره وتطيعه وهؤلاء لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه.

كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨١ - ١٨٧].

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ﴾ [الأعراف: 181] عصابة ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ هذا لهذه الأمة فأعطوا ما أعطى من قبلهم وزيادة، والمراد الصحابة والتابعون ومن سلك طريقهم ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأعراف: 182] القرآن من أهل مكة ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ بالنعم ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنه استدراج أو المعنى نجزهم قليلاً إلى ما يهلكهم فكلما جددنا نعمة زادوا وبطروا عن الحق حتى هلكوا أو نأخذهم لذلك.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ [الأعراف: 183] أمهلهم وأطيل مدة عمرهم؛ ليتمادوا في المعاصي ﴿إِنَّ كَيْدِي﴾ أي: أخذي ﴿مَتِينٌ﴾ قوي شديد، وسماه كيد الشبهة به في أنه في الظاهر إحسان والباطن خذلان ﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ﴾ [الأعراف: 184] محمد ﷺ ﴿مِنْ جِنَّةٍ﴾ جنون رد عليهم في قولهم: ﴿لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: 36] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بين الإنذار ﴿أَوَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 185] بيان لما فيستدلوا به على وحدانية الله وقدرته؛ لأنه خالقه ﴿وَ﴾ في ﴿أَنْ﴾ أصله وفي أن ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ﴾ قرب ﴿أَجَلُهُمْ﴾ موتهم فيموتوا كفارًا فيصيروا للنار فيبادروا للإيمان ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ﴾ أي: كتاب ﴿بَعْدَهُ﴾ أي: القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ * مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ﴾ [الأعراف: 185 - 186] قرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر بالنون، والباقون بالياء، وحمزة والكسائي وخلف بجزم الراء، والباقون بالرفع ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون حائرين.

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ [الأعراف: 187] أي: أهل مكة وقيل اليهود ﴿عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ﴾ متى ﴿مُرْسَاهَا﴾ وقت قيامها ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾ متى يكون ﴿عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا﴾ يكشفها ويظهرها ﴿لِوَقْتِهَا﴾ أي: فيه ﴿إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ﴾ عظمت أو ثقل عليها ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لهولها ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾ أي: مبالغ والسؤال ﴿عَنْهَا﴾ حتى علمتها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ

ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٨ - ١٩٣].

﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا﴾ [الأعراف: 188] أجلبه ﴿وَلا ضَرًّا﴾ أدفعه، نزلت لأنهم قالوا للنبي ﷺ: ألا يخبرك ربك بالذي يرتفع سعره فنشتريه لنربح إذا غلا؟ فأخبرهم: أنه لا يملك لنفسه شيئًا ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ ما غاب عني ﴿لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ لاحترازي عنه باجتناب المضار ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: 188 - 189] حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ يأنس بها ويألفها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ واقعها وجامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ عليها وهو النطفة ﴿فَمَرَّتْ﴾ استمرت ﴿بِهِ﴾ ذاهبة جائية لخفته ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾ بكبر الحمل في جوفها وأشفقا أن يكون بهيمة ﴿دَعَوَا﴾ أي: آدم وحواء ﴿اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا﴾ ولدًا ﴿صَالِحًا﴾ أي: بشرًا سويًا مثلنا ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لك عليه.

﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا﴾ [الأعراف: 190] ولدًا ﴿صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾ قرأ المدنيان بكسر الشين وإسكان الراء منونًا بلا مد ولا همز أي: حظًا ونصيبًا مما أعطاهما وهو التسمية بعبد الحرث، والباقون بضم الشين وفتح الراء والمد أي: جعلا له شريكًا ﴿فِيمَا آتَاهُمَا﴾ وكان إبليس لعنه الله يأتي إليهما ويقول لهما: سمياه بعبد الحرث ليسهل خروجه ويعيش فقرهما حتى فعلا ذلك ﴿فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تنزه أن يكون حياة ولدهما على يد غيره وليس ذاك بإشراك في العبودية لعصمة الأنبياء، ولما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال: سميه عبد الحرث فإنه يعيش فسمته

فعاش أو هو عائد على كفار مكة العابدين للأصنام.

﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: 191] به في العبادة ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: مخلوقون ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ [الأعراف: 192] أي: لعابديهم ﴿نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ يمنعون من يريدهم بسوء، والاستفهام للتوبيخ ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ [الأعراف: 193] أي: الأصنام ﴿إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بفتح الياء وإسكان التاء من فوق وفتح الباء الموحدة لنافع هنا وفي ﴿يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ﴾ [الشعراء: 224] في الشعراء، والباقون بفتح الياء والتاء مشددة وكسر الباء الموحدة ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾ أي: الكفار إلى الهدى ﴿أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ ساكتون عن دعائهم فهم لا يؤمنون.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٤ - ١٩٩].

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ [الأعراف: 194] تعبدون وهم الأصنام ﴿مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ﴾ مملوكة ﴿أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ دعائكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنها آلهة تعبد ثم بين غاية عجزهم وفضل عابدهم عليهم بقوله: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: 195] قرأ أبو جعفر بضم الطاء هنا وفي القصص والدخان، والآخرون بكسر الطاء ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ استفهام إنكار أي: لا شيء لهم من ذلك فكيف يعبد الكامل ناقصها ﴿قُلِ﴾ لهم يا محمد ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ إلى هلاكي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ أنتم وهم ﴿فَلَا تُنْظِرُونِ﴾ تمهلون

فإني لا أبالي بكم.

﴿إِنَّ وَلِيِّيَ﴾ [الأعراف: 196] ناصري وحافظي ﴿اللهُ﴾ روى السوسي بخلاف عنه «ولي الله» بحذف إحدى اليائين واللفظ بياء واحدة مشددة، واختلف عنه أيضًا في اللفظ بهذا اللفظ فروى جماعة فتح الياء وروى آخرون كسرها، وعن أبي عمرو والجمهور عنه بياء بين الأولى مشددة مكسورة والثانية مفتوحة خفيفة، وكذا قرأ الباقون ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ أي: ينصرهم، والصالح القائم بحقوق الله وحقوق العباد.

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الأعراف: 197] وهو الأصنام ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ إذا عدى أحد عليكم ﴿وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ إذا عدى أحد عليهم فكيف أبالي بهم ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ [الأعراف: 198] أي: الأصنام ﴿إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ﴾ أي: الأصنام ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أيها الناظر، وأراد به المقابلة كالناظر لا حقيقة النظر؛ ولذلك قال: ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ * خُذِ الْعَفْوَ﴾ [الأعراف: 198 - 199] من أخلاق الناس ولا تبحث عنها وأعمالهم وهو ما سهل من قبول العذر والعفو ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ وهو كل شيء يعرفه الشرع ومنه لا إله إلا الله ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ أبو جهل وصحبه نسخت بآية السيف.

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠ - ٢٠٦].

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ﴾ [الأعراف: 200] يصيبنك ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ وسوسة، وقيل:

أدنى الوسوسة أو المعنى عن ما أمرت به صارف ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللهِ﴾ استجر وامتنع به بدفعه عنك ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ لاستجارتك ﴿عَلِيمٌ﴾ بحالك ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ﴾ [الأعراف: 201] أصابهم ﴿طَائِفٌ﴾ وسوسة، قرأ المدنيان وابن كثير طيف من غير همز ولا ألف، والباقون بألف بعد الطاء ثم همزة قبل الألف أي: شيء ألم بهم ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ طريق الحق فيرجعون.

﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ [الأعراف: 202] أي: إخوان الشياطين ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ يكون الشيطان لهم مددًا وعونًا قرأ المدنيان بضم الياء وكسر الميم، والباقون بفتح الياء وضم الميم ﴿فِي الْغَيِّ﴾ الكفر ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ يكفون عن الإغواء أو لا يكف الكفار عن الشرك أو لا يكفون عن الإغواء ولا الشياطين من الكفار يكفون عن الشرك ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ﴾ [الأعراف: 203] أي: أهل مكة ﴿بِآيَةٍ﴾ مما اقترحوا ﴿قَالُوا لَوْلَا﴾ هلا ﴿اجْتَبَيْتَهَا﴾ افتعلتها وأنشأتها من قبل نفسك ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ فلست بمفتعل ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَصَائِرُ﴾ جمع بصيرة، والمراد القرآن حجج وبراهين ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ [الأعراف: 203 - 204] عن الكلام نزلت في القراءة في الصلاة أي: إذا قرأ الإمام فلا تقرءوا شيئًا غير الفاتحة بل اسمعوا له هذا أصح معانيها، وقيل: هو أمر بالإنصات في الجمع للخطب أو بالإنصات لكل قارئ ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ [الأعراف: 204 - 205] في نفسك أي: سرًا أو المراد به القراءة في الصلاة أو الدعاء ﴿تَضَرُّعًا﴾ تذللاً ﴿وَخِيفَةً﴾ أي: خوفًا منه هذا في الصلاة السر ﴿وَ﴾ فوق السر ﴿دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾[1] هذا في صلاة الجهر أي: لا تجهر جهرًا كبيرًا في خفض وسكون يسمع ذلك من خلفه فقط ﴿بِالْغُدُوِّ﴾ البكر ﴿وَالْآصَالِ﴾ العشيات، والأصيل لغة ما بين العصر إلى المغرب ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ عن ذكر ربك، وقيل: الآية في مطلق

---

(1) لما أمرهم تعالى بالاستماع والإنصات إذا شرع في قراءة القرآن ارتقى من أمرهم إلى أمر الرسول ﷺ أن يذكر ربه في نفسه أي بحيث يراقبه ويذكره في الحالة التي لا يشعر بها أحد وهي الحالة الشريفة العليا، ثم أمره أن يذكره دون الجهر من القول أي يذكره بالقول الخفي الذي لا يشعر بالتذلّل والخشوع من غير صياح ولا تصويت شديد كما تناجى الملوك وتستجلب منهم الرغائب، وكما قال للصحابة وقد جهروا بالدعاء.

الذكر ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: 206] وهم الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لا يتكبرون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ ينزهونه عما لا يليق به بسبحان الله وبحمده ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ أي: يخصونه بالخضوع والعبادة فكونوا مثلهم.

سورة الأنفال(1)

مدنية إلا ﴿وإذ يمكر﴾ الآيات السبع فمكية خمس أو ست أو سبع وسبعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

---

(1) هذه السورة مدنية كلها، قال ابن عباس: إلا سبع آيات أوّلها ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى آخر الآيات، وقال مقاتل غير آية واحدة وهي ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ نزلت في قصة وقعت بمكّة ويمكن أن تنزل الآية بالمدينة في ذلك ولا خلاف أنها نزلت في يوم بدر وأمر غنائمه وقد طول المفسرون الزمخشري وابن عطيّة وغيرهما في تعيين ما كان سبب نزول هذه الآيات وملخّصها: أنّ نفوس أهل بدر تنافرت ووقع فيها ما يقع في نفوس البشر من إرادة الأثَرة والاختصاص، ونحن لا نسمي من أبلى ذلك اليوم فنزلت ورضي المسلمون وسلموا وأصلح الله ذات بينهم واختلف المفسّرون في المراد بالأنفال، فقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وعطاء وابن زيد: يعني الغنائم مجملة قال عكرمة ومجاهد: كان هذا الحكم من الله لدفع الشغب ثم نسخ بقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ وقال أبو زيد لا نسخ إنما أخبر أنّ الغنائم لله من حيث هي ملكه ورزقه وللرسول من حيث هو مبيّن لحكم الله والمضارع فيها ليقع التسليم فيها من الناس وحكم القسمة قاتل خلال ذلك، وقال ابن عباس أيضًا: ﴿الْأَنْفَالِ﴾ في الآية ما يعطيه الإمام لمن أراد من سيف أو فرس أو نحوه، وقال علي بن صالح وابن جني والحسن: ﴿الْأَنْفَالِ﴾ في الآية الخمس، وقال ابن عباس وعطاء أيضًا: ﴿الْأَنْفَالِ﴾ في الآية ما شذّ من أموال المشركين إلى المسلمين كالفرس الغائر والعبد الآبق وهو للنبي ﷺ يصنع فيه ما يشاء، وقال ابن عباس أيضًا: الأنفال في الآية ما أصيب من أموال المشركين بعد قسمة الغنيمة، وهذه الأقوال الأربعة مخالفة لما تظافرت عليه أسباب النزول المروية والجيّد هو القول الأول وهو الذي تظاهرت الروايات به، وقال الشعبي: ﴿الْأَنْفَالِ﴾ الأسرى وهذا إنما هو منه على جهة المثال وقد طول ابن عطية وغيره في أحكام ما ينقله الإمام وحكم السّلب وموضوع ذلك كتب الفقه وضمير الفاعل في ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ ليس عائدًا على مذكور قبله إنما يفسّره وقعة بدر، فهو عائد على من حضرها من الصحابة وكان السائل معلوم معين ذلك اليوم فعاد الضمير عليه والخطاب للرسول ﷺ والسؤال قد يكون لاقتضاء معنى في نفس المسؤول فيتعدى إذ ذاك بعن.

يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأنفال: ١ - ٦].

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ [الأنفال: 1] يا محمد ﴿عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ أي: عن حكم الغنائم؛ لأن المسلمين اختلفوا في غنائم بدر، فقال الشبان: هي لنا لأنا باشرنا القتال، وقال الشيوخ: كنا من ورائكم تحت الرايات فلو انكشفتم لفئتم إلينا فلا تستأثروا بها فنزلت في ذلك ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿الْأَنْفَالُ لِله وَالرَّسُولِ﴾[1] بضعاتها فيما شاء ثم بين مصارفها في قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ [الأنفال: 41] فهي محكمة، وقيل: كانت أولاً له يضعها كيف شاء ولم يبين له مصرف، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَاعْلَمُوا﴾ ولما نزلت الآية قسمها رسول الله ﷺ على السواء ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي: حقيق ما بينكم من المودة وترك النزاع ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ حقًا.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: 2] أي: الكاملون الإيمان ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ﴾ وعيده ﴿وَجِلَتْ﴾ خافت ﴿قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ﴾ وهي القرآن ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ تصديقًا ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فيفوضون الأمر إليه ويتقون به ويرجونه ولا يتقون بغيره ولا يرجونه.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ [الأنفال: 3] أعطيناهم ﴿يُنْفِقُونَ﴾ في الطاعة ﴿أُولَئِكَ﴾ [الأنفال: 4] الموصوفون بما ذكر ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: كاملون

---

(1) الأنفال ها هنا ما آل إلى المسلمين من أموال المشركين، وكان سؤالهم عن حكمها، فقال الله تعالى: قُلْ لهم إنها للهِ مِلْكًا، ولرسوله ﷺ لحُكْمٌ فيها بما يقضى به أمرًا وشرعًا. قوله جلّ ذكره: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي: أجيبوا لأمر الله، ولا تطيعوا دَوَاعِيَ مناكم والحكمَ بمقتضى أحوالهم، وابتغوا إيثارَ رضاء الحقِّ على مراد النَّفْس، وأصلحوا ذات بَيْنِكم، وذلك بالانسلاخ عن شُحِّ النَّفْس، وإيثار حقِّ الغير على مَالَكُم من النصيب والحظِّ، وتنقية القلوب عن خفايا الحَسَد والحقد.

الإيمان ﴿حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ﴾ منازل في الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ حسن في الجنة ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ﴾ [الأنفال: 5] التقدير الأنفال لله وإن كرهوا ﴿رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ وإن كرهوا، أو امض أمر الله فيها وإن كرهوا ما مضيت أمره في الخروج وإن كرهوا وهذه الحالة في كراهتهم لها مثل إخراجك في حال كراهتهم له، وقد كان خيرًا لهم فكذلك هذا أيضًا فكذلك هذا أيضًا، أو ذلك أن أبا سفيان أقدم بعير من الشام فخرج ﷺ وأصحابه ليغنموها فعلمت قريش فخرج أبو جهل ومقاتلة مكة ليذبوا عنها وهم النضير، وأخذ أبو سفيان بالبعير طريق الساحل فنجا، فقيل لأبي جهل: ارجع فأبى وسار إلى بدر فشاور ﷺ أصحابه، وقال: إن الله وعدني إحدى الطائفتين، فوافقوا على قتال النضير وكره بعضهم ذلك، وقالوا: ألم نستعد له كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا﴾ طائفة ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ ومنهم أبو أيوب الأنصاري، ومن الذين لم يكرهوا المقداد ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ [الأنفال: 6] وهو القتال ﴿بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ ظهر لهم ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ إليه عيانًا في كراهتهم له[1].

---

(1) الموت قبل الوصول إلى مكانه، وذلك أن عير قريش فيها أربعون راكبًا وفيهم أبو سفيان أقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة، فأخبر جبريل رسول الله - عليهما السلام - فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقيها؛ لكثرة المال وقلة الرجال، فلما خرجوا بلغهم الخبر فبعثوا إلى مكة ضمضم بن عمرو فصرخ ببطن الوادي يا معشر قريش، هذه أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه الغوث الغوث فمضوا إلى بدر، وكان ﷺ بوادي «دقران» فنزل عليه جبريل بعدة إحدى الطائفتين، فاستشار رسول الله ﷺ أصحابه، فقال بعضهم: هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له إنما خرجنا للعير، فقال: إن العير مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل، فقالوا: يا رسول الله، عليك بالعير ودع العدو، فغضب ﷺ، فقال المقداد بن عمرو: يا رسول الله، امض لما أمرك الله فإنا معك حيثما أحببت لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 24]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد - مدينة بالحبشة - لجالدنا معك من دونه، فقال ﷺ له خيرًا ودعا له. ثم قال ﷺ أشيروا علي أيها الناس - يريد الأنصار - القائلين له حين بايعوه على العقبة أنهم براء ممن كل ذمامه حتى يصل إلى ديارهم، فتخوف ألَّا يروا نصره إلا على عدو دهمه بالمدينة، فقال سعد بن معاذ: فكأنك تريدنا يا رسول الله، قال: أجل، قال: قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض لما أمرت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضنا معك ما تخلف عنك منَّا رجل واحد، وما نكره أن تلقي بنا عدونا غدًا إنا لصبر عند الحرب وصدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، ففرح رسول الله ﷺ ونشطه قول سعد، ثم قال:
=

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٧ - ١٢].

﴿وَ﴾ [الأنفال: 7] اذكر ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ أي: إما أبا سفيان وأصحابه الذين معهم التجارة، أو أبو جهل وأصحابه الذين وقع معهم الحرب ﴿أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ﴾ تريدون ﴿أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾ فرقة أبي جهل أو الشوكة الشدة والقوة ويقال السلاح ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ لقلة العدد والعدد فيها ﴿وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ السابقة بظهور الإسلام ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ من كفار العرب أي: يستأصلهم فلا يبقى منهم أحد فأمركم بقتال النضير ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ [الأنفال: 8] وهو دين الإسلام ﴿وَيُبْطِلَ﴾ يمحق ﴿الْبَاطِلَ﴾ وهو دين الكفر ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون ذلك وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [الأنفال: 9] تستجيرون به من العدو وتسألونه الغوث والنصر ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ المستغيث هو النبي ﷺ في العريش ومعه أبو بكر ﴿أَنِّي

=

سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله وعدني الآن إحدى الطائفتين، فوالله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم، فهذه كراهتهم للقتال. [تبصير الرحمن 582/1] بتحقيقنا.

﴿مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ بفتح الدال للمدنين ويعقوب أي: متبعين بالمسلمين مددًا لهم، والباقون بكسر الدال أي: متتابعين بعضهم في أثر بعض وعدهم بها أو لا ثم صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة كما في آل عمران ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ﴾ [الأنفال: 10]، أي: الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً﴾ [الأنفال: 10 - 11] مما حصل لكم من الخوف ﴿مِنْهُ﴾ أي: من الله، قرأ ابن كثير وأبو عمرو «ويغشاكم» بفتح الياء والشين بألف بعدها و«النعاس» رفع على أنه فاعل، وقرأ المدنيان بضم الياء وكسر الشين مخففة وياء بعدها ونصب «النعاس» أي: يغشيكم الله النعاس وكذا الباقون إلا أنهم فتحوا الغين وشددوا الشين ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ من الأحداث والجنابة ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ وسوسته، وذلك يوم بدر لما غلبهم المشركون على الماء فأصبح منهم المحدث والجنب على كثيب من رمل تسوخ فيه الأقدام، فوسوس لهم الشيطان فقال: تزعمون إنكم على الحق وتضلون على حالكم والماء لأعداءكم فكيف تظنون الظفر عليهم فنزل مطر عظيم وأذهب كيده.

﴿وَلِيَرْبِطَ﴾ [الأنفال: 11] يحس ﴿عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ باليقين ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ بالصبر والقوة أو على الكثيب إن تسوخ في الرمل ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ﴾ [الأنفال: 12] اليوم ﴿إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ الذين أمد بهم المسلمين ﴿أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصر ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قووا قلوبهم بحضوركم معهم القتال والإعانة والبشرى ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ الخوف ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾[1] أعاليها وقيل: أراد الرءوس ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أطراف اليدين والرجلين فكان الرجل يقصد ضرب رقبة الكافر فسقط قبل أن يصل سيفه إليه ورماهم النبي ﷺ بقبضة من الحصى فلم يبق مشرك إلا دخل في عينه منها فهزموا.

---

(1) هذا للمؤمنين أم للملائكة، وقيل: للمؤمنين، أي اضربوا الأعناق، و«فوق» زائدة، قاله الأخفش والضحاك وعطية، وقد روى المسعودي قال قال رسول الله ﷺ: «**إني لم أبعث لأعذب بعذاب الله وإنما بعثت بضرب الرقاب وشد الوثاق**»، وقال محمد بن يزيد: هذا خطأ، لأن « فوق» تفيد معنى فلا يجوز زيادتها، ولكن المعنى أنهم أبيح لهم ضرب الوجوه وما قرب منها، وقال ابن عباس: كل هام وجمجمة، وقيل: أي ما فوق الأعناق، وهو الرؤوس، قال عكرمة، والضرب على الرأس أبلغ، لأن أدنى شيء يؤثر في الدماغ.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأنفال: ١٣ - ١٩].

﴿ذَلِكَ﴾ [الأنفال: 13] العذاب الواقع بهم ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿شَاقُّوا﴾ خالفوا ﴿اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * ذَلِكُمْ﴾ [الأنفال: 13 - 14] أي: العذاب المذكور ﴿فَذُوقُوهُ﴾ أيها الكفار عاجلاً في الدنيا ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابَ النَّارِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا﴾ [الأنفال: 14 - 15] مجتمعين متراحمين بعضهم إلى بعض ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ أي: لا تهزموا ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ [الأنفال: 16] أي: يوم القيامة ﴿دُبُرَهُ﴾ ظهره ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾ منعطفًا ﴿لِقِتَالٍ﴾ يرى الانهزام وقصده طلب أن يغرهم ويكرّ عليهم ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا﴾ منضمًا وصائرًا ﴿إِلَى فِئَةٍ﴾ جماعة من المؤمنين، يريد القتال يستنجد بها ونحوه ﴿فَقَدْ بَاءَ﴾ رجع ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع هي.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ [الأنفال: 17] أي: إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ببدر بقوتكم، نزلت؛ لأنهم لمَّا رجعوا من بدر كان الواحد يقول: أنا قتلت فلانًا، والآخر يقول: قتلت فلانًا ﴿وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ﴾ ونسبة القتل إلى الله إمَّا لقتل الملائكة لهم، أو لأنه الفاعل بالحقيقة، ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ يا محمد أعين القوم ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ بالحصى؛ لأن

كفًا من الحصى لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر، ﴿وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ بإيصال ذلك إليهم، وقيل: إن النبي ﷺ رمى بثلاث حصيات يوم بدر واحدة في الميمنة، وأخرى في الميسرة، وحصاة بني أظهرهم، وقال: شاهت الوجوه فانهزم القوم، ولم يبق أحد إلا تشاغل بعينيه، ووصلهما الرمي، وفعل الله ذلك ليقهر الكافرين، ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعطيهم ﴿مِنْهُ بَلَاءً﴾ عطاء ﴿حَسَنًا﴾ بالنصر والغنيمة والثواب الكثير، ﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿ذَلِكُمْ﴾ [الأنفال: 18] الإبلاء حق ﴿وَأَنَّ اللهَ مُوهِنُ﴾ مضعف ﴿كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ قرأ المدنيان وابن كثير وأبو عمرو: موهن بتشديد الهاء والتنوين، وخفض كيد، والباقون بالتخفيف والتنوين والنصب.

﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا﴾ [الأنفال: 19] أي: تدعوا أيها الكفار وتطلبوا الفتح؛ أي: القضاء، حيث قال أبو جهل: اللهم اقطعنا للرحم اجنه على نفسه ﴿فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ القضاء بهلاك من هو كذلك وهو أبو جهل، ومن قتل معه دون الأنبياء والمؤمنين ﴿وَإِنْ تَنْتَهُوا﴾ عن الكفر وقتال النبيّ ﷺ وصحبه ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا﴾ لحربه ﴿نَعُدْ﴾ بمثل الوقعة التي وقعت ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ﴾ تدفع ﴿عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ﴾ جماعتكم ﴿شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ﴾ بفتح الهمزة لابن عامر وحفص والمدنيين، والباقون بالكسر ﴿اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ

وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٠ - ٢٦].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا﴾ [الأنفال: 20] تعرضوا ﴿عَنْهُ﴾ بمخالفة أمره ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ مواعظ القرآن.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: 21] أي: سمعوا بآذانهم وهم لا يسمعون، فهو سماع كالسماع؛ لانتفاء التدبر والاتعاظ، وهم المنافقون أو المشركون.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ [الأنفال: 22] جمع دابة وهي: كل ما دب على وجه الأرض، ﴿عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ﴾ عن سماع الحق ﴿الْبُكْمُ﴾ عن النطق به ﴿الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ وهم نفر من بني عبد الدار، ويلحق بهم من في معناهم.

﴿وَلَوْ عَلِمَ الله فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [الأنفال: 23] صلاحًا بسماع الحق ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ سماع تفهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ فرضًا، بعدما علم أنه لا خير فيهم ﴿لَتَوَلَّوْا﴾ عنه ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن قبوله عنادًا وجحودًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا﴾ [الأنفال: 24] أجيبوا ﴿لِله وَلِلرَّسُولِ﴾ أي: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ وهو الإيمان والقرآن ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ الله يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ فيمنعه من الإيمان، ويمنعه من الكفر، فكل ميسر لما خلق له ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾ [الأنفال: 25] إن أصابتكم ﴿لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ بل تعم الظالم وغيره، واتقاؤها باجتناب موجبها ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالفه.

﴿وَاذْكُرُوا﴾ [الأنفال: 26] خطاب للمهاجرين من أصحاب النبيّ ﷺ ﴿إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ في العدد ﴿مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة في ابتداء الإسلام ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ أي: يذهب بكم كفار مكة، أو كفار العرب، أو فارس والروم بسرعة ﴿فَآوَاكُمْ﴾ المدينة ﴿وَأَيَّدَكُمْ﴾ قوّاكم يوم بدر ﴿بِنَصْرِهِ﴾ لكم بالملائكة ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ من الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ

تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٧ - ٣٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا الله وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ [الأنفال: 27] وهو ما ائتمنتم عليه من الدين وغيره ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أن الله نهى عن ذلك، نزلت إمَّا لأن بعضهم كان يفشي سرّ رسول الله ﷺ إلى المشركين، أو في أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاري كان له مال وأولاد عند قريظة فأراد النبي ﷺ أن ينزلهم على حكم سعد بن معاذ فقالوا: أرسل لنا أبا لبابة، فأرسله فاستشاروه فيما بلغهم من النزول على حكم سعد، فأشار إليهم أنه الذبح؛ لأن عياله وماله فيهم، ثم علم في محله فورًا أنه خان الله ورسوله فتاب وقبل الله توبته.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: 28] بلاء من الله ابتلاكم به ليعلم من يقدم الله على ذلك ممن يقدم ذلك عليه، فهو صاد عن أمر الآخرة إلا في حق من حفظ ﴿وَأَنَّ الله عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لمن نصح لله ولرسوله وأدى الأمانات فلا تفوتوه رعاية لأحد.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا الله يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: 29] فاصلاً بين الحق والباطل، أو بينكم وبين من تخافون فتنجوا ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ بمحو ما سلف من ذنوبكم ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَالله ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿وَ﴾ [الأنفال: 30] اذكر يا محمد ﷺ ﴿إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهذا تذكير

لهم وهم بالمدينة لما كان بمكة ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ يوقفوك ويحبسوك ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ قتلة رجل واحد ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكة ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ بك ﴿وَيَمْكُرُ اللهُ﴾ بهم؛ أي: يجازيهم بمكرهم، أو هو إليك ما دبروه وأمرك بالخروج ﴿وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أي: مكره أنفذ من مكر غيره، نزلت في قوم اجتمعوا في دار الندوة عتبة وشيبة أبناء ربيعة، وأبو سفيان وآخرون، فاستشاروا بعضهم في أمر النبي ﷺ فأشار أبو جهل بأخذ كل فتى من قريش سيفًا، ثم يضربونه به ضربة واحدة، فيذهب ولا يمكن أهله ﷺ أن يقوموا بقتال قريش كلهم فيأخذون الدية، وأشار غيره: تحسبه، وأشار البعض: بإخراجه من مكة، فنجّاه الله تعالى من ذلك بأن خرج من مكانه ولم يروه ﷺ.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [الأنفال: 31] أي: على كفار قريش ﴿آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ قاله النضر بن الحارث؛ لأنه كان يأتي الحيرة يتجر فيشتري كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿إِلَّا أَسَاطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ التي يسطرونها في كتبهم.

﴿وَإِذْ قَالُوا﴾ [الأنفال: 32] قاله النضر أيضًا: ونسبه إلى الكل فيهما؛ لرضاهم به ﴿اللهمَّ إِنْ كَانَ هَذَا﴾ القرآن ﴿هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ كما فعل بقوم لوط ﴿أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم مما عذبت به الأمم على إنكاره.

﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾[1] [الأنفال: 33] بما سألوه ﴿وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ لأن العذاب إذا نزل عمَّ، ولم نعذب أمة إلا بعد خروج نبيها والمؤمنون منها ﴿وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ حيث يقولون في طوافهم: غفرانك غفرانك، وقيل: نسب الاستغفار إليهم؛ لأن المؤمنين المستضعفين بين أظهرهم فلمَّا امتنع العذاب عن الكفار، بسببهم

(1) ولم يجئ التركيب، وما كان الله ليمطر أوليائي بعذاب وتقييد نفي العذاب بكينونة الرسول فيهم إعلام بأنه إذا لم يكن فيهم وفارقهم عذّبهم ولكنه لم يعذبهم إكراماً له مع كونهم بصدد من يعذب لتكذيبهم، قال ابن عطية عن أبي زيد: سمعت من العرب من يقول ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لَيُعَذِّبَهُمْ﴾ بفتح اللام وهي لغة غير معروفة ولا مستعملة في القرآن، وبفتح اللام في «ليعذبهم» قرأ أبو السّمال، وقرأ عبد الوارث عن أبي عمرو بالفتح في لام الأمر في قوله: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ وروى ابن مجاهد عن أبي زيد أن من العرب من يفتح كلّ لام إلا في نحو: الحمد لله، يعني لام الجرّ إذا دخلت على الظاهر أو على ياء المتكلم والظرفية في فيهم مجاز والمعنى: وأنت مقيم بينهم غير راجل عنهم.

صاروا كالمستغفرين؛ إذ أن يقع الاستغفار إليهم ويشهد لذلك قوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: 25].

﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٤ - ٣٨].

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ﴾ [الأنفال: 34] أي: أي شيء مانع من حلول عذابه بهم بالسيف وغيره بعد خروجك والمستضعفين، وعلى القول الأول هي ناسخة لما قبلها، وقد عذبوا ببدر وغيره، ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يمنعون النبي والمؤمنين ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ مسجد مكة أو عن الطواف حول البيت ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ كما زعموا ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ المتقون المؤمنون ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ألَّا ولاية لهم عليه.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ﴾ [الأنفال: 35] الكعبة ﴿إِلَّا مُكَاءً﴾ صفيرًا ﴿وَتَصْدِيَةً﴾ تصفيقًا؛ أي: صيروا ذلك مكان الصلاة المأمور بها ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ ما وقع يوم بدر ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بسببه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ [الأنفال: 36] في حرب النبي ﷺ ﴿لِيَصُدُّوا﴾ ليصرفوا ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ﴾ في عاقبة الأمر ﴿عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ ندامة في الدنيا بفواتها وفوات قصدهم، وندامة في الآخرة ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ في الدنيا، والآية نزلت فيمن أطعم يوم بدر المشركين، ومنهم من آمن كأبي سفيان وحكيم بن حزام،

ومنهم من لم يؤمن كأبي جهل والوعيد له ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم ﴿إِلَى جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿يُحْشَرُونَ﴾ يجمعون ويساقون.

﴿لِيَمِيزَ﴾ [الأنفال: 37] أي: يكون حسرة ليفصل ﴿اللهُ الْخَبِيثَ﴾ الكافر ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ المؤمن ﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي: فوق بعض ﴿فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا﴾ يجمعه ﴿فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ﴾ أي: المنفقون ليصدوا عن سبيل الله ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: 38] كأبي سفيان وأصحابه ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ عن الكفر وقتال النبي ﴿يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ أي: مضى من كل ذنب قبل الإسلام ﴿وَإِنْ يَعُودُوا﴾ إلى كفرهم وقتالهم ﴿فَقَدْ مَضَتْ﴾ خلت ﴿سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: طريقة ماضيهم من إهلاك الكفار ونصر المؤمنين، فكذلك نفعل بهم.

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًاۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٩ - ٤٣].

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ﴾ [الأنفال: 39] توجد ﴿فِتْنَةٌ﴾ شرك ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ وحده ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ عن الكفر ﴿فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء من أسفل لكل

القراء إلا يعقوب فبالتاء من فوق ﴿بَصِيرٌ﴾ فيجازيهم به ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ [الأنفال: 40] عن الإيمان وعادوا للقتال ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ الله مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى﴾ هو ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ أي: الناصر لكم.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾ [الأنفال: 41] أخذتم من الكفار قهرًا ﴿مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِله خُمُسَهُ﴾ يأمر فيه بما شاء ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ وسهم الله وسهم الرسول واحد، وكان لرسول الله ﷺ في حياته، وهو من بعده لمصالح المسلمين فيصرف للعلماء والقضاة ونحوهم ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ وهم أقارب رسول الله ﷺ أي: وسهم لهم، وهم: بنو هاشم، وبنو المطلب المؤمنون ﴿وَالْيَتَامَى﴾ وهو صغير مسلم لا أب له؛ إذا كان فقيرًا ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ جمع مسكين وهو هنا يشمل الفقير ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ هو الفقير المسافر الذي ليس له مال، والأربعة أخماس الباقية؛ أي: يستحقه النبي والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل خمس الخمس، والأربعة أخماس الباقية للجند الذين شهدوا الوقعة بنية القتال للراجل سهم، وللفارس ثلاثة ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ﴾ تقديره: افعلوا ما أمرتم به إن كنتم آمنتم أو المعنى: إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا ذلك وآمنتم بكل ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ محمد ﷺ من الملائكة في الآيات ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ﴾ بدر الفارق بين الحق والباطل يوم ﴿الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ جمع الإسلام وجمع أهل الشرك ﴿وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿إِذْ أَنْتُمْ﴾ [الأنفال: 42] كامنون ﴿بِالْعُدْوَةِ﴾ بكسر العين فيهما في قراءة ابن كثير والبصريين والباقون بالضم وهي: شط الوادي ﴿الدُّنْيَا﴾ وهي الغرباء من المدينة ﴿وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾ البُعدى منها مما يلي مكة ﴿وَالرَّكْبُ﴾ غير أبي سفيان وصحبه كامنون بمكان ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ مما يلي البحر فأسفل ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ﴾ أنتم مع أبي جهل وصحبه للقتال ﴿لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ لقلتكم ولكثرة العدو ﴿وَلَكِنْ﴾ جمعكم الله على غير ميعاد ﴿لِيَقْضِيَ الله أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ في علمه من نصرة الدين وخذلان العدو فعل ذلك ﴿لِيَهْلِكَ﴾ يكفر ﴿مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ أي: بعد حجة واضحة قامت عليه وهي نصر المؤمنين مع قلتهم على الجيش الكثير ﴿وَيَحْيَا﴾ يؤمن ﴿مَنْ حَيَّ﴾ بياء مشددة لكل القراء إلا أبو بكر ويعقوب وخلف والبزي وابن شنون ﴿عَنْ﴾ قنبل والمدنيان بياءين: الأولى مكسورة والثانية مفتوحة على وزن خشي عن ﴿بَيِّنَةٍ﴾ والمراد: يؤمن من آمن بلا ريبة في أن الإيمان حق ﴿وَإِنَّ الله لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

واذكر ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ الله فِي مَنَامِكَ﴾ [الأنفال: 43] نومك ﴿قَلِيلًا﴾ فأخبرت به أصحابك فسرُّوا ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ﴾ جبنتم ﴿وَلَتَنَازَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ في الإقدام ﴿وَلَكِنَّ الله سَلَّمَ﴾ كم من الأمرين الفصل والتنازع ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ما في القلوب.

﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٤ - ٤٨].

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ [الأنفال: 44] أي: وإذ ينصركم إياهم ﴿إِذِ الْتَقَيْتُمْ﴾ أي: للحرب ﴿فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ في أعينكم تصديقًا لرؤى رسول الله ﷺ فكانوا قريب ألف ورآهم المسلمون نحوًا من سبعين أو مائة لتقدموا عليهم ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ ليقدموا ولا يرجعوا عن قتالكم حين قالوا: هؤلاء أكلة جزور، وهذا قبل التحام الحرب فلما التحم أراهم إياهم ﴿مِثْلَيْهِمْ﴾ كما في آل عمران ﴿لِيَقْضِيَ الله أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ من نصركم وخذلانهم ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ﴾ تصير ﴿الْأُمُورُ﴾ في الدنيا والآخرة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ [الأنفال: 45] جماعة من الكفار ﴿فَاثْبُتُوا﴾ لقتالهم ولا تنهزموا ﴿وَاذْكُرُوا الله كَثِيرًا﴾ أدعوه بالنصر ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون بالنصر.

﴿وَأَطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا﴾ [الأنفال: 46] تختلفوا فيما بينكم من أمر الحرب ﴿فَتَفْشَلُوا﴾ تجبنوا ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ نصركم ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ الله مَعَ

﴿الصَّابِرِينَ﴾ بالنصر والعون.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ [الأنفال: 47] ليمنعوا عيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها ﴿بَطَرًا﴾ فخرًا ﴿وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ أي: إظهار للجميل مع وجود القبيح باطنيًا، حيث قالوا: لا نرجع حتى نشرب الخمور وننحر الجزور، وتضرب علينا القيان ببدر فيتسامع بذلك الناس ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ [الأنفال: 48] إبليس ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ لأنه أتاهم في صورة سراقة بن مالك سيد تلك الناحية لمَّا أرادوا بدرًا، وأرادوا التخلف لأجل ما بينهم وبين بني بكر من الحرب فشجعهم على لقاء المسلمين ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ أي: مجير لكم من كنانة ﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ﴾ التقت ﴿الْفِئَتَانِ﴾ المسلمة والكافرة ورأى الملائكة، وكانت يده في يد الحارث ﴿نَكَصَ﴾ رجع ﴿عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ فرجع القهقرى وولى هاربًا ﴿وَقَالَ﴾ أي: الشيطان لمَّا قالوا له: أتخذلنا في هذه الحالة؟ ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾ من جواركم ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ قالوا: رأى جبريل متعممًا ماشيًا آخذًا بلجام فرس رسول الله ﷺ ﴿إِنِّي أَخَافُ اللهَ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٩ - ٥٤].

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [الأنفال: 49] ضعف اعتقاد ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ﴾ المؤمنون ﴿دِينُهُمْ﴾ وقائل ذلك: قوم أسلموا بمكة وكانوا مستضعفين

فلمَّا جاءت وقعة بدر أخرجهم الكفار معهم، فلمَّا رأوا قلة المسلمين ارتدوا وقالوا ذلك ومنهم: قيس بن الوليد بن المغيرة قال تعالى في جوابهم: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ أي: يتق به يغلب ﴿فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ [الأنفال: 50] أي: تعاين وتشاهد ﴿إِذْ يَتَوَفَّى﴾ بتاءين في أوله لابن عامر والباقون بتاء من تحت ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: يقبضون أرواحهم ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ ما أقبل منهم ﴿وَأَدْبَارَهُمْ﴾ أي: ما أدبر منهم بمقامع من حديد، ويقولون لهم: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ النار؛ أي: لو رأيت أمرًا عظيمًا، وهل ذلك يوم بدر يفعلون بها ذلك أو عند انقضاء أجل الكافر؟ قولان: **الأول**: أقرب.

﴿ذَلِكَ﴾ [الأنفال: 51] أي: الضرب والقول المذكورين ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: بسبب الكفر السابق ﴿وَأَنَّ﴾ أي: بأن ﴿اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾ أي: بذي ظلم ﴿لِلْعَبِيدِ﴾.

﴿كَدَأْبِ﴾ [الأنفال: 52] أي: صنع هؤلاء كصنيع ﴿آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أمة نوح ونحوهم ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ﴾ بالعقاب ﴿بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ [الأنفال: 53] أي: الهلاك لمن ذكر ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ﴾ بدلها بالنقمة ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ يبدلوا نعمتهم كفرًا كتبديل كفار مكة إطعامهم من جوع، وأمنهم من خوف، وبعث النبي إليهم فبدلوا ذلك بالكفر والصد عن سبيل الله وقتال المؤمنين ﴿وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿كَدَأْبِ﴾ [الأنفال: 54] كعادة ﴿آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ﴾ قوم ﴿فِرْعَوْنَ﴾ معه ﴿وَكُلٌّ﴾ من الأمم المكذبة ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن

قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأنفال: ٥٥ - ٦١].

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ [الأنفال: 55 - 56] عاهدوا فيها ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ نقض العهد وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله ﷺ ألَّا يعينوا عليه فنكثوا وأعانوا مشركي مكة فلامهم، فقالوا: نسينا ثم عاهدهم فنكثوا وقاتلوا معهم يوم الخندق.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ [الأنفال: 57] تجدنهم ﴿فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ﴾ أنذر أو نكل أو فرق ﴿بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾ من المحاربين بالتنكيل بهم والعقوبة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: الذين خلفهم ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾ يتذكرون ويعتبرون فلا ينقضون العهد.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ﴾ [الأنفال: 58] أي: تعلمن يا محمد ﷺ ﴿مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ أي: من معاهدين نقض العهد بما يظهر إليك منهم من الأمارات كما ظهر من قريظة ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ اطرح إليهم؛ أي: أعلمهم بنقض العهد قبل حربك إياهم ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ مستويًا أنت وهم في العلم بذلك؛ لئلا يتهموك بالغدر إن حاربتهم بدون ذلك.

﴿إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ [الأنفال: 59] بالياء في أوله لأبي جعفر وابن عامر وحمزة وحفص وكذا قرأ ابن عامر وحمزة في النور والباقون بالخطاب ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ أي: فاتوا الله ﴿إِنَّهُمْ﴾ بفتح الهمزة لابن عامر ﴿لَا يُعْجِزُونَ﴾ لا يفوتونه والباقون بكسرها، ونزلت في الذين انهزموا من الكفار يوم بدر؛ أي: لا يظنوا ذلك ولا تظن ذلك.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ [الأنفال: 60] أي: لقتال الكفار ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ من الآلات التي تكون قوة عليهم كالخيل والسلاح، وأعظم ذلك الرمي لقوله ﷺ: «**ألا إن القوة الرمي**»[1] ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ أي: ربطها واقتناؤها للغزو، وكان الصحابة ﷺ

---

(1) رواه مسلم (1522/3، رقم 1917)، وأبو داود (13/3، رقم 2514)، وابن ماجه (940/2، رقم =

يستحبون ركوب الذكور من الخيل عند الصفوف، وإناثها عند البيات والغارات ﴿تُرْهِبُونَ﴾ تخوفون، وروى رويس ترهبون بتشديد الهاء وفتح الراء قبلها، والباقون بالتخفيف ﴿بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿وَ﴾ ترهبون به ﴿آخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ غيرهم، وهل هم بنو قريظة أو كل اليهود أو أهل الفارس أو المنافقون أو كفار الجن؟ أقوال: **أولها**: لمجاهد ومقاتل ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ أجره ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ تنقصون من أجركم شيئًا.

﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾ مالوا ﴿لِلسَّلْمِ﴾ [الأنفال: 61] للصلح، وقرأ السلم بالكسر هنا وفي القتال أبو بكر ووافقه في القتال حمزة وخلف، والباقون بالفتح فيهما ﴿فَاجْنَحْ﴾ فمل ﴿لَهَا﴾ وصالحهم، وهي منسوخة بقوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: 5] وكل أمر بمصالحة الكفار أو تركهم منسوخ ببراءة قاله ابن عباس، وقال مجاهد: هذا مخصوص بأهل الكتاب؛ إذ نزلت في بني قريظة ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٢ - ٦٦].

2813)، والترمذي (270/5، رقم 3083).

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا﴾ [الأنفال: 62] الضمير لقريظة ﴿أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ يغدروك بالصلح يستعدوا لك ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ﴾ كافيك ﴿الله هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ﴾ أي: قوَّاك ﴿بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ هم الأنصار ﴿وَأَلَّفَ﴾ جمع ﴿بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: الأوس والخزرج بعد الضغائن؛ إذ كانت بينهم حروب في الجاهلية فصاروا إخوانًا.

﴿لَوْ أَنْفَقْتَ﴾ [الأنفال: 63] يا محمد ﷺ ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ الله أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ الله﴾ [الأنفال: 64] ﴿وَ﴾ حسب ﴿مَنِ اتَّبَعَكَ﴾ وقيل: وحسبك من اتبعك ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ نزلت؛ لأن النبي ﷺ آمن معه أربعون تتمتهم عمر ابن الخطاب؛ أي: يكفيك ويكفيهم فلا تخافوا.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ [الأنفال: 65] للكفار ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ﴾ رجلاً ﴿صَابِرُونَ﴾ ثابتون ﴿يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ من عدوكم فينهزموا منهم أو يقتلوهم ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ﴾ صابرة ﴿يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الصبر؛ أي: ثوابه وكان ذلك يوم بدر فأوجب فيه على الواحد قتال عشرة فثقل عليهم.

فنسخه لما كثروا إلى بدل أخف بقوله: ﴿الْآنَ خَفَّفَ الله عَنْكُمْ﴾ [الأنفال: 66] ذلك ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ عنه فقال: عشرة أمثالكم، قرأ عاصم وحمزة وخلف: ضعف بفتح الضاد، والباقون بضمها، وأبو جعفر: ضعفاء بضم الضاد وفتح العين والمد وهمزة مفتوحة؛ أي: قومًا ضعفاء لا يستطيعون ذلك، والباقون بإسكان العين منونًا بلا مد ولا همز؛ أي: عجزًا عن ذلك ﴿فَإِنْ يَكُنْ﴾ بالتذكير كما قرآه الكوفيون والبصريان، والباقون بالتأنيث، ﴿مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ منهم ﴿وَإِنْ يَكُنْ﴾ بالياء بالتذكير للكوفيين، والباقون بالتأنيث، ﴿مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ الله﴾ بقضائه وأمره ﴿وَالله مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمۡ خَيۡرًا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنفال: ٦٧ - ٧٠].

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ﴾ [الأنفال: 67] بالياء من أسفل في أوله لأبي جعفر والبصريين، والباقون بالتاء ﴿لَهُ أَسْرَى﴾ قرأ أبو جعفر أسارى، والأسارى بضم الهمزة وإسكان السين من غير ألف بعدها فيهما ﴿حَتَّى يُثْخِنَ﴾ أي: يكثر القتل من المشركين ﴿فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ حطامها بأخذ الفداء ﴿وَاللهُ يُرِيدُ﴾ لكم ﴿الْآخِرَةَ﴾ أي: ثوابها بقتلهم ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ﴾ [الأنفال: 68] في اللوح المحفوظ بحل الغنائم لهذه الأمة ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ أصابكم ﴿فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ [الأنفال: 69] من الغنيمة أو الفداء ﴿حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ نزلت؛ لأن النبي ﷺ لما أسر الكفار في بدر فداهم كل أسير بأربعين أوقية، والأوقية: أربعون درهمًا، وإنما وقع النهي عنه في أول الإسلام لقلة المسلمين فكان قتل الكفار أولى فلما كثروا نسخه بقوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد: 4] وكان أخذه ﷺ للفداء في بدر بمشورة أبي بكر الصديق ﷺ، وكان عمر ﷺ أشار بقتلهم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ [الأنفال: 70] أي: إيمانًا بالله ورسوله وإخلاصًا ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ من الفداء بأن يضعفه لكم في الدنيا ويثيبكم في الآخرة ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ نزلت في العباس كان معه عشرون أوقية فضاعت في الحرب وأُسر في بدر فكلفه رسول الله ﷺ فداء نفسه وابني أخيه عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث، ولم يحسب له ما ضاع منه في الحرب؛ لأنه قال له خرجت تستعين به علينا فقال العباس: يا محمد، تركتني أتكفف قريشًا ما بقيت، فأخبره أنه أودع زوجته قبل خروجه من مكة مالاً وكان كذلك، فقال: من أخبرك بذلك قال جبريل فآمن العباس حينئذ وأبدله عشرين عبدًا كل عبد معه مال عظيم أقلهم من معه عشرون ألفًا وأعطاه زمزم وقال: ما أود أن لي بها الدنيا.

﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٧١ - ٧٥].

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا﴾ [الأنفال: 71] أي: الأسارى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ قتالك يا محمد ﷺ ﴿فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل بدر بالكفر ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ ببدر ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ [الأنفال: 72] وهم المهاجرون ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا﴾ النبي ﷺ والمهاجرين في المدينة ﴿وَنَصَرُوا﴾ وهم الأنصار ﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النصرة والمعونة والإرث، فيرث الأنصاري المهاجر وعكسه، ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله: ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ....﴾ [الأنفال: 75] إلى آخر السورة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ﴾ بكسر الواو هنا وفي الكهف الولاية لحمزة ووافقهم خلف والكسائي في الكهف، والباقون بالفتح فيهما ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ فلا إرث بينكم وبينهم، ولا نصيب لهم في الغنيمة ﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ لهم على الكفار؛ لأنهم مؤمنون ﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ أي: عهد بترك الحرب فلا ينصروهم عليهم وينقضوا عهدهم ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: 73] في العون والنصرة والميراث ﴿إِلَّا﴾ الحربي والذمي بعدم التناصر، وعلم منه ألَّا إرث بين المسلم والكافر ألَّا ﴿تَفْعَلُوهُ﴾ أي: إن لم تأخذوا بما أمرتكم ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾[1] بقوة الكفر ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ بضعف الإسلام.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: 74]، والمراد بالآية الأولى هجرة الحبشة، وبالثانية الهجرة إلى المدينة، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ﴾ [الأنفال: 75] أي: من بعد هجرته ﷺ إلى المدينة أو بعد السابقين إلى الإيمان والهجرة ﴿وَهَاجَرُوا﴾ من مكة إليه ﴿وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ أيها المهاجرون والأنصار؛ أي: لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ﴾ ذوو القربى ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ في الإرث من التوارث بالإيمان والهجرة المذكورة في الآية السابقة ﴿فِي كِتَابِ اللهِ﴾ أي: في اللوح المحفوظ أو في حكمه، أو المراد آية النساء فلا ميراث بهجرة ولا بنصرة، وإنما سببه نكاح، وإسلام، وولاء، وقرابة كما علم من النساء وغيرها ﴿ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

---

(1) الضمير المنصوب في «تفعلوه» عائد على الميثاق أي على حفظه أو على النصر أو على الإرث أو على مجموع ما تقدم أقوال أربعة، وقال الزمخشري: أي إن لا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضًا حتى في التوارث تفضيلاً لنسبة الإسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الأرض ومفسدة عظيمة؛ لأنّ المسلمين ما لم يصيروا يدًا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرًا والفساد زائدًا، وقال ابن عطية: والفتنة المحنة بالحرب وما انجرّ معها من الغارات والجلاء والأسر والفساد الكبير ظهور الشّرك، وقال البغوي: الفتنة في الأرض قوّة الكفر والفساد الكبير ضعف الإسلام، وقرأ أبو موسى الحجازي عن الكسائي: كثير بالثاء المثلثة وروي أن الرسول ﷺ قرأ: «وفساد عريض».

فهرس المحتويات